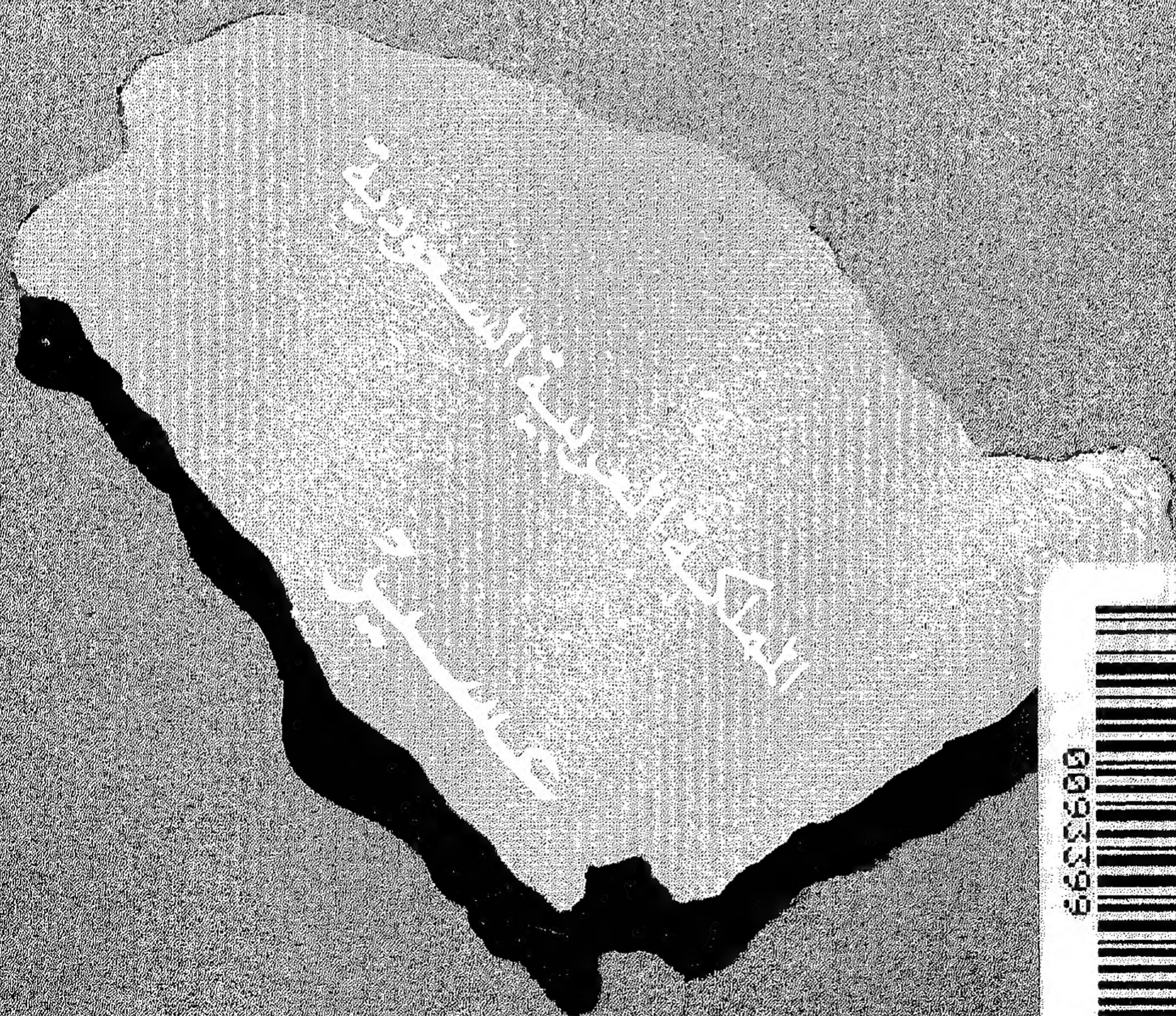
تاريخ عسير

رؤية تاريخية خلال خمسة قرون

في رسالة

إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي

المتوفى سنة ١٣٧٢هـ



تحقيق وتعليق

محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري

المتوفى سنة ١٣٧٣هـ

تاريخ عسير

في رسالة

إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي

المتوفى ١٣٧٢ هـ

تحقيق وتعليق

محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري

رؤية تاريخية خلال خمسة قرون

الطبعه الخامسة

١٤١٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

في مطلع عام ١٣٩٢ هـ، كنت أحد المدرسين المتعاقدين مع وزارة المعارف ،وشاء الله أن أكون في تهامة عسير ، ومكثت هناك ثماني سنوات تقريبا ، خلالها وقع في يدي نسخة من هذا الكتاب المطبوع في دار المعرفة - بيروت - عام ١٣٨٨هـ وفرحت به كثيرا لأنني مكثت خمس سنوات أسأل زملائي عن تاريخ المنطقة وهل من مؤلفات في ذلك والكل يقول : لا أعلم في ذلك شيئاً واستقرأت الكتاب ووجدت فيه ضالتي المنشودة ، وفي إحدى الإجازات المدرسية وكنت في بلدي عرضت الكتاب على بعض دور النشر لطبعه ؛ فاستحسنوا ذلك وطلبوا مني ترجمة للمؤلف والمعلق وعند عودتي ذهبت الى أخينا وأستاذنا الشيخ ، الحسن بن علي الحفظي مدير المدرسة السعودية برجال ألمع والذى زاملناه عدداً من السنين، وعرضت عليه الفكرة فتفضل مشكوراً وكتبت منه ترجمة لمؤلف المتن الشيخ إبراهيم الحفظي ، كما دلني على أخذ ترجمة لمعلق الحواشي من ابن أخيه السيد محمد بن أحمد بن مسلط المقيم بمدينة أبها ففعلت ذلك كله .

ولما عدت إلى بلدي سنة ١٤٠٤ هـ وجدت الكتاب وقد طبع في دار الأمان - بيروت - كطبعة رابعة سنة ١٤٠٢ هـ وفرحت كثيراً بذلك .

اطلعت على تلك الطبعة وإذا هي أقل من التي معي بأكثر

من مائة صفحة ؛ فعجبت لذلك ! وقررت مقابلة النسختين مع بعضهما لمعرفة الفوارق وتحديد النقص، وفوجئت بأن الناشر ذكر في مقدمته بأن الكتاب قد طبع فى القاهرة ، ووجدت كلا الطبعتين ناقصة - أعنى رسالة الحفظى - مبتورة ، وأظن أنها لو كانت كاملة ما وسع الكتاب فى مجلدين .

ولقد حاولت جاهدا الحصول على نسخ من تلك الطبعات ولكن دون جدوى ، فلم أوفق غير أن أحد الوارقين فى مصر أفادنى بأنه قرأ الكتاب وأنه وجد فيه قصائد شعرية عربية فسحة جميلة على حد قوله ، كما أفاد أنه يوجد بها خرائط توضح امتداد نفوذ حكام آل يزيد .

ولما كان هذا الكتاب ذا قيمة تاريخية عظيمة يجمع بين دفتيه الكثير من تاريخ المنطقة الجنوبية - عسير - خاصة والجزيرة عامة ، فقد حرصت على تصحيح وإكمال النقص ، وأبقيت مقدمة الناشر للطبعة الرابعة - دار الآمان عام ١٤٠٢هـ - وترجمت للمؤلف والمعلق ، غايتى في ذلك نشره وسد النقص الذي تعانى منه مكتبتنا العربية ، وتفتقر إليه ، وحسبنا فى ذلك تقريبه إلى يد الباحث والمطلع عن جزء وأمة أصيلة من أمتنا العربية ووطننا الكبير .

مقدمة ناشر الطبعه الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

كان هذا الكتاب قد طبع قبل ما يزيد على الأربعين سنة ، وصدر عن مطبعة الاعتماد بسوق الفجالة عام ١٣٥٨ هـ ثم الطبعه الثانية بدار المعرفه فى بيروت ١٣٨٨ هـ ثم طبعت للمرة الثالثه بمطبعة حجازى - حى الجمالية - القاهرة ، غير أنه على ما يبدو قد نفدت نسخه بسرعة ، وأكرمنى الله بنسخة منه عند أحد الإخوة فأخذته على سبيل الإعارة ، ولما اخذت بقراءته شدّنى إليه موضوعه ، ورغّبنى فيه عدم معرفتى لتاريخ تلك المنطقه التى يتحدث عنها ، والوقائع التى جرت فيها ، والأطراف التى كانت تتصارع ، والأهداف التى يسعى كل طرف إليها ، والجهات التى تتحرك من الخلف ، وتحرك صنائعها على الساحة ، والعناصر التى تدافع عن نفسها ، وعن الحق الذى تسعى اليه .

وإنه لأمر خطير - والله - أن يكون أعداؤنا وراء أسر رجالات منه لتحقيق أغراضهم ، وتنفيذ مخططاتهم ، وإنه ليحزّ فى قلب المسلم أن يرى الحق يصرع ، ويختفى الصادق ، وينتصر الباطل ، ويبقى الفاجر على الساحه يتحكم بذوى المروءات ، ويصبح منتفش الريش .

وأحببت أن يطلع الناس على هذه المرحلة من تاريخ

منطقة عزيزة علينا فهى فى جزيرتنا ، فى قلب عالمنا الإسلامى ووطننا العربى ، لتتضح أمامهم الحقائق ، وتبتعد عن نفوسهم دعايات الذين يصرخون ، ويتشدقون بما لديهم من وسائل لخداع الأمة ، ويمّنون على الناس بما مَنَّ الله عليهم ، وهم لا يقدمون شيئا ، وإنما يعطون للغرباء الأبعاد وللكفار الذين يدعمونهم كل شئ ، ويرسون فى أحضان اللعينات في يوم واحد ما يسد حاجات المسلمين سنوات .

فنرجو الله أن ينفع بهذا الكتاب الذى رأيت أن أعيد طباعته بعد أن استأذنت صاحبي الذي أعارنيه ، وورث مطبعة الاعتماد . والله الموفق .

التعريف بالمحقق

هو : محمد بن مسلط بن عيسى الوصال من آل الوصال أحد بطون بنى بشر بن حرب بن ربيعة بن عنز بن وائل ، وهو : قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن أكلب بن ربيعة بن نزار .

وقبيلة بنى بشر هذه غير قبيلة بنى بشر بن جنب المذحجية ، وقبيلة المحقق هذا كانت تقيم فى الجنوب الغربى من مدينة جُرَش ، ثم انتقل الغالب من بطونها إلى الشام فاستوطنوا فلسطين فى القرن الأول والثانى من الهجرة بعد ذلك عادت تلك البطون واستوطنت نجد الوسطى ، وتحالفوا مع قبيلة عنزة بن أسد بن ربيعة .

وقد تخلف من بطونهم فى عسير آل الوصال ، وجارمة ، وبنومالك ، وشيبة ، وعاصم ، وبنو حديد ، وقد دخلت هذه البطون بالحلف فى قبائل شهران ، وفى قبيلة رفيدة قحطان ، وفى قبائل أولاد أسلم وبنى مالك عسير .

ولد الوصال سنة ١٢٩٦ هـ فى مدينة أبها وكان والده قاضيا للأمير : علي بن محمد آل عائض .

نشأ فى كنف والده القاضى ، واسرته من بيت علم معروفه مشهورة بالعلم فى منطقة عسير ، أخذ العلوم على يد والده ، وعدد من علماء المنطقة ، كما أخذ الثقافة الإسلامية على يد الشيخ : محاسن الأزهرى من علماء الشام من اللاذقية ، وقد كان أحد قضاة عسير، وفد إليها ضمن الحملة التركية واستقر بأبها .

وفى سنة ١٣٢٠هـ أمر الأمير على بن محمد آل عايض بتعيين الوصال كاتبا وأميناً لمجلس الشورى ، ثم عين مديراً للمالية فى عهد الأمير عبدالله بن محمد آل عايض ، ثم عينه الأمير حسن بن على آل عايض أمينا لسر المجلس البلدى وأمينا لمجلس الشورى فى عهده ، وبقى كذلك حتى سقطت عسير فى يد القوات السعودية فى شهر صفر سنة ١٣٤٢هـ .

نقل إلى الرياض ضمن الموالين لآل عايض وبقى بها حتى منتصف عام ١٣٧٢هـ وفى آخر العام ذهب للحج ، ثم عاد من الحج الى الطائف بعد ان أصيب بكسر فى أحدى رجليه وكانت سببا فى وفاته .

توفي فى مدينة الطائف فى أول شهر محرم من عام ١٣٧٣هـ ، ولم يعقب ، له أخوان شقيقان هما : أحمد وسعيد وقد هاجرا إلى مصر ثم إلى السودان ، وله أخ ثالث من أبيه هو : على بن مسلط وقد بقى فى أبها وله ذرية هناك .

مقدمة المحقق

إن للتاريخ أهمية كبيرة ، فهو إضافة إلى أنه سجل لحياة الاباء والأجداد الذين كان لهم دور فى البناء والإشادة والرقي والحضارة ، وفى ذكراهم همة للعمل . وثبات على النهج ، فإن فيه الدروس والعبر ، وطريقة السير فى كل حادثة لها ما يشبهها فى الماضى سُلكت بشكل سليم ، وطُرقت من ناحية صحيحة .

وإنه لما يؤسف له عن كبار المؤرخين فى الماضى أنهم قد ركّزوا جهدهم على مركز الخلافة ، والخليفة ومن حوله ، وأغفلوا المناطق الثانية ، وأهملوا رجالات الجهات الأخرى ، ولا تُستثنى جزيرة العرب من هذا رغم أنها مقرّ أصل العرب ، وموطنهم الأول ، وعلى أرضها نزل وحى السماء ، وبلغة أهلها أُنزِلَ القرآن الكريم ، ومنها اندفعت الجيوش للفتح ، وكان قادةَ الجهاد من أبنائها حتى لنستطيع أن نعدّهم قادة الدنيا .

ومع أن المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة تشدُّ إليهما الرحال من كل جهة من جهات العالم ، ويهتمّ بهما المسلمون اهتماما بالغاً فى أرجاء الأرض ، ومع هذا فإن تاريخ هاتين المدينتين لم يُسجل بالتفصيل ، ولم يدوّن بالتوضيح ، إذ اكتُفى بذكر الأمراء الذين تعاقبوا عليهما من آل الحسن بن على فى مكة المكرمه ، وآل الحسين فى المدينة المنورة ، وهم بالأصل ليسوا سوى عمال للدول التى تتبعها منطقة الحجاز عامة ، على حين أن هناك جهات ثانيةً كانت

تُكتَب أحداثها يوميا، وتُذكَر أخبارها بدقة مفصّلةٍ تمام التفصيل كمدينة دمشق وبغداد والقاهرة.

وربما كان هذا الإهمال نتيجة انتقال مركز الخلافة منها إلى خارجها ، كما أنها لا تقع على ثغور بلاد المسلمين ، وقد جرت العادة أن تُسلط الأضواء على مركز السلطة وعلى ميدان المعارك وساحاتها وثغورها ، وهذا لا يوجد فى جزيرة العرب ، وربما اعتقد عدد من المؤرخين أن جزيرة العرب ، وهى مصدر العرب ، فإن معظم الناس يعرفون قبائلها ومنازلهم ، وحياتهم وانتقالهم ، لذا فلا يوجد حاجة إلى مزيد من التعريف .

وربما رأى بعضهم أن الإمارات التى قامت فى مختلف نواحيها ، وما حدث بينهما من صراعات لا يزيد على كونها أحداث داخلية ما دامت مرتبطة بمركز الخلافة ، وليست سوى نزاعات على الإمرة والنفوذ وضم جزء من الأرض أو انتزاع إقليم من إمارة ثانية ، غير أن الأحداث إذا تجاوزت ذلك ووصلت إلى الإسلام فإن المؤرخين عندها يضطرون إلى الالتفات نحوها والحديث عنها ، وهذا ما حدث عندما نشأت فتنة القرامطة ، ومع ما لهذه الفتنة من خطر كبير وأثر بيّن إلا أن المؤرخين أيضا لم يتحدثوا عن القبائل التى انضمّت إلى القرامطة ولا إلى التى وقفت فى وجههم .

وربما كان الذى لفت نظر المؤرخين الى الجزيرة أيام القرامطة (١) أن قبائل عربية صميمة قد انضمت إليهم كبنى

(١) اختلفت المصادر والمراجع حول لفظة القرامطة منها ما قالت:إن "حمدان بن الأشعث" سمي بهذا الاسم لأنه يقرمط في مشيه، أي بمعني أخر يقارب بين خطواته، ومنها من قالت إنه لقب بهذا اللقب لأنه أحمر البشرة تشبيها له (بالقرمد) وهو الطوب الآجر الأحمر، وهناك =

عبد القيس ، وغطفان ، وهوازن ، والرباب وبنو عقيل ، وزعب ، وعنزه ، وطيّ ، وقيس عيلان ، وبنو سعد ، وبنو حنيفة ، وبنو تميم ، وبنو هلال ، وبنو قشير ، وبنو جعدة ، وبنو كعب ، وبنو جرم ، وبنو عبس ، وأن إمارات قدانضوت تحت أجنحة القرامطة ، وعملت على نشر أفكارهم الخبيثة ، كبني الأخيضر الذين تملكوا اليمامة ، ودخلوا منطقة الحجاز لمدة وجيزة . وقد كان لهذا الانضمام وهذا الانضواء أثر كبير . إذ تمكّن القرامطة من السيطرة على معظم الجزيرة ، وربما لا نستثني منها إلا عسيرا ، ثم أخضعوا أطراف العراق وأجزاء من الشام ، وطرقوا أبواب مصر ،

= من يقول إن أصل هذا اللفظ مشتق من Ketappidi وهي كلمة يونانية ، ويري فئة أخري أن كلمة قرمط مأخوذة من قرمط أي عبس وغضب وصاحب الرأي المؤرخ الأجنبي B. Lews. desacy بينما يري الأب أنستاس ماري الكرملي عند تفسيره لمعني قرمط أنه لفظ نبطي مشتق من قرمطونا أي المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال والنصاب ، ويقول ابن الجوزي في كتابه " المنتظم " : إن القرامطة سموا بذلك الاسم لأن أول من أسس لهم هذه المحنة (الغله) " محمد الوراق " المقرمط وكان كوفياً. والقول الثاني : إنه كان لهم رئيس من السواد بالعراق من الأنباط يلقب بقرموطية فنسبوا إليه. والقول الثالث : أن قرمط كان عاملاً " لإسماعيل بن جعفر الصادق فنسبوا إليه لأنه أحدث لهم مقالاتهم ، والقول الرابع : أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته فلما رحل فسمي باسم ذلك الرجل قال الثعالبي : قرمط الذي يكتب التعاويذ بالدقيق والجليل من الخط وسرمط : كتب والسرماط : الكتاب . ويقول المؤرخ المسعودي في التنبية والإشراف عن القرامطة " وكانوا يعرفون بالأجميين لسكني أكثرهم الآجام والطفوف ، من أعمال الكوفة " وفي رواية أخري للسعودي سماهم " القرامطة البقلية " وقال " : والعلة في تسميتهم البقلية هي اسم دياني عندهم . انظر : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للعماري .

وخاف الناس من أن يلتحم القرامطه مع الفاطمين (العبيديون)[1] ، ويعملون معاً على اجتثاث جذور الإسلام ، ولكن الله بالمرصاد ﴿ **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾[2] . وبقيت بعض آثار القرامطة فى جهات كثيرة حتى ظهور المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فى القرن الثاني الهجري .

ولما كان المؤلف يتحرج من ذكر الإدريسي باسمه ويشير إليه إيماء وتلميحاً ، فقد رأيت أن أكتب له نبذة موجزة بعد هذه المقدمة لماله من أهمية تاريخية فى عهده وأثراً تاريخيا على المنطقة والله من وراء القصد .

---

(١) نسبة إلي عبيد الله المهدي مؤسيس الدولة الفاطمية في المغرب

(٢) ٣٠ ك الأنفال ٨

لمحة عن الإدريسي

وصل إلى مكة المكرمة عام ١٢١٥ هـ رجل من المغرب يُدعى " أحمد بن إدريس " يقول عن نفسه إنه من مواليد مدينة (العرايش)(١) من أعمال فاس بالمغرب . ويرفع نسبه إلى إدريس بن عبدالله المحض من نسل الحسين بن علي رضى الله عنهما . وهو من صوفية بلاد المغرب ، إذ ينتمى إلى الطريقة الأحمدية التى تتفرّع من الطريقة الشاذلية .

وأقام فى مكة المكرمة ما يقرب من ثلاثين عاماً يحاول أن يلتقي فى كل موسم ببعض الحجاج الذين تظهر عليهم السذاجة والبساطة ليتحدث معهم عن طريقته الصوفية ، ويبحث عن المكان الخصب لنشر أفكاره .

انتقل الى تهامة (٢) اليمن ، وتنقل فيها بين عدة مناطق ، وأخيرا وصل إلى " صبيا " (٣) فى رمضان من عام ١٢٤٥هـ ، حيث وجد تربة ملائمة لما تصبو إليه نفسه ، فاستقرّ فيها . وبدأ يتصل بالناس ، ويُلقي المواعظ ، ثم أخذ يُلقي دروسا فى المسجد عن الزهد والتصوّف ، ويجتمع بالناس .

كانت " صبيا " يومذاك تتبع عسيراً التى يقوم على أمرها " علي بن مجثّل " ، وهو من أنصار الدعوة السلفية

(١) وعند ياقوت الحموي العرائس أماكن في شق اليمامة وهي رملات انظر : معجم البلدان ١٣٦/٦ - ١٣٧

(٢) بالكسر وسميت تهامة لشدة حرها وتقلب الريح فيها .

(٣) صبيا احدي مدن المخلاف السليماني ، وتقع إلى الشمال من مدينة جيزان ، وكانت مدينة صبيا عاصمة مملكة الإمام الإدريسي ومقر الفقهاء السباعية الإعلام ، انظر تاريخ عمارة الحكمي .

وأحد أعيانها فى عسير ، لذا فقد وقف فى وجه هذا الضيف الغريب الذى يحمل أفكاراً بعيدةً عن الفكر السلفي ، وغريبة عن الإسلام ، وطلب من مريديه الذين كثروا ، وكان منهم بعض آل الحفظي ، طلب منهم أن يلتزم الشيخ بالإسلام والفكر السلفي ، ويبتعد عن الخرافات والأباطيل التى يُلقيها على مستمعيه ، ويترك هذه الأمور التى لا يعرفها الإسلام ، وإلا فالرحيل عن المنطقة .

أظهر الشيخ الاستجابة ، وأبدى أنه لن يخرج عن الإسلام ، وأنه أحد دعاته ، فسكن إلى الهدوء ، فرتّب له على ابن مجثل مرتبا من بيت المال يكفيه وأسرته ليعيش بكرامة وبحبوحة .

توفي علي بن مجثل عام ١٢٤٩هـ ، وقام مكانه عائض بن مرعى ، وهو يُشبه سلفه فى فكره ، لذا استمر فى تتبع أخبار أحمد بن إدريس الذي أراد أن يتحرك فى صوفيته من جديد متوهّما أن ابن مرعى يختلف عن ابن مجثّل ، وأحسّ ابن مرعى بما عزم عليه الشيخ فنبّهه إلى ضرورة الاتّزان ، ولم يشأ أن يقال عنه : إنه يضغط على الفكر والعلم ، لذا فسح له المجال لإلقاء بعض الدروس ، ووضع رقابةً عليه ، حيث تصل إليه أخباره باستمرار . وأفهمه ذلك كى لا يشذ فيتعرض لما لا يريد .

توفي أحمد بن إدريس عام ١٢٥٣ هـ ، وخلفه ابنه محمد الذى أراد أن يستفيد من مركز أبيه ويقوم على نشر فكرته ، غير أنه وجد عائض بن مرعى فوقه بالمرصاد ، فخلد إلى الهدوء ، ولم يجد فائدةً من التحرك ، وتزوّج محمد من امرأة سودانية ، فأنجبت له ولداً يُدعى " عليا" " وقد سار على سلوك أبيه ،وتزوج من امرأة هندية ، وجاءه منها ولد سُمى على اسم جده " محمد " .

لم يكن حظّ محمد وابنه على وافراً فى الحركة الصوفية للضغط عليه سواء من قبل عائض بن مرعي الذى توفي عام ١٢٧٢هـ ، أم من قبل محمد بن عائض الذى قُتل عام ١٢٨٩هـ . ولذا فقد قضى محمد بن على بن محمد بن أحمد الإدريسى أول أمره متنقلاً فى عدد من البلدان منها مصر ، والسودان ، وقد تعرف محمد أثناء تنقله هذا على رجل فى القاهرة يعرف باسم " محمد على علوي " ، ويعمل مترجماً فى السفارة الإيطالية فى القاهرة ، فاستطاع أن يصله بالسفير الإيطالى ، وأن يربطه بمصالح إيطاليا فى المنطقة ، وخاصة أنها كانت قد أخذت اريتريا على شاطئ البحر الاحمر الغربى ، وتريد أن تتوغل فى الداخل ، ولكنها هُزمت فى معركة " عدوة " عام ١٣١٤هـ ، كما تريد أن تجد لها موطأ قدم على شواطئ البحر الأحمر الشرقية ، وقد وجدت ضالتها فى الإدريسى هذا حيث بدأت الاتصالات ، وبدأت المخططات ، وزادت أطماع الطليان بعد هذا الارتباط .

توفي محمد بن أحمد الإدريسى عام ١٣٠٦ هـ ، ولحقه ابنه علي عام ١٣٢٤ هـ ، وبعدها رجع محمد بن على إلى مسقط رأسه فى " صبيا " بعد أن تزوج من السودان ، ودرس فى الأزهر ، عاد يحمل فى جعبته بعض العلم الذى حصل عليه فى دراسته ليتاجر به وليعرف الدفاع عن فكرته وليظهر علمه . وبجانب هذا يحمل تنفيذ مخططات الطليان فى المنطقة ، ولم يكن ماسونياً حسب زعم بعضهم .

عندما رجع محمد بن على الإدريسى إلى " صبيا " وجد البيئة التى كانت أيام أبيه وجده قد تغيّرت ، إذ انكمشت الدعوة السلفية ، وانحصر نفوذ أمرائها فى عسير من آل عايض على رجال القبائل ، أما المدن والطرق الرئيسية فقد

كانت في قبضة العثمانيين الذين سيطروا على المنطقة إثر مقتل محمد بن عائض عام ١٢٨٩هـ . وكان العثمانيون على جهلٍ مع عاطفةٍ إلى الدين ، وهذا ما يناسب الطرق الصوفية ، وقد وجدت هذه الطرق مناخاً خصباً في المناطق التى تخضع للعثمانيين بل وجدت تشجيعا من قبل المسئولين .

وجد محمد بن على الإدريسى جواً مناسباً جديداً فى منطقته ، ووجد تشجيعا من المسئولين الجدد ، ولقي مجداً من أيام جدّ أبيه عند بعض المريدين وأبنائهم وأحفادهم ، فبدأ يحيي ذكر سلفه ، وينشط فى نشر طريقته ، ويتصل بالمراكز الصوفية المعروفة سواء فى السودان أم فى المغرب ، غير أنه فى الوقت نفسه خاف من زعماء آل عايض الذين لهم نفوذ على القبائل ورجالها لا يمكن تجاهله أبداً لذا أخذ يتصل بـ " علي " ابن محمد بن عائض وأخيه عبدالله الذى آلت إليه زعامة آل عائض بعد أخيه علي ليضمن جانبهم ، غير أنهم كانوا على معرفة بألاعيبه وما يهدف إليه .

وجد الإدريسى الفرصة سانحةً له عندما أخذ يتفاوض مع الحكومه التركية ، إذا أرسلت له وفداً للمفاوضة لتستفيد منه ضدّ آل عائض . كما طلبت من متصرفها سليمان باشا الكمالي الذى جاء متصرفاً لعسير عام ١٣٢٧هـ أن يزور الإدريسى ، فارتفع بذلك شأن الإدريسى وعلت مكانته ، وادّعى أمام أتباعه أن المتصرّف قد جاء لمبايعته .

كان الإدريسى قد أراد جسّ نبض على بن محمد بن عائض، فحرّض قبيلة بنى شعبة وبعض القبائل الموالية له لضمّ بنى حبيب ورجاله ألمع إلى نفوذه ، فوجّه ابن عائض قوة إليهم بقيادة سعيد بن عبدالله بن نمشه وأحمد بن سعيد بن عبد المتعالي ، فدحروا قوات الإدريسى ، ونكّلا ببنى شعبة ، وأعاد

الإدريسى الكرة أيام عبدالله بن محمد بن عائض عام ١٣٢٦هـ وزجّ ثانية ببنى شعبة ، ودعمها بقبائل بأبى العريش ، غير أن ابن عائض قد وجّه إليها قوة بإمرة عبد العزيز بن حسين آل مشيط ، وسعيد بن عبدالله بن نمشة ، فانهزم أنصار الإدريسى وتشتت شملهم ، فلم يجرؤ بعدها أن يُحرّك ساكناً مما جعله يخشى قوة آل عائض ويهاب مواجهتهم ، الأمر الذى دفعه لمراسلة أمير نجد ليوقع آل عائض بين نارين وليحتاط لنفسه بالبقاء فى تهامة بوجود حليف له بين العرب يُهدد آل عائض به ، ويُغريه بهم ، وخاصةً أن ظروف آل عائض لم تكن مساعدة لهم لوجود الترك فى المنطقة وسيطرتهم على المراكز الحساسة فيها . واضطرار آل عايض لملاينة الأتراك ومسايرتهم خوفاً من تأليب الجوار عليهم فى الوقت الذى يريدون فيه كسب جيرانهم لإبعاد شرّهم كما أوجد مناخا ملائما لحركة الإدريسى يعيش فى كنفه ويترعرع نفوذه فى وسطه .

لم يكن آل عايض ليُهمّهم الإدريسى لما يعرفون من ضعفه وإمكانية القضاء عليه وتشتيت أتباعه بسهولة ، ولكن اهتمامهم كان مركّزا على الترك لكثرتهم وقوتهم التى تتمثل فى دولة ضخمة ، ويتربّع جيشها على أرض عسير . ولم يتحسّن الوضع بالنسبة لأبناء المنطقه حتى تم انسحاب الترك مع نشوب الحرب العالمية الأولى ، واضطرارها إخلاء عسير وتسليمها لأهلها ممثلين فى أمرائها الحقيقيين آل عائض ، ومن المناطق التى أضحت خاضعةً لآل عائض ، حسب الوثيقة التى تمّ بموجبها الانسحاب والتسليم ، عسير سراةً

وتهامة ، من شمال القنفذه (١) حتى ميناء المخا (٢) ، هذ بالنسبة إلى البحر ، ومن جنوب الطائف حتى صعد بالنسبة إلى الداخل ، وتشمل هذه المنطقة إضافة إلى عسير جغرافيا نجران (٣) ، ووادى الدواسر ، والسليل ، والأفلاج وعالية نجد حتى الشعرا ، أى أن المنطقة التى يتحرك فيه الإدريسى إنما هى جزء من أملاك آل عائض (٤) .

استطاع الإدريسى تحت عنوان " الدعوه إلى الإصلاح وتحت تأثير رجاله الذين بثّهم فى مختلف مناطق تهام يزينون للناس أراءه ويُحسّنون أفكارة ، استطاع أن يؤثّر على بعض الأعيان وشيوخ القبائل ، وكان من أبرز

---

(١) القنفذ المكان الذي ينبت نبتاً ملتفاً ، ومنه قنفذ الدراج احدى مدن المملكة العربية السعودي علي البحر الأحمر .

(٢) ورد عند ياقوت الحموي : موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر وهو مقصور انظر معجم البلدان / ٢ . ٤٠ ، قلت : وهى إحدّى المقاطعات الجنوبية في المملكه السعودية .

(٣) ورد عند ياقوت نجران بالفتح والسكون وأخره نون ونجران الباب الخشبة التي يدور عليها وهي مخاليف اليمن من ناحية مكة انظر : معجم البلدان ٢٥٨/٨ – ٢٦

(٤) استند الملك عبد العزيز على هذا عندما اختلف مع الإمام يحيى إذ قال : إنه قد وضع يد على أملاك آل عائض ، وإن اليمن بمعظمها ضمن هذه الأملاك ، وليس للإمام يحيى ومن سبقه من الأئمه الزيدية إلا الرئاسة الدينية على أصحاب هذا المذهب ولا علاقة لهم بالشئون الإدارية والسياسية إذ لم تكن سلطتهم لتتعدى بعض القرى التى انتشر فيها مذهبهم ، ولم يكن الصراع بين أسلاف الإمام وأسلاف آل عائض إلا فى سبيل [illegible] المذهب الزيدى إلى عسير ، وعندما جلا العثمانيون عن اليمن عيّنوا الإمام [illegible] على اليمن لوقوفه إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى .

هؤلاء " الحفاظية " من بيوت رجال ألمع بالحلف وهم من أهل القضاء المعروفين .

ولما كان الأدريسي غريباً عن المنطقه لذا أحبّ أن يتعرف علي تاريخها وعمّا يُحيط بها ، ويعلم شيئاً عن أهلها ، ليعمل علي رسم خطوط امتداد أخطبوط دعوته الضالة التي يريد أن يتصيّد بها ، ويقنص بفسادها ، ويبني بعدها لنفسه مجداً علي كواهل الأغبياء الجهلاء ، لذا طلب من إبراهيم بن زين العابدين بن إبراهيم الحفظي أن يُسجِّل له رسالةً مستفيضةً عن المنطقة، وتاريخها ، وأمجادها ، وأهلها ، وطباعهم ، فكتب له هذه الرسالة التي بين أيدينا مختصر عنها .

كان زين العابدين بن إبراهيم والد الشيخ إبراهيم هذا قد وضع كتاباً أسماه " الوشي المحبوك " أكمل فيه تاريخ ما وقف عنده المؤرخ محمد بن ناصر آل موسي (١) صاحب كتاب

---

(١) آل موسي عشيرة من بطون قبيلة بني رنّية من جنب بن سعد العشيرة من مذحج ، ودخل بنو رنية في قبيلة بني نهد زيد القضاعيين ، ومن بطون بني رنية بنو جهم وحُمالة . وآل موسي بيت علم وقضاء عند آل يزيد ، وآل سوِيد في سنحان . ودخل بعضها في بني بشر ، وأضيف قسم من بني جهم إلي قبيلة بني حُنيتم من بني الحارث عندما كانت ترابط علي حدود عسير الشمالية دعما لقبيلة عدوان وبجيلة الواليتين لآل يزيد ، وذلك عام ٦٦٠هـ . أما القسم الآخر من جهم فقد أضيف إلي بني زكريا إحدي بطون علي بن عامر بن عنز بن وائل . والتي حالف قسم منها بني عمرو بن سبيع بن عمرو بن غالب وهم سبيع الغلباء بطن من هلال ، والإمرة فيهم لآل العواجي ببيشة . أما حمالة فقد ضُمت إلي القبائل التي وُجّهت إلي نجد في عهد الأمير عائض بن مرعي . وما بقي من جهم وحمالة فقد دخل في بني بشر .

" السلوك إلي تاريخ الملوك " حيث وقف في تاريخه مع نهاية القرن الحادي عشر الهجري ووقف زين العابدين بتاريخه " الوشي المحبوك " عند نهاية حكم عائض بن مرعي عام ١٢٧٢هـ . وحبّذا لو قدّم الشيخ إبراهيم هذين الكتابين للإدريسي لكان خيراً . ولكان أحياهما من التلف ، وحفظهما من العدم ، إذ لم تتعرّض جيزان ومنطقتها إلي ما تعرّضت إليه أبها من حرق الكتب وإتلاف المخطوطات علي يد الإخوان ، أو كما يسميهم أهل المنطقة " الخوان " (١) عندما دخلوها مع ابن مساعد ثم مع الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود عام ١٣٤١هـ .

---

(١) ثلاثة خور والخو الجوع وكل واد واسع في جوسهل فهو خو وخوي والخوان واديان معروفان في بلاد بن تميم .

انظر : معجم البلدان ٣/ ٤٨٠

ترجمة الحفظي

هو الشيخ القاضي : إبراهيم بن علي - زين العابدين - ابن ابراهيم بن علي - زين العابدين - بن محمد بن احمد - الحفظي - بن عبد القادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسي العجيلي .

ولد في اليوم الخامس عشر من شهر جمادي الأولي سنة خمس وثلاثمائة والف هجرية ، نشأ في كنف والده العالم الفاضل فرباه واحسن تربيته وعلمه القرآن وعلومه ، والسنة وعلومها ، والفقه : أصوله وفروعه حتي بلغ سنه ثنتين وعشرين سنة.

سيرته العلميه : سار في طلب العلم الي بلدة المراوعه باليمن ، فاخذ على علمائها علوم الدين واللغه وبرع في ذلك حتي فاق بعض مشائخه ، واصبح يفخر به أشياخه وقد عجبوا من ذكائه وقدرته علي الحفظ والثبات .

ومن مشائخه السادة الأعلام :

- محمد بن طاهر .
- محمد عبد الرحمن الاهدل .
- حمد بن عبد الباري .
- محمد حسن فرج
- الشيخ حمزة .

عاد الي مسقط رأسه وبلده وقومه وصار المرجع القضائي

في القضاء والإفتاء بعد والده ، وعرف بحلو الحديث ، وقول الحق ، وسجايا الخلق .

انتصب للتدريس إلي جانب القضاء ، في عهد حكومة آل عائض ، وكان ميالاً إلي الإدريسي وابن سعود ، وهو مأخذ عليه لتقلباته .

إنتاجه الفكري : له عدد من الرسائل الصغيرة مبسطة في الشعر والفقه والنحو وله هذه الرسالة في التاريخ . أما أشعاره فأنها في ديوان آل الحفظي وقد نشر أغلب شعره . وله مشاركات في المناسبات المختلفة الدينية منها والبحتة والمراسلات وغير ذلك ، ويظهر علي رسالته الركاكة ، والنقص وعدم الترييث ، مما نعزوه إلي الأيدي التي تناولتها فأخلت بها .

توفي رحمة الله وأسكنه فسيح جنته في العاشر من شهر محرم من عام اثنين وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية في بلدته بلدة رجال ألمع ، وقد نعاه الملك عبد العزيز وكتب تعزية إلي أهله وذويه وكلف مندوبه في أبها بالإنابة عنه في ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمدلله الذي خلق الإنسان ، وعلّمه البيان . وكرّم بني آدم ، وفضلهم علي جميع العالم والصلاة والسلام علي معدن الفضائل والأفضال ، أشرف صحب وآل ، سيدنا ومولانا محمد ختَامُ سلسلة الإرسال ، القائل فيما نطق به وقال " إنما شفاء العَي السؤال " وعلي آله أهل الفضل والكمال أما بعد :

فلقد ورد عليّ سؤال من ذوي الهيئة والإجلال ، ومجدّد العصر الأخير التال ، الذي لم يزل ذكره في البال ، ولم تغب صورته الشخصية المنقوشة في لوح الخيال ، في كل حال من الأحوال ، وهو حبيب لديّ وعزيز عليّ بواسطة معدن الأسرار ونسل الأخيار ، من لا نُسمّيهما إجلالاً ، ولا نُصرّح بذكرهما مقالا (١) . وذلك السؤال عن التحقيق عما سلف وأفلَ نجمه

(١) يقصد بهما محمد بن علي الإدريسي وجده أحمد ، وهذا هو أسلوب الصوفيين تجاه ساداتهم ، حيث يرون ذكر الاسم قلة في الاحترام وانتقاصا من القدر ، ويبدو أن بعض آل الحفظي ، ومنهم كاتب هذه الرساله ، قد أخذ يتأثر بالصوفية نتيجة الصلة بالإدريسي ، أو تملقاً إليه لعلمه بميوله إلي إحياء طريقة جده أحمد بن إدريس والعمل علي نشرها في تهامة عسير ، وقد كان أحمد بن عبد القادر الحفظي قد سار من قبل في ركب هذه الدعوة حتي استجلي حقيقتها ، وسقط من مجاهلها حتي أدرك غايتها ، فانبري لمعارضتها ، فكتب رسائل مفنّداً مراميها ، ومسفّهاً لرجالاتها ، إذ أنها تُثبّط الدعاة وعملهم ونشاطهم في عمران الأرض ، وجعلت منهم فئة متواكلةً لا تستطيع الجهاد ، ولا تعمل علي البذل ، ولا =

وغرب ، من تاريخ مسكون جزيرة العرب ، وعلي توضيح أحوال جبل عسير ، وما انضمّ إليه في الابتداء والانتهاء من التدمير والتغيير ، ومن نزل به ، وحلّ به ، وأقام فيه قليلاً أو كثيراً من الداعين والمجدّدين من العلماء العاملين والأولياء الصالحين ، ومن وازاهم من الملوك العظماء والأشراف القدماء ملكاً ملكاً ، وشرح أسمائهم وسنين إقامتهم وتسلسل غزواتهم منهجاً ومسلكاً ، وعن وقت ملك المصريين بأرضنا ، وزمان خروجهم من قطرنا ، ومدة ملكهم ، وتبيين أسمائهم ، ومتي خروج الأتراك من أرضنا ، ومدة إقامتهم بجبلنا ، إلي غير ذلك مما سأل عنه السائل ، ونقل عنه الناقل ، وأراد فتح أقفال الإشكال ، وتوضيح جواب المقال فظهوره أظهر من الهلال ، وأوضح من الشمس الطالعة في النهار بلا زوال ، فأقول وبالله التوفيق ، والسلوك إلي أحسن طريق .

(العرب)

نبتدئ أولا بمقدمة في معرفة العرب العاربة والعرب المستعربة ومعرفه جزيرة العرب ، وحدّها طولاً وعرضاً ، براً وبحراً ، ومن سكنها من العرب قديماً وحديثاً ، ليبلغ بها المطّلع غاية الأرب ، ويحيط علماً بمعرفة جزيرة العرب . فاعلم

= تقف في وجه الخصوم ، فما هي إلا وسيلة لإضعاف الإسلام وإصابة أهله بالخمول والانزواء ، والله عز وجل يقول : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ آل عمران - ١١٠ . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بالنشاط وبذل الجهد والاختلاط والمجادلة مع الأناة والصبر . وأهم رسائله في ذلك هي : "خطر التصوف" وقد فنّد فيها جهالاتهم وخطره علي الإسلام ، وقد ردّ عليه بعضهم من مكة وزبيد . ووضعت رسالة نسبت إليه تظهر تراجعه وتُشيعه .

بارك الرحمن فيك ، وأصلح ظاهرك وخافيك أن الناس كانوا بعد الطوفان مجتمعين بأرض بابل ، ولغتهم السريانية ، وقد كثروا وافترقوا ، فسلك عاد وثمود وعملاق وطسم وجديس فألهمهم الله هذا اللسان العربي ، فساقتهم الأقدار إلي اليمن، فنزل عاد الأحقاف ، ونزل ثمود ناحية الحجر ، ونزل جديس اليمامة (١) ، ثم شخص طسم وعملاق بن أرم بن سام بن نوح فنزلوا الطائف فأولاد هؤلاء يُسمّون العرب العاربة ، وولد إسماعيل عليه السلام العرب المستعربة ، لأنهم كانوا اثني عشر رجلاً تعلّموا منهم اللسان العربي ، فصار العرب أصلين : عرب عاربة وهم ولد قحطان ، وعرب مستعربة وهم ولد عدنان من ولد إسماعيل (٢) ، لأنهم كانوا اثني عشر رجلاً، وقد انقرضوا حتي لم يبق منهم علي وجه الأرض إلا من ولده عدنان ، وليس لعدنان غير ولدين معد وعكّ (٣) ، وولد عدنان يعرفون ببني إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام ، فانحصر النسب العربي من عدنان وولديه معد وعكّ. فولدَ معد أولاداً المشهور منهم : نزار ، وأولاده أربعة : رِبيعة ،

(١) منقول عن اسم طائر يقال له اليمام واحدته يمامة واختلف فيه .:. فقال الكسائي : اليمام من الحمام التي تكون في البيوت والحمام البري . وقال الأصمعي : اليمام ضرب من الحمام بري . وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر ، وتسمي اليمامة جواد العروض بفتح العين وكان اسمها قديماً جوا ، فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم .

انظر : معجم البلدان ٨/٥١٥ – ٥٢٢

(٢) عدنان بن أد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن راحيل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل .

(٣) علّ بن عدنان ، والصحيح : علّ بن عدثان بن عبدالله بن الأزد . وقبائل عسير تنتمي إلي عمرو بن عامر (مزيقيا) ودخلت فيها أحلاف من حمير .

ومضر ، وأنمار ، وإياد ، والعدد منهم في ربيعة ومضر . وأما علكّ بن عدنان فهم أصلان : ولد الشاهد (١) وولد عبدالله أبناء علكّ بن عدنان . فولد الشاهد غافق وساعدة . وولد عبدالله بطنان عبس وبولان بنا شحارة . فمن أولاد عبس معزب (٢) بن عبدالله بن محمد الفارس بن زايد بن دوال بن شنوءه بن ثوبان بن عبس (٣) ، ومن أولاد عبس : عسير بن عبس بن شحارة بن غالب بن علك بن عدنان وليس في السراة بإجماع علماء النسب من علكّ بن عدنان غير عسير ، وهي قبيلة واسعة تنطوي على قبائل عديدة (أحلاف) وإلا فباقي قبائل السراة إنما هم من كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . إذا عرفت ذلك وتوضح لك قبائل العرب العربا ، وأن سكناهم جزيرة العرب ، وبلادهم بادية العرب لم يبق إلا حدّ جزيرة العرب عرضاً وطولاً . فحدها طولاً من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق ، ومن جده وساحل البحر إلى أطراف الشام عرضاً . وسُمّيت جزيرة العرب لأن بحر فارس وبحر السودان أحاطا بجانبيها ، وأحاط بجانب الشمالي دجله والفرات .

أما جبل عسير الملوي به الدين كلي الضفير ، فأول داع فيه إلى الله القدير ، قبل خروج أي داع قبله إلى الإسلام بالبلاد العسيرية فهو الجد الكبير الولي الشهير القطب

(١) الشاهد بن علقمة بن علكّ .

(٢) معزب : يسمى أبناؤه المعازبة ، وهي قبيلة من بني الأشعر بن أدد بن زيد من مذحج دخلت في علكّ ، ومنها عشيرة الزرانيق (زرنوق) حليفة أسرة العجيلي (البكرية القرشية) حكاه أكثر من عالم من علماء آل الحفظي .

(٣) عبس قبيلة لا زالت معروفة شمال زبيد ، وهي غير عبس بن ثواب بن (عبدالله) بن بارق بن عدي الأزدية التي هي في رجال ألمع ، وغير عبس بن الحكم (العبوس) في تهامة قحطان من سعد العشيرة ، وغير عبس في سنحان (العُبّس) ، وغير عبس بن بغيض وغير قبائل عبس في تهامة بني شهر من رجال الحجر الأزدية .

الغوث موسي بن جغثم (١) رحمه الله أخرجه الترك من أرض اليمن عام الألف لما استولي الأتراك علي اليمن ، وحصلت

---

(١) موسي بن جغثم بن عجيل بن عيسي بن حسن بن محمد بن سعد بن عبدالله بن أحمد بن موسي بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن أبي العباس أحمد بن موسي بن علي بن عمر بن عجيل بن محمد بن حامد بن موسي البكري التيمي . وتعرف أسرته بآل موسي بن عمر من ولد ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو من الأسر القرشيه التي انتقلت إلي اليمن ، ولا زالت هذه الأسر تعرف بالقرشيين شمال مدينة زبيد ، وتضمُ أمويين وبكريين ، وفيها اسرة من نسل يزيد بن معاويه بن أبي سفيان انتقلت إليها من (السقا) شعف أبها وتعرف ب (بني شريح) وقد دخلت اليمن دعما لبني زياد أبناء عمومتهم . وحالف بنو موسي بن عمر الزرانيق إحدي عشائر بني مُعزّب حليفة بني عبيد من عكْ فنسبوا إلي الزرانيق خطا (طبقات بني عجيل – موسي بن جعفر الحفظي) .

ولما دخل الجراكسه اليمن ، وقضوا علي إمارة الأمويين (الطاهريين) وقتلوا الأمير عامر بن داود بن طاهر عام ٩٤٥هـ ، وقضوا علي تلك الأسره الأمويه عمّت الفوضي اليمن واختلْ الأمن فنزحت اكثر الأسر ذات المكانه حوفاً من القادمين الجدد للسلطه ، وكان ممن انتقل اسرة موسي بن جغثم فاستضافها أمراء حلي من آل يعقوب ، ثم استقرت بجوارهم ، وقد حفظوا لها مكانتها العلميه وعيّن موسي بن جغثم إماماً وخطيباً لجامع حلي الكبير بعد وفاة الشيخ قيس بن عامر الشهباني مفتي حلي . ولما تدهور وضع آل يعقوب في حلي نتيجة كثرة الصدامات بينهم وبين أمراء آل يزيد في عسير ، واتهم الشيخ موسي بن جغثم إلي الأمير عبدالله بن إبراهيم اليزيدي (كانت إمارته ٩٤٢ هـ – ٩٨٩ هـ) وأحس بالوحشة منهم وجفوة ، فاستأذن للحج وخرج مع اسرته ضمن حجاج كنانه وفي (يلملم) التقي بالحج العسيري بإمرة الأمير ثامر بن عبد الله (كانت إمارته ٩٨٩ هـ – ٩٩٨ هـ) فرغّبه في الانتقال إلي عسير ، فانفصل عن حجاج كنانة وانضم إلي حجاج عسير . وكان أمير مكة يومذاك حسن بن أبي نمي الحسني ، وكانت إمارة مكة تقوم علي دعم أمراء آل يزيد في غالب الأحيان ، وكان اخر ذلك الدعم ١٠٧٨هـ ، حيث اقصوا وولّوا الحرث بن حرق الأشدق الأموي . حاول الشريف حسن بن أبي نمي أن يُبقي موسي بن جغثم بجواره في =

تلك القلاقل ، فخرج جدنا المذكور من بيت الفقيه مهاجرا إلي

= مكة لإعجابه به وغزارة علمه في فقه الإمام الشافعي ، غير أنه قد اعتذر إليه بسفر أهله إلي (السقا) في عسير منذ التقائه بأمير عسير في (يلملم) .

وبعد انقضاء الموسم صحب الأمير ثامر إلي الصقا غير أنه قد انفصل عنه إلي حلي لتهنئة أميرها الجديد علي بن إبراهيم الذي كان صديقا له والذي دخل إلي حلي علي رأس قوة من المماليك الجراكسية وقتل قريبه المنافس له أمير حلي السابق ، والذي كان يوالي دولة بني طاهر في اليمن ، وقد التجأ علي بن إبراهيم إلي الجراكسة بعد فشله بالثورة علي قريبه أمير حلي قيس بن محمد . احتجز الامير علي بن ابراهيم عنده في حلي موسي بن جعثم عندما علم بصلاته بأمراء عسير من آل يزيد . وقد دعم الجراكسه علي بن إبراهيم بقوة للاستيلاء علي عسير واستطاع بهذه القوة أن يحتل تهامه عسير ، وقد تمركز بقواته في الشعبين .

تولي إمرة عسير سالم بن عبدالله بعد أخيه ثامر (كانت إمارته لعسير من ٩٩٨هـ – ١٠٠٥هـ) وجهّز قوةً قادها بنفسه وداهم الشعبين وتمكّن من هزيمة علي بن إبراهيم وقتله واحتل إمارته، ونصب عليها أحد رجاله البارزين وهو الشريف موسي بن عيسي بن عبدالله الأهدلي من بلدة القرحاء من قري رفيدة بن عامر (رفيدة قحطان) واصطحب معه موسي بن جعثم إلي السقا ، وكان في معية الأميرين سالم ابنا موسي مهدي وأحمد .

وأنجب موسي في السقا أولاداً منهم : مهدي وسيّال ، ومن هؤلاء انحدر البيت الحفظي في عسير سراةً وتهامةً .

فأولاد سيال كان منهم قاضي وأمير إضم بتهامة عسير الشمالية ، ودخلت ذريته في آل المعافي من بني مالك من بجيلة ، وفيهم القضاء ، ويعرفون بالسادة الفقهاء العجيليين ، وآخر أولاد سيّال في عسير علي بن الحسن (المتوفي ١٢٢٥) وعبد القادر بن أحمد (المتوفي ١٢٢١) وكان جدهما علي بن أحمد بن إبراهيم بن موسي بن سيّال قاضياً للسقا ، ثم عبدالله بن عبد الرحمن بن الحسن (المتوفي ١٢١٥هـ) وزين العابدين بن موسي ابن عبد الله (المتوفي ١٢١٩هـ) . وقد تجاهلوا نسبهم الآن فارتفعوا به إلي موسي بن جعفر الحسني . =

هذه البلاد ، وهو أول داع إلي الإسلام في بلاد عسير (١)

= ومن أولاد مهدي : محمد ، ومنه بكري . ومن أولاد أحمد بن موسي آل الطواشي ، كما انتقل قسم منهم إلي المغرب ، وآخر إلي صبيا ، ويعرفون بآل العجيلي .

وأما ذرية محمد بن موسي فقد دخلوا في أولاد بكري بن محمد بن مهدي بن موسي ، وكان أكبر أولاد بكري يدعي عبد الهادي ، وتولي القضاء في تهامة عسير إذ كان المرجع لهم في العلم وذلك عام ١١٧٩هـ حيث اختير بأمر من أمير عسير مرعي بن محمد إذ رفع رجال ألمع له رغبتهم في ذلك (وكانت إمارة مرعي بن محمد ١١٦٥ - ١١٩٨) بعد وفاة أخيه أحمد بن محمد حيث كان مرجعهم في القضاء .

ويعرف آل عجيل في منطقة تهامة عسير بـ (آل الحفظي) تمييزاً لهم عن بقية آل عجيل . وقد جاءهم هذا اللقب من المحلة التي عمروها في سفح (الصدرة) وهم بيت فضل وشرف ، وقد أنجب عدداً من العلماء والأدباء أثروا منطقة عسير بما جادوا به ، وأوكل لعدد منهم مهمة القضاء والإمرة . وكانت اهتمامات أمراء المنطقة من آل يزيد بهم أكثر من غيرهم من الأسر التي عرفت بالعلم والمنتشرة في عسير ، وأعني بـ (عسير) المنطقة المعروفة جغرافياً ، ولكن اشتهر آل الحفظي لاحتفاء أمراء آل يزيد بهم . وهم الآن حلفاء لبني رُجال بن عدي بن الصيق بن عمرو بن عامر وهي الآن في عداد ألمع . وسُميت مدينة (رُجال) علي اسمهم .

(١) ليس صحيحا أنه أول داع للإسلام فقد خرج من المنطقة دعاة كثيرون بدءاً من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ومروراً بالتابعين وأتباعهم إلي هذا اليوم . وقد أخذ سكان البلاد مذهب الإمام الشافعي في الفقه بعد أن كان منتشراً بينهم مذهب الإمام مالك ، وبرزت في هذا العلم أسر تفوق آل الحفظي ، وكثرت المخطوطات والمصنفات في الفقه الشافعي وبقية علوم الدين ، والأدب ، والتاريخ ، وامتلأت مكتبة (شدا) و (ريده) بهذه المخطوطات ، ولا تزال تلك الأسر لها مكانتها العلمية حتي الوقت الحاضر .

ومع الأسف فقد عبثت أيدي الخطوب بهذه المكتبات وما حوته من مخطوطات وكان آخرها عام ١٣٣٨هـ . إذ كان يضمُّ جيش بن مساعد أجلاف البادية من الإخوان الذين لا يعرفون قيمة هذه المخطوطات . وقد كان هذا التصرف صعبا علي أهل العلم . وقد قضي الملك عبد العزيز - وفَّقه الله - علي هذه الفئة في موقعة السبلة لما رأي من جلافتها وعدم معرفتهم =

واستوطن (رجال) [1] وهي أول قرية ، وقد كانت أشجار وأحجار بإشارة من الخضر بن العباس وبني بها المسجد المعمور (٢) في سنة ١٠١١هـ وهو أول مسجد بني ببلاد عسير . وأمده الله بأولاده وبنيه ، منهم الوالي الكبير الشهير بكري بن محمد وهو من أولاد أولاد الجد المذكور موسي بن جفشم وليس كما ذكره السائل في سؤاله أن الشيخ بكري هو الذي خرج من بعض المدائن في اليمن ، إن الذي ذكرنا سابقا الجد الأكبر موسي بن جفشم إذا تحققت ما بيّنا وتوضح لك ما به صرّحنا من أن أول داعٍ إلي الإسلام ببلد عسير فهو جدنا

= للحق ، ونواياهم في التخلص منه ، حيث زعموا أن انضمامهم إليه كان بعد اتفاقهم معه علي أن يكون له قلب نجد وما سواه بينهم ، ومشوا في ركابه لتحقيق هذه الغاية فلما مكر بهم انقلبوا عليه في هذا العام (١٣٤٧هـ) .

(١) رجال : بلدة قديمة ، وليس كما يذكر المؤلف . وقد جاء ذكرها في القرن الخامس عندما احتلتها قوات الصليحي (الإسماعيلية) والتي تم طردها من قبل الأمير موسي بن محمد بن عبدالله الأموي ، وهي قاعدة رجال ألمع ، وكانت تتاخم مدينة (حلي) ومدينة (محايل)، وكلمة " محايل " أصلها " الحايل " غير أن أهل اليمن يقلبون الألف واللام إلي ميم كما هو معروف فأصبحت " محايل " .

(٢) هذا كلام غير صحيح، فكأن عسير لم يصل إليها الإسلام إلا عندما جاء موسي بن جفشم – رحمه الله – ، ويبدو أنه لم ير المساجد المنتشرة في عسير تهامةً وسراةً والتي حُفر علي سقوفها تاريخ بنيانها . ولا تزال هذه الكتابات ظاهرة إلي الآن ويعود بعضها إلي القرن الأول الهجري ، ومن هذا مسجد المخض الذي أشار إليه المؤلف ، والذي يرجع بناؤه الي عام ٧٠ ، ومسجد جُرش ويعود بناؤه إلي أيام الصحابي صرد بن عبدالله الأزدي وهو أول من تولي أمر عسير من المسلمين أيام رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وجعل مدينة جرش مقراً له ، ثم استبدله بسعيد بن قشب الأزدي ، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولي حميضة بن النعمان البارقي أمر السراة ، فاتخذ أبها مقراً له ، وبني مسجدها ، =

المذكور عام الألف ، وأن أول قرية بني بها مسجد في بلاد عسير وعمرت فهي قرية (رجال) ومسجدها في سنة ١١ بعد الألف ، ومسجد المخض بُني من بعد . لم يزل الحال تحت قدرة ذي الجلال في ملك عضوض(١) ونزولٍ ونهوض . وحصلت من بعد ذلك غلطات شنيعة ، وعادات قطيعة وأعمال كفرية ،

= وانفصلت جرش عن السراة ، ثم جدد بناء مسجد جرش . وينسب ميناء " حميضة " قرب الليث إلي هذا الوالي حيث توجد قبيلته في تهامة ، وهناك أيضا جامع مدينة أبها المسمي مسجد " بن فيفا " ويرجع إلي ١٧٠هـ ، والذي أعيد بناؤه ١٢٨٩ بعد أن دمره الأتراك علي يد عبدالله بن علي برازان الشامي .

وقد اختصر الشيخ موسي بن جعفر تراجم علماء منطقة عسير من بيشه حتي صعدة ، وكذلك الأفلاج ووادي الدواسر ونجران ، وتهامة عسير من الليث حتي ميدي ، وذلك في كتابه " طبقات العلماء " وجمعه من الكتب التي تناولت ترجمة هؤلاء العلماء ، من بداية الإسلام حتي عهده . وهذا يبين كثرة علماء المنطقة ، ويخالف ما ذهب إليه صاحب الرسالة من بدء العلم بمجئ جده إلي عسير ، وربما لم يدفعه إلي المقالة إلا المغالاة بمكانة جده رحمه الله .

(١) الملك العضوض :

أ - الحكم بالوراثه ، ويقصد المؤلف الأسره الأموية التي حكمت المنطقه عدة قرون بدءاً من ١٣٢ وحتي ١٣٤٢ هـ أي منذ جاء إليها الأمير علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وقد كان عبد الرحمن بن محمد أميراً علي جُرش أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وجرش يومها حاضرة المنطقة. وكان اختيار علي بن محمد للمنطقة لما كان لجده من أثر علي تلك النواحي . كما أن جدته لأبيه كانت من المنطقة من بني نزار من عنز بن وائل . وقد استقرّ في المنطقة عام ١٣٣ هـ ، وقُتل عام ١٦٩ هـ ، واستطاع أن يُوحّد قبائل الأزد ، ويجعل منها قوةً تستطيع الوقوف في وجه العباسيين الذين يطاردونه ، وتمكّن من إلحاق الهزيمة بهم في عدة وقائع ، وكان أشهر قادة العباسيين معن بن زائدة ، والغطريف بن عطا الحارثي المداني ، وحماد البربري ، وبغا التركي .

= ب – وقام بالأمر بعده ابنه عبدالله ١٦٩هـ – ١٨٨هـ ، وفي عهده تكررت محاولات العباسيين لإخضاع قبائل الأزد (عسير) حتي لقي حتفه . وقام عبدالله بالهجوم علي والي العباسيين علي نجران عام ١٨٣هـ حينما ألقي القبض علي الإمام الشافعي وبعث به إلي الخليفة هارون الرشيد . وضم نجران إلي سلطانه . ولم تخرج قوات عسير من نجران إلا عندما استطاع حماد البربري إخراجها عند محاربته عسير .

جـ – وبايع العسيريون بعده خالد بن عبدالله الذي قتله العباسيون ايضاً في بعض حملاتهم علي المنطقة . وتوالي أمراء آل يزيد علي حكم المنطقه كالتالي :

٤ – عبدالله بن خالد ١٩٥ – ٢٠١
٥ – بن عبدالله ٢٠١ – ٢٥٣
٦ – محمد بن علي ٢٥٣ – ٢٧٨
٧ – علي بن محمد ٢٧٨ – ٣٣٨
٨ – هشام بن علي ٣٣٨ – ٣٧٨
٩ – سعيد بن هشام ٣٧٨ – ٣٩١
١٠ – عبدالله بن سعيد ٣٩١ – ٤١٩
١١ – محمد بن عبدالله ٤١٩ – ٤٤٨
١٢ – علي بن سعيد ٤٤٨ – ٤٥٢
١٣ – محمد بن علي ٤٥٢ – ٤٥٥
١٤ – موسي بن محمد بن عبدالله ٤٥٥ – ٥١٥
١٥ – سليمان بن موسي ٥١٥ – ٥٨٣
١٦ – حسان بن سليمان ٥٨٣ – ٦٤٩
١٧ – صقر بن حسان ٦٤٩ – ٦٥٦
١٨ – غانم بن صقر ٦٥٦ – ٧٢١
١٩ – عبد الوهاب بن غانم ٧٢١ – ٧٨٦
٢٠ – عبد الرحمن عبد الوهاب ٧٨٦ – ٧٨٧
٢١ – يزيد بن عبد الرحمن ٧٨٧ – ٧٨٧
٢٢ – حرب بن عبد الرحمن ٧٨٧ – ٨٠٠
٢٣ – وهاس بن حرب ٨٠٠ – ٨١٨
٢٤ – علي بن وهاس ٨١٨ – ٨٤٥
٢٥ – عائض بن علي ٨٤٥ – ٨٦٢
٢٦ – إبراهيم بن عائض ٨٦٢ – ٩٤٢
٢٧ – عبدالله بن إبراهيم ٩٤٢ – ٩٨٩

قمر التجديد ، وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام

=

٢٨ - ثامر بن عبدالله ٩٨٩ - ٩٩٨
٢٩ - سالم بن عبدالله ٩٩٨ - ١٠٠٥
٣٠ - أحمد بن سالم ١٠٠٥ - ١٠١١
٣١ - عائض بن أحمد ١٠١١ - ١٠١٥
٣٢ - وضاح بن عائض ١٠١٥ - ١٠١٨
٣٣ - سعيد بن وضاح ١٠١٨ - ١٠٢٠
٣٤ - عبد العزيز بن سعيد ١٠٢٠ - ١٠٢٣
٣٥ - علي بن عبد العزيز ١٠٢٣ - ١٠٢٤
٣٦ - عبدالله بن علي ١٠٢٤ - ١٠٢٥
٣٧ - علي بن عبدالله ١٠٢٥ - ١٠٥٨
٣٨ - عبد الرحمن بن علي ١٠٥٨ - ١٠٩٠
٣٩ - يحيي بن عبد الرحمن ١٠٩٠ - ١١٢٢
٤٠ - محمد بن أحمد بن يحيي ١١٢٢ - ١١٦٥
٤١ - مرعي بن محمد ١١٦٥ - ١١٩٨
٤٢ - محمد بن أحمد بن محمد ١١٩٨ - ١٢١٥
٤٣ - خالد بن مرعي ١٢١٥ - ١٢١٦
٤٤ - سعيد بن مسلط بن مسفر بن محيي بن عواض بن عبد الرحمن عبدالله ١٢١٦ - ١٢١٧ للمرة الاولي
١٢٣٣ - ١٢٤٢ للمرة الثانية
٤٥ - علي بن مجثل بن مسفر بن محيي بن عواض ١٢٤٢ - ١٢٤٩
٤٦ - عائض بن مرعي ١٢٤٩ - ١٢٧٢
٤٧ - محمد بن عائض ١٢٧٢ - ١٢٨٩
٤٨ - ناصر بن عائض ١٢٨٩ - ١٢٩٥
٤٩ - عبد الرحمن عائض ١٢٩٧ - ١٣٠٥
٥٠ - علي بن محمد بن عائض ١٣٠٥ - ١٣٢٤
٥١ - عبدالله بن محمد بن عائض ١٣٢٤ - ١٣١٢٩
٥٢ - حسن بن علي بن محمد ١٣٢٩ - ١٣٤٢

وقد ذكرت كتب التاريخ الأحداث التي مرت علي المنطقة في عهد كل أمير من هؤلاء ، وما جري من قتال بينهم وبين العباسيين ، والأيوبيين ، والرسوليين ، ومن جاء بعدهم ممن سيطر علي الأجزاء المحيطة بالمنطقة ، ومن قبل من الطالبيين .

وتفرّع من هذه الأسرة أسرتان حكمتا بلاد اليمن وهما :=

= أولا : بنو زياد : وينتمون إلي زياد بن محمد بن عبدالله بن إسحاق بن علي بن إبراهيم بن أبي بكر بن يزيد بن معاويه بن أبي سفيان .

وكان زياد هذا قد بعث علي رأس قوة من قبل الأمير خالد بن عبدالله بن علي إلي تهامة لإخضاع بني كنانة ، وبني مخزوم ، وبني منبه ، وبني الحكم ، وضمها إلي إمارة آل يزيد لإمكانية الوقوف في وجه ولاة بني العباس في اليمن . فاتخذ زياد بلدة (اللحية) مقراً له . وتولي الأمر بعده ابنه عبدالله الذي ثار في وجهه قبائل عك ، وبني الأشعر عدا بني الطب بن ربيعه بن مالك بن (ذؤال) فإنهم انحازوا معه ، وكان عبدالله بن زياد يرغب في الاستقلال عن عسير ، فرأي جانب العباسيين أقوي من جانب أبناء عمومته في عسير ، ولذا فهو أضمن له في البقاء حيث إن وضع عسير مهدد لكثرة الجيوش العباسية التي تأتي إلي اليمن للقضاء علي الثورات المتكررة فيها ، وأن هذه الجيوش تصطدم أحياناً بقوات عسير ، وقد تعصف بها لذا رأي أن ينحاز إلي العباسيين ، ويتوسع في اليمن علي حسابهم ، وأن يُبقي شعرةً من الصلة مع أبناء عمومته في عسير تحسباً للمستقبل ، فاستنجد بقوة من صنعاء التي يتولي أمرها من قبل العباسيين محمد بن خالد البرمكي فأمده ، فتمكن من إلحاق الهزيمة بالثائرين ، ولكن قبائل تهامة قد بايعت أحد الطالبيين الذي أعلن ثورته ضد العباسيين هناك ، وقُتل عبدالله في إحدي المعارك ، وتولي القيادة بعده ابنه محمد فاستطاع أن يقاوم ما جاءه من مدد من صنعاء ، غير أنه قد دُحر في النهاية ، ورجع إلي صنعاء حتي وافاه مولي هارون الرشيد حماد البربري الذي بعثه لإخماد فتن الجزيرة واليمن مروراً بعسير حيث تم له إخماد ثورة الأمير خالد بن عبدالله وحليفه الهيضم سيد همدان علي مشارف مدينة جُرش ، وقرب حماد البربري إليه محمد بن عبد الله بن زياد ، وأبقاه والياً علي صنعاء ، ورجع هو إلي العراق ، وبقي محمد في صراع مع الطالبيين ومن انضم إليهم من القبائل المحيطه بصنعاء ، إلي أن جاء وال جديد علي اليمن من قبل المأمون ، وهويزيد بن جرير القسري البجلي الذي اتخذ الساحل طريقاً له وتجنب السروات ، وانضمت إليه قبيلة بجيلة ، وكان محمد بن عبدالله من أبرز قادته الذين وقفوا في وجه الطالبيين الذين اشتدت وطأتهم علي اليمن ، وغيرهم ممن ناهض العباسيين .

وبقي الخليفه العباسي يرسل الولاة إلي اليمن من قبله ويمدهم بالرجال ، ولكن لم =

= يستطيعوا السيطرة عليها إذ ظهر إبراهيم بن موسي بن جعفر الطالبي حيث استطاع بسط نفوذه علي مكة وأكثر بلاد اليمن ، ومما ساعده علي ذلك خروج قبائل الأزد بقيادة الأمير عبدالله بن خالد بن عبدالله بن علي علي الدولة العباسية في الجناح الشرقي من جبال السروات حيث أخضع إلي نفوذه نجران ، وصعدة ، وعالية نجد ، وعُمان .

واستمرّ نشاط الطالبيين في اليمن رغم كثرة ما جاء من القادة العباسيين الذين كان آخرهم الحصين بن المنهال الذي فشل في إخماد حركة الطالبين التي بلغت في أيامه أوج نشاطها ، وأخذ الطالبيون يلاحقون أعوان العباسيين مما جعل من يستطيع منهم الفرار أن يلحق بالعراق ، وكان ممن فرّ محمد بن عبدالله بن زياد مع بعض أقاربه ، وبعض أعيان اليمن الموالين للعباسيين .

اختار المأمون محمد بن عبدالله بن زياد ليكون واليه علي اليمن لما سمع عنه ، وعن سلفه من إمكانيات وقدرة تؤهله لإنجاح مهمته ولإضعاف قوة آل يزيد ، وأرسل معه أحد أقربائه وهو سليمان بن هشام عبد الملك بن محمد بن إسحاق الأموي ، وجهزّه بما يحتاج إليه فسار إلي الحج ، وبعد الموسم اتجه إلي اليمن عن طريق الساحل وتجنب السراة كي لا يصطدم مع ال يزيد ، وكانت أول قوة واجهها قبائل كنانة التي وجهها لصدّه عن هدفه علي بن عبدالله بن خالد اليزيدي وكان هذا أول صراع يقع بين قوتين أمويتين في اليمن ، وهُزمت قوات علي ابن عبدالله هزيمة نكراء بـ (السرّين) ، واستمرت محاولات علي بن عبد الله للاستيلاء علي اليمن واستمالة بن زياد إلي جانبه ، غير أنه لم يفلح . حاولت دولة بني زياد مد نفوذها إلي عسير فلم يُوفق إذ أن بني يزيد في عسير قد خافوا من خطر الزياديين لوجود الدولة العباسية من ورائهم لذا فقد حركوا عليهم أمراء قبائل تهامة كبني خريص بن سهل من بني عبد الجد أحد بطون عَبْس من بني الحكم بن سعد العشيرة . وكان من أبرز أمراء بني سهل الذين صمدوا في وجه الزياديين محمد بن حسين الهضبي الملقب بالجريا وسليمان بن طريف بن موسي الذي استطاع أن يصمد في وجه مولي بني زياد وقائدهم الحسين بن سلامة الذي تمكن في النهاية من قتل سليمان والقضاء علي بني الحكم الذين لجأوا إلي السراة بقيادة الجريا، وأخلوا تهامة لخصمهم، بعد أن دمر مدنهم في وادي (خلب) ومنها: الهجر، والسقايف، والساعد، والحصفة، وميناء (الشرجة) بساحل =

= (الموسم) . وبنو الحكم الذين دخل بعضهم الأندلس مع قبائل الأزد ، وهم بنو إبراهيم (بريه) ، وبنو واصل ، وبنو علوا (بطون مطير بن الحكم) وهم (العلاوية) ، وبنو الهبس بن الحكم (الهبسا) ودخل هؤلاء في بني عبد القيس أثناء دعم آل يزيد للعيونيين ضدّ القرامطه إذ كان ضمن ذلك الدعم الذي أرسل عام ٤٦٧ هـ . وبعد زوال العيونيين دخل بنو خالد في حلف مع (الهبس) وصارت عزوتهم ، ولم يبق في تهامة إلا قليل منهم أطلق عليهم الحواكمة . وانضمّ بنو الحكم الذين رجعوا إلي السراة (موطنهم الأصلي) تحت ولاية الأمير " سليمان بن موسي بن محمد بن عبدالله اليزيدي " ثم كانوا ضمن البعوث التي أرسلها الأمير حسان بن سليمان إلي نجد عام ٥٨٦هـ ضمن القبائل التي بعث بها مذحج (عبيدة) وخثعم (شهران وناهس) للقضاء علي بني الحسين (العيونيين) ودعماً لعاصم بن سرحان العصفوري العامري (عامر بيشة) حيث ناهض بهم أعوان العيونيين وأقام بعدها دولة بني عصفور التي كانت من أهل السنة ، ودخلت نجد واليمامة تحت سلطانهم ، حتي تغلب عليهم بنو جروان من الشيعة . وتفرّق بنو عصفور في الأحساء وقرى نجد ، ودخل قسم منهم في بني شُدان بن واسعة المنبهي (الشدون) بوادي الدواسر تحت إمرة فالح بن مسعر الطفلي الحريشي (من بني الحريش) والي الأمير غانم بن صقر اليزيدي .

وتحالفت بطون بني مصير بن الحكم هؤلاء مع بني عبدالله بن غطفان ، وغدت الرئاسة لمطير في بني شهاب من بني واصل من آل السفر وهم من عشائر بني الحارث المذحجيين ودخلوا في قبيلة حرب بن سعد الخولانية ، حتي انتزعها بنو الدوش (الدوشان) من بني العفس من ناهس ، ولا تزال فيهم إلي الأن .

ودعم بنو يزيد أيضاً بني أبي الغارات رؤساء بني الأشعر ، كذلك دعموا بني أبي النجم رؤساء بني علكّ بسهام ، ودعموا بني روق بن شهاب رؤساء مور ، وحرض وميدي ، ولكن الحسين بن سلامة قد قضي علي هذه الأسر ، كما قضي علي الإمارات التي لم يقل دورها من دور بني عبد الجد ، كبني حرام ، وبني مخزوم ، وغيرهم .

وأخيراً خرجت الإمرة من بني زياد إلي مواليهم بني نجاح ، وانتهي أمر بني نجاح علي =

= يد مواليهم من بني الفاتك الذين كان آخرهم سرور الفاتكي الذي قُتل عام ٥٥١هـ .

وعندما أراد أمير عسير خالد بن عبدالله أن يربط ما استولي عليه زياد بن محمد بن عبدالله بعسير ، رفض زياد وبعث له رسالةً فيها هذه القصيدة :

١- حُسَامي عُدّتي وَسِلاحُ زِنْدي ... بِهِ أَمْضي لِمَجْدِ أَبي وَجَدّي

٢ - سَبِيلِي وَاضِحٌ مَنْ يَعْتَرِضْهُ ... أبَادِلْهُ بِأَلْوَانِ التَّحَدّي

٣ - بِمُشْتَجَرِ القَنَا وَصِفَاحُ هِنْدٍ ... إذَا اهْتَزَتْ سَرَي نَغَمُ التَّصَدّي

٤ - وَلِي مِنْ هِمَّتِي عَزْمٌ شَدِيدٌ ... وَلِي مِنْ فَيْلَقِي وَثَبَاتُ أُسْدِ

٥ - وقَوْمِي فِي السُّقَا إنّي إذَا مَا ... جَفَوْنِي حَبَوْتُهُمْ لِينِي وَوَجْدِي

٦ - بِذِو عَمّي وأنْصَارِي وَفِيهِمْ ... عَزَائِمُ في عِرَاكِ الخَصْمِ تُجْدِي

٧ - هُنَالِكَ مَرْبعِي مُذْ كُنْتُ طِفْلاً ... دَرَجْتُ وَعِشْتُ فيه طيبَ عَهْدِي

٨ - وَغَذّيْتُ الفُؤَادَ بِطِيبِ عِلْمِ ... وَجَامِعُهَا سَقَانِي خَيْرَ رِفْدِ

٩ - وَغَذانِي الطمُوح إلَى المَعَالِي ... فَبِعْتُ العُمْرَ فِي كَرٍّ وَصَدّ

١٠ - فإمَّا أنْ أعبَّ كُؤُوسَ عِزٍّ ... وإمّا المَوْتُ في ضَرَبَاتِ زَنْدِ

١١ - فَإنْ طَلَبُوا نَهَدْت لَهُمْ بِقَومٍ ... لِنُصْرَتِهِمْ وَلَمْ أخْلِفْ بِوَعْدِ

١٢ - أمُدُّهُمُ بِكُلِّ فَتَىً وَقَرْمٍ ... وَقَوْمِي مِنْ أَلَبيَهِمْ بِجُنْدي

١٣ - وَطَوْدِي إنْ نَبا فَلِضيقِ عَطْنٍ ... كَمَا ضَاقَ العَرِينُ بِحَشْدِ أُسْدِ

١٤ - تَرَجّلتُ الثُّرَيّا وَتِلْكَ هَامِي ... تُقَلِّبُهَا وَتُكْبِرُ عَزمَ جُهْدِي

١٥ -حَلَلْتُ بِخَيْرِ فُرْسَانٍ أُبَاةٍ ... عِظامٍ يَنْهَدُونَ لِعِزِّ مَجْدِي

١٦ - أنَا ابنُ زِيَادٍ لِي جَدّي يَزِيدٌ ... وَمَنْ فِي النّاسِ يَكْرُمُ مثل جدّي

١٧ - أفِي بالعَهْدِ ، أبْذُلُ كُلَّ عَزْمٍ ... وَأَلْقي فِي الكَرَامَةِ خَيْرَ وِرْدِ

=

١٨ – وَفِي البَلْوَى يَحَارُ المَرْءُ حِيناً وَيَسْلُكُ غَيْرَ ما يُرْضِـي وَيُبْدِي
١٩ – وَهَلْ إنْ لُذْتُ بالمَأمُونِ عَارٌ وَلِلْمُضْطَرِّ عُـذْرٌ فِي التَّرَدِّي
٢٠ – وَصَنْعَاءُ نَأَت عَنِّي وَإنِّي بِهَذَا البُعْدِ أبْلُغُ كُلَّ قَصْـدِ
٢١ – وَبَغْدَادُ كَـذَلِكَ بِـتُّ عَنْهَا بِأقْصَى الأرْضِ كَيْفَ تَطَالُ عَهْدِي
٢٢ – وَتَحْفِزُ هِمْتِي عَـيْنٌ جَفَاهَا لَذِيذُ النَّوْمِ فِي قُرْبٍ وَبُعْـدِ
٢٣ – وَيَقْظَةُ عَزْمَتِي قَـدْ بَوّأتْنِي خُطَامَ الخَيْلِ مِنْ أفْرَاسٍ نُهْدِ
٢٤ – وَلَمْ أطْلُبْ عُلاً لِلَهْوِ يَوْمَـاً ولا نَفْسِي سَمَتْ لِهَوَانِ مَجْدِي

ثانيا : بنو طاهر: : وينتسبون إلي الأمير طاهر بن معوض بن محمد (تاج الدين) من ولد حرب بن عبدالله بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليمان بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن أحمد بن خالد بن عبدالله بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

وكان بنو طاهر إحدي الأسر القرشية التي تحكم اليمن الذي كان موزّعاً منذ أواخر أيام بني زياد ، وزوال سلطان بني العباس بعد عصر المأمون بن هارون الرشيد وإلي جانب بني طاهر كانت أسر طالبية وغيرها تتنافس في اليمن حيث كان موئلاً لكل هاربٍ من سلطان بني العباس .

كان بنو طاهر يتولون إمارة شبه مستقلة ، ولهم مكانتهم لكثرة الأمويين النازلين في اليمن، ويتوارث بنو طاهر الإمرة في ولايتهم ، فلما دال أمر بني أيوب في اليمن ، وخلفهم عمالهم من بني رسول ، أظهر الطاهريون موالاتهم لبني رسول ليحتفظوا بإمارتهم ، وليبقوا علي مكانتهم ، وليكسبوا قوةً جديدةً بهذه الموالاة تمكّنهم من تحقيق أطماعهم .

ولما توفي الأمير معوض بن تاج الدين عام ٨١١ هـ استقر ابنه الكبير طاهر بإمارة (المقرانة) مكان حكمهم ، ويري أحقيتهم بحكم اليمن ، فكان يسعي لتوطيد علاقته =

= مع القبائل الخاضعة لبني رسول ، مما مكّن لابنه علي أن يحتلّ مكانةً مهابة ومرموقة في دولة بني رسول ، وخاصةً بعد أن أصهر إلي الظاهر يحيي بن الأشرف الرسولي ، الذي أخذ الضعف يدب في دولته في أواخر أيامه ، ولما مات الظاهر يحيي قام بالأمر ابنه الأشرف الرابع إسماعيل وبعدها خلفه يوسف بن المنصور الملقب بالمظفر الثاني الذي قام في عهده المفضل ثبورة ، وأخيراً خلع المظفر عام ٨٤٧ هـ . وبويع بالملك المسعود بن الأشرف فوقف بنو طاهر إلي جانب المظفر ، وحدثت حروب بين المظفر والمسعود كان بنو طاهر أبرزَ رجالهم الأمر الذي جعلهم سادة الموقف ، وقاد بنو طاهر قيادة القتال ضدّ المسعود حتي اضطر إلي التنازل لهم عن حكم الدولة عام ٨٥٨ هـ . وبذا قامت الدولةالطاهرية في اليمن واستحوذوا علي معظم جباله وسهوله وموانئه ، وبقيت دولتهم حتي عام ٩٤٥ هـ حيث استولي عليها العثمانيون ، بعد أن اقتطع منها المماليك أجزاء ، وتمكنوا من تحسين العلاقة مع البرتغاليين لضمان اليمن الحرمين من غائلة البرتغاليين . وعندما كان الطاهريون يقفون في وجه البرتغاليين دعمت عسير دولة بني طاهر ، وامتد نفوذها حتي ميناء الشعيبة جنوب جدة وكان هذا الدعم حفاظاً علي الحرمين وبلاد الإسلام من قوة النصاري البرتغاليين . ونتيجة سير رجال السروات إلي الجهاد في اليمن وساحل البحر الأحمر كادت تخلو المنطقة من الرجال من جنوب الطائف وحتي سواحل بحر العرب ، وكان هذا أول لقاء بين إمارتين أمويتين حيث اتحد الهدف مع الدعوة إلي الجهاد في سبيل الله . واستشهد كثير من العسيريين ولا تزال مقبرتهم إلي الآن تعرف باسم (شهدا عسير) علي ساحل يافع . كما لا تزال قبائل من عسير تحتفظ بأسمائها بين قبائل اليمن التي تقيم علي الساحل شرق عدن . وفصّلت الكتب التي تحدّثت عن تاريخ المنطقة عن هذا الاتفاق ، وهذا الجهاد .

وبقي بعض أفراد هذه الأسرة يتولون قيادات محلية أيام العثمانيين في محاولات لاستعادة سلطانهم ، وكان آخرهم الأمير صالح بن عبد الملك الطاهري الذي انضمّ بأتباعه إلي الأمير علي بن مجثل عام ١٢٤٦هـ .

وقد تعرضت كتب تاريخ اليمن إلي هاتين الأسرتين وما جري لليمن في عهد رجالها ، وأفردت كتب لتاريخهم منها " العقد الباهر من تاريخ بني طاهر " لموسي بن الحسين الأبراهيمي العجيلي ، المتوفي عام ٩٥٣هـ ، و " الخمائل التجاد في أخبار دولة بني زياد " لدواد بن سليمان العلفي الحربي الأموي ، المتوفي ٥٧٨هـ .

محمد بن عبد الوهاب [1] اسكنه الله

---

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف من آل وهيب بن مجفل ، ووهيب بطن من بني وهب بن رفيدة بن عامر بن عمرو القضاعي ، وكانت بطون من بني وهب قد دخلت نجداً دعماً لعبدالله بن علي العيوني المري النهدي في العمل ضدّ القرامطة والقضاءعليهم ، كما وُجه قسم من بني وهب إلي عمان مع القبائل التي اشتركت في إجلاء القرامطة عن عمان . غير أن بعض بني وهيب دخلوا في بني ضبة من تميم ، وفي بعض الروايات في بني حنظلة التميميين . وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أبرز علماء نجد ، وكان كثير التجوال في طلب العلم ومعرفة الناس وما هم عليه ثم استقر في بلدة حريملاء من قرى العشيب باليمامة .

كان الشيخ يريد أن ينطلق باليمامة من سباتها الذي تعيشه ، وينفض عنها غبار الجهل الذي أطبق علي بلدانها ، ولم يكن لقراها يومذاك شأن يذكر لتقوقع كل بليدةٍ داخل سورها خوفاً من غارات البادية عليها ، والتي أقضت مضاجعها ، وخشيةً من مداهمة خصومها إذ كان الصراع عليها قائماً بين البحرين والحجاز وعسير .

لم يجد الشيخ في بلدة حريملاء ضالته المنشودة لانزوائها وعدم استعداد أهلها للتضحية ، بل استخفوا به ، ولم يُلقوا بالاً لما دعاهم إليه ، فسار إلي العين (العيينة) التي كانت والجبيل (الجبيلة) قريتين تكادان تلفظان آخر أنفاسهما من الحياة ، فأراد أن تدب الحياه فيهما من جديد ، غير أن أميرهما ، "عثمان بن معمر" الحنفي القفاري تراخي لأنه محاط بقوى لم يستطع مقاومتها فآل حميد في الأحساء ، وهم بطن من بني مشهور من بني هاجر من جنب بني سعد العشيرة ، وقد تسلموا قيادة بني خالد عام ١٠٦٥هـ ، وإن ابن معمر يوالي آل حميد هؤلاء . وآل بدران في سدير وأميرهم سليمان بن فوزان ويوالون آل يزيد في عسير ضدّ آل حميد وعشائر جميلة من جرم قضاعة ويوالون كذلك ال يزيد ، وهم ضدّ آل حميد أيضاً . وقد رفع ابن معمر إلي أمير الإحساء سليمان بن محمد ابن عريعر خبر وجود الشيخ محمد بن عبد الوهاب فرفض ابن عريعر منه ذلك وهدده =

= بإغارة البادية عليه إن أبقي عنده الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث كانت اليمامة آنذاك تخضع لغارات بادية الإحساء ، فخشي ابن معمر مهاجمة البوادي لقريتيه ، وانقطاع وصول حاجاته الأساسية من الإحساء ، وإتاحة الفرصة لآل بدران وآل عمران بالتحرك نحوه ، وأحسّ الشيخ بإعراض ابن معمر عنه ، وبدا له عدم ارتياح الأمير له ، وعرض عليه رغبته في زيارة تلميذه ابن سويلم في الدرعية ، فاهتبل ابن معمر ذلك وعدّها فرصةً مناسبة وتركه وشأنه . فاتجه الشيخ إلي الدرعية ، وفوجئ ابن سويلم بوصول شيخه إلي بلدته فرحّب به ، واستبشر خيراً ، ولم يكن سكان الدرعية ليزيدوا علي المائتي نفر ، ويعود أغلبهم إلي أسرة محمد بن سعود بن مقرن أمير البلد ، وإلي آل فاضل الذين من وجهائهم آل سويلم وهم مشايخ قبيلة بني عرينة حينذاك .

بعد أن أنس سكان الدرعية بالشيخ ، وارتاح لهم وخاصة بعد أن وجد حفاوة كبيرة من محمد بن سعود ، وهذا ما جعله يعتقد أن ضالته قد وجدها في أهل هذه البلدة فأخذ يتحدث معهم في الحالة التي آل إليها أهل نجد من الخرافات والضلالات ومظاهر الشرك ، والصراع القائم بين قراها ، وما تتعرض له أثناء جني الثمار من غارات البادية ، وهذا لا يصح السكوت عليه ، والتهاون فيه ، ودعا السكان إلي الالتفات حول أميرهم محمد بن سعود ومؤازرته بالصدع في الحق ، ودعوة إلي ما كان عيه السلف الصالح ، وتعاهد مع محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ علي أن يكونا متعاونين علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبصير الناس في أمور دينهم ، والوقوف بأهل الدرعية في وجه من يحاول النيل من الدعوة والحد من انتشارها ، وأخذ يراسل الأمراء الذين يري فيهم خيراً للانضمام إلي محمد بن سعود وكان من بينهم سليمان بن فوزان آل بدران أمير سدير وحسن بن إبراهيم بن قناع آل عمران ، وجهر ابن بدران بموالاتهما ، وأخفي ذلك ابن عمران لوجود صدامات بين حجر اليمامة ومنفوحة ، غير أنه قد مكن قوات عبد العزيز بن محمد من الاستيلاء علي حجر . وكان نتيجة ذلك أن نشأت إمارة قوية مستقلة وسط الجزيرة ، واتجهت إليها أنظار الإمارات المجاورة ، وما زالت تتسع حتي طرقت أبواب الحرمين ومشارف الشام والعراق واليمن، وهذا ما جعل الدولة العثمانية تنظر إليها علي أنها خارجة عن دائرة الخلافة فوجهت إليها وإليها وعلي مصر محمد علي الذي بعث بجيوشٍ كثيفةٍ =

= بقيادة ابنه طوسون ، وأتبعه بولده الأخر إبراهيم الذي تمكّن من طوي صحيفة هذه الإمارة وتحطيم معقلها الدرعية عام ١٢٣٣هـ ، وأخذت أوضاع نجد في تردٍ مستمرٍ حيث توزعت الإمارة بين الإمارات التي تكونت منها ، حتي بدأ سليلهم عبد العزيز بن عبد الرحمن بالظهور ، وكانت الظروف مناسبة لتألقه إذ كانت الدول النصرانية وخاصةً الإنكليز تريد القضاء علي الخلافة ، واستقطبت عدداً من زعماء العرب حولها – مع الأسف – ومن بينهم عبد العزيز ابن عبد الرحمن الذي عقد معها والده عبد الرحمن أول معاهدة في قطر لحمايته وأسرته ، ودعمها ، ووجه بعدها إلي الكويت ، حيث جددت هناك المعاهدة مع ولده عبد العزيز الذي غدا سيد نجد ، وأخذت إمارته تتوسّع ، ويلتهم الإمارات التي حوله وعادت الجزيرة في أيامه كما كانت في عهد سلفه عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وكان أحفاد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب يسيرون في ركاب آل محمد بن سعود ، وقد أوكل إليهم القضاء ويقدمون إلي الواجهة كلما دعت الحاجة .

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد توفي عام ١٢٠٦ هـ . أما محمد بن سعود فقد توفي عام ١١٧٦هـ . وقد ترجم لهما الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي (المتوفي ١٢٣٧هـ) في كتاب أفرده لأخبارهما وما جري في عهدهما من أحداث ووقائع ومراسلات ، أسماه " الروض المستطاب في ترجمة الإمامين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب " أكمله ابنه الشيخ محمد .

(١) من الغريب أن يقال مثل هذا الكلام من قبل رجل دخلت أفراد من أسرته المنطقة في نهاية القرن العاشر ، ومع العلم أن مؤرخي المنطقة كما تشهد كتبهم قد ترجموا لعددٍ من آل عجيل ممن أقام في المنطقة ، فالإسلام لم يمح من المنطقة ولا من غيرها ، وحدثت خلافات اجتهادية ، ولكن لم يكفر الناس بعضهم بعضاً ، وكتب أسرته تشيد بتدين أهل المنطقة وقيام الوعاظ والمرشدين وظهور القضاة والعلماء ، ولا يصحّ أن نشهد علي الناس بالكفر لأخطاء وقعوا فيها وهم يحسبون أنها من الدين ، ولم يأت الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – بدينٍ جديدٍ ، وإنما قام داعية مجدداً ومصلحاً معلماً كغيره من علماء المسلمين ، ولو لم يجد تعاوناً من الأمير محمد بن سعود لما ذاع صيته ، ولضاع خبره كما ضاع خبر كثير من أهل العلم الذين لم يجدوا من يدعمهم من أمراء زمانهم . =

وأجاب دعوته ولبّاه ، وأوي غربته في السعيد المسعود محمدبن سعود [1]

= ولم يحدث في المنطقة شيء مما ذكر ، ولا يصحّ أن يرمي سلفه بهذه الأعمال القبيحة وهو لم يشهدها ، ولم يشر إلي ذلك أولئك الرجال الذين عاشوا في المنطقة علي مدي تاريخها بعد الإسلام ، وعاصروا المراحل المتعاقبة التي مرّت علي بلادهم . غير أننانجد في تراجم أمرائهم وقضاتهم ما يشير إلي صلاحهم وهذا يخالف ما يزعمه هو .

(١) محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسي بن ربيعة بن مانع ابن ربيعة بن موسي بن علي بن إبراهيم بن طاهر بن عبد المحسن بن عبدالله بن سليمان ابن محمد بن يوسف بن صلاح بن مالك بن سنان بن مريد بن مهلهل بن نهار بن حنيفة بن عمرو بن زيد بن هديف بن شيبان بن مرة بن المنهال الطريفي الدرعي ، ودرع بطن كبير من آل علي من بني سليمان ، وآل سليمان أكبر بطون بني زاهر إحدي بطون مراد . وحالف بنو درع بني حنظلة من نهد القضاعية . وكانت قاعدة بني نهد مدينة (الهجّيرة) في حوض وادي تثليث لذا فقد سكنت بنو درع بجوارها في بلدة (حمضة) وهي حالياً (البعقة) وسميت قبل ذلك باسم ساكنيها بني درع ، ووادي درع معروف لهم في تثليث وقد تفرّقت قبيلتهم في عمان ونجد وساحل الخليج عندما ذهبت مع قبائل عسير .

ولما اشتدّت وطأة القرامطة في جزيرة العرب ، وكادت تهيمن على الجزيرة كافة هبّ بنو يزيد في عسير للوقوف في وجههم ، فأجلوهم عن شرقي عسير ، وجندوا القبائل لملاحقتهم في شرقي الجزيرة ، وأمرت هذه القبائل أن تساعد العيونيين في الإحساء وبني المكرم في عمان ضدّ القرامطة ، وكانت قبيلة نهد من القبائل التي انطلقت مع القبائل ، وكان بنو درع ضمن بني نهد ، غير بني علي الذين بقوا مكانهم في وادي تثليث حتي عام ٥٨٠هـ ، حيث جُنّدت مع ما جُنّد من قبائل الأزد ومذحج للانطلاق إلي الشام للانضمام إلي جند صلاح الدين الأيوبي للجهاد في سبيل الله ضدّ الغزاة الصليبيين ، وكان بنو علي تحت قيادة مالك بن سنان المرادي الذي انحدر منه آل سعود. وبعد استعادة القدس من أيدي الصليبيين عام ٥٨٢هـ وانتهاء مهمة الدعم العسيري الذي بقيت أعداد منه هناك بعث صلاح الدين الأيوبي مالك بن سنان أميراً على أوضاخ التي كانت ملتقي الحجيج العراقي القادمين من البحرين، وكان مالك رجلاً ذا قوةٍ وهيبةٍ وعُرف بالفطنة والدهاء، وكانت نجد مسرحاً لغارات القبائل بعضها علي بعض وعلى القرى والمدن وتحتاج الى رجل كمالك =

= بن سنان الذي سار إلي مقرّه الجديد ومعه قسم من قبيلة آل كوكب (الكواكبة) وكان فيهم خؤولته ، وهم بطن من عنز بن وائل ، ودخل قسم منهم بالحلف مع آل مستنير ، ولا زالوا في تندحة ، وآل مستنير من رفيدة القضاعية . كما انضم إليه بعض بطون من بني الحارث ابن كعب ، ومن عشائر بني جعفر (الجعافرة) وكان ممن معه بنو الحديد بن ربيعة وهم القوة التي يعتمد عليها لتأمين سبل الحجاج من هجوم قبائل قيس عيلان وعنزة بن أسد وغيرهما من قبائل نجد التي تتعرّض عادةً للحجاج وتعمل علي الإخلال بالأمن . بعد وصول مالك بن سنان إلي أوضاخ نشطت هذه المدينة وصارت تنافس حجر اليمامة ومنبر الحزم بلدة (الأكمة) والتي حل مكانها فيما بعد بلدة (ليلي) في أسفل وادي السحاب بالأفلاج ، وذلك أن مالكاً قد وضع فيها منبراً أطلق عليه المربد ، وغدا الشعراء يحضرون إليه ، ويلقون قصائدهم بين القبائل التي صارت ترتاد المربد حتي غدا سوقاً عاماً للتجارة يأتي إليها التجار من عسير والأحساء والشام والعراق والحجاز .

أسكن مالك بني جعفر في الشمال الغربي من أوضاخ في هجرة خاصة أطلق عليها اسم (عنز) وألزمهم علي الاستقرار فيها والتحضّر ، وأسكن بني كوكب في هجرةٍ خاصةٍ أطلق عليها اسم (درعة) وتقع في جنوب شرقي أوضاخ بين سوق المربد ومدينة أوضاخ ، وأسكن بني الحديد بن ربيعة من عنز بن وائل قرب ثهلان في العوصا ، وكان ذلك عام ٥٨٥ هـ . وبقيت هذه المدينة مرتبطة بعسير التي كان أميرها آنذاك من آل يزيد هو حسان بن سليمان المتوفي عام (٦٤٩هـ) .

وفي عام ٥٨٩هـ حاول أمير مكة مكثر بن عيسي من آل فليتة الاستيلاء علي نجد فهاجم مدينة أوضاخ بقبائل عنزة بن أسد ، وحرب بن سعد ، وهوازن ، وبني سُليم ، وبعد أن حرّض بني لام ، وطئ علي مالك ومن معه ، وكانت قد انضمّت إليه قبائل بني تميم ، وهتيم من عقيل ، وباهلة ، وغطفان ، وجاءه دعم من الأمير حسان بن سليمان بضمّ بني واصل وبني إبراهيم من مطير بن الحكم بن سعد العشيرة ، وبني شمّر بن عمرو بن سلهمة ، وبني عبد الرب من مذحج ، وكان ذلك الدعم بقيادة جابر بن مدرك المنيفي الروحي ، وتمكّن مالك من الوقوف في وجه المعتدين وأن يلحق بهم الهزائم ، وكانت هذه الهزائم سبباً في ضعف إمارة مكثر بن عيسي علي الحجاز ، وضعف مركزه وهيبته ، وقوي نفوذ خصمه =

= أبي قتادة بن إدريس الذي طلب النجدة من أمير عسير حسان بن سليمان ومن مالك بن سنان والي أوضاخ فأنجداه ، وتمكن من الاستقلال بمكة ، وقوي مركزه بها ، وبقي حتي توفي عام ٦١٧ هـ ، وتولي بعده ابنه الحسن فدخلت مكة تحت نفوذ عسير إذ دعمه أمراؤها من آل يزيد بقوات من السروات لتأمين قوافل الحجاج بين مكة والمدينة ، وتقيم هذه القوات شرق قرن عرفة وتكون في حالة طوارئ دائمة .

لم يرق ذلك النفوذ العسيري لملك مصر الكامل المسعود فانتزع مكة من الحسن بقوات أرسلها بقيادة نائبه علي اليمن علي بن رسول التركماني . وجاء بعد علي بن رسول مولي الكامل المسعود ياقوت ، وبدأ الصراع علي مكه بين ياقوت وراجح بن أبي قتادة ، وتولي أمر ذلك الصراع بعد ياقوت طغتكين أحد قادة الأيوبيين الذي استعان ببني رسول .

وعندما تولي أمر مكة علي بن رسول بعث بقوات إلي عسير عن طريق السروات وعن طريق بيشة . كما أرسل قوات أخري إلى أوضاخ ، غير أنه لم يظفر بشئ إذ هُزمت قواته التي اتجهت إلي عسير عن طريق السروات هزيمة نكراء في بلاد زهران ، كما هُزمت القوات المتجهة عن طريق بيشة في (تربة) علي يد قوات عسير من بني عمرو بن الحَجْر (العمور)، وباهلة ، وبني هتيم ، وبني عامر (البقوم) . أما القوات التي سارت إلي أوضاخ وهي من هوزان ، وسليم ، وحرب ، وبني سعد ، وعنزة ، وتساندها بنو لام ، وطئ ، فقد استطاعت هذه القوات من دخول أوضاخ لأن أفراد القبائل الذين بقوا فيها من عنز وبني مراد كانوا قلة بعد مغادرة مالك لها وسيره إلي القطيف والتمركز فيها حسب أوامر من الأمير حسان أمير عسير للعمل علي السيطرة علي الإحساء ، وترك طراد بن عائذ العتكي الباهلي أميراً علي أوضاخ حسب تعليمات أمير عسير حسان بن سليمان . ثم جاء إليها بنو خالد بقيادة سليمان بن موسي بن عبدالله المخزومي عام ٦٤٢هـ قادمين من بيشة بمن اشترك معه من قوة ، وذلك عندما رأي طراد عدم إمكانيته في مقاومة القبائل غادر أوضاخ واتجه إلي الشُّعْراء لينضمْ إلي بطون من أكلب ، وخثعم ، وبني الأواس ، وبني حوالة ابن عامر بن الهنو ، وبني شميس ، وصهيب من جرم حيث عَمَد بالاشتراك معهم والاتجاه إلي حجر اليمامة والتمركز فيها بعد طرد بني عصفور منها ، ومنذ أن احتدم الخلاف بين بني عصفور وبين العيونيين في منطقة الإحساء ، كان العيونيون يُحرّضون بني لام =

= وطيئا علي زعامة أوضاخ التي تتبع عسيراً لإشغالهم عن دعم العصفوريين ومقاومة بني الأصيفر الذي أخذ نفوذهم يمتدَ علي بلدان وادي المجازة واليمامة والأفلاج ، وقد اتخذوا بلدة (الهدار) مركزاً لهم يهم من الشيعة .

دخل مالك مدينة القطيف عام ٦١٢ هـ ، وانضمت إليه بعض القبائل التي كانت توالي بني عصفور حيث دخل بها البصرة ، أما أوضاخ فقد أقام فيها بنو مطير ، وشمّر بإمرة المفضّل بن نهار المشعلي الجحدري الجنبي وهو : علي المعروف بـ : (خد العذراء) الذي قتلته ناهس فيما بعد ، وقد غلب اللقب علي اسمه (والمشعل من الجحادر من مذحج وليست هي مشعل حنظله بن نهد) والتي دخلت البصره مع مالك بن سنان واستقرت فيها ، ودخلت بعض الجحارة من بني عبدالله بن سنحان في بني عمرو بن الحجر بالحلف بعد القضاء علي إمارة ال الضحاك عام ٥١٣ هـ التي كانت قد اتخذت من مدينة (الجهوة) قاعدة رجال الحجر مقراً لم حينما وجهها الأمير موسى بن محمد بن عبدالله اليزيدي والتي كانت مشيختها في آل مناع الذين منهم سعد بن صالح المناعي الجحدري الذي عينه الأمير حسان بن سليمان بن موسي اميراً علي بني عمرو عام ٦٤٤ هـ واتخذوا من قرية الظفيرة بوادي عياش - ربّما - مقراً له وفي عام ٨٨٠هـ ، رحل بنوه واتخذوا من قرية لزمة مقراً لهم وقد كانت من قري آل سلامة عشيرة الإمام الطحاوي ، ثم رحل اليه ال سعد عام ٩٥٠ هـ وهم من قبائل الجحادر ودخلوا في بني عمرو بالحلف وسكنوا في قرى لزمة والفرعة والحتار وكلها من قري آل سلامة الذين رحلوا إلي صعيد مصر سنة

ولما استقرّ مالك في القطيف استولى علي البصرة وأخذ يمدّ نفوذه علي الساحل، وأخذ يحارب العيونيين مع بني عصفور حتي توفي عام ٦١٣هـ ، وكان قد طعن في السن حتى رأى حفيد حفيده ، وخلفه علي القطيف حفيده يوسف بن صلاح ولم يكن أقل من جدّه طموحاً، فانصرف عن بني عصفور بعد أن أحسّ منهم الغدر فاستمال إليه بطون من طيئ مثل (سنبس) و(نبهان) و(لام) واستمال أيضا بعض عشائر من عنزة بن أسد ، وضرب بهم بني عصفور بدعم جاءه من جبار بن مرعي بن جبار زعيم بني فضل من لام، وقد التفّ حول بني عصفور بنو عبد القيس وأحلافها من كعب وربيعة وبقي الصراع مع العصفوريين الذين بدأت تظور قوتهم علي حين كان أمر العيونيين في أفول، ولما لم يعد بإمكانه =

= الصراع معهم لكثرة أعوانهم وقلة أتباعه ولانصراف بني لام عنه إذ شُغلوا بالقتال مع بقية القبائل في عالية نجد ضدّ قبائل الحجاز التي تحاول السيطره علي نجد وطرد أمراء آل يزيد عنها .

اتجه يوسف نحو القرين ، واستقل به عن البصرة وعن جزيرة (أوال) ، وأخذ يمدّ سلطانه علي بني عصفور غير أنه لم ينجح ، فترك ابنه عبد المحسن علي القرين ورجع إلي اليمامة ليستنجد ببني عائذ وبني عامر الذين يمثلون أمراء عسير ، فحلّ بمن أرتحل معه في حجر اليمامة ، وذلك عام ٦٢٠ هـ ، حيث صمد في وجه المناوئين لهم حتي لقي حتفه قتيلاً علي يد قوات بني عصفور في معركة الصمّان علي يد قائدها زيد بن الحسين الأخيضري وذلك عام ٦٢٢هـ . ولما علم ابنه عبد المحسن بمصرع أبيه أرسل ولده طاهراً بقوة إلي اليمامة فاحتلت بلدتي (السلمية) و (اليمامة) ثم زحف علي (الخضرمة) ، وكان بنو الأخيضر قد استعادوا نفوذهم عليها بدعم من بني عصفور والتقي معهم عند اجتماع وادي (الوتر) بوادي حنيفة بعد أن دخلت قواته منفوحة ، فانتصر عليهم انتصاراً كبيراً ، وقتل في هذه المعركه زيد وبعض أهله وانتشر بنو الحسين في القري المجاوره .

ولكن بني عصفور أزعجهم ما حدث فوجهّوا قوة كثيفة إلي القرين لطرد أبيه منها لقطع الصله بين الأب والابن ، وتمكّنت هذه القوة من إجلاء عبد المحسن عن القرين بعد معارك طويلة فاتجه إلي اليمامة ، وانضمَ إلي ابنه طاهر الذي تمكن من القضاء علي قوات بني عصفور التي وُجّهت له ، حيث جاءه دعم من آل عامر الجميليين من حجر اليمامة عام ٦٩٦هـ.

وبقي مع من كان موالياً لآل يزيد يشن الغارات علي مناطق نفوذ بني عصفور حتي ظهر سعيد بن مغامس الرميثي الحسني في البصرة وقاد قوات إلي القطيف والإحساء ، وقاتل العصفوريين متحالفاً مع الأمراء الموالين لآل يزيد ومنهم عبد المحسن وولده طاهر ، فكان الهجوم علي آل عصفور من الغرب بقيادة عبد المحسن ، ومن الشمال بقيادة سعيد بن مغامس ، واستبسل عبد المحسن حتي قتل علي يد سنان بن مانع بن إبراهيم بن أحمد بن عقد بن سنان بن الغفيلة العامري في معركة (الرقيقة) حيث اختلفا ضربتين صرع كل منهما خصمه ، وذلك عام ٦٩٨ هـ . =

= عين سعيد بن مغامس طاهراً أميراً علي القطيف ، وبقي فيها حتي طردوه عام ٧٠٦هـ علي يد موسي بن ناصر بن بطال قائدآل جروان حلفاء بني مالك بن عامر ، ويرجع بنو جروان هؤلاء إلي بيشه من بني عامر ، وتشيعت أسرة بني جروان وكانت أكثر الرافضة محاربة للإسلام .

رجع طاهر بمن معه إلي اليمامة بعد هزيمته وطرده من القطيف واستمر في مناوئة بني جروان بمن معه من القبائل النجدية حتي قتل عام ٧٤٠ هـ في معركة(السلمية) من أعمال الخرج بعد قتال دام وقع هناك مع بني جروان .

وكان من أبرز أولاد طاهر إبراهيم الذي تغلب علي الوشم ، واتخذ (مرات) قاعدة لحكمه حتي عام ٧٩٥هـ حيث قتل علي يد سراح بن مطرف العنقري التميمي الذي تتبع أعوان إبراهيم بن طاهر ، غير أن سراح هذا قد قتل علي يد علي بن إبراهيم بن طاهر الذي جمع إليه القبائل الموالية لآل يزيد وبداهم سراح بن مطرف ومن معه ، وكان سراح هذا متشيعاً وموالياً لبني جروان ، وكان ذلك عام ٨١٥ هـ في بلدة (البره) .

انقسمت نجد بين بني جروان وبين بني جبر حتي استتب الأمر إلي سيف بن زامل بن جبر الجبري النبهاني الذي تمكن من القضاء علي دولتي بني جروان ، وعين علي بن إبراهيم أميراً علي اليمامة ، وعزل أمراءها من بني عامر الموالين لآل يزيد .

وفي عام ٨٣٣ استقل علي بن إبراهيم بن طاهر بن عبد المحسن بحجر اليمامة ، ومازال يمدّ نفوذه علي ما جاورها ، ومقاومة قبائل بني لام (بنو الفضل ، بنو الكثير ، بنو المغيرة ، بنو الظفير) واحلافهم ، مماجعل الجراح بن مدلج بن علي بن محمد بن نعير بن نخبار بن مهنا أمير كافة طئ وبني لام يتجه إليه بقواته ، غير انه لم يتمكّن من دحر قوات علي حيث التفت حوله قبائل نجد الجنوبية والشرقيه الموالية لأمراء عسير ، فقُتل الجراح علي يد علي في معركة ((بيرين) عام ٨٣٥هـ وبعدئذٍ قُتل علي عام ٨٣٦هـ علي يد مهنا بن عمر الكثيري . وأفل نجم آل مالك بن سنان بعدها . ولم تقم لهم قائمة حتي عام ٨٧٣هـ وكانت مشيختهم محصورة فيمن بقي معهم من بني مراد (المردة) حيث دخلت قوات سدير بن عامر نجداً عام ٨٧٣هـ أيام الأمير اليزيدي إبراهيم بن عائض بن علي . =

= كان بنو جروان في الإحساء قد تمكنوا من السيطرة علي البحرين ، وأخذوا يحاولون مدّ نفوذهم نحو نجد بعد أن قضوا علي العصفوريين ، وأظهروا مذهب التشيع ، وبرزت بقايا الأخيضريين والأضيفريين من جديد واستولت على الخرج وقراه ، وعلى منفوحة ودلمة (الدلم) ، وتمركزوا في (الخضرمة) جنوب حجر على وادي الوتر .

وجاء سدير بن عامر عام ٨٧٣هـ ، وانضم إليه علي بن إبراهيم بن طاهر بمن بقي معه من أسرته آل علي إذ لم يبق معه سوى بني الأحسن من آل علي ، فسيطروا علي نجد ، وأخذوا في مطاردة بني جروان الذين ينتمون بالأصل إلي قبائل المحلف في بيشة ، وبقيت نجد تحت سيادة سدير وآل طاهر وأحفاد سدير من آل بدران وغيرهم من الولاة الذين يرسلهم أمراء عسير علي الأفلاج ، والوادي ، وعالية نجد أو يعينونهم منها .

وبرز في هذه الأثناء بيت جبر بن نبهان الخالدي ، وأخذ يمد نفوذه علي البحرين وشطانه ، حتي تمكّن من فرض سيطرته علي شرقي الجزيرة ، وأنهي حكم بني جروان ، ولا زال هذا البيت في علو حتي عهد زامل بن زايد بن حسين بن سيف بن جبر بن هلال الجبري النبهاني ، الذي قضي علي التشيع ، وبسط نفوذه علي قري اليمامة ، وعيّن على الخرج حسين بن زامل (زويمل) بن سالم بن محمد من ولد حذيفة الأخيضري الحسني الذي كان قد فارق مذهب أسرته ، وترك التشيع ، وكان قد عينه على الخرج أمير عسير وجعل بلدة السلمية مقراً له (نسبة إلي قبيلة سلمة بن قشير إذ كانت مقراً لها) وتمكّن الحسين من ضمْ وادي المجازه (الحريق) وقراه إلي سلطانه ، وأخضع بني هزان الذين كانوا يوالون أمراء عسير من آل يزيد . وتمكّن الحسين هذا من قتل علي بن إبراهيم في المجازة ، وكان علي قد وجه حفيده ربيعة بن موسي إلي معكال لقتال ناصر بن عثمان بن مهنا الجبري الذي كان قد تغلب علي والده موسي بن علي وأرداه قتيلاً في الربيعية جنوب المحرق ، ولكن ربيعة لقي حتفه أيضاً في كمين نصبه له ناصر بن عثمان بقيادة حبان المهشوري .

ولما هيمن بنو جبر علي نجد خضعت لهم المردة وزعيمها مانع بن ربيعة بن موسي بن علي الطاهري، وكان مانع رجلاً شجاعاً فعينه سيف بن زامل على الحجر باليمامة بعد أن =

= قتل سعد بن إبراهيم المهيري ، وناصر بن عبدالله العمراني ، وكانا فارسي حجر المشهورين ، واستطاع سيف من القضاء علي قتلة أبيه زامل ، وإزالة دولتهم الجروانية ، وبعدئذٍ تولي أمر بني جبر أجود بن زامل بعد أخيه سيف ، وحاول مانع بن ربيعة أن يستقل بالحجر بعد أن انضم إليه عبدالله بن عود المرواني الحفصي ، ويناهض بني جبر ، فعزله أجود ، وضعف شأن المردة ، وفي عام ٩٤١هـ انتقلوا بزعامة إبراهيم بن موسي بن ربيعة بن مانع إلي بلدة غبراء شمال الحجر (الدرعية) حيث حلوا بجوار أخوال إبراهيم آل فاضل رؤساء قبيلة عرينة بن نذير .

وتوفي إبراهيم في السنة نفسها ، وتولى أمر عشيرته من بعده ولده مرخان الذي تحالف مع بني عرينة أخوال أبيه وكان بنو عرينة قد انضمت إليهم بطون من عنزه بن أسد ، وشكلوا حلفاً للوقوف في وجه باهلة وبني تميم ، الأمر الذي جعل لعرينة ومن انضم عليها قوة في وادي العرض .

وضعف شأن بني جبر في مركز نفوذهم في البحرين نتيجة مجيء المستعمرين الصليبيين من البرتغاليين حيث بدؤا في احتكاك معهم أدي بالنتيجة إلي اهتزاز سلطان الجبريين في نجد وخاصة بعد أن تمكن البرتغاليون من قتل سلطان بني جبر وهو أخر أمرائهم ذوي الشأن ، وكان قد دعم بقوات من عسير تمركزت في ساحل (سلوي) واصطدمت بقوات البرتغاليين هناك ومنعتهم من دخول قطر ، وكانت (سلوي) تسمي " خور اليمن " لكثرة تمركز القوات العسيرية فيها بين الأونة والأخري ، وحاول أحفاد آل جبر بالظهور ثانية فلم يفلحوا لوجود العثمانيين الذين جاءوا لمطاردة البرتغاليين وتخليص بلاد المسلمين منهم ، ولمنافسة آل مغامس من الأشراف وآل بجران أحفاد سدير .

مالت أكثر قبائل الجزيرة إلي العثمانيين الذين رفعوا راية الجهاد ضدّ النصاري البرتغاليين ، وبعد أن تم للعثمانيين ما يريدون ، أخذوا يبسطون نفوذهم علي أطراف الجزيرة وقبائلها ، ولكن القبائل البدوية التي لم تتعود علي الخضوع لأحد أخذت تتحالف بعضها مع بعض للاستقلال وإبعاد نفوذ العثمانيين عنها ، وظهر من هذه الأحلاف بنو خالد الذين انضمّ تحت هذا الاسم عشائر الهبس بن الحكم بن سعد العشيرة ، وقبائل =

= عقيل بن عامر من عبد القيس ، وبرز من بينهم آل حميد وهم من عشائر الهبس ، وكان هذا الحلف لمقاومة العثمانيين واستنهاض همّة بقية القبائل العمل معه ، وشجّع هذا الحلف الأمراء من آل يزيد فبقوا يمدونهم بالقبائل من مذحج ويام والدواسر .

خشي العثمانيون من اجتماع قبائل الجزيرة ضدهم ، فأوعزوا لأشراف مكة بالتحرك إلي نجد لإحباط خطة بني خالد ومن وراءهم من آل يزيد وتوجيه قوة لضرب عسير وتشكيل أحلاف من بقية القبائل ضد حلف بني خالد ، وذلك لمكانة الأشراف في أرض العرب ، وتوجه شريف مكة " حسن بن أبي نمي " نحو نجد ، ولكنه لم ينجح في مهمته حيث لم يستطع تجاوز بلدة معكال بينما وجّه قوتين إحداهما عن طريق بيشة والأخري عن طريق القنفذه فلم تنجحا .

بعث أمراء عسير من آل يزيد قوة إلي نجد من قبائل تثليث ، وبيشة ، ونجران ، والوادي ، لدعم أعوانهم في نجد مثل آل بدران زعماء وادي الفقي ، وآل حسين زعماء المحمل ، وآل فاضل زعماء عرينة وآل هزّان في المجازة ، وهذا ما جعل هذه العشائر تشكّل حلفاً انضم إليه أيضاً بنو تميم وباهلة وبنو زيد ، وتمكّن هذا الحلف من الموقوف في وجه بني خالد ، وفي الوقت نفسه صمد أمام شريف مكه ، الذي أحس بالخطر فرجع باتجاه الحجاز ، غير أن رجال قبائل هذا الحلف قد تبعوه واستطاعوا سلب رجاله ، وذلك عام ٩٨٧هـ ، وقطعوا عليه طريق الإحساء لدعم العثمانيين ، وعلى الرغم من أن العثمانيين في الإحساء قد بعثوا قوة لتنضم إليه ليتمكن من الاستيلاء على نجد ، فانبرت لها الأحلاف في الخرج فهزمتها .

ضعف شأن العثمانيين في شرقي الجزيرة، وبرزت قوة بني خالد، وأخذت تمتدّ نحو نجد، كما ظهرت قوة شمر التي انضمّ إليها بقايا عشائر طي ولام ، وأسد مثل بني سنبس وأكبر عشائرها بنو الدمياط، وبنو جديلة وأكبر عشائرها بنو التيم (تومان) وأصبحت هاتان القوتان هما اللتان يمكنهما الامتداد نحو قري نجد واقتسامها وإن كانت تقف، أمامهما القبائل القحطانية التي جاءت من قبل أمراء عسير من آل يزيد. ثم ظهرت قوة حلف عتيبة الذي حاول أشراف مكة فصله عن عسير وشدّه نحوهم . وكان الصراع بين هذه المجموعات حتي ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونتيجة هذا الصراع فقد انزوت =

علي قلة من الأعوان ، وابتكار لهذا الشأن ، ثم وآزره بمجهوده وطوقه ، وعاضده حتي استوى على سوقه ، الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، حتى أوري قبساً لقابسٍ من أنوار التوحيد ، وأروى عطشاً لعاطشٍ من شراب التجريد ، ثم ولي الإمرة علي المسلمين ، فأحسن قراها بالهدي والتمكين ، الإمام سعود بن عبد العزيز ، الذي هو مقصد السائل في سؤاله ، فهو سعود بن عبد العزيز ، وكان خروجه في سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والألف ، ولما طرق الخبر بجهة البلاد العسيرية خبر أبي الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد هاجر إليه أبو نقطة محمد بن عامر (١) وأخوه عبد الوهاب ، وذلك في سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والألف ،

= قري نجد علي نفسها ، واستقلّ بكل قرية أمير من أهلها يتبع تارة هذا الجانب واخري ذلك الحلف ، وكان من بينهم أمير قرية الدرعية محمد بن سعود وقد أطنب صاحب الروض المستطاب في ذكر الأحداث وما كان قبلها ، وقد استخلصت منه هذا الموجز ، ولم اتعرض لمراسلاتهم شعراً أو نثراً مما تضمّنه الروض المستطاب إلا نبذة منها جعلتها ضمن ملاحق هذا الكتاب ليعلم ما عليه القوم من أدب .

(١) محمد بن عامر بن محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن موسي الملقّب بأبي نقطة ، وعرفت أسرته بهذا اللقب فيما بعد ، والأسرة من (آل متحام) من بني ثوعة بالحلف ، وبنو ثوعة من رجال ألمع . وآل متحام من قادة آل يزيد .

كان موسى أبو نقطة بن علي أميرا علي القنفذة للأمير عبد الرحمن بن علي من آل يزيد أمراء عسير ١٠٤٥ - ١٠٥٥ هـ ، وتمكن من صدّ أشراف مكة عن حلي عندما أرادوا ضمّها إلي مكة ، إذ جاء نجدة لموسى بن إبراهيم بن دريب اليعقوبي الحرامي أمير حلي ، وكان شريف مكة يومها زيد بن محسن .

توفي موسى أبو نقطة عام ١٠٥٥ هـ ، وتولّي أمر القنفذة من بعده ابنه إبراهيم ، وفي عام ١٠٨٠ استطاع سعد بن زيد بن محسن شريف مكة أن يحتل القنفذة ، فخرج إبراهيم بن موسى منها بمن معه لدعم أمير حلي الجديد الذي استنجد به ، وهو عيسي بن موسي الدريبي ، فأعانه ضدّ الثائرين عليه ، وثبّته في الإمارة مكان أبيه . واستطاع بعد مدةٍ =

= العودة إلي القنفذة وبحر الأشراف ، وتسلم إمرتها ثانيةً ، ولكن استدعاه أمير عسير عبد الرحمن بن علي ، فسار إلي السراة وترك ولده علياً مكانه أميراً علي القنفذه ، ولا زالت أسرته هناك ، ومعروفة بالمتاحمة .

عين أمير عسير عبد الرحمن بن علي شيخا علي قبيلة رفيدة إبراهيم بن موسي ، وكانت مشيخة رفيدة في آل الفضيل ، ولكن تظلم أحد أفراد القبيلة من شيخهم سعد بن ناصر الفضيلي مما جعل أمير عسير يستبدله بإبراهيم بن موسي المتحمي ، وبعد وفاته آلت المشيخة إلي ولده سليمان الذي ضمَّ إليه أمير عسير يحيي بن عبد الرحمن مشيخة ربيعة أيضاً ، ونحّي عنها آل أبي حشر ، وبعد مدة عاد إلي ربيعة ورفيدة مشايخها السابقين من آل فضيل وأبي حشر . برز من آل أبي نقطة محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب ، وكانا أصحاب طموح ، ويرغب محمد في استعادة مشيخة القبيلة ، ولما علما بأخبار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وسمعا عن انتشارها ، وزيادة أتباعها ، ونفوذ سلطانها ، سار محمد إلي الدرعية علّه يستطيع الحصول علي شئ من العلم يخوله ارفعة ، أو أنْ نفوذ الدعوة يصل إلى بلده فيكون من المقدّمين هناك .

وصل إلى الدرعية مع من وصل إليها من قبائل المنطقة ، ومكث فيها مدة ، وعن طريقه أخذت أخبار بلاد عسير كاملةً ، إذ أنس إليه محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لما كان عليه من الدماثة والخلق والعلم ، فقرّباه إليهما .

وفي مطلع عام ١١٧٩هـ أرسل محمد بن سعود إلي أمير عسير محمد بن أحمد من آل يزيد رسالة مع هدية مع محمد بن عامر وسرحان بن علي ، وهي أول رسالة تُحمل من الدرعية إلى أبها ، وهذا نصها :

=

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن سعود بن مقرن الدرعي المرادي إلي محمد بن أحمد اليزيدي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

نحمد الله إليكم الذي من علينا بنعمة الإسلام ، وجعلنا من دعاته المدافعين عن حوزته ، والممتثلين لأوامره ، والمجتنبين لنواهيه . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ (١٠٤م آل عمران٣) ، وأنتم أهل بيتٍ لهم قادمة في الإسلام ، وجهود في نشره ، وباع طويل في الفتوحات الواسعة . وكان لهذا البيت منزلة عظيمة في الإسلام ومكانة جسيمة ، هدى الله برجاله الأمم ، وأنتم إن شاء الله فرع كريم من أصل كريم ، تقتدون بسلفكم ، وتوصون بذلك خلفكم .

لقد حافظتم علي العقيدة في عسير ، ووقفتم في وجه أصحاب البدع والضلال ، وصرتم أقرب الناس إلينا ، وأعزهم علينا فوجب منا المذاكرة في أمور تهمّ المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم يُنبّه بها الغافل ، ويستدرك بها المقصّر ، ويتعلم منها الجاهل . ويجب علي ولاة الأمر النصح لرعاياهم والأخذ علي يد الجاهل ليستقيم أمره (**قل هذه سبيلي أدعو إلي الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**) ١٠٨ ك يوسف ١٢

وقد علمتم الحالة في نجد والسابلة بين البلدين ينقلون الأخبار منا ومنكم ، وقد كانت قبل خروج الإمام محمد – نفع الله به – تعجّ بالخرافات والشركيات لوجود أهل الأهواء في القرى والبلدان ، فقُسمت شيعاً وأحزاباً ، فاعتقدوا بالأموات ، وتبركوا بالقبور ، وصرفوا لها النذور ، وجعلوها مستغاثا عندما تحلّ بهم الكربات ، ولم ينكر عليهم أحد ، حتي ظهر هذا الإمام ، فأنكر علي العلماء سكوتهم ، وعلي الأمراء تهاونهم ، وهم قادرون علي إزالة المنكر ، فعادوه ونصبوا له المكايد ، ورموه بالنقايص ، واتهموه بخروجه علي أئمة المذاهب ، ولفقوا عليه الأكاذيب ، والله سيتولاهم ويتولاه ، وما ذلك إلا خوفاً علي مراكزهم التي هي

= ولما أراد الله بنا خيراً ساقه إلينا وفتح قلوبنا له ، فقبلنا دعوته ، والتزمنا بنصرته ، ونحن في قرية لا شأن لها ، على قلة وضعف فقوّي الله عزائمنا ، وهدانا على يديه ، وأنقذنا من الضلال والجهل الذي كنا نتخبّط فيه ، فعرفنا الحق على يديه ، وتمسكنا به ، وأخذنا على أنفسنا الدعوة إليه .فعلم الله صدقنا في ذلك ، فجمع علينا قلوباً كانت متنافرة ، وقرى كانت متناحرة ، فأعزنا الله بدينه .

ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه ، حباً لإخراجكم مما خرجنا منه ، وقد بعثنا إليكم دعاته لإرشاد الناس وتبصيرهم في أمر دينهم لنكون معذورين أمام الله عزّ وجلّ . ولنكن وإياكم يداً واحدةً على تطهير الجزيرة مما احدث فيها أهل الضلال ، وخاصةً ما وقع في الحرمين الشريفين من المنكرات والبدع ، وسكوت علمائهم وأمرائهم على ذلك ، وهم يعلمون خطره على عقائد المسلمين .

ولم نعلم في زماننا من أنكر على الجهال فيما يفعلونه ، وهذا لعمر الله خيانة لدين الله ، إذ بيدهم الاستطاعة على تغيير المنكر **(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)** ٢٢٧م الشعراء ٢٦ .

وإنا لا نريد سلطاناً نختلف نحن وإياكم عليه ، وإنما نبغي أن نكون يداً لكم ، وتكونون لنا ظهراً لتطهير الحرمين ، فالجزيرة ، فديار الإسلام عامة . وقد عرفتم حقيقة أمرنا من الركبان . وقد أرفقنا مع رسالتنا هذه هدية مع محمد بن عامر الرفيدي ، وسرحان بن علي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٢ من شهر صفر من عام ١١٧٩ .

تسلم أمير عسير محمد بن أحمد رسالة محمد بن سعود ، فدعا مجلس الشورى للنظر فيها ، ولم يكن الحكم في عسير أيام آل يزيد مطلقا ، وإنما كان الحل والعقد بيد مجلس الشورى ، وهو الذي يختار الرجل الكفء المؤهل من آل يزيد للحكم ، ويتألف هذا المجلس من قسمين : القسم الأول وهو دائم العضوية ، ويضم ثلاثة وثلاثين عضواً ، ويشمل العلماء ، وأعيان البلاد ، وثلاثة من أقرباء الأمير ، ويُطلق عليه مجلس القبلاء ، ويقع على كاهل أعضائه تنفيذ القرارات ، لما لهم من سلطة واسعة خوّلهم إياها الأمير ومجلس رئاسة البلاد =

= والذي يتكوّن من تسعة أعضاء : خمسة منهم من آل يزيد أحدهم أميرعسير ، وأربعة من العلماء . أما القسم الثاني فيطلق عليه مجلس الشيوخ ، حيث يتكوّن من شيوخ القبائل إضافة إلي اثنين من العلماء ، ويناط بهذا المجلس قرار الحرب أو السلم ، والنزاعات التي تحدث بين القبائل . وهذه المجالس الثلاث " القبلاء " و " الرئاسة " و " الشيوخ " يجمعها اسم " مجلس الشوري " حيث تطرح عليه أراء واقتراحات مجلس الرئاسة فيناقشها ويتخذ القرار الحاسم .

ويمثل شيخ القبيلة قبيلته فيما يسمي بـ " مجلس المحضر " الذي يضمّ ممثلي العشائر والقرى والقبلاء ، وتخضع القرية لسبعة أعضاء من أبناءها ، يُطلق عليهم " النيابة " يكون أحدهم ممثلاً لشيخ القبيلة ، ويُطلق عليه " النائب " و " النيابة " صلة الوصل بين شيخ القبيلة وسكان القرية ، ومهمتهم جمع الزكاة وإخراج العشر من المنتجات ، سواء أكانت من الزراعة أم من المواشي ، وجمع المحاربين ، ومراقبة أمور القرية بصفة دائمةٍ . ويصرف العشر من المنتجات في مصالح اهل القرية ، وما يحل بها من نوائب ، وكان من نتيجة هذا العشر أن عاش الفرد في رخاء .

وبدأ تطبيق هذه الأنظمة في عسير من عهد الأمير خالد بن عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالرحمن المتوفي عام ١٩٥ هـ ، وهو الذي سنّها ، وبقيت حتي عصرنا الحاضر كنظام يربط القرية بالقبيلة ، والقبيلة بالإمارة . وبهذا بقيت عسير متماسكة علي مدي تاريخها ، وتعيش بأمنٍ واستقرار .

وكذلك قام هذا الأمير بتنظيم القبائل وقت الحرب ، فجعل بني أسلم بن عمرو في المقدمة ، وربيعة ثم رفيدة أبناء عمرو تليها في المرتبة ، ثم بني مالك ، فبالأسمر ، فبالأحمر ، فبني شهر ، فبني عمرو ، فشمران ، فخثعم ، فغامد ، فزهران فبجيلة ، فبني الحارث فيما بعد ، ثم تأتي قحطان ، فشهران . وبعد أن اتسعت قبائل عسير ، وانضمت إليها أحلافها ، جاءت على الترتيب التالي :

في المقدمة بنو مغيد ، وهي مجموعة قبائل أزدية متحالفة ، ثم بنو علكم ، وهي مثل الأولي قبائل أزدية متحالفة . فربيعة ، فرفيدة ، فبنو مالك ، وقسمت عليهم تهامةُ عسير وهي =

= قبائل أزدية متحالفة من كنانة ، وألمع ، وقضاعة ، وهي إلى الآن على هذا التنظيم عدا رفيدة التي ضمت إلي ربيعة . كما ضمّ إلي شهران وقحطان بقايا بطون عنز بن وائل وقضاعة عدا قبيلتي بني الغمر من بني طلق من بني الحارث بن كعب ، وبني رشيد من بني الحباب من بني عبد الله بن سنحان ، وهاتان القبيلتان محالفتان لآل يزيد ، وجدد لهما الحلف الأمير محمد بن عايض بالإضافه إلي بني هتيم العقيليين من عامر بن صعصعة في بيشة ، وهم حلفاء لبني مغيد عامة .

ومهمة مجلس المحضر أو ما يطلق عليه أحياناً " المجمع " حلّ الخصومات بين أفراد القبيلة ، ويكون على الشكل الآتي : اليمين علي المنكر ، أو التحكيم ، ويُسمّون أعضاءه العدول ، ويقع اختيارهم من الطرفين ، وفي حالة تعذر قبول هذين الحلّين يُلجأ إلي القبلاء ، ويكون حكمهم قاطعاً ، وذلك تحت إشراف شيخ القبيلة الذي هو محترم بين أفراد قبيلته لما يمتاز به عادة من الصدق وحسن التصرّف .

كما يشترك مع القبلاء أحد قضاة القبيلة ، أما المدينة فإن لها مجلساً يُطلق عليه " المجلس البلدي " ويضم أعضاء يُمثّلون أحياء المدينة ، وبهم تدار المدينة ، ويُحفظ الأمن ، حيث يشرفون علي تعيين " العسس ورجال الحرس علي مداخل المدينة . وغالبا ما يرأس هذا المجلس أحد رجال العلم . ويتقبل المجلس انتقادات المواطنين وأراءهم ، ويرفعها إلي مجلس الشيوخ حيث تناقش من قبل ثلاثة أعضاء منه مخصصون لمثل هذا .

وللفرد في منطقة عسير حرية الرأي ، حيث يحق له ذلك ، إذ اعتاد الناس علي ذلك ، ولم يكن من مانع لدي السلطة .

ويتخذ مجلس رئاسة البلاد (الحكم) القرارات في حق المخالفين ، ومنها وأشدها ما يتخذ في حق البطون والعشائر التي يبدو منها توأن بالانضمام إلي قبيلتها التي تسير للقتال أو للدفاع عن بلادها ، أو تظهر منها مباطنة لعدو بما يؤثر علي أمن البلاد وتماسكها ، وتكون العقوبه في مثل هذه الحالات فرض الجلاء عن المنطقة ، أو إلباسها السواد والتشهير بها بين القبائل في أسواقها ، وغالبا ما تُفرض العقوبة الثانية للذين ينسحبون من المعركة أمام الخصم . وتأتي عقوبة ثالثه لأولئك الذين ينضمون للعدو أثناء المعركه إذ يجردون =

= من السلاح ، ويمنعون من ركوب الخيل ، ويلزمون بركوب الحمير ، ويُحوّلون إلي مهنة الصناعة الحقيرة في عرفهم . وأخفّ هذه العقوبات إلزام القبيلة المذبذبة بالدوران علي سوقها الأسبوعي أياماً تتراوح بين ٣ – ٩ أيام من بعد صلاة الفجر حتي قرب موعد صلاة الظهر تحت مرأي شيخها ونواب القبيلة . وذلك من باب التحقير .

وفي حالة وقوع خلاف بين قبيلتين علي حدود منازلهما ، واشتداد هذا الخلاف إلي إشهار السلاح فإن المجلس يرسل لشيخي القبيلتين علمين أبيضين لكل واحدٍ منهما علم عليه شارة القبيلة (شعارها) وهذا يعني الكفّ عن التمادي في الخلاف وإحالة الأمير للمجلس للنظر فيه ، وعندها تختار كل قبيلة ثلاثة أشخاص لعرض رأيها ، وينطلقون مع العلم الأبيض الذي أرسل إليهم . وفي هذه الحالة يكون شيخا القبيلة غير مسؤولين عما سيحدث بعدها .

ويرسل المجلس العلم الأبيض عندما تكون القبيله قد نصبت علماً أحمر في سوق القبيلة الأخري المعادية إيذاناً لاستعداد القبيلة للحرب والتفافها حول رايتها ، ويسمون هذه الراية " النقاء " ، وتأتي حالات طارئة عندما تصاب نجد بقحط فتنتقل قبائلها إلي منطقة عسير علي أنها قاعدتها فتوزع القبائل الوافدة علي بطون قبائل عسير وعلي قراها . وفي هذه الحالة ينضم خمسة أفراد من القبائل الوافدة إلي شيخ القبيلة أو نائب القرية ليمثلوا قبيلتهم فيما يحدث من أفرادها من مخالفات .

وخصص آل يزيد لكل قبيلة من قبائلهم شعاراً يرمز لها ، ويوضح في رايتها ، ليُعرف أفرادها ، وهذه الشارات كانت كالآتي :

١ – ولد أسلم بن عمرو ، وهما مغيد وعلكم وأحلافهما من الأزد ، وشعارهم سيفان متعامدان .

٢ – بنو مالك ، وشعارهم شعلة .

٣ – ربيعة ورفيدة أبناء عمرو ، وشعارهم رمحان متعامدان .

٤ – رجال ألمع ، وشعارهم سبع قسي متضافرة

= ٥ – رجال الحجر بالأسمر : وشعارهم دائرة يقطعها خط .

بالأحمر : وشعارهم دائرة يقطعها خطان .

بنو شهر : وشعارهم دوائر ثلاثة متداخلة .

بنو عمرو : وشعارهم دائرتان .

٦ – بلقرن : وشعارهم شهاب .

٧ – خثعم ، وشعارهم ثلاثة أغصان

٨ – غامد ، وشعارهم هلال .

٩ – زهران ، وشعارهم سبعة كواكب .

١٠ – شمران ، وشعارهم رحي .

١١ – أحلاف بيشة (بنو سلول ، بنو معاوية ، بنو عامر ، بنو أكلب ، بنو الحارث) وشعارهم درع .

١٢ – شهران ، وشعارهم جبلان .

١٣ – ناهس ، وشعارهم سيف .

١٤ – عنز بن وائل ، وشعارهم منجل .

١٥ – قضاعة (رفيدة بن عامر) ، وشعارهم سهم .

١٦ – سنحان ، وشعارهم قوس .

١٧ – ولد روح بن مدرك بن مذحج ، وشعارهم خوذه .

١٨ – ولد وجه الحارث من مذحج ، وشعارهم لنط (مجن)

١٩ – نهد من قضاعة ، وشعارهم سنان ذو خمس شعب

٢٠ – بنو زيد من قضاعة ، وشعارهم سيف ورمح .

= ٢١ – يام ، وشعارهم ثلاث حراب .

٢٢ – بنو دوسر بن مرهبة بن وداعة ، وشعارهم مطرقة .

٢٣ – بنو شعبة ، وشعارهم فأس (وذلك بعد استقرارهم في تهامة) .

٢٤ – الجامعة ، وهي راية خضراء وسطها هلال تعطي لكل شيخ قبيلة مدة خمس سنوات تنضوي تحتها كل القبائل التي ينتمي لها ، وذلك ليُعطي مشايخ القبائل تكافؤاً في المنزلة . وكانت آخر من وقعت في يده محمد بن دليم لقحطان الجنوب ، وعشق بن زيد بن شفلوت لقحطان نجد ، وعبد العزيز بن مشيط علي قبائل شهران ، وجمعان بن رقوش علي زهران ومحمد بن عبد العزيز الغامدي علي غامد ، وفراج العسبلي علي بني شهر ، وابن قادم علي خثعم وشهران . وحسن بن مناع آل مناع علي بني عمرو وقبائل رحيم من بالقرن ، وأحمد بن سعيد بن المتعالي علي قبائل رجال ألمع ، وشاهر بن راسي علي سنحان قاطبة ، وأبو ساق علي قبائل يام ، وابن كعبان علي وادعة ، وابن مبخوت علي همدان ، وابن وهاس علي بالقرن وذلك في زمن الأمير علي بن محمد بن عائض عند مقاومته للعثمانيين .

وتنضوي القبائل تحت هذه الرايات في الحالات الآتيه :

١ – في حالة الحرب ، وكل قبيلة لها عدد من المقاتلين يختلف حسب أعدادها ، ويكون تشكيلها القتالي علي مجموعات هي : المقدمة ، والظهر ، والرادفة .

فالمقدمة : هي التي تكون في مواجهة الخصم ، والظهر يحل محلّ المقدمة فيما إذا حدث تعب لها أو ضعف ، وأما الرادفة فتتمركز في مكان يشرف علي أرض المعركة ، وتستقبل الجرحي ، والقتلي ، وتزود المقاتلين بما يحتاجون إليه ، وتكون راية القبيلة بيدها ، ليعرف المقاتلون أين مواقع رادفة قبائلهم . وينطلق من الرادفة أفراد يطلق عليها اسم " البلاحطة " وهم بطن من عنز بن وائل من بني صاعد ومعظم بطون عنز بن وائل دخلت بالحلف مع عنزه بن أسد في عهد الأمير مالك بن سنان ، ومهمتهم حمل الرايات البيضاء ، ويختلطون بالمقاتلين من أفراد قبيلتهم أثناء المعركة يستنهضون همم مقاتليهم ويثيرون حماستهم ، ويشجعونهم علي الإقدام والثبات ، ويعدّ البلاحطة =

= مسالمين لا يصيبهم من الخصم أذي ، بل يترفع المقاتلة عن إلحاق أي ضرر بهم ما داموا مسالمين وغير مقاتلين .وهم عادة يحملون الرسائل من وإلي مشايخ قبائلهم ونواب قراهم . وأكثر هؤلاء من الظرفاء الذين يجيدون الملاحة في النكتة والفكاهة ، وربما كانت أحياناً سخرية ، وهم نزهة السمار ، وملحة الخطّار ، كما يتولّون غالبا خدمة الضيوف في السهرات والمناسبات. ويُطلق عليهم في غير منطقة عسير "الدوشان " ويحرصون علي حفظ القصائد من مدح، وهجاء ، وفخر ، وغزل ، بنغمٍ خاصٍ ، وأداء معين لإلقائها في المجالس، ولا تخلو قرية من عدد من هؤلاء البلاحطة ، ولهم ألبسة خاصه زرقاء تميزهم عن غيرهم .

ويوكل إلي البلاحطة في القري دعوة السكان إلي الحضارة ، أو الإثارة ، أو العانة ، فالحضارة هي اجتماع سكان القرية عندما تنضج زروعهم ، ويحين حصادها ، فيجتمعون لجني المحصولات ، ونقلها إلي الجرن (البيادر) بدءا من أول القرية إلي أخرها لا يتخلف أحد إلا لضرورة . أما الإثارة فهي بدء تهيئة الأرض للزراعة من حراثة ، وبذرٍ ، ودسمها (تسوية) ، وتجزئةٍ ، وتخطيط سواقيها ، ورفع عذبات قصباها . وأما العانة فهي استنفار القرية لإعانة من تحلّ به نازلة كانهيار بئر ، أو دمار جدران الزروع ، ويسمونها الظفير (والجمع ظفور) من أثر مداهمة السيول لها ، أو سقوط أسقف الدور ، أو بدع بئر ، أو استصلاح قطعة أرض لزراعتها ، أو البناء عليها ، فتهبّ القرية برجالها إلي تلبية المساعدة ، وهم يحملون أدواتهم كلها ، ويوزعون علي العمل ، فمن بانٍ ، وناقلٍ ، ومحضر ، ونجار ، وحدادٍ ، وغير ذلك من الأعمال ، وقد نظموا حياتهم في مضابط أطلقوا عليها اسم (القاعدة) كما ستري ذلك في الملاحق . كان ذلك حتي ورد خطاب محمد بن سعود لأمير عسير ، وبعد التقاء الأمير بأهل الحل والعقد وبعد مداولة أمير عسير ومجلس الشوري في الرسالة اتفقوا علي بعث الكتاب الآتي إلي الدرعية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أحمد اليزيدي أمير عسير إلي محمد بن سعود بن مقرن المرادي أمير الدرعية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لم تكن نود إجابتكم علي رسائلكم لنا التي شرحتم فيها دعوتكم وما قمتم به من إزالة =

= المنكرات وتنبيه الناس إلي ما ينبغي فعله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون في ذات الله لتوحيد صف المسلمين ولجمع كلمتهم ، ولرأب الصدع حتي تكون الجزيرة كما كانت مبعثاً للخير والهداية . وتضمنت رسالتكم وما تلاها من كتب دعوتنا إلي القيام بمثل ما قمتم به والعمل كما عملتم .

إن هذه الدعوة التي قمتم بمناصرتها والتي دعاكم إليها محمد بن عبد الوهاب لم تكن في ظاهرها غريبة . فالجزيرة العربية وغيرها من بلاد المسلمين مليئة بالعلماء منذ فجر الإسلام حتي يومنا هذا وقد رفع بهم الله الجهل ، وبصر بهم الحق فاستبان سبيله .

ونحن في ظل خلافة لايصح الخروج عليها – كما تعلمون ذلك – وإنما من واجب علماء المسلمين تنبيه أولي الأمر ونصحهم لا التأليب عليهم ورميهم بالمروق من الإسلام ، واتهام الناس بالشرك ، وتكفيرهم .

ويبدو أن مقصدكم بهذه الدعوة حميد حسبما يظهر من كتابتكم ، ولكن الذين انضووا فيها قد فهموها بشكلٍ خاطئٍ ، إذ بلغنا أنهم يكفرون الناس ، ويُحلّون دماءهم ، ويستبيحون نساءهم ، ويعدّون أموالهم غنيمة ، وهذا يخالف الشريعة كما تعلمون .

كما بلغنا أنكم تدعون الناس إلي الهجرة إليكم ، وهذا غريب أن يصدر من أمثالكم ، إذ أن البلاد كلها إسلامية وأهلها ولله الحمد – مسلمون ، وإن بدا شئ من التقصير لبعض الجهل الذي انتشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتقصير العلماء في هذا الشأن ، وعدم وصول ذلك إلي أولي الأمر ، وإنه يجب علينا جميعاً أن ننهض بالنصح والتبليغ ، وحمل الأمانة التي كلفنا بها ، وهذا ما ينبغي أن نفعله ، ولا نُعرّض أنفسنا للقتال كما سبق أن وقع .

إن من يفد إلينا من نجد يحمل أخباراً لا تتفق مع ما تضمنته رسالتكم ، ويبدو أن بعض من انضم إليكم لم يكن انضمامه رغبة في التفقه في الدين والوقوف عند حدود الله ، وإنما يستغل ذلك ليتسلط علي من حوله ممن كان يبادله العداء ، وينقل إليكم أنباء عنه كاذبة يستهدف بها الإغراء بخصمه ، وذلك كي تسلطوه عليه . =

= ويبدو أن الهدف من دعوتكم لم يكن إلا لمدّ النفوذ والسيطرة وهذا ما يسبب القتال بين مناصريكم ومناوئيكم ، وتقع البلاد في فوضي لا يعرف من صاحب الحق فيها فكل يدّعي الإسلام وأن طريقته هي الصحيحة ، وتضطر الخلافة إلي تسيير الجيوش لإزالة الفوضي والقضاء علي الفتن ، وهذا ما يؤدي الي ضعف الخلافه لانشغال جيوشها بديارها ، وتتقوي عليها الدول النصرانية ، وربما وجدت تلك الدول العدوة النصرانية فرصة ومجالاً في شؤون المسلمين لأنه ربما استعان المهزوم نتيجة جهله بعدو دينه .

إن مبعوثيكم محمد بن عامر وسرحان بن علي لم يحملا رسالتكم إلينا فقط ، وإنما حملا رسائل سرية لبعض العلماء والأعيان في المنطقة ، ويبدو أنه لم يُبتغ وجه الله منها ، وإنما يُراد البلبلة والعمل علي التفرقة بين الناس لتكون جماعة مؤيّدة لكم تدعمونها ، وتحاربون بها من لم يرق له تصرفكم ، وقد وصلت إلينا بعض هذه الرسائل من أصحابها ، كما أعلمنا بعضهم الآخر – ولله الحمد – بما وصل إليه للعمل علي قطع دابرة الفتنة قبل أن تقع ، ولنري رأينا فيما فعلتم .

كان من المستحسن منكم ألا يتمّ حمل أية رسالة منكم إلي أحد سوي أمير المنطقة ، ولكن فعلتم غير هذا ، فماذا تريدون ؟ أنتم مسلمون ونحن مسلمون ، ونحن مسلمون – إن شاء الله –؛ والقتال بيننا ليس فيه أية مصلحة للإسلام ، وإنما القصد منه النفوذ ، وعلينا أن نبعد أطماعنا من أن نلبسها ثوب الدين .

وإني مرسل قوّة مع (ابن مبشر وابن محمسة) نصرةً لمن طلب منا النجدة .

ونرجو من الله ألا يُخيّب ظننا بكم ، لما يطرق أسماعنا من أقوالٍ ليست طيبةً منكم ، غير أن علي المسلم أن يلتمس العذر لأخيه ، ويحسن الظن به .

وجزاكم الله علي هديتكم خيراً ، وقد قدّمنا بعضاً منها لشيخنا أحمد عبد القادر الحفظي. وأرسلنا مع موفديكم بعض ما استحسنا من هدية لكم وللشيخ الجليل محمد بن عبد الوهاب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٨ صفر من عام ١١٧٩ هـ

= رجع محمد بن عامر إلي الدرعية مع الوفد واصطحب معه شقيقه عبد الوهاب .

وعندمااستقرَ محمد بن عامر في الدرعية أشار علي محمد بن سعود دخول عسير ، وهوّن له من أمرها ، وأغراه بأن كثيراً من أهلها يؤيدون الدعوة ، ووقع هذا الكلام الوقع الحسن في أذن محمد بن سعود لما يحسم به ، وبالفعل وقعت حروب بين الطرفين ، وتقدمت قوات أبها في نجد غير أن أميرها وقائدها يوسف بن مرعي قد أسر في غرب الرياض ، وجاءت قوات ثالثه كنجدة بإمرة مرعي بن حسن بن محمد ولكنها لقيت المصير نفسه ، وكانت هاتان القوتان قد جاءتا لفك أسر يوسف بن محمد ومن معه ممن وقع في الأسر عندما جاءوا عام ١١٧٥ هـ لإعادة سيطرة آل يزيد علي نجد ، ولم تستطع فعل شئ ، ولكن القوة التي أرسلها الأمير مرعي بن محمد عام ١١٧٦ هـ من قبائل يام والدواسر بقيادة حسين بن هبة الله ، وحسين بن نصيب ، وموسي بن قويد هي التي تمكّنت من تخليص الأسري ، وإجراء الصلح . وتمكّنت الدرعية من أن تلتهم الخرج والأفلاج والوادي ، وبعدها كانت المعارك سجالاً ، وأخيراً قُتل قائد قوات عسير مرعي بن محمد الذي تنتمي إليه أسرة آل عايض التي آل إليها حكم عسير بعد هذه الأحداث بقليل لما أخذته علي عاتقها من مقاومة الغرباء وخاصةً العثمانيين ، وبعد مقتل مرغي بن محمد عام ١٢١٣هـ نشطت قوات الدرعية إذ رأي زعماؤها أن الخطر عليهم إنما يكمن في عسير ، ولذا سددوا ضرباتهم عليها قبل غيرها معتمدين علي بعض المؤيدين سراً . وكانت آخر قوة وأكبرها وجهت إلي عسير في عام ١١٩٨ هـ بقيادة سليمان بن فوزان بن تركي السديري وقد التقت مع قوة عسير في بلدة الهدّار ، وكانت بين الطرفين معركة انتهت بقتل سليمان وعودة جنوده ، وكان سليمان هذا جدّ عبد الله بن محمد بن سعود لأمه . ثم تبعتها غزوة أخري في ربيع أول من عام ١٢١٥هـ بإمرة ربيع بن زيد ، وعامر بن حزام ، حيث استطاعت هذه القوة احتلال وادي الدواسر ، وقتل أميره من قبل عسير ، ثم أرْدفت بقوة ثانية بإمْرة محمد بن عامر وشقيقه عبد الوهاب ، والتقت القوتان في بيشة بعد احتلالها ، وتابعت القوات سيرها إلي عسير ، وتمكّنت من هزيمة جيش الأمير محمد بن أحمد ، وقتله ، كما قتلت من قام مكانه وهو خالد بن مرعي ، وأخيراً استسلم لها سعيد بن مسلط ، وعلي بن مجثل ، مع بقية أعيان عسير . وكذلك ضمّت هذه القوات رجال ألمع وبقية المناطق العسيرية ، وغدت عسير تتبع الدرعية ، وذلك من عام ١٢١٧ هـ . =

= وخرج محمد بن عامر إلي الدرعية مصطحبا معه بعض رجال ألمع ورجالات بعض القبائل لتقديمهم إلي عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي خلف أباه علي نجد ، وكانت بغيته من هذه الرحلة التخفيف مما يحمله عبد العزيز علي رجال ألمع ، وبعد أن أنهي مهمته رجع إلي عسير غير أنه لم يستطع الوصول إليها ، إذ مات في الطريق بسبب الجدري الذي أصابه فتوفي عام ١٢١٧ هـ في ١٦ جمادي الآخرة .

كان أعيان عسير قد وقع اختيارهم علي سعيد بن مسلط ليكون أميراً علي بلادهم ، غير أن الدرعية لم توافق علي ذلك ، وإنما عيّنت عبد الوهاب بين عامر شقيق الأمير السابق بناء علي اقتراح جنود نجد في عسير ، فقام بالأمر من منتصف رجب ، واستطاع أن يمكن للدرعية في عسير ، وقام يحارب أشراف مكة وتهامة لضمّها إلي نجد ، وكانت نهايته القتل بيد أحد جنود الشريف حمود صاحب أبي عريش في إحدي معاركه معه في وادي (بيش) عام ١٢٢٤هـ . في التاسع والعشرين من جمادي الآخرة .

حاول آل يزيد استعادة سلطانهم ، واختاروا سعيد بن مسلط عليهم ، ولكن الدرعية رفضت ذلك وعيّنت طامي بن شعيب المتحمي عام ١٢٢٤ هـ في العاشر من شهر شعبان ، وقد وقف في وجه المصريين الذين نزلوا في عسير يريدون احتلالها بقيادة محمد علي باشا والي مصر من قبل العثمانيين ، كما وقف طامي في وجه أشراف أبي عريش ، ودعمته القبائل بإمرة زعمائها من آل يزيد حرصاً علي بلادها من دخول الغرباء إليها ، إذ بدأت قوة الدرعية تنكمش بظهور القوات المصرية علي أرض عسير . وكان محمد علي قد رأي أن القوه العسيرية هي القوة المنظمة والرئيسية في الجزيرة ، لذا صبّ قوته عليها ، ومع ذلك فقد لحقت به الهزائم ما لم تلحق به في منطقة أخري . وإن مجيء قوات محمد علي إلي عسير لإضعافها خوفا من أن تنضم إلي نجد التي يريد أن يحتلها .

شعر طامي بن شعيب أن قوته تضاءلت في عسير لبروز آل يزيد والتفاف القبائل حولهم بشكل متين وتماسك شديد علي حين أن القوة التي يعتمد عليها في سلطانه وهي قوة الدرعية قد ضعفت بل أصبحت في متناول يد المصريين .

استطاعت القوات المصرية أن تسيطر علي عسير في بداية عام ١٢٣٠هـ وذلك باستثناء الأطوار التي تقع جنوب بلدة (طبب) حيث تحصن فيها زعماء عسير وفرّ طامي بن شعيب =

= إلي تهامة ، فألقي القبض عليه في ١٢ ربيع الأول من العام نفسه ، بعد أن استجار بالشريف حسن بن خالد الحازمي ، غير أنه أخفر جواره وسلّمه للشريف حمود الذي قام بدوره وأرسله إلي محمد علي باشا إظهاراً للولاء وتقرّباً منه واعتقاداً منه أن عسيراً قد انتهت بتسليم قائدها الذي بعثه إلي استانبول حيث أعدم مع بعض أعيان عسير الذين أسروا .

التفَّ العسيريون حول قادتهم لإنقاذ البلاد من ضربات محمد علي باشا ، وساعهم تصرّف حسن بن خالد والشريف حمود في خفارة طامي بن شعيب ، وألفّ القادة مجلس شوري ضمَّ محمد بن أحمد المتحمي ، وسعيد بن مسلّط ، وعلي بن مجثّل ، ويحيي بن شعيب ، ويحيي بن مرعي ، وكثرت اللقاءات ، وبحثوا الوضع المحدق بالمنطقة والذي يتمثل في أصحاب الأطماع فمحمد علي باشا من جهة الشمال ، والشريف حمود من جهة تهامة ، وكذا إمام صنعاء أحمد بن علي المتوكل ، من جهة الجنوب .

وكذلك رأي القادة أن الوضع في بلدان نجد قد أخذ في التردي نتيجة الرعب الذي أحدثته قوات محمد علي باشا ، وضعف عزائم الموالين لعبدالله بن سعود الذي لا توصله مقاومته إلي نصر . وأدركوا أن الضعف قد لحق بقبائلهم من الطائف إلي صعدة إذ كانت القوة التي ركّزت عليها جيوش محمد علي فتلقت منها أعنف الضربات وأكبر الهجمات سواء التي جاءت من الحجاز أم التي أتت مباشرة من مصر . وسارت عسير بقيادة هذا المجلس منفصلة عن نجد تعمل لإنقاذ نفسها مما تعانيه ، وبعد تداول الرأي بين أعضاء المجلس في كيفية تخليص عسير من محمد علي باشا ومن أطماع الجوار ، فاتفقوا علي أن يكون محمد بن أحمد المتحمي في الواجهة كإشعار ببقاء أعوان الدرعية في السلطة ، وذلك في ١٥ رمضان .

رأي القادة أن الشريف حمود رأس الأفعي ، وعدو متربص ، ذو أطماع ، ويُسخّر لأطماعه كل الوسائل ، فيجب القضاء عليه قبل غيره ، ولكن مداهمة جيوش محمد علي لعسير جعلهم يؤخرون ما اجتمعوا عليه، حيث كان الشريف حمود مستهدفا مثلهم من قوات محمد علي باشا ، وإن تحركهم نحو قوات محمد علي لا يُشكّل عليهم خطراً من جهة الشريف حمود ، فانبروا لملاقاة الجيوش المصريه ومن معها من الحجاز ، وبعد مقاومة عنيفة استطاعت القوات الغازية أن تصل إلي (طبب) ، وأن تستقرّ فيه ، واتخذتها قاعدةً =

= لتحرّك قواتها منها . واغتنم الشريف حمود هزائم العسيريين فاحتل صبيا ، وفتك بقبيلة عبس بن الحكم النازلين بها إذ كانت ثغرهم في السابق ، كما احتلّ بعض سواحل عسير .

أخذ الشريف حمود يراسل محمد علي سراً لتثبيت أقدامه فيما احتلّه ، وخوفاً من انتقام العسيريين منه بعد تسليمه طامي بن شعيب ، إذ رأي أن التفاف العسيريين حول قادتهم الأمر الذي لم يكن في حسابه .

ركز العسيريون علي قتال قوات محمد علي واستئصالهم ، فوجّهوا قواتهم إلي طبب ، فتمكّنت من إبادة حاميتهم هناك ، ثم اتجهوا إلي تهامة لطرد القوات المصرية من الشعبين ومحايل ، وأخيراً سار محمد بن أحمد المتحمي علي رأس قوة إلي أبي عريش للانتقام من الشريف حمود ، والتقي معه ، ودامت المعركه طويلاً بينهما ، رجحت في بدايتها كفة العسيريين ، غير أن قبائل بني شعبة قد انحازت إلي الشريف عندما علمت بقدوم سفن تحمل قواتاً لدعم الشريف وكانت المعركة في قاعدتها ، وهذا ما جعل الفرصه مواتيةً للشريف حمود ، فألحق الهزيمة بجيش محمد بن أحمد المتحمي الذي تراجع إلي أبها في ٢٠ رجب ١٢٣١هـ عندما علم بوصول نجدات إلي الشريف ، وخوفاً من أن تكون قوات محمد علي قد تمكنت من دخول عسير من الشمال أو الغرب وهذا ما جعل الخناق يفكّ عن الشريف حمود فيتنفس الصعداء ، وكانت ترابط قوات احتياطية بقيادة يحيي بن مرعي .

أما قوات عسير التي كانت تقاتل الأتراك فقد حققت الفوز إذ طاردتهم بقيادة سعيد بن مسلّط في بلاد بلأسمر وبلأحمر وبني شهر ، وتمركزت في النماص .

كما لاحقتهم بقيادة علي بن مجثّل في بلاد شهران وتمركزت في تندحة ، أما القوات التي كانت بقيادة يحيي بن شعيب فقد انطلقت في بلاد سنحان ووداعة واستقر قسم منها في الظهران ، وتابع القسم الآخر إلي صعدة حيث طرد قوات إمام صنعاء ، وسارت قوة من تثليث واستقرّت في نجران لحمايتها .

كانت قوات عسير الاحتياطية في أبها بقيادة يحيي بن مرعي ، وتتلقي أنباء القوات في الجبهات المختلفه وتنقلها وبالتالي إلي بقية القادة علي تلك الجبهات ، فلما وصلت أخبار هزيمة المتحمي إلي بقية القادة تداعوا إلي اللقاء في أبها لدراسة الوضع تحسباً لما =

= سيقع إذ أدركوا أن هزيمة محمد بن أحمد ستدفع الشريف حمود للتوجّه بقوات نحو أبها ، إذ أن هزيمة المتحمي كانت الأولي من نوعها في تاريخ الصراع مع تهامة ، فبدأوا في مقاومة الأتراك في عسير .

أجمعت قيادة عسير علي ضرورة الصمود في وجه قوات الشريف حمود بصفته الخصم الألد الذي يجب إزالته عن تهامة ، لتؤمن غائلته ، وإذ تصل إليهم الأخبار عن طريق عيونهم بتحرك حملة بقيادة حسني باشا عن طريق بيشة ، فوجدوا من المصلحة عدم التعرض والالتجاء إلي الأطوار حتي إذا استقرّ في أحد المراكز انهالوا علي جيشه يفتكون بأفراده ، وقد طوّقوه من كل جهة ، وذلك بعد التأكد من معرفة قوته وإمكاناتها . كما رأوا من المصلحه في الوقت الراهن عدم التحرّش بالشريف حمود كي لا يقاتلوا علي جبهتين ، وإن كان بالإمكان استمالته إلي جانبهم واستدراجه حتي لا ينضم إلي خصومهم الأتراك ، ونسيان ما كان بينهم من أحداث ، لذا فقد كتبوا له كتاباً هذا نصه :

من سعيد بن مسبّط ومحمد بن أحمد المتحمي إلي الشريف حمود

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإنه لا يخفي عليكم ما حلّ بالبلاد من نجد إلي تهامة من تكالب الأعداء وتجيشهم الجيوش للقضاء علي ما نحن وأنتم عليه من استمساك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحمل الناس علي ذلك ، ومناصرة قوات عبدالله بن سعود الذي أصبح في حالة ضروس مع الأتراك لاحتلال الحرمين ثم القضاء علينا جميعاً وعلي الجزيرة وجعلها تحت حكم ولاة منهم عُرفوا بالظلم والجور والقهر وعدم الاحتكام بما أنزل الله .

وإن ما حدث بيننا وبينكم من تنافر يجب ألا نجعله مانعاً يحول دون اجتماعنا علي الحق لحماية بلادنا ومناصرة إخواننا في نجد الذين أصبحوا يتعرضون لقسوة تلك الجيوش المعتدية . ونحن نعلم جميعاً ان ما حلَ بنجد سيحلّ بنا إن مكّن الأعداء من ذلك ، فيجب أن نسعي إلي الائتلاف ، وأن ننبذ أسباب الاختلاف ، وأن نكون يداً واحدة بها سيوفنا لضرب الباطل وأهله .

وإننا قد اجتمعنا نحن هنا علماء وأعيان وشيوخ قبائل جهاتنا لنكتب إليكم نستنهض هممكم لحماية أرضنا وعرضنا وديننا ، ولتكون ردءاً لإخواننا في نجد لمقاومة هذه =

= القوات التي تحركت أقسام منها نحو بلادنا . وإننا نهيب بكم ، وندعوكم إلي ارتقاء السراة لنكون حسب اتفاقنا تحت قيادة واحدة نرأب بها الصدع ، ونلمّ بها الجمع ، ونوحّد بها الكلمة ، ونسير تحت راية واحدة مجاهدين في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا ، وقد وقع اختيارنا عليكم فنناشدكم الله ألا تنظروا إلي ما حدث بيننا ، وأن تروا ذلك اجتهادات تحمل الخطأ والصواب من كل طرف . وقد بعثنا إليكم بعض الإخوان لمشافهتهم بما ترون ، وقد فوضناهم عما تجتمع عليه كلمة الجميع وكتبنا إلي عبدالله بن سعود جواباً علي كتبه الوافدة إلينا ، وقد أشار أنه كتب إليكم بما اندرجت عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شوال ١٢٣٢هـ

في هذه الأثناء وصل حسني باشا إلي عسير فترك القادة أبها والتجؤوا إلي الأطوار ، وفسحوا له المجال لدخولها ، ليوهموه أنه ليست هناك مقاومة ، فدخل أبها ، وانتقل منها إلي السقا بقواته بعد أن ترك في أبها قسماً منها تقدّر بخمسمائة مقاتل بإمرة سعدي بك ، ولم يجد أية مقاومة فعلاً ، بل إن قادة عسير زيادةً في الخديعة قد أوعزوا إلي بعض الرجال بالوفود إلي حسني باشا وإظهار الطاعة له ، فاغترّ بما رأي ، وتحرك نحو طبب تاركاً حامية تركيةً في السقا ، تقدّر بخمسمائة جندي بقيادة [illegible] بك ، واستقرّ في طبب .

ترك في طبب حامية تقدّر بألف وخمسمائة جندي بقيادة صبحي أغا ، وغادر عسير وقد اطمأن إلي الوضع ، وشعر أنه لا يوجد ما يعكر الصفو ، ولا ما يستدعي إبقاء القوات الكثيرة ، والقيادات العالية ، واتجه في طريق العودة إلي مكة عن طريق بيشة .

ما كاد يصل حسني باشا إلي بيشة حتي لحق به من نجا من حامية طبب ، إذ ما أن شعر القادة العسيريون بخروجه حتي انقضوا علي الحاميات في أبها ، والسقا ، وطبب ، وأبادوها ، وإن استطاع نفر قليل أن يفرّ من حامية طبب ، وأن يصلوا إلي قائدهم مذعورين يكاد يقتلهم الخوف ، فعظمت المصيبة في نفس حسني باشا ، ولكن ليس بيده حيلة سوي متابعة السير إلي مكة المكرمة لعدم إمكانية القتال عنده ، إذ علم أن قبائل بيشة وتربة ورانية قد وُجّهت إليها خطابات من قادة عسير لمواجهته ومحاولة القضاء عليه فجد في سيره .

= وذكر إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الحفظي الذي عاصر هذه الأحداث أن وفد عسير قد التقي بالشريف حمود في بلدة (مختارة) وكانت قد وصلت إليهم أخبار قوات حسني باشا واحتلالها المذكورة ، وهم في طريقهم إلي الشريف فتوقّفوا ريثما ينجلي الموقف ، فلما بلغهم ما حدث تابعوا السير ، وعندهم الشجاعة لمحادثة الشريف ، إذ كان لهذه الأحداث صدي واسع في تهامة أرهب من فيها ومنهم الشريف حمود الذي خاف علي مصيره رغم موالاته لهم سراً حيث كان يراسلهم خفيةً .

تمّ اللقاء بين الوفد والشريف ، فأبدي الشريف سروره لما حدث ، فأقنع العسيريون الشريف حسن بن خالد بالعمل معاً وتسليم الأمر إلي الشريف حمود حيث رأوا حسن بن خالد هو العقل المخطط والذي يصدر الشريف حمود عن رأيه ، وبذلك أمكن للوفد استدراجه إلي القتال في صفهم ، غير أنه لم يندفع مباشرة ويتجاوب معهم ، حيث أخذت الشكوك تساوره فالأمس كان في صراع دائم معهم ، واليوم يقف إلي جانبهم ، وفي الوقت الذي كان يخشي فيه الخديعة أو التسرع علي الأقل كانت الأطماع تتغلب عليه، وتراوده الأحلام في الاستيلاء علي السراة ، وحكّم العقل وتغلّب علي الأطماع ومراودة الأحلام ، ولكنه بقي عند وعده الذي قطعه علي نفسه إذ اكتفي بإرسال سريتين بإمرة حسن بن علي بن عطيف الحكمي شيخ الحصامة ، وكان من أبرز قادته ، وممن يعول عليه في مثل هذه المهمات ، وإبراهيم بن يحيي الحازمي ، إضافةً إلي رجالٍ من يام من بني هبرة وبني مرة ، ولما علمت يام سير الشريف حمود إلي عسير ، باينته ، ورجعت إلي بلادها ، حيث أدركت أن هذه القوات التي كانوا من ضمنها لا يراد بها النصرة وإنما يراد بها السيطرة والقضاء علي زعماء عسير وهم معهم .

انطلقت هاتان السريتان نحو رجال ألمع عن طريق درب بني شعبة وتمركزتا في (الحملة) بين (الجوفاء) و (الجبيل) ، وما أن استقرّت حتي وصل إليهما بقواتٍ من عسير إبراهيم بن عبد المتعال من آل يزيد شيخ مشايخ رجال المع يحمل إليهما خبر قدوم قوةٍ تركيةٍ بقيادة جمعة باشا ويرافقه كل من الشريفين علي بن حيدر نصور بن ناصر اللذين اختلفا مع =

= عمهما الشريف حمود لأنه سجن يحيي بن حيدر أخا علي ، فما كان منهما إلا أن اتجها إلي شريف مكة المكرمة غالب بن مساعد في مطلع عام ١٢٣٠هـ الذي كان يوالي آلي زيد سراً ويراهم ظهراً له لمساعدته ضدّ من يريد إزاحته من شرافة مكة من أبناء عمومته . طلب الشريفان مكة غالب بن مساعد ووالي الحجاز حسني باشا مساعدةً لإخضاع تهامة وضمّها إلي الحجاز ، وكان حسني باشا قد جهز جيشا إلي عسير لإخضاعها بإمرة جمعة باشا الذي اختاره لهذه المهمة ، فانخرط الشريفان في هذا الجيش ، وكانا ضمن قيادته . وعندما التقي الطرفان في (الحمة) ، وقع ما لم يكن في الحسبان ، فسرايا الشريف حمود في الواقع لم تأت لخوض معارك ، وإنما جاءت للاستطلاع ، وارتقاء السراة عن طريق عقبة الصماء ودراسة الوضع العسكري في السراة ، وإمكانية تغلب جيوش الشريف حمود ، وكتابة التقارير اللازمة عن ذلك . فلما وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام الخصم ، تدارس قادتها الموقف ، ولم يكن أمامهم بدّ من خوض المعركه فهم في المواجهة أولاً ، ولم يكن لهم خيار سوي القتال ، إضافة إلي تشجيع قوات عسير لهم . ودار القتال ، وكتبت الهزيمة علي جيش جمعة باشا الذي عاد أدراجه إلي الحجاز مع قادته ، وتمركز في القنفذة .

أدرك قادة الشريف حمود أن العسيريين كانوا صادقين في مفاوضتهم مع الشريف حمود، ولا يريدون به إلا خيراً ، ولا يرغبون في خداعه أبداً ، فلو كانوا يريدون شيئاً من هذا لاغتنموا وصول الشريفين علي بن حيدر ومنصور بن ناصر في جيش جمعة باشا ، مباينين لعمهما الشريف حمود ، ولساروا معهما باتجاه تهامة ، واحتلّوا أبي عريش وباقي تهامة ، وخاصة أن خبر وصول القوات التركية مع الشريفين إلي محايل قد وصل إلي قوات عسير قبل أن يصل إلي الشريف حمود أو إلي قواته في الحمة . ومع هذا فقد انضمّت قوات عسير إلي جانب قوات الشريف حمود وقاتلوا معاً الأتراك ، وأوقعوا بهم الهزيمة ، وهذا ما قاله إسماعيل الحفظي . =

= كتب قادة الشريف حمود إليه بما رأوه ، واقتنعوا به ، فشجعه ذلك علي ارتقاء السراة وزاد أمله في امكانية بسط نفوذه عليها وكان ذلك في نهاية عام ١٢٣٢هـ .

وكتب إبراهيم بن عبد المتعال إلي سعيد بن مسلط ، ومحمد بن أحمد المتحمي ومجلس شوري عسير يخبرهم بما تصرّف به وكل ما حدث ، وأن انضمامه إلي رجال حمود أخف الضررين ، وأن التخلّص من حمود أسهل من الأتراك ، وأنه في طريقه مع قوات الشريف حمود إليهم ولكن لا يمكن ضمان غفلة الأتراك لذا يجب كتمان كل ما في النوايا تجاه الشريف حمود ريثما ينجلي الموقف .

سار إبراهيم بن عبد المتعال مع قواته بمن معه من قوات الشريف حمود إلي محايل وحلي وقضوا هناك علي ما بقي من قوات الأتراك ، ثم رجعوا إلي الشعبين ، وارتقوا السراة عن طريق عقبة الصماء في طريقهم إلي أبها ، ووصلوا إليها وقد استقبلوا بالحفاوة التي خُصت أكثرها لقوات الشريف حمود كضيوف .

عاد حسن بن علي بن عطيف وإبراهيم بن يحيي الحازمي للكتابة إلي الشريف حمود بما تمّ معهم بعد مغادرة العدة ، ويستحثانه بالصعود إلي السراة ، ويطمئنانه أن الأحوال كما يريدها .

ولما وصل الشريف حمود كتاب قادته وفهم معناه تماماً وجّه وزيره حسن بن خالد الحازمي بقوة كبيرة إلي أبها ، فارتقت السراة عن طريق عقبة (ضلع) ، والتقت مع قوات تهامة هناك ، وكان ذلك في أواخر عام ١٢٣٢هـ .

وذكر إسماعيل الحفظي أن قوات تهامة عندما التقي بعضها مع بعض أحسّوا بالقوة ، وأخذت تظهر علي قادتهم بعض التصرفات التي تحمل في ثناياها التعالي ، وشعر العسيريون بذلك فأحسّوا بالأسي ، وخافوا مغبة الأمر ، إذ ربما تحدث ردود الفعل من سكان السراة ، ولهذا تداعي مجلس الشوري ، والتقي سراً ببلدة (السقا) ودرسوا الوضع الراهن ، وقرروا ضرورة مساعدة عبدالله بن سعود في نجد ، وحماية عسير من الأتراك ، وحفظ الأمن الداخلي من قوات تهامة التي أصبحت في السراة ، ورأوا من المفيد استدراج الشريف حمود للصعود إلي أبها لاجتثاث دابر الفتنة من أصله ، وتحسين ذلك لقادته .

فجهز عبد العزيز إلي جهتنا جيشاً عظيماً ، وحطوا (حجلا)[1] ودخلوا (المغوث) [2] ، ومقدّمهم رُبيّع بن زيد بن محمد من بني (ولامة) بن دوسر بن مرهبة بن وداعة الأزدي من وادي الدواسر ، وهو الذي حطّ في (حجلا) ، وتبعه سيف [3] من أهل بيشة بقوةٍ في رجب سنة ١٢١٥، وعاهد أهل السراة ، وتبعهم أهل تهامة ونواحي بلاد عسير بعد قتل الأمير محمد بن أحمد اليزيدي في ذلك الشهر، وحاكم الشرع بوقته الجد محمد

---

(١) حجلا : بلدة كانت من قري عنز بن وائل ، ثم غدت لبني ثعلبة من بني هلال ، وهذا البطن من بني هلال هو الذى تخلّف أثناء تسييرهم إلي المغرب في القرن الخامس ضمن القبائل التي سيرها الأمير موسي بن محمد بن عبدالله حينما استنجد ابن باديس به ضد الفاطميين تحت قيادة شقيقه مروان بن محمد الذي لا تزال له ذرية في المغرب في بلاد السوس الأقصي . وانضمّ بنو ثعلبة إلي بلأحمر ، ثمّ أقطعت في عهد الأمير عائض بن وهّاس إلي بني الطبيب بن ربيعة بن مالك الأزدي ، فسكنها منهم بنو الشريف ، وأصبحوا يعرفون بأهل حجلة ، والشريف هو ابن مرشد بن الطبيب ، وهي إلي الشرق من مدينة أبها ، وتبعد عنها حوالي اثني عشر كيلو متراً ، في سفح جبل قحطان . وطالما دارت فيها رحي الحرب بين أهل عسير والقوات التي تتقدم إليهم من الشرق ، وغالباً ما كانت مقبرة لمن يأتي إلي عسير من قرامطة ، ورسوليين ، ومماليك ، وعثمانيين ، وكانت المعارك مع نجد آخر ما شهدته هذه البلدة وسرد إسماعيل الحفظي في تاريخه جميع الأحداث التي جرت في حجلاء .

(٢) المغوث : اسم مكان نُسب إلي ساكنيه من بني المغوث بن ربيعة بن عمرو بن عامر الأزدي ، وهو الأن باحة ربيعة .

(٣) سيف بن عامر العامري من بني الخشين من قضاعة . ولا تزال أسرته في بيشة ، وتعرف الآن بآل عامر ، وعامر هذا غير عامر القبيلة .

أحمد ابن اليزيدي في ذلك الشهر، وحاكم الشرع بوقته الجد محمد بن أحمد الحفظي الملقب بابن موسي [1]، ومستقر حكمه بأرضنا في (طبب) مع آل متحمي، لأنهم ولاة من قبل آل سعود علي بلاد عسير، أولهم أبو نقطة محمد بن عامر، وكانت مدة إمارته سنتين ثم مات سنة ١٢١٧، ركب إلي الدرعية، ورجع مأموراً من عبد العزيز بن محمد بن سعود [2]، ومات في الطريق في شهر جمادي سنة ١٢١٧ علي ما ذكرنا، وقام بالأمر بعده أخوه عبد الوهاب في تلك السنة، واستقرت ولايته علي عسير وبلادها استقراراً كاملاً ، ووقعت له فتوحات وغزوات كثيرات شام ويمن [3]، افتتح مكة المشرفة وخرج بعسير إليها، ودخلها بجنوده من عسير، ورتب فيها أربعمائة منهم [4]، وفتح

---

(١) المتوفي ١٢٣٧هـ .

(٢) المتوفي ١٢١٨ هـ .

(٣) شام ويمن ، أي شمال وجنوب ، فكل ما هو شمال شام ، وكل ما هو جنوب يمن .

(٤) قاوم أهل الحجاز نجديين ، فلم تستطع الدولة السعودية في نجد دخول مكة ، فأوكلت ذلك إلي عبد الوهاب ، فاستطاع دخول مكة عام ١٢١٩ هـ بقوات من عسير بعد معارك كانت سجالاً بين الطرفين في أول الأمر ، وأخيراً كانت الغلبة لعبد الوهاب . وضمت مكة إلي نجد ثم جري الصلح بين الشريف غالب بن مساعد الذي عُيّن من قبل السلطان العثماني شريفاً علي مكة وبين سعود بن عبد العزيز بن محمد ، وارتحل أهل نجد عن مكة مع بقاء ممثلين لهم من عسير . ولم يخف علي سعود أن لانكلترا نفوذاً في الخليج ولنجد مصالح هناك إضافة إلي أن منطقة البحرين من بلاد العرب والمسلمين ، كما أن للفرنسيين نفوذ في مصر، لذا رغب أن يستفيد من الخلاف القائم بين الدولتين الاستعماريتين ، علي الاتصال بشكل سري بكلا الطرفين ، غير أن الدولة العثمانية كانت تعمل علي استعادة مجدها ، ويرتبط محمد علي باشا والي مصر رسمياً بها ، لذا تحرك محمد علي بأمرٍ من السلطان ، وبدافع من أطماعه ، وبتأييد سري من فرنسا ، نحو الجزيرة العربية ، واستطاع بعد جهودٍ قوية ومقاومةٍ جبارةٍ من دخول الدرعية عام ١٢٣٣هـ قبل منتصف شهر ذي القعدة ، وقضي علي الدولة السعودية بقيادة ابنه إبراهيم باشا .

(الليث) أيضا بعسير ، وأقاموا بها سبعين ليلة ، ووقعت حروب عظيمة جملتها ثلاث عشرة غزوة ، ورجع بعدها الناس بعد ختام سنة ١٢١٧ ، ثم ركب عبد الوهاب إلي الدرعية سنة ١٢١٩، وفيها في شعبان خرج بعسير إلي الشام لغزوة السعدية (١) ، ووقعت فيها حروب هايلة ، وأهوال قاتلة ، واستمرت إمرة عبد الوهاب من سنة ١٢١٧ إلي سنة ١٢٢٤ ، وقد قتل بوادي بيش يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادي الأولي من سنة أربع وعشرين ومائتين وألف ، وكانت مدة إمارته قدر ثمان سنين ، ثم قام بالأمر بعده طامي ابن شعيب ، وذلك في شهر رمضان سنة ١٢٢٤ ، ووقع له وقوعات وغزوات هايلات ، غزا (اللحية) بعسير ، وأغار بهم علي (الحديدة) وغزا (الصفرا) وغير ذلك ، فاستمرت إمارته من سنة ١٢٢٤ إلي سنة ١٢٣٠ ، وكان وصول محمد علي ومن معه من الأتراك إلي (طبب) ، وابتدأ دخولهم أرضنا من المصريين في سنة ١٢٣٠ ، فهزموا جنده ، وخرّبوا ثغوره ، وهرب طامي ، وكان ذلك في الرابع عشر من ربيع الأول، ولزم في (صبيا)، ووقع الناس في فترة من الأمر (٢) ، ففي هذه السنة أعني ١٢٣٠ تأمّر محمد بن أحمد ، ووقع له حروب وغزوات ، واستمرت أمره أربع سنين . وأما حمود الشريف (٣) فبعد استيلاء الترك علي جبل عسير ، وحطوا جهة

---

(١) السعدية : يلملم ، وهي ميقات أهل اليمن ، وكان الشريف سعد قد حفر فيها بئراً فنسبت إليه .

(٢) فترة من الأمر : مرحلة لم تكن مستقرة لاضطراب الأوضاع ، إذ انطوت صفحة آل سعود التي يستمد آل المتحمي قوتهم منها ، فكان الاعتماد في تسيير شؤون البلاد علي مجلس الشوري – كما سلف فلم يتفق القادة علي أمير منهم .

(٣) الشريف حمود بن محمد بن أحمد الخيراتي الحسني ، وهم فرع من أشراف مكة ، انتقلوا إلي تهامة التي كانت تحكم من قبل الأشراف الخواجيين ، واستطاع محمد والد حمود أن=

= يسيطر علي تهامة ، وأن يحكمها ، وأن يُؤسّس أسرةً حاكمةً فيها ، وتولّي بعده أولاده ، غير أنهم اختلفوا فيما بينهم ، وآلت السلطة إلي الشريف حمود هذا .

استدرج قادة عسير – كما سبق أن ذكرنا – الشريف حمود لارتقاء السراة ، لتنفيذ خطة وضعوها للتخلص منه ، وتمّ ذلك إذ شجعه كتابات قادته إليه بضرورة القدوم إلي السراة حيث قد مهّدوا له حسب أقوالهم ما يريد ، فتحرّك بقوةٍ ونفسه قلقة لما يعرفه عن عسير التي كانت بالأمس قد أخضعته تحت سلطانها ، وهو اليوم يُزيّن له أعوانه إخضاعها تحت سلطانه ، فلما وصل إلي أبها قوبل بالحفاوة الزائدة ، وكان ذلك في نهاية عام ١٢٣٢ هـ بعد الموسم ، استغل قادة عسير وجود الشريف حمود في السراة لتهدئة الأوضاع ، وربط القبائل بقيادة أبها إذ كان بعضها قد خضع للأتراك كغامد وزهران ، وبني الحارث ، وبجيلة ، وبني شهر وبيشة ، فأرسلوا قوات لهذه المنطقة لدعمها وإبعاد الأتراك عنها ، وهذا ما جعل الترك يجردون حملات علي غامد وزهران ، وبيشة ، وحلي ، خوفاً من أن يحفز العسيريين علي اقتحام الحرمين ، وخاصةً أنهم كانوا قد هزموا جمعة باشا ومن قبله حسني باشا ، وربما اتجهوا بعد ذلك إلي نجد لدعم أهلها وإخراج الترك منها والسيطرة عليها .

حشد الأتراك قوات كثيفة بقيادة سنان أغا ومعه الشريفان منصور بن ناصر ، وعلي بن حيدر ، وقد وصلتهما أخبار انضمام عمهما الشريف حمود إلي عسير ، وأنه حطّ في السراة .

ولما كان الشريف حمود غير مطمئن لوجوده في السراة لذا فقد أحاط نفسه بهالة من خبرة فرسانه ، تحسّباً لما عساه أن يقع من شرٍ ، وانتبه قادة عسير إلي ذلك ، ولكنهم لم يأبهوا إليه لأن همّهم كان مجالدة الأتراك الذين دخلوا أطراف عسير بإمرة سنان أغا ، أما الشريف حمود فيرون أنهم في قبضتهم ، وكذلك فإن تهامة أصبحت في أيديهم لخلوها من حماتها . وهذا ما جعل إسماعيل الحفظي ينتقد ارتقاء حمود إلي السراة بغالب جنده وإخلاء تهامة من مدافعين الأمر الذي يُبقيها سهلة المنال أمام الأتراك ، فذكر أنه قد جانب الصواب في تصرّفه هذا ، إذ يري أنه كان بإمكانه البقاء في أبي عريش ، والاكتفاء =

[illegible] حسن بن خالد الحازمي [illegible] حمد إن دعت الحاجة إلي ذلك حتي يستبين الوضع ، ويكون لهم كالظهير ولم يغرب عن بال الشريف حمود لجوء ولدي أخويه علي بن حيدر ومنصور بن ناصر إلي مكة وأحس أنهما سيستنجدان بواليها ، ويُحسنان له ضمّ ما تحت يده من البلاد إلي الدولة العليه ، وإنهما في استطاعتهما مساعدته علي ذلك لما لهما من مكانة في قومهما ، وإن الناس هناك غير راضيين بإمرة عمهما لموالاته للنجديين ويبدو أن الشريف حمود قد وقع في ذهول فلم يجد مخرجاً يتنفس به عما يدور في خلده ، ويتخذه قراراً مضمون العاقبة ، فكانت هذه الحيرة تقضّ مضجعه ، وأدراك أنه لا محالة سيصطدم بأبناء إخوته عاجلاً أو اجلاً ، ففضل صعود السراة ، وبقيت نوازع الرغبة تشجّعه ونوازع الرهبة تثبّطه .

ولكن الشريف حمود شعر بنشوة النصر عندما ارتقي السراة وفكّر في عملية للقضاء علي منافسيه من قادة عسير .

رغب أبناء طامي بن شعيب قتل الشريف حسن بن خالد ثأميرا لأبيهم الذي سلّمه إلي محمد علي ، وقد أصبح حسن بن خالد بأيديهم ، غير أن سعيد بن مسلط قد منح أبناء طامي من ذلك ، وحذّرهم إن قاموا بشئ من هذا التصرّف لأن الوقت غير مناسب ، ولابد من التريث ريثما ينجلي الموقف ، ويزول خطر الأتراك .

وكان حسن بن خالد قد أحسّ بشيء من هذا ، وربما كان ذلك من أهمّ دعوة حسن بن خالد الشريف حمود للإسراع في صعود السراة .

تقدمت قوات سنان أغا نحو بلاد عسير فاحتلت (حلي) بعد مقاومةٍ لم تستطع الصمود أكثر من يومٍ واحدٍ ، ثم احتلّت الشعبين ، وارتقت بعدها السراة ، ولكن الشريف علي بن حيدر لم يصعد معها السراة ، وإنما أخذ طريق تهامة ومعه قوة ، وفي نيته دخول أبي عريش مادامت خاليةً من الحماة ، وقد وصل إليها فعلاً ودخلها دون عناء .

ارتقت قوات سنان أغا السراة من طريق عقبة (تيّه) ، واستقرّت في (شعار) ، وكان قد أرسل مفرزةً خرجت إلي السراة عن طريق عقبة (رجم) متخذة طريق (الزهرا) في سيرها إلي (طبب) . وبقي سنان أغا ينتظر في (شعار) خبر (طبب) ، وإذا بالأنباء=

= تصل إليه باحتلال قواته بلدة (طبب) وعندها تحرّك نحو الملاحة وقد بلغه أن قوات الشريف حمود وبعض رجال عسير من قحطان وشهران وغامد وزهران وبني الحارث وبجيلة ورجال الحجر يرابطون هناك ، وأرسل أيضا جزءاً من قواته نحو أبها حيث يرابط فيها سعيد بن مسلط ببعض رجال عسير مع قوات من خثعم وشعران وبلقرن ، علي حين كان في (السقا) علي بن مجثل ومحمد بن أحمد المتحمي مع بعض قوات عسير ، كما وجد مانع بن علي المتحمي ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي في (تهلل) في قوات من عسير من رجال ألمع . ووجه قادة عسير إبراهيم بن عبد المتعال ومحمد بن يحيي الحيّاني بقواتٍ من رجال ألمع لإخراج الأتراك من (محايل) ومن (الشعبين) وقطع الصلة بين الجيش التركي في عسير وبين طرق إمداده في القنفذة .

تحركت القوات العسيريه التي في (تهال) نحو (طبب) وتمكنت من هزيمة الأتراك فيـها ، واحـتلالها ، وأسر الكثير من الذين حاولوا الصمود في وجههم من الأتراك ، وبعد الانتصار اتجـهت نحـو (الملاحـة) للانضمام إلي القوات المرابطة فيـها ، وتمركزت في (الجهفة) و (الطلحة) مع سكانها بني البندور وبني الغال الرفيديين .

أما سنان أغا فاتجه نحو أبها ، وفي طريقه احتلّ بلدة (الفيّه) بعد مقاومةٍ كبيرةٍ إذ كانت فيها قوة استطلاعية انتقلت بعد هزيمتها إلي (الملاحة) . وتابع سيره بعد أن بعث بقوة من جنده إلي بلدة (شوحط) بقيادة منصور بن ناصر ليتابع إلي أبها ، أما هو فقد سار بمن بقي معه إلي (الملاحة) . لم يستطع الشريف منصور الوصول إلي أبها إذ بلغه اشتباك قوات سنان أغا بـ (الملاحة) مع القوات العسيرية والتهامية المرابطه فيها ، لذا عدّل سيره ، وسار نحو (الملاحة) فدخل المعركة ، وقد دارت الدائرة علي الأتراك سنان أغا ولحقه الشريف منصور وتابعتهما القوات العسيرية من رجال بلأسمر فأدركوهما في رأس عقبة (تيّه) فقتلوهما هناك ومن معهما ، وكان الحمله لم تكن ، وقد منّ العسيريون علي الأسري ، فأطلقوا سراحهم جميعا .

واستمرت المعركه ثلاثة أيام هي : الثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، بدءاً من الثاني والعشرين من ربيع الأول عام ١٢٣٣ هـ . وقد جعل قادة عسير القوات التهاميه في المواجهة لتضعف وليسهل الوثوب عليها . =

= جرح الشريف حمود في المعركة ، وأخذ جرحه يلازمه حتي أجهزة عليه أحد أقرباء طامي بن شعيب في عصر يوم السبت العاشر من ربيع الثاني .

دبّ الذعر في صفوف التهاميين ، وأصابهم الاضطراب لقتل الشريف حمود ، ولسيطرة الشريف علي بن حيدر علي تهامة بعد احتلاله أبا عريش وصبيا ، وأحسَّ الشريف حسن ابن خالد بخطورة الموقف وشعر أنه وقع في خطأ عندما ارتقي والشريف حمود وابنه أحمد السراة وأخلوا تهامة لخصومهم ، ورأي أن من الحكمة أن يهرب الشريف أحمد بن الشريف حمود إلي تهامة علّه ينقذ الوضع ، فافتعل خصومةً معه ؛ أدت إلي رجوع أحمد بن حمود مغاضباً حسن بن خالد ظاهراً ، وانحدر معه من خف من قومه ، وكان ذلك في جمادي الأولي من عام ١٢٣٣ هـ ، وكان هذا آخر عهده بالسراة ، إذ وقع في قبضة ابن عمه علي ابن حيدر الذي سلّمه للأتراك ، وتفرّق من معه ، وعاد بعضهم إلي السراة . أما حسن بن خالد فقعد في أبها وانضم إليه من عاد من جيش أحمد بن حمود ، وأصبح في عداد قادة عسير الذين يشكلون مجلس الشوري ، وعن طريقه تُسيّر البلاد . وأخذ القادة في معاقبة الأفراد الذين بدت منهم مواقف غير طيبة تجاه قبائلهم وبلادهم ، كما اشتغلوا في تهيئة القبائل وإعدادها لمواجهة حملات الأتراك المرتقبة .

وصل إلي الحجاز الأسري الذين أطلق العسيريون سراحهم ، فنقلوا إلي محمد علي باشا أخبار المعارك وما لحقهم فيها من هزائم ؛ فأثار ذلك غضبه ، وأدرك أن حرب عسير لها ضراوة ، وأن رجالها ذوو بأس واستماتة في ردّ من يعتدي ، لذا فقد قرر أن يضاعف جهده ويرسل قوات علي مستوي يؤهلها كسب المعركة ، فأوكل هذه المهمة إلي خليل باشا كما أمر الشريف محمد بن عون بالاشتراك معه ، وألحق بهما سليمان سنجق ، ومكّنه من ذلك أن الدرعية كانت قد سقطت بيد ولده إبراهيم في ٨ ذي القعده ١٢٣٣هـ ، كما أخذ عبدالله بن سعود أسيراً مع عددٍ من أفراد أسرته وأعيان نجد ، وحملوا إلي مصر . وبذا توقفت الوسائل التي كانت دائمة بين الدرعية وأبها . =

(حلي) في سنة ١٢٣٢ خرج الشريف حمود بن محمد الحسيني في سنة ١٢٣٣، واستولي علي بلاد عسير، وأخرج الترك منها، وسار في الناس سيرة حسنةً . وفي شهر ربيع الآخر منها ، توفى الشريف حمود يوم الاثنين في (الملاحة)، ودفن فيها، سنة ١٢٣٤ ودخل الترك بلاد عسير واستولوا عليها في شهر ذي الحجه وفيها دخل الشريف محمد بن عون مع الأتراك، وسكن (طبب)، وانتشر في بلاد عسير الفساد، وفي سنة ١٢٣٧ ظهر أحمد باشا علي عسير في (الملاحة) يوم الثلاثاء لعله السابع عشر من جمادي الآخرة، وهو يوم (زبران)[١] و(ذا مسنون) [٢]. وفي سنة ١٢٣٨ أخرج سعيد ابن مسلط [٣] وبنو

= تحركت حملة محمد علي باشا الكثيفة علي عسير واتخذت طريقاً لها الساحل والسراة والسفوح الشرقية ، ووجهتها إلي أبها ، وتشمل أعداداً كبيرةً من الأتراك والحجازيين والمصريين وطلاب الغنيمة ، ووصلت الأخبار إلي قادة عسير فوزعوا قواتهم إلي أربع مجموعات ، وُجّهت كل واحدة منها إلي جبهة ، واستمر القتال بين الطرفين حتي ٢٣ شعبان من عام ١٢٣٤هـ ، واضطرّ العسيريون في نهايتها إلي استخدام السيوف والمعيرات لانتهاء الذخيرة التي يمتلكونها ، وتمكنت القوات التركية من التمركز في طبب والسقا وأبها ، وانسحب القادة العسيريون إلي الأطوار ، وبقيت سيطرتهم علي كل ما هو خارج المدن . وقد أبدت الجبهة التي فيها سعيد بن مسلط وحسن بن خالد مقاومة عنيفةً ، إذ استمات العسيريون فيها ، وخاصة يوم الخميس ٢٣ شعبان في تلك المعركة التي جرت في سفوح جبل (شكر) الشرقية في (البغث) شمال جبل (ضمك) والتي قتل فيها حسن بن خالد ، ونجا سعيد بن مسلّط الذي التجأ إلي جبل حلوان (تمنية) ، كما قتل من قادة الأتراك سلميان سنجق .

(١) زبران : موقع في بلاد علكم . "وعند ياقوت الحموي" من قري الجند باليمن علي أكمة قريبة من الجند ٣٧٤/٤

(٢) ذا مسنون : موقع في بلاد علكم .

(٣) سعيد بن مسلّط بن مسفر بن عبد الرحمن بن علي من آل يزيد أحد قادة عسير ، ومن =

= الذين قبلوا الدعوة السلفية ، وتأثر بها ، ويعتبر في طليعة علماء آل يزيد ، وأمرائهم البارزين قوةً وشجاعةً ومضاءً ، وكان شديد المعارضة لابن عمه الأمير محمد بن أحمد المتوفي ١٢١٥ في حروبه ضدَّ الدرعية لميله إلي رجالها وقناعته بدعوتها حيث يري في ذلك وحدة للأمة الإسلامية في ظل خلافةٍ واحدةٍ ، وكان يكره التعصب التركي ، أما محمد بن أحمد فكان يري أن ما قام به محمد بن سعود ومحمد بن عبْد الوهاب لم يكن القصد منه إلا مد السلْطان باسْم التجْديد . وقد طعن محمد في السن وقد تجاوز المائة والعشرين ، وتوفي كأحسن ما يكون شباباً وحيويةً كما يقول الحفظي .

ولما قتل الأمير خالد بن مرعي علي يد الجيش النجدي ، واختير سعيد بن مسلّط أميراً لعسير ليواصل قتال النجديين قرر ترك القتال ، وملاينة نجد ثم الانضمام إليها ، وألقي خطبة في جند عسير يشجعهم علي تبني رأيه ، فلم يجد معارضة إلا من إبراهيم بن عبد المتعال فأرسل إلى محمد بن عامر ومن معه من قادة نجد رغبته في إنهاء الحرب وتوحيد الصفّ . وأنه قادم إليه بمن معه ، ارتاح القادة النجديون ، واتجهوا نحوه مستقبلين له ، والتقوا به في وطن آل يزيد بالشعف (شعف راشة) ، وطلب سعيد بن مسلّط منهم الكفّ عن جمع الحلقة وعدم حلق رأس من دخل في الطاعة إذ أن وضع الناس في عسير يختلف عنه فى نجد ، فأهل عسير يسدلون رؤوسهم ، علي حين أنهم في نجد يضفرونها ، وتعهّد بإقناع إبراهيم بن عبْد المتعال ورجال ألمع بالانضمام إليه ، وقد تم ذلك علي يديه ، ولم ينته عام ١٢١٧هـ إلا وعسير من بني الحارث بالطائف إلي صعدة ومن نجران إلي الأفلاج تحت طاعة الدرعية ، والتزم هو وآل يزيد الحياد ، فلم يشارك هو والأمراء من آل يزيد في حروب تهامة والحجاز .

ولما برز محمد بن أحمد المتحمي وجاءته قوات الأتراك وضعف شأنه دعمه سعيد بن مسلّط وأمراء آل يزيد لتبقي عسير متماسكة ، ولما اتجه الأتراك نحو نجد ، وأخذت الدرعية تضعف رأي سعيد بن مسلّط أن تستقلّ عسير عن نجد ليبقي لها كيانها المتميز بها ، وأخذت علي عاتقها الدفاع عن نفسها – كما مرّ آنفاً .

تشجع محمد بن أحمد المتحمي وولده مداوي لإخراج الأتراك من عسير، وسار، بكوكبة =

= من جنودعسير بينما كان سعيد بن مسلّط يعمل للحيلولة دون ذلك والانتظار إلي ما بعد تنظيم الصفوف من جديد ، غير أن المتحمي لم يستمع إلي سعيد ، وانقضّ علي طبب فلم يكتب له النجاح ، وألقي القبض عليه وعلي ولده ، وحُملوا إلي سجن محايل ، ومنه نُقلا إلي مصر عن طريق جدة .

أجمع مجلس الشوري في عسير علي اختيار سعيد بن مسلّط أميراً لهم ، فجمع جموعه واتجه لمحاربة الأتراك ، واستطاع أن يدخل أبها والسقا وطبب ، وفرّ خليل باشا راجعاً إلي الحجاز .

وفي عهد سعيد بن مسلّط ظهرت مجموعة تناوئ سياسته وترى ارتباط عسير بالدولة العثمانية ، وربما كان ذلك لما قاست عسير سراةً وتهامةً من حروبٍ طاحنة أتت علي الكثير من السكان وأتلفت الكثير من الزروع ، وأخافت الآمنين ، وتود الاستقرار ، وكان من بين قادة هذه المجموعة المناوئة محمد بن مسلّط شقيق أمير عسير ، ويلقب بـ (زعبان) ، وسلطان بن درع من مشايخ قبيلة بني مالك ، وعلي بن مشيط من مشايخ شهران ، ومحمد بن سعد بن واكد من مشايخ ناهس ، وعون بن صخيف من آل عثمان من مشايخ بني عمرو من قبيلة آل الشيخ ، وقد عُيّن شيخاً في عام ١٢١٢هـ علي قبيلتي آل الشيخ وعضيدات وكانا آلا عثمان يناهضون آل مناع مشايخ بني عمرو بالوراثة حيث أن أصلهما من قبيلة الجحادر من مذحج ، وسالم بن معيض بن معيش الرزقي شيخ بلقرن ، وناصر بن إبراهيم من آل وهّاس ، وناصر بن محمد الشهابي شيخ خثعم ، وموسي بن سعد القادمي شيخ شمران ، ومانع بن أحمد المتحمي ، ودوسر بن عبد الوهاب المتحمي ، هؤلاء يخذلون قبائل عسير في محاربة الأتراك إذ لا جدوي من مقاومتهم . وأحسّ سعيد بن مسلّط بما بيّته هؤلاء ، وباتصالهم مع بقية قبائل عسير ومن انضمّ إليها في مناوئة الأتراك مثل بني الحارث جنوب الطائف ، وغامد وزهران ، وبني شهر ، وقبائل بيشة ، وعبيدة ، وقحطان ، لذا فقد شدّد وطأته عليهم ، ووضع من يراقبهم ، ولما ضاق بهم الأمر خرجوا إلي مكة وأظهروا ولاءهم للأتراك ، ووعدوا بأنهم سيمهدون لهم الطريق للاستيلاء علي عسير، وأعطوهم قائمة بأسماء قادة عسير =

= الذين يجب إلقاء القبض عليهم إذا تمكنوا من عسير. وشجعت هذه المجموعة والي الحجاز علي مواصلة الحملات علي عسير. ولما كان هؤلاء المنشقون يمثلون بعض شخصيات عسير المرموقة فقد حظوا باهتمام القادة العثمانيين في الحجاز ورأوا وجودهم بجانبهم مع التحفّظ دعماً لهم حيث يمكن استغلالهم ولو دعاية ويعدّ ذلك كسباً لهم لأخذ عناصر جديدة من عسير للانضمام إليهم ، فأغدقوا عليهم الكثير من العطاء، وفسحوا لهم المجال لجذب من يريدون لهم ممن يحمل أراءهم، حيث هم أدري من غيرهم بأبناء منطقتهم ، فشكّلوا منهم حكومة تدين بالولاء للعثمانيين في حالة القضاء علي قادة عسير الحاليين فوضعوا محمد بن مسلّط "زعبان" أميراً لعسير في حالة النجاح ، ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي نائبا له ، ولم يخف علي سعيد بن مسلّط وقادة عسير خطر هذه الفئة ، وما يخطط لهم للنيل من عسير والكيد لها ، فبثّوا بينهم عيوناً لتصل إليهم أخبارهم ، وكان هذا أول انشقاق في عسير يظهر فيه مروق جماعة من أبناء المنطقة تناوئ أهلها بعد خروج محمد بن عامر أبو نقطة وأخيه عبد الوهاب ومن انضمّ إليهما حيث استطاعوا أن يضموا إليهم ما يقارب الألفين . لهذا فقد نشطت حملات العثمانيين فسيروا الحملة تلو الحملة ، وكان الحرب سجالاً بين الطرفين حتي عام ١٢٣٧ هـ حيث كان الترك يستطيعون دخول عسير بالقوة ثم لم يلبثوا أن يخرجوا منها منهزمين، وكان من أشهر قادة العثمانيين في هذه الحروب أحمد باشا ومحمد بن عون قادا أكثر هذه المعارك ، وقد قُتل أخوا محمد بن عون هزاع وراجح بين من ذهب ضحية هذا القتال . وفي عام ١٢٣٨هـ استطاع سعيد بن مسلّط أن يخرج من عسير بعد أن هزم محمد بن عون في وادي عود في بلاد هران وهو رافد لوادي أبها ، وقد أقضت هذه الهزيمة مضجع والي الحجاز أحمد باشا، وأخافت الترك الذين في الحجاز، وإن كانت قد سرّت السكان الذين أرهقتهم محمد بن عون وجند أحمد باشا لذا جهّز أحمد باشا عام ١٢٣٩هـ حملة كثيفة إلي عسير قادها بنفسه، ودعمتهما قوة أخري جاءت من نجد وتمكنت هاتان القوتان من التوغّل في عسير بعد أن كبدهما العسيريون خسائر كبيرة رغم التفوق العددي وكثرة الأسلحة التركية، وضآلة ما في يد العسيريين، فكانت معركتا (زبران) و (ذي مسنون) بالسلاح اليدوي "الذريع" وتمكّن العثمانيون من السيطرة علي عسير ، وإن بقيت مناوشات لا يمكن الاستهانة بها حتي =

مغيد ومن معهم من رجال ألمع رتبة الترك الذين في (طبب) وذلك في جمادي، وفي تلك السنة قتل الشريف راجح، وكان قتله في رجب، انكسر الترك ومن معهم في (بيشة) في ذلك الشهر . وفي سنة ١٢٣٩ ظهر أحمد باشا علي عسير في (الملاحة)، ولجأ سعيد بن مسلط وآل ناجح إلي الطور ، ثم غلب

= شهر شعبان من العام نفسه، ثم تشجّعت القبائل وانقضت علي الترك واستطاعت إخراجهم من بلادها ، فتجمّعوا في طبب التي لم تلبث أن طُوّقت ، ثم استسلمت صلحاً ، وتمّ ترحيل الترك منها عن طريق القنفذة تحت حماية أهل عسير ، فلم تمسّ بأذي .

ولكن عاد العثمانيون للتفكير بالعودة إلي عسير رغم أنف أهلها ، فقامت حملة بقيادة محمد عون عام ١٢٤٠هـ ، ولكنها هُزمت قبل أن تدخل المنطقة ، وكررت الرجوع فلم تنجح ، وجري صلح بين الطرفين حتي عام ١٢٤٢هـ ، وفي هذا العام توفي سعيد بن مسلّط بعد أن أمضي أيام إمارته كلها في مقاومة الترك وردّهم عن بلاده ، وهذا ما جعل للمنطقة أهمية كبري في نظر المسؤولين ، كما أنه قلل من هيبة الدولة العثمانية التي مُنيت بهزائم متكررة هناك .

لم تخضع عسير في يوم من الأيام لشرافة مكة وولاتها ، ولكن محمد بن عون كان يصرّ في إخضاعها له فجرّ علي رعيته الويلات ، وكادت تطحنه مع الذين سحقتهم تلك الحروب التي أشعلها ؛ وأدرك في نهاية الأمر فشل خطته ، واقتنع بأن اقتحام عسير وضمها للحجاز بأية قوة أمر مستحيل ، فكان إذا كُلّف من ولاة الحجاز بقيادة حملة جديدة حاول التهرّب من ذلك والتعلل بشتي العلل ، فإن أرغم جنح للصلح ، وظهر ذلك في كتاباته التي كان يرسلها سراً إلي سعيد بن مسلّط ، وعلي بن مجثّل ، وعائض بن مرعي ، وأن بقاءه في السلطة مناط برضي الدولة العثمانيه عليه ، لذا فهو مضطر أن يعمل تحت إرادتها .

امتدت إمارة سعيد بن مسلّط من منازل بني الحارث جنوب الطائف شمالاً حتي بلاد همدان جنوباً ، وشملت أيضا مناطق نجران، وصعدة ، والوادي ، والأفلاج ، وبيشة ، كما ضمّت تهامة من القنفذة إلي الحديدة وكان أميره عليها علي بن حيدر ، ومحمد بن حسن بن خالد . وقد تطرق إلي أيامه بالتفصيل الشيخ إسماعيل الحفظي ، وعدد من مؤرخي المنطقة واليمن . =

عليهم الترك يوم الثلاثاء ١٦ رجب فخرج سعيد بن مسلط يوم الثلاثاء ٣ شعبان، واستمد له عسير وحاصر ابن عون، فتصالح الشريف وسعيد ، وخرج ابن عون الرتبه يوم ٢٦ من التاريخ المذكور حتي دخلت سنة ١٢٤٢ توفي الأمير سعيد بن مسلط في آخر صفر، وكانت مدة إمارته ثلاث سنوات ونصف، وقام بالأمر بعده أخوه وابن عمه علي بن مجثّل[1] في تلك السنة المذكورة ، ووقع له في إمارته حروب وغزوات هايلات علي

(١) علي بن مجثّل بن مسفر بن عبد الرحمن ، ابن عم سعيد بن مسلّط ، وأخوه لأمه . أختير بالإجماع من قبل مجلس الشوري أميراً لعسير بعد وفاة سلفه .

وقد مهّد له سعيد بن مسلّط الطريق فخفّت في عهده حملات الأتراك ومطامعهم التي سخّروا لها شراقة مكة . وعادت الحالة التجارية إلي عدوتي البحر الأحمر ، ووصلت إلي موانئه مراكب الهند .

بقيت إمارة عسير تشمل المناطق التي كانت أيام سعيد بن مسلط عدا محاولات قامت بها أئمة صنعاء لمدّ نفوذهم إلي بعض الجهات التهامية . وفي عهد علي بن مجثّل أصبحت مدينة (المخا) أهم موانئ البلاد ، وجعل عليها " تركش بلماز " غير أنه أساء التصرف فأرسل إليه من يقبض عليه ففر إلي عمان في أحد المراكب ، ولاحقه احد المراكب للقبض عليه بأمر من علي بن مجثّل ، فأدركه وقد دخل في بحر العرب فحدثت معركة بحرية انتهت بقتل أكثر رجاله وفراره إلي البصرة .

استنجد تركي بن عبد الله آل سعود بعلي بن مجثّل لدعمه في قتال الأتراك والموالين لهم من أسرته ومن أهل نجد عامةً فوجّه إليه جيشاً من تهامة حيث كانت قواته هناك تنازل الأتراك ومن انضم إليهم من الحجازيين بقيادة الأشراف ، فأخذ جزءاً منه كان أغلبه من قحطان (عبيدة) غير أن هذه القوة لم تتحرك لوفاة ابن مجثّل في ١٢ شوال ١٢٤٩هـ . وكان انطلاقه في عهد خلفه عايض بن مرعي الذي أمضي ما أوصي به سلفه . =

أهل (عبس) وشاطرهم أموالهم، وصالحهم ، والغزوات الأولي في جهات (أبي عريش) و (وادعة) و (دوغان) و (حباطة بيش) ، وعلي أهل القهر ، والصهاليل ، والغزوات الثانية علي أهل (أبي عريش) ، ورتب أهل عسير في (نار النصر) ، وغزوات (المخا) و (الحديدة) (وزبيد) ؟ وهي آخر غزواته في سنة ١٢٤٩هـ ، ثم رجع الأمير علي بن مجثّل من غزوته تلك ولزمه مرض الموت في أثناء الطريق فحمل علي النعش إلي داره ، وكان وصوله في منتصف رمضان ، وتوفي رحمه الله ثاني عشر من شهر ١٢٤٩ ومدة إمارته ست سنين ونصف السنة ، وعهد بالأمر بعده إلي الإمام الضرغام عايض بن مرعى (١) فقام به أتم قيام ،

---

(١) لما أصاب المرض علي بن مجثل ، وهو في تهامة ، وحمل إلي السراة ، واشتد به المرض ، اجتمع مجلس الشورى واختار عائض بن مرعي أميراً للبلاد بترشيح من علي بن مجثّل ، حيث كان عائض بن مرعي من أقرب الرجالات إليه ، وكان يبعثه في المهمات الصعبة ، ومنها المفاوضات مع الأتراك ، وقيادة الجيوش ، وقمع الفتن ، كما كان له من الصفات ما يؤهله لاستلام الأمر ، وكان أخوه يحيي أكبر منه إلا أنه لا يرغب بالإمرة فهو مشغول بالعلم والمدارسة .

ولد عائض بن مرعي بعد مقتل أبيه مرعي في أواخر عام ١٢١٣هـ ، واحتضنه الأمير محمد بن أحمد اليزيدي مع أخويه يحيي وخالد في بيت الإمارة ، فلما قتل الأمير محمد بن أحمد عام ١٢١٥هـ انتقل أبناء مرعي إلي رعاية الأمير سعيد بن مسلّط ، فنشأ في بيت الإمارة ، وفي جو مليء بالأحداث والحروب فشبّ علي فكرة القتال ، ومنازلة الأعداء والعمل علي الاستقلال .

يُعد عائض بن مرعي من المخضرمين الذين عاصروا عهد نفوذ آل سعود علي المنطقة والذي دام ١٢١٧ - ١٢٣٣ هـ ، والعهد الذي جاء بعده حيث أخذت الشخصية العسيرية =

= تتميز عن غيرها ، وتعود لها مكانتها التي فقدتها عدة سنوات ، وهي المرة الأولي التي تخلّي فيها آل يزيد عن السلطة في عسير منذ أن قامت دولتهم بعد زوال دولة بني أمية في دمشق عام ١٣٢هـ .

كان أول ما واجه عائض بن مرعي من مشكلات وحروب :

١ – انتفاض علي بن حيدر والي علي بن مجثل علي أبي عريش ، فقد هاجم جيزان لإخراج محمد بن حسن بن خالد الحازمي منها ، وفي الوقت نفسه راسل الأتراك لدعمه والعمل معاً ضد ابن مرعي ، بعد أن استولي علي صبيا ، إذ جاءته قوة من الترك فتوسعت أطماعه ، ورغب في الاستقلال كإعادة لإمارة آل الخيرات .

٢ – محاولة الأتراك طرد حامية عسير في (عدن) و (المخا) والطائف .

٣ – تحرك الأتراك من الحجاز بقوات ضخمة من الحجاز ، لخنق هذه الإمارة من البداية قبل أن يقوي أمرها ، وكان محمد بن عون أحد هؤلاء القادة ، وكذلك دوسري بن عبد الوهاب المتحمي ، وقد زحفت هذه القوات نحو عسير في شهر صفر من عام ١٢٥٠ ، واتجهت نحو بيشة ، فأسرع عائض بن مرعي إليها واصطدم معها ، ولكنه هزم بعد مقاومة عنيفة ، واتجه محمد بن عون نحو أبها واستقرّ فيها ، علي حين استقرّ دوسري بن عبد الوهاب في (طبب) والتفّ حوله سكانها بنو حسن ، وأثناء سير هذه الحملة كانت حملة أخري قد جاءت عن طريق الساحل إذ سارت من القنفذة واحتلّت محايل ، وخلي ، والشعبين ، وارتقت السراة ، أما عائض بن مرعي فقد جعل من (السقا) معقلاً له ، ولم يلبث أن انقضّ علي خصومه ، وتمكن من إخراجهم من (أبها) و (طبب) ، غير أن أعداداً من الأتراك قد تحصّن في (باجة تنومة) في بلاد بني شهر ، كما رابطت قوات منهم في (القنفذة) .

وسارت قوة تركية أيضا من جدة عبر البحر الأحمر لمداهمة حامتي عسير في (المخا) و (الحديدة) ، حيث خرج منهما والياهما داود بن عبد الوهاب الطاهري الأموي الذي اتجه إلي عدن حيث انضم إلي رتبة عسير هناك ، ومحمد بن مفرح المغيدي الذي جاء إلي أبها ، وقد تركا إمارتيهما صلحاً .

٤ – انتهز والي صنعاء عبدالله بن علي فرصة مهاجمة الأتراك لعسير ، وأرسل حملة لضمّ (صعدة) إليه ، حيث كان يرابط فيها الشريف " أبو نيبه " من قبل الأمير عائض ، والذي جاءه دعم أيضا من نجران .

=٥ – انتقاض محسن بن عباس بقبائل سنحان الجنوب وهمدان .

٦ – انتقاض ابن مقيت بيبني جماعة وتحريضهم لعلي بن عبدالله المنصور باحتلال صنعاء وطرد حامية عسير منها .

٧ – محاولة خروج محمد بن علي المكرمي اليامي علي ابن عمه بضمّ نجران إلي حراز واستقلاله بهما . ولكن لم تمض إلا مدة يسيرة حتي استطاع عائض بن مرعي أن يستعيد سلطانه علي كل ما فقده ، ولم ينته شهر شعبان حتي هزم الأتراك ، بل وأرسل قوةً من (سنحان) و (يام) و (وادعه) لاحتلال صنعاء وضمها إلي عسير ، وأرسل قوةً أخري بقيادة "أحمد بن ضيعان " و " فيحان بن سعد بن سلطان آل قويد " إلي الوادي والأفلاج لإخراج الأتراك منها .

ونفذ الأمير عائض وصية سلفه علي بن مجثّل بإرسال قوة إلي نجد لدعم تركي بن عبدالله ، فسارت تلك القوة فما أن وصلت حتي كان تركي قد قضي نحبه ، فانضمت إلي ولده فيصل بن تركي الذي خلف أباه ، وقد رابطت هذه القوة في الخروج حتي يصل فيصل بن تركي إليها إذ كان يقاتل في الأحساء ، فلما وصل إليه خبرها ، طلب منها البقاء في الخرج واتجه إليها ، وكانت هذه بقيادة يحيي بن مرعي ، ومحمد بن علي بن مجثّل .

ووجّه قوة اخري إلي أهل القصيم لمساعدتهم وبناء علي طلبهم ، وتألفت هذه القوة من قبائل (بيشة) و (سبيع) و (البقوم) وكانت إمرتها لـ " عجب بن عقاب آل محيا الروقي " .

ولما وصلت فلول الأتراك المهزومين، ومن معهم من رجال الحجاز، إلي مكة، وتحدثوا عما لحقهم من هزائم ، وما جرّ عليهم من ويلات ، وما أصابهم من مرارةٍ أثار ذلك غضب إبراهيم باشا بن محمد علي باشا سيد الجزيرة يومذاك ، ولم يجد بداً من إعادة تسيير الحملات إلي عسير ، فسار بنفسه علي رأس قوةٍ ضخمةٍ لم تعرف عسير مثله قبل هذا التاريخ، وقد جاءوا من كل جهة عن طريق تهامة ، وعن طريق السراة ، وعن طريق بيشة، وكان من قادتهم محمد بن عون وبوسري بن عبدالوهاب المتحمي، ومانع =

= المتحمي . ولما وصلت أخبار سير هذه القوات وجّه إليهم الأمير عائض بن مرعي قوات تتصدّي لهم ، فجعل غامد وزهران وبني الحارث بقيادة علي بن عبدالله بن هجال الغامدي ، وعبدالله بن رقوش الزهراني ، وفلاح بن غزيل الحارثي في وجه الشريف محمد بن عون ، وجعل رجال ألمع ، وبني زيد ، وبني هلال ، وبني بارق ، وعشائر من كنانة ، في وجه إبراهيم باشا ودوسري بن عبد الوهاب اللذين جاءا عن طريق تهامة ، وجعل سبيعاً ، وبني سلول ، وبني المحلف ، ومعاوية ، وبني أكلب وبني الحارث بن عجل من قبائل وادي ترج بأعلي ببيشة ، وبني عامر من البقوم ، وبني واهب ، في وجه عمر باشا بقواته التي ترابط في الطائف ، ومانع المتحمي ، وقد سارت هذه الحملة باتجاه بيشة عن طريق (تربة) و (الخرمة) . وجعل سكان الوادي في الأفلاج وعبيدة في واجهة الأتراك إن جاءوا عن طريق نجد وفشلت مقاومة فيصل بن تركي لهم . وجعل قوة من يام وسنحان وهمدان ووادعة ترابط في صعدة .

زحفت هذه القوات كل من جهتها في شهر شوال من عام ١٢٥٠هـ ولم تخف أخبار هذه التحركات عن الأمير عائض ، كان محمد بن عون خائفا من هذه الحملات ، إذ لم ير فيها نتيجة حيث لا يمكن أن يؤدي إلي الاستيلاء علي منطقة يستميت أهلها في الدفاع عنها ، ويخشي أن يقول هذا بصراحةٍ خوفاً من أن يُنحّي عن شرافة مكة وتعطي إلي يحيي بن سرور بن غالب ، وكذلك لا يمكن أن ينسي نفسه فيخاف من التهلكة في هذه الحملات المتكررة ، فإن نجا من واحدة قد لا ينجو من الأخري .

لم يسلك محمد بن عون طريق السراة ، وإنما سار نحو (تربة) ومنها تبطّن أودية (أوراخ) حتي ارتقي السراة من الشرق ، وتمكّن بعد مقاومة من التمركز في (الظفير) ، ومنها سار نحو أبها بعد معارك خاضها في بلاد خثعم ، وشمران ، وبلقرن ، وبني عمرو ، وبني شهر ، (رجال الحجر) ثم سار إلي (السقا) .

وانطلق إبراهيم باشا ودوسري نحو محايل ، ووصلا إلي (الشعبين) حيث جرت هناك معارك عنيفة ، ومنها انطلقت إلي (السقا) ، وكان إبراهيم باشا قد بعث بقوة إلي (درب بني شعبة) لمساعدة علي بن حيدر ، ولترتقى السراة عن طريق عقبة (ضلع) برجال =

= تهامة ، ولكن هذه القوة قد هزمت إذ وقفت في وجهها بنو زيد ، وبنو ربيعة ، وبنو نمار ، وبنو حبيب ، وكانوا بقيادة يحيي بن طامي بن شعيب المتحمي . أما بقية الحملات فقد التقت كلها في (السقا) في ١٢٥١هـ. وكان هذا التقدم التركي نتيجة خذلان ربيعة ورفيدة لعسير ، ووقوفها مع إبراهيم باشا إذ دعاها دوسري بن عبد الوهاب المتحمي لذلك فاستجابت له ، فنالت جزاءها ، إذ رأي الأتراك أن انضمامها إلي دوسري لم يكن عن رغبة وإنما للوثوب علي الحامية إذ نمي إلي قادة الأتراك أن انضمام هاتين القبيلتين إليهم إنما كان بإيعاز من يحيي بن طامي بن شعيب للانقضاض عليهم في حالة نشوب المعارك والقبض علي المتاحمة ومن كان معهم ممن كان في ركاب الأتراك .

ثم استطاع عائض بن مرعي إخراج الأتراك من عسير ، وفي عام ١٢٥٥هـ ،اضطرّ المصريون للانسحاب من جزيرة العرب كلها بعد معاهدة (لندن) . وبقي الأتراك وحدهم في الحجاز ونجد ، وتكررت الحملات التركية من الحجاز إلي عسير ، وكلها باءت بالفشل ، وكان من أهمها ما حدث عام ١٢٥٠هـ التي كانت تقضي علي مكانة آل يزيد إذ تمركز الأتراك في (ريدة) و (الحفير) و (السقا) و (كسان) و (الشعبين) و (العزيزة) ، (أبها) و (ذهبان) ولجأ الأمير عائض إلي جبال (السودة) بمن معه .

طلب الأتراك من عائض بن مرعي الاستسلام ، وضمنوا له الأمان وعلي أن يكون عاملاً لهم ويُعطي رتبة الباشوية ، ويرتبط باستانبول ، فأبي عليهم وصمم علي الحرب ، وبلغ الأمير عائض أن الجنود الأتراك طلبوا من بعض القري أن ترسل لهم بعض النساء يتولين خدماتهم ، فأشاع عائض الخبر بين رجال القبائل فأثار ذلك حميتهم فتضافرت جهودهم ، والتفّوا حول أميرهم بعد أن بلغتهم رسالته الآتيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عائض بن مرعي إلي كافة إخوانه المسلمين . إني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم علي نبينا محمد وبعد :

إننا قد أجهدنا أنفسنا لمقاومة هؤلاء الغزاة بما لدينا من قوات ، وإن منازلة هؤلاء البغاة بين الوقت والآخر لم يكن أمراً سهلاً إذ يملكون – كما تعلمون – العدد والعدة بما لا يقاس=

= مع ما نقاتلهم به شيئاً ، وإنا قد وقعنا في حرب معهم لها ضراوتها وشراستها ، ولا يسعنا أمامها إلا الصبر وطلب العون من الله تعالي .

نحن نقاتلهم للدفاع عن أرضنا وليس معني ذلك أننا خرجنا عن الخلافة ، فنحن الذين يحافظون علي قوتها وبقائها ، وإن في قوتها عزاً للإسلام والمسلمين ودفعاً لغائلة النصاري الذين يتربصون بنا الدوائر ، ويسعون في فصل العرب عن بقية المسلمين . وتعلمون أن الإسلام هو رابطتنا بهم ، وهو فوق الأخوة والقرابة لقوله عز وجل : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ . ولقوله صلي الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمي " .

وإن ما يحدث بين المسلمين اليوم من بغي بعضهم علي بعض لم يكن إلاّ لبعدهم عن الإسلام يقول الله عز وجل : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علي الأخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفيء إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾ .

وإنما يحدث هذا البغي بسبب الخلاف في الاجتهاد فكل منهم يري أنه فيها علي حق فتراق الدماء – والله يعلم بماتخفي الصدور .

إن ولاة الأمر بين المسلمين عامة قد يكون حولهم من يُزيِّن لهم الباطل فيدفعهم به إلي تحقيق مآربة فينطلقون .

وما نحن فيه من حرب مع هؤلاء إنما هو من هذا القبيل فنحن – كما تعلمون – مُقيَّدون بآداب الإسلام وتعاليمه ، لا نُجهز علي جريح ، ولا نُطارد فاراً ، ومن استسلم منهم طواعية أعطيناه حق المسلم للمسلم ، فحفظنا له حرمته وأبلغناه مأمنه علي أحسن ما يكون ، أما أسيرهم حين يقع في أيدينا فإننا نعامله أيضاً أحسن معاملة فلا نلحقه هواناً ، وإنما نبقيه كضيفٍ عندنا مكرّماً حتي تضع الحرب أوزارها بيننا وبينهم إما بالصلح وإما بالنصر ، وفي كلتا الحالتين لا نرضي له هواناً بل نعيده مُعزّزاً . =

= غير أنهم لا يعاملون أسرانا ، وما يقع منا بأيديهم بهذه الصورة ، وإنما يتباهون بما ينال منهم من أذي لذا كنا نتجنب أن يقع أحد من قواتنا في أيديهم . وإن الأسري الذين احتجزوا منكم في جدة فقد خاطبنا والي الحجاز أن يرفق بهم ، وأعلمناه أن أي أذى يلحق بهم فسوف يرفع منا بالقوة .

وإن دخول قوتنا في مطلع هذا العام مكة شرّفها الله لم نكن نريد من ورائه إدخال الحجاز في ولايتنا ، وإنما لنعلمهم إننا قادرون علي الوصول إلي المكان الذي نريد ، وهم يدركون ذلك . فإننا إذا اتجهنا إلي اليمن لإنقاذ أهله مما يعانون من ظلم هؤلاء جاءوا إلينا من الطائف لإشغالنا ، وإذا اتجهنا شمالاً انطلقوا إلينا من الجنوب . وهكذا في بقية الاتجاهات فما ننتهي من حرب إلا وندخل أخري .

كم من جيش ساقوه نحونا في محاولة منهم للهيمنة علينا ولجعل بلادنا تحت ولاة ليسوا بأحسن حالاً من ولاتهم في الحجار واليمن ونجد . وإن بلادنا لم تخضع في يوم من الأيام لطامع في السيطرة عليها .

يجب علينا أن نكون قوة واحدة نحمي الذمار ، فمن شاء منكم أن ينضمّ إلينا وليعلم أنه ليس أمامه إلا الموت فأهلاً فنحن وإياه قوة واحدة . ومن رغب أن يخنع ويخلد إلي الراحة فهو وشأنه وليتحمّل أهله تبعة تخاذله إن جاء العدو . فأجمعوا أمركم ، وشدّوا عزمكم ، ودافعوا عن بلادكم . وإن طلبهم هذا الذي تعرفونه قد ألحق بهم الهزيمة ، وقد مكّنّا من مطارحهم حتي نالوا مصارعهم .

وما النصر إلا من عند الله .

الملك لله

٢٨ المحرم ١٢٥١هـ   وعايض عبده

وكان قد عمل علي ضرب الأتراك بحيلة ، إذ اختار ثلاثمائة من الشباب الأشداء ، وألبسهم زي النساء ، وأرسلهم إلي الأتراك في (السقا) بعد أن أخبرهم بموافقته علي طلبهم . وسار الشباب إلي السقا فاستقبلهم الأتراك علي أنهم نساء وما أن أرادوا ما أرادوا =

وأصلح الأنام ، ونوّر الظلام، وأزال القتام، وصارت في إمارته الليالي والأيام في وافر الإنعام ، وحصول الرحمات العظام ، ونزول البركات الجسام ، ووقع له في ملكه غزوات وملاحم هايلات عظيمات ، أولها غزوات أبي عريش ، وما وقع في ضمنها ، ومن بعد في سنة ١٢٥٠ في شهر صفر توجهت الأتراك إلي بلاد عسير في عساكر قوية وفيهم ابن عون ، ودوسري ، وكان مجيئهم في طريق بيشة ، فلما وصلوا بلاد شهران التقوا هم وعسير بعتود في الرابع عشر من ربيع الآخر ، فما هو إلا أن استوي الصفان حتي انكسرت عسير ورجع الأمير عايض إلي (السقا) ، ونزلت الأتراك بأبها ، ونزل دوسري بـ (طبب) ، ثم إن النصر تراجع لعايض ومن معه ، فحاصروا العدو حصارا شديداً يطول ذكره ، وكان منتهاه انتقالهم من أبها وهم صاغرون ، وكان مقرهم (تنومة) ، وبنوا لهم في (تنومة (١) ثغراً . وفي هذه السنة أعني سنة ١٢٥٠ توجهت الأتراك إلي بلاد عسير بما أعجبوا به من الكثرة

= حتي امتشق الشباب سيوفهم المخبأة تحت الثياب ، والترك عزل من السلاح ، فعمل الشباب بخصومهم قتلاً ، حتي أفنوا الذين أمامهم ، في الوقت نفسه هاجمت القبائل مراكز الترك المذكورة بعنف وترامت الأخبار من كل جانب تقض من مضاجع الأتراك حتي ضعف معنوياتهم ، وانهارت أعصابهم ، فقُتل من قتل ، وفرّ هارباً من نجا ، وجلا الأتراك عن عسير .

(١) بقوا مرابطين فيه حتي منتصف شهر ربيع الثاني حيث ارتحلوا بموجب الصلح . وقد وجه الأمير عائض كتاباً إلي والي مصر محمد علي باشا جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عائض بن مرعي إلي والي مصر والحجار محمد علي باشا

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا للإسلام ، وجعلنا من جند هذا الدين ، والصلاة والسلام =

رتفرّقت بهم الطرق تفاخراً وتكاثراً فمنهم من أخذ علي بلاد شهران ،

= علي رسول الله ، وعلي آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فنحن وإياكم مسلمون ، وإن القتال بيننا لا يقره الشرع ، وإنما فرض الجهاد علي الذين يقفون في وجه هذا الدين الحنيف ، فالإسلام يدعو الشعوب غير المسلمة بالتي هي أحسن ، فما بالكم تسوقون إلينا الجيوش لقتالنا وتحسنون ذلك للخليفة ، لتكون كالنار يأكل بعضنا بعضاً ، ويدفعكم أعداء الإسلام إلي ذلك لينفذوا نواياهم ضد الإسلام والمسلمين من العداء ، وسوف تتحملون وزر ذلك يوم القيامة حيث إننا وإياكم تشملنا الخلافة الإسلامية ، ولستم أقرب إليها منا .

كم نتمنّي أن تتركونا وشأننا حتي تتوحد قوات المسلمين لتقف في وجه النصاري الطامعين في بلادنا ، الحاقدين علي ديننا . وأنت تعلم أنهم يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ويسعون لإضعافهم ، ولا يتأتّي ذلك لهم إلا بالإحاطة بمركز الخلافة ، وتمزيق وحدة المسلمين وحينئذٍ تقع البلدان الإسلامية في حوزتهم الواحدة بعد الأخري ، وتتمّ سيطرتهم علي المسلمين فيضربون عندها ضربتهم .

وإن عدم التساهل في صدّ عدوانهم واجب ، وإحباط مؤامرتهم لما يفرضه الإسلام علي أبنائه ، وإن بيننا عيوناً لهم مندسين يعملون للتفرقة ويخططون للوقيعة . وربما كانت بعض الرؤوس قد اتجهت نحوهم لتنال مكانةً عندهم ، ويُمهدّون لهم .

يجب علينا أن ندع الحرب جانباً فقد سبّبت إراقة دماء المسلمين وترويعهم وإشغال بعضهم ببعض ، وعلينا أن نتوجّه إلي الأعداء ونلتفّ حول الخلافة ونتصح لها . وعسي ما حدق من حروب بيننا أن يكون ذلك رادعاً لنا جميعاً.

ولما كانت صلتكم بدار الخلافة قوية فهي تُمكنكم من أداء النصح لها بما يفرضه الإسلام عليك ، فتكون سبباً في كفّ سوق هذه الجيوش إلينا .

ولقد كتبت للخليفة محمود الثاني أكثر من كتاب من باب النصح ، وأبرأت فيها ذمتي ، ولكن لم نجد أذناً صاغيةً ، فلعل مما ترفعونه إليه بما نتحدث فيه يلقي قبولاً لديه فتكسبون بذلك الأجر ، وتتصرفون إلي الإصلاح بما فيه خير الإسلام والمسلمين .

= وإن عظم عليكم هذا المسلك فإنا سنداقع عن بلادنا ممن أراد بها سوءاً . وإن ما يُريده جنودكم من أهالي بلادنا من تلك القري التي وقعت في أيديهم ليسوءنا علمه ، وإن تفلح جيوش نبذت بينها وسارت في طريق الغي .

١ - كفّوا عن البغّي إن البغيّ خصمكم	والبغي يطغي علي الباغي ويصرعه
٢ - وَلَحّ إذا كنتُم أصحاب معركةٍ	هنا الصراع وفيه الخصم نصدعه
٣ - فنوّنما حكّتُم في النفس ملحمة	في الخافقين لها رجع ومنتجعه
٤ - بالأمس أسيافنا سلّت لتحرسه	واليوم تبغون أن تنزاح أقنعه
٥ - سيوف أسلافنا أردت جدودكم	عادت وفي كفّنا للحقّ تمنعه
٦ - دماؤنا في سبيل الدين نبذلها	ذدنا عن العرض كي يعتزّ برقعه
٧ - جُرتم علي العرب هبّوا واستغاثوا بنا	فنحن نحمي الحمي والخصم نقمعه
٨ - لا تحسبوا نصركم عقبي تراضينا	غداً يبين لكم في الساح نزعه
٩ - فطمئن الخود : لا تخشين منقصةً	الأزد في الدار يحمي الدار أشجعه
١٠ - غداً من الحزّ تاتيكم فوارسه	لضرب باغٍ فتُخزي منه أربعه
١١ - ولّشن وافرحن لن تلقين مظلمةً	فالطور بالنصر تزهو فيه أربعه
١٢ - أنفاس أهل الهدي من هاهنا أبداً	إن نابهم منكر تقوي وترفعه
١٣ - فصابروا يأتكم ما توعدون به	ورابطوا يتولي الخير أجمعه
١٤ - إذا تخاذلتم تخبو رياحكم	وقد تجئ مع السيدان أضيعه
١٥ - شدوا العزائم وارجوا النصر يأتكم	فالله يكتبه والله يودعه

ومنهم من جاء من (الخسعة) [1] ، ومنهم من حط (درب بني شعبة) ، وأما ابن عون فأخذ طريق الحجاز حتي وصل إلي (السقا) ، وأما دوسري وإبراهيم باشا فجاءا من الساحل حتي وصلوا إلي الشعبين ، ووقع في أثناء سير الفريقين حروب يطول ذكرها وكان وصولهم إلي (السقا) و (محايل في) شهر ذي الحجة ، وفي آخره حرقوا (قنا) ثم إن رجال ألمع خندقوا في أسفل وادي (حلي) ، ورابطوا عنده وعليه تعاهدوا ، فلما أتاهم العدو هربوا وخلفوا ما وعدوا ، وكان ذلك في أواخر محرم الحرام . وفي سنة ١٢٥١ حطوا (الشعبين) وبعده ثاني شهر صفر كان أول النصر لعايض باستحرار القتل في الأتراك الذين طرحوا (السقا) ، واثخنت فيهم سرية ذلك اليوم أسراً وقتلاً ، وذلك بجهة (جر العزيزه) ثم بعد ذلك بأيام أسر ألمع اليمن

---

١٦ - فقوم داود لم يخصوا عدوّهم والله ينصر من بالدين يتبعه

١٧ - وصحب أحمد ما خانوا وما جبنوا من جمع ما جمعوا فالله يدفعه

١٨ - فلهم لنا قدوة نمضي بإثرهم لنصرة الحق كي يعتز مهيعه

والله يتولانا ويتولاكم

١٥ صفر ١٢٥١هـ

الملك لله

وعائض عبده

(١) الخسعة : ميناء بين (البرك) و (القحمة)

بـ (المزار) ربيعة ورفيدة ، وهم حينئذٍ مع الترك عوناً لهم . ويوم الأربعاء اليوم الثاني لأسرهم توجهت فئة من الترك وأعوانهم إلي جهة (القويد) ومثلهم إلي جهة (كسان) ، فانهزم الجميع ولم يرجع منهم إلا المسلوب ، ويوم الخميس هزموا في (الشعبين) ، ويوم الجمعه هربوا من السواة ومن (محايل) ، ولم يأت يوم الاثنين إلا وقد غنمت جميع مطارحهم السبعة ،وقد انهزموا كلهم والحمدالله رب العالمين[1]. ولم يزل الأمير عايض مستمراً في غزواته سالكاً سبل إنصافه بعدالته إلي وقت مغز الجبانة سنة ١٢٧٢[2] وهو مغزي أبو عريش فملكه

(١) وكان قد تم الصلح بينهم وبين الأمير عائض وبين الأمير بعد أن لحقت بهم الهزائم ، وبموجب ذلك الصلح رحلوا عن عسير سراة وتهامة . وكان يمثل عسير في هذا الصلح الأمير يحيي بن مرعي شقيق أمير البلاد وغرم العسبلي ، وعلي الحفظي

(٢) بقي عائض بن مرعي في صراع مع الأتراك لحصرهم في الحجاز وإخراجهم من عليها من شمالي عسير وتهامة ، واستمر ذلك حتي عام ١٢٥٩ هـ حيث حقق ما يريد ، واتجه بعدها إلي (باقم) فأخضعها مع (همدان) واسترجع ما كان قد خرج عن طاعته مما كان يخضع لعلي بن مجثّل حتي وصل إلي (صنعاء) و (تعز) وقضي علي المناوئين له ، وطرد عنهما السيد علي بن عبدالله بن علي ، وعيّن مكانه السيد محمد بن يحيي بن علي ، ولكن علي بن عبدالله عاد فانقض علي محمد بن يحيي وطرده وذلك بعد عودة جيوش عائض بن مرعي إلي عسير .

وصلت الأخبار إلي عائض بن مرعي عن طريق موفد محمد بن يحيي الذي استقر بمن معه في (مختارة) فكتب عائض بن مرعي إلي الحسن بن علي بن حيدر الخيراتي ليمد محمد بن يحيي بقوة لطرد علي بن عبدالله . كما كتب إلي محسن بن عباس بالتحرك من جهته إلي صنعاء بقبائل وادعه وسنحان الجنوب ، كما كتب إلي ناصر بن شديدة اليعلوي شيخ عامة عبيدة براد بأن ينضم إليه ، وأرسل سرية من عسير بإمرة محمد بن ضبعان لتعزيز موقف أعوانه وتمكنت من الوصول إلي تعز حيث استقرت هناك بينما استقر محسن بن عباس مع قبائله في (شهارة) ، وبقيت الحروب مناوشة مع علي بن عبدالله . =

الأمير عايض ، وعاهده الأشراف أولاد الحسين والحسن بن محمد وآل حيدر بآخرهم ، وروح معه من الأشراف ثلاثة : الحسن

= وصلت إلي محمد بن يحيي قوات الحسين بن علي كما وصلت إليه من علي حميدة والي (مور) و (حرض) و (ميدي) وقوات آخري من (المخا) و (زبيد) و (الحديدة) بقيادة سليمان بن طاهر الطاهري الأموي ، فسار بما تجمّع إليه من قوات نحو صنعاء ، واستطاع أن يدخلها ، وأن يُخرج منها علي بن عبدالله ، واستقل بها ، وأراد أن يحكمها منفصلا عن عائض بن مرعي ، فدعا الناس إلي بيعته . بل فكر في التخلّص من عائض ابن مرعي وواليه علي تهامة الحسن بن علي ، فأغري ولاة عسير علي (صعدة) و (حراز) و (باقم) و (همدان) فلم يسايره أحد منهم بل بلغوا أميرهم عائض بن مرعي .

كان السيد علي بن عبدالله القاسمي عند عائض بن مرعي مع بعض وجهاء آل بيته عندما بلغه خبر فعلة محمد بن يحيي ، فكلم الأمير عائض بنمرعي ضيفه بالعودة إلي حكم صنعاء علي شروط اتفقا عليها ذكرها إسماعيل الحفظي في تاريخه ، من أهمها تطبيق الشريعة ، وعدم التعرّض لأتباع المذهب الشافعي ، وفسح المجال لعلمائهم بالوعظ والإرشاد والتدريس ، وأن يكون مرتبطا بإمارة عسير .

هاجم محمد بن يحيي والي تهامة الحسين بن علي وقبل نشوب القتال بلغه إرسال عائض ابن مرعي لعلي بن عبدالله والياً علي صنعاء في الوقت الذي كان فيه محمد يحيي علي تخوم تهامة يريد الحرب ففتّ ذلك في عضده لعزله عن صنعاء غير أنه لم ير بدا من متابعة سيره ، وأخذ تهامة ، وجري القتال بين محمد بن يحيي والحسين بن علي ، وتمكن ابن يحيي من أخذ الحسين أسيراً ، وألقاه في السجن ولكنه تمكن من الفرار من حبسه والالتحاق بالأتراك ، ثم طلب منهم إعطاءه قوة يقاتل بها قوات عائض بن مرعي .

استطاع الحسين بن علي أن يجرّ الأتراك بقيادة توفيق باشا ومحمد بن عون إلي تهامه ، وتسليمهم إياها علي شرط أن يكون والياً لهم عليها ، وقد تمّ ذلك .

كان محمد بن يحيي قد عاد إلي صنعاء ودخلها ، وخرج منها علي بن عبدالله ليقاتله من خارجها ، ووصلت إلي محمد بن يحيي أخبار الحسين بن علي مع الأتراك فخشي أن =

محمد ، وحيدر وأحمد ابني الحسين، ووصلوا إلي (السقا)

= يغريهم به وأن يسيروا إلي صنعاء ، وأن يدخلوها في الوقت الذي يُصارع فيه علي بن عبدالله الذي ربما استنجد بعائض بن مرعي لحماية قواته في صنعاء ، لذا رغب أن يقطع الطريق علي كل خصومه وخاصه علي بن عبدالله والحسين بن علي فخرج للأتراك بنفسه ، والتقي بهم في ساحل (باجل) ، ودعاهم لدخول صنعاء ، وكان ذلك في مطلع شهر رمضان من عام ١٢٦٥هـ.

في الوقت الذي خرج فيه محمد بن يحيي لملاقاة الأتراك استغل علي بن عبد الله هذه الفرصه ودخل صنعاء ، فلما جاء الأتراك مع محمد بن يحيي اضطر علي بن عبدالله إلي أن يخرج منها ، وأن يسير إلي (شهارة) ليتحصّن فيها . ودخل محمد بن يحيي والترك صنعاء ، وأخذ يحرضهم علي منازلة علي بن عبدالله في (شهارة) الذي طلب من ولاة عسير في شمال اليمن أن يدعموه ، فجاءته قوات من عسير وهمدان ونجران وبراد ، واستطاع علي بن عبدالله بها أن يحتل صنعاء ، وأن يطرد الأتراك ، وأن يلقي القبض علي محمد بن يحيي ، وألقي به في السجن ، غير أنه قد وجد هناك من ساعده للهرب من السجن ، والالتحاق بالترك .

استقل علي بن عبدالله بصنعاء ، ودعا الناس إلي بيعته ، ونابذ الأمير عائض بن مرعي من جديد ، مما جعل عائض بن مرعي يكتب إلي أحمد بن هاشم الملقب بالمنصور في نهاية عام ١٢٦٥هـ. وعمده أن يزحف إلي صنعاء ، وأن يطرد منها علي بن عبدالله ، وكتب عائض بن مرعي إلي محسن بن عباس أن يرسل قوات إلي أحمد بن هاشم مساعدةً له في مهمته ، كما أرسل إلي ابن مقيت أن ينضم بقبيلته إلي أحمد بن هاشم .

تمكن أحمد بن هاشم بمن معه وبمن جاءه دعماً أن يدخل صنعاء ، وأن يطرد منها علي بن عبدالله بعد أن قضي علي منافسه عباس بن عبد الرحمن . ولم يبق أحمد بن هاشم في صنعاء إلا قليلاً حيث كانت البلاد في دوامة من الصراع بين المتنافسين ، كلما انتصر واحد منهم بمن التف حوله جاءه آخر وقهره وحلّ محلّه ، واستمرّ ذلك الوضع الفوضوي حتي عام ١٢٨٩هـ. وخاصةً بعد وفاة عائض بن مرعي الذي كان يمدّ بالعون بعضهم بمن يؤيده من (بكيل) و (حاشد) و (همدان) و (جماعة) . =

وجلسوا إلي شعبان ، وتوفي الأمير عايض بن مرعي في تلك

= وذكر الحفظي في تاريخه أن الحملات التركية المتتالية علي عسير قد حالت دون إحكام قبضته علي اليمن ، وكان الأئمه المتصارعون من آل الهادي يتقربون من عائض بن مرعي في سبيل كسب تأييده لإمكانية النجاح والفوز بمن يدعمه من قبائل اليمن الموالية لعائض بن مرعي ، وليقطعوا من ناحيةٍ أخري صلة المنافسين لهم به .

وإن إمارة عسير قد أشغلت الدولة العثمانية وجعلتها في قلق لكثرة الهزائم التي تلحق بجيوشها في تلك البلاد رغم كثافة حملاتها ، وقلة إمكانات تلك الإمارة العسيرية الصغيرة في عينها والتي تخشي أن يستفحل أمرها فتستقطب أنحاء بالجزيرة وتحولها إلي دولة تنافسها ثم تحولها إلي خلافة أموية ، ولكنها كانت تري أنها لا بدّ لها من مواصلة إرسال الحملات والضغط علي عسير خوفاً من قوة عائض بن مرعي ، والذي ربما احتل نجداً واليمن وأقام دولةً وهابية جديدةً علي مناطق واسعة ، وقد تمكّنها إمكاناتها بعد ذلك من منازلة دولة بني عثمان . وكان الأمير عائض بن مرعي بعيد المدي في أهدافه حيث يري – كما يقول الحفظي : – ضرورة وحدة الجزيرة ، ودبّ روح الحياة في الخلافة من جديد واستلام العرب من بني أمية لها . وكان الحفظي أحد كتاب الرسائل لعائض بن مرعي وسلفه علي بن مجثل كان يتولي الكتابة للبارزين في مختلف أرجاء الجزيرة ، ولسلاطين بني عثمان وولاتهم ، كما يتسلم الأجوبة منهم ، وفي ثناياها تدور هذه الأفكار والعمل لها . وكان ابن مرعي يرسل عشائر من بطون (يام) و (الدواسر) و (عبيدة) " مذحج " إلي نجد والأحساء وشط العرب ليتمكّن من مدّ نفوذه في المستقبل إذ تكون هذه العشائر عواناً له في مهمته حيث كان يرغب في حماية هذه المناطق من أطماع النصاري الصليبيين من إنكليز وفرنسيين نزلوا علي السواحل العربية في عدن وشواطئ الخليج التي تحرّك نحوها بعض أمراء الجزيرة رغبة في نوالهم والإستعانه بهم لتبقيهم في مراكزهم اتباعاً . وكذلك كان يراسل علماء الحرمين واليمن وعمّان والعراق والشام ومصر وإفريقية ، ويذكرهم باهمية وحدة المسلمين وأنها من مقاصد الشرع ، ويقصد من ذلك إعطاء العلماء قوة تمكنهم من مقارعة المتسلّطين من أهل النفوذ ، والذين يستغلون مراكزهم لتحقيق أغراضهم . وكان لابن مرعي مجموعات من العلماء في كل من صنعاء ، وعدن ، ومكة ، والمدينة ، وبغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، تُمثّله في تلك المدن . =

= وكان عائض بن مرعي شديد الاهتمام بفيصل بن تركي إذ كان يرسل له الدعم بين وقت أخر ، ويعدّه من خيار من بقي من آل سعود ، ويكتب له ، ويعلمه أن عسيراً يمكن ان تكون إقامته واستقراره فيما إذا شعر بعزوف أهل نجد عنه لضغط الأتراك عليهم ، وأنه سيجد في بلده الثاني عسير كل وسائل الراحه حتي يتم إخراج الأتراك عنه ، كما سيجد الدعوه إلي السلفية تنتشر في كل جهات البلاد ، وحلقات الدروس فيها . وقد وفد إلي عسير الكثير من أهل نجد ومنهم العلماء الذين خافوا من بطش الأتراك ، ووجدوا في عسير الملجأ الأمين والمكان الخصب للدعوة السلفية .

وإن إبقاء زعامة الأشراف من آل الخيرات في تهامة قد سبّب الكثير من الفوضي حتي وصلت إلي اليمن ، وقد أشار مجلس الشوري في عسير علي عائض بن مرعي كما أشار من قبل علي سلفه علي بن مجثّل ، وسعيد بن مسلّط بإزاحة آل الخيرات عن سيادتهم في تهامة واستبدالهم بأخرين من رجالات البلاد ، ولكن أمراء عسير كانوا يرون غير ما يراه مجلس الشوري ، إذ يرون آل الخيرات أفضل من غيرهم ، وأن معالجة الأمور يجب أن تكون بالتروي والحكمة . ولكن اتضح فيما بعد أن سياسة أمراء عسير تجاه آل الخبرات كانت خاطئة ، فإن الفوضي استمرت في مناطق تهامة حتي قضي علي الأشراف من آل الخيرات قتال بعضهم لبعض ، وإفسادهم الذي أثار عليهم الرعية فقضت عليهم بالنهاية .

وكان أشراف مكة يكيدون لآل يزيد في عسير ، ويرون فيهم ما يُهدّد سلطانهم لذلك كانوا ما ينفكون عن تحريض الترك بعسير وأهلها ، ويدفعونهم لإرسال الحملات في سبيل إخضاعها ، بل كثيراً ما كانوا يندفعون لقيادة تلك الحملات في سبيل تحقيق أمانيهم ، وإن أشراف مكة كانوا يخضعون لمن يتولي أمر الحجاز من دول المسلمين القوية في مصر والشام أو تركيا ، ومن هذه الدول تستمد شرافة مكة مكانتها ، وتحاول المحافظة عليها ، ولكن إذا قوي آل يزيد ، وامتدّ سلطانهم إلي الحرمين زالت مكانة الأشراف ، ومن هنا جاء كيدهم لأمراء عسير ، وعملهم الدائم للتحريض عليهم ، ومحاولة ضربهم .

السنة ، وقام بالأمر بعده محمد بن عايض (١) ، فسار في الناس سيرة حسنةً ووقع له آثار مستحسنة ، وحصلت له غزوات وحملات متتابعات ، وملك عجيب ، وزعزع بجنوده وجيوشه

(١) محمد بن عائض : بعد وفاة عائض بن مرعي ، اختار مجلس الشوري ولده الكبير (علي) أميراً علي البلاد ، وكان جده لأمه الشريف حسن بن خالد رحمه الله ، وكان علي رجلاً عالماً فاضلاً ، تقياً ، مسالماً ، لا يري إراقة الدماء فرأي في نفسه أنه لا يناسب الوضع الذي في عسير والذي يُفرض عليها فرضا لقدوم الحملات التركيه المتتابعه إضافة إلي تحريضهم للإمارات المجاوره لإثارة الفتن والقلاقل في وجه الإماره اليزيدية ، لذا فإن علياً قد رفض تسلّم الأمر ، وأبلغ ذلك إلي مجلس الشوري الذي اختاره لهذا المنصب ، وأشار عليهم بأخيه محمد إشارة عابرةً لما يعلم من شدته في المجالده ، وتحمّل الصعاب ، وكان أخوه محمد يومذاك يرابط علي حدود الطائف في قوة كان والده قد أرسله علي رأسها في سبيلِ الضغط علي الأتراك لخلع محمد بن عون ، وتسليم الشرافة إلي عبد المطلب .

كتب مجلس الشوري لمحمد بن عائض بطلب العوده مع قواته من رباطة لضرورة اقتضتها مصلحة البلاد ، فعاد ممتثلاً لأمر المجلس ، وأوكل قيادتها إلي محسن بن دخيل الله الناصري (من الأشاعيب من قبيلة ناصرة) ، فلما وصل إلي أبها دعاه مجلس الشوري وبايعه خلفاً لأبيه ، وتم الأمر في شهر شعبان ١٢٧٢ هـ. حزّ الأسي في نفس الشريف محمد بن عون لموت عائض بن مرعي ، وكأنه استشعر قرب أجله بعد أن سبق خصمه السابق ، وكذلك كان قد أقلع عن فكرة ضرب عسير ومحاولة إقحامها في حروب مع الأتراك ، وقدّمت به السنّ ، وأحسّ بالمرارة ، وكتب كتاب تعزيةٍ لمحمد بن عائض بوفاة والده ، وصفه فيه بالأسد الهصور والمدافع عن حماه كأشد ما يكون الحماة ، والصامد في وجه خصومه لا يتزحزح عن مكانه ، ويترحم عليه ، ويطلب من الله له المغفرة ويهنئ الأمير الجديد بالإمارة ، ويتمنّي أن تنعم البلاد في عهده بالأمن ، وأن يكون كوالده وعدلاً وحكمة وشجاعةً ولم يلبث محمد بن عون أن توفي بعد أشهر ، وقام بالشرافة مكانه ابنه عبدالله ، وقد استقرت بينه وبين عسير ، حيث كان محمد بن عائض يعد خال أولاده ، إذ كان عبدالله بن محمد بن عون قد تزوج من صالحه بنت فائز بن غرم العسيلي التي أمها عائشة بنت عائض بن مرعي ، وكانت عائشه بنت عائض قبل ذلك عند ظافر العسيلي وأنجبت له قبل أن يتزوجّها فائز . =

العسيرية البعير والقريب ، وكانت مدة إمارته سبع عشرة سنة ، ثم تولت من بعده الخلافة السلطانية باستمرار العساكر العثمانيه ، وتتابع أمر الدولة العلية بالأقطار العسيرية ، وكان ابتداء خروجهم إلي أميرض عسير ووقت دخولهم إلي هذه البلاد بالمسير سنة ١٢٨٨ في شهر ذي الحجه الحرام ، وإقامتهم بأرضنا ومدة مكثهم بقطرنا بالتحقيقات المبيّنه ثمان وثلاثون سنة .

= لم يكن الشريف عبدالله بن محمد بن عون كأبيه في أطماعه واستغلاله الأتراك في تحقيق أغراضه ، بل كان مسالماً ، وأعطته الأحداث التي جرت في عهد أبيه أنه لا فائدة من محاربة آل عائض ومحاولة انتزاعهم من عسير ، فلم يكن عبد الله يرغب بالدخول في حروب جديدة مع عسير ، وذلك لأن السنوات التي قضاها في عهد أبيه ، والتي كانت كثيرة الحملات إلي عسير ، ولكنها رغم تعدادها ، وكثافة جندها ، وكثرة أسلحتها إلا أنها لم تأت بخير علي الحجاز أبداً ، وإنما سبّبت مشكلات من كثرة الضحايا التي ذهبت في عسير ، وحاجة البلاد لأبنائها للعمل فيها ، وفي الوقت نفسه لم تكسب أي نصر ، ولم تستطع إخضاع عسير ، وإنه ما من مرة استطاعت الحملات دخول عسير ظافرة إلا أعقبها هروب وفرار وانسحاب وإبادة لبعض الحاميات ، لذا فإنه من الأفضل وقف تلك الحملات والعمل علي سيادة الأن والاستقرار والسلام بين الإمارتين المتجاورتين ، واتخاذ عسير سنداً له يعتمد عليها ضدّ منافسيه من أسرته الذين يتقربون من الأتراك .

ولكن الدولة العثمانية تري غير ما يراه شريف مكة إذ تري السلطات التركية أن أمر عسير علي هذه الصورة لا يمكن أن تتحمله أبداً ، إذ تقبل وهي الدولة الكبيرة الواسعة الأرجاء التي تخشاها دول أوروبا ، ويخافها العالم ثم بعد ذلك لا تستطيع إخضاع إمارة صغيرة تعدها جزءاً بسيطاً من بلادها ، ويتمرّد أهل هذه الإماره ولا تتمكن من السيطرة عليهم رغم كثرة الحملات ، لذا تري أنه لا بدّ من إخضاع عسير ولو أدي الأمر تسيير أفضل الجيوش من استانبول مباشرة إلي أبها ، وهذا ما قررته وأخذت تعمل علي تنفيذه .

لم يكن للشريف عبد الله بن محمد بن عون خيار أمام الإرادة العليه سوي التنفيذ لما تراه =

والشريف حسن بن خالد الراكع الساجد بعد خراب الدرعية وما وقع فيها من البلية ، واضمحلالها من آل سعود بالكلية ، واستيلاء الأتراك عليها وما حواليها ، وأخذوا عبدالله بن سعود وراحوا به إلي الشام وكان ما كان ولله المستعان ، وذلك في سنة ١٢٣٣ . فوجه خروج الشريف حسن بن خالد والشريف حمود بن محمد قاصدين لمغزي الأتراك وإخراجهم منهم رضاءً لمن بيده ملكوت كل شئ ، واستولوا علي بلاد عسير ، وأخرجوا الترك منها ، وبقي الشريف حمود إلي ربيع الأخر ، وتوفي بـ (الملاحة) في بلاد بني مالك ودفن بها .

= فهو أحد أتباعها وسلطانه مرهون بطاعته لما يطلب منه ، وبتنفيذه لأوامره أسياده . لذا لم يكن له الخيار إلا بما تختاره الدولة العلية ، ومع هذا كان يسلك طرق الالتواء ، حسب قول إسماعيل الحفظي ، في تنفيذ الأوامر ، ويحاول أحياناً أن يجد لنفسه الاعتذار لعدم المشاركة في الحملة التي تكون في طريق الإعداد .اقترح الشريف عبدالله أن يفوض من قبل الدولة العلية للتفاهم مع محمد بن عايض لتخطيط الحدود بين الإمارتين (الحجاز وعسير) ، وذلك كي تستطيع كسب القبائل التي تكون ضمن إمارته إلي جانبه ، فلا يفرّ أحد منها ليلتجئ إلي عسير ، بل قد يستطيع أن تكون له عيون في القبائل العسيرية . وربما كان هذا الاقتراح من جانب الشريف عبدالله أحد الطرق التي تُؤجّل تسيير الحملات ، وأحد الأعذار التي يتعلل بها لعدم الاشتراك في تلك الحروب .

جاءت الموافقة من الدولة العلية علي اقتراح الشريف علي شرط أن تنص بنود الاتفاقية علي أن عسيراً تخضع للدولة العثمانية ، ولو اسمياً.

أرسل الشريف عبدالله خطاباً مع ثلاثة من أبرز علماء مكة ، من آل السقاف ، والعقيل ، ... فساروا إلي عسير عن طريق القنفذة حيث مشي معهم من هناك نائب الأمير محمد ابن عائض علي القنفذة محمد بن أبو سراح الزيداني الأزدي ، وأناب عنه القاضي أحمد بن عبدالله العقيل الزيلعي . =

= وصل الوفد إلي أبها بعد موسوم عام ١٢٧٥هـ ، واستقبلهم الأمير محمد من مدينة محايل لمكانتهم العلمية ، ولما بينهم من صلة فإنهم كانوا يؤيدون عائض بن مرعي ، ومن قبله علي ابن مُجثّل في جهودهما لإخراج الأتراك ، وكان هؤلاء العلماء يرون هذا الرأي لما ساد الجزيرة من سوء الإدارة العثمانية حيث عمّت الفوضي ، وانتشرت المحسوبية ،، وربما كان الشريف قد اختار هؤلاء كوفدٍ يذهب إلي عسير لهذا السب ، وذلك كي تكون ثقة ابن عائض فيهم ثقةً كبيرةً يسمع منهم ، ويعطيهم كل ما يجول في خلده .

عاد الأمير محمد بن عائض مع الوفد إلي أبها واجتمع بمجلس الشوري ، وحضر الوفد ذلك اللقاء ، وتدارسوا خطاب الشريف عبدالله ، وخالفوه بالإجماع علي أساس أنه لا توجد حدود ثابته بين الأقاليم الإسلامية ، وأن رسم مثل هذه الحدود إنما هو ترسيخ لتجزئة بلاد المسلمين ، ووافق الوفد هذا الرأي وايّده . وكتب مجلس الشوري جواباً للشريف عبدالله ، حمله أعضاء الوفد له ، وجاء فيه شكره علي حسن ثقته بأهل عسير ، والرأي الصحيح بالحدود القائمة بين الأقاليم في البلدان الإسلامية ، والنصح له بالوقوف بحزمٍ في وجه الأتراك في سبيل الإصلاح الإداري ومنع المخالفات الإسلامية ، وأن عسيراً كلها تقف بجانبه وتدعمه فيما إذا عزم أمره علي الوقوف بحزمٍ في وجه الأتراك ، وألزمهم كلمة الحق والتقوي .

عاد الوفد إلي مكة ، واجتمع بالشريف عبدالله ، وسلّمه جواب مجلس الشوري ، فأخذه وقرأه ثم أخفاه حتي لا يتسرّب مضمونه إلي السلطات التركية ، وعندما سُئل عما دار من مباحثات بشأن الاقتراح الذي عرضه أجاب أن العسيريين يدرسونه ، وسيردون عليه ، ولكن طالت المدة ، ولم يُعط جواباً .

كان والي الحجاز في جدة محمد كامل باشا يشك في تأخير الجواب والمماطلة في تسليمه، وهذا ما جعل الشكوك تساوره في إخلاص الشريف عبدالله للدولة العلية ، وخاصةً أن لم يلبث أن بلغه إرسال محمد بن عائض لأحد قادته وهو عبدالله بن علي بن مجثّل علي رأس قوة من قبائل غامد وزهران وبلحارث إلي الطائف ، واستطاع أن يحتلها ، وأن يتمركز فيها ، وأن يطرد الحامية التركية منها وهذا ما أثار حفيظة محمد كامل باشا علي =

= الشريف عبدالله بن محمد بن عون ، فاتهمه بالكيد للدولة وأنه يسعي مع محمد بن عائض لتوحيد جهدهما لإخراج الأتراك من الجزيرة ، واقترح علي الباب العالي نزع رتبة الوزارة التي منحتها الدولة له .

خشي الشريف عبدالله من الدخول في حربٍ مع عسير ، وخاف أن يدعم آل يزيد في عسير ذوي زيد أبناء عمومتهم والمنافسين لهم في الزعامة باستلام الشرافة في مكة ، وخاصةً أن معلوماتٍ قد وصلت إليه بوجود مراسلات بين الأمير محمد بن عائض وبين الشريف عبد المطلب بن غالب الذي رجع إلي مكة وأن القوة التي بعث بها محمد بن عائض إلي الطائف ليست سوي مقدمة لهذه الرغبة .

أحسّ الشريف عبدالله بما يساور نفس محمد كامل باشا تجاهه ، وذلك من خلال مكالماته ، ومن رسالة كان قد بعثها الشريف عبدالله إلي محمد بن عائض فوقعت في يد محمد كامل باشا عن طريق عيونه الذين بثهم حول الشريف .

فلما وقعت في يده استدعي الشريف إلي وجدة وبحث معه بعض ما يجول في خاطرة ، وأخرج الرساله التي وقعت في يده ، غير أن الشريف قد دافع عن نفسه ، وأنكر موضوع الرسالة ، وادّعي أنها ربما كانت من فعل خصمه عبد المطلب بن غالب إذ نسب الرسالة إليه ليفسد العلاقه بينه وبين والي الحجاز ، بل وبين الدولة العلية ، لغايةٍ في نفسة ، وهي تسلم الشرافة مكانه طالما محمد بن عائض إلي جواره كما كان أبوه قبله .

وبلغ الأمير محمد بن عائض خبر وقوع الرسالة في يد والي الحجاز محمد كامل باشا ، فانزعج من وجود عيونٍ للعثمانيين بجانب الشريف ، وكتب إلي الشريف عبدالله ، يعلمه أن الرسائل فيما بينهما في المستقبل يجب أن تكون عن طريق سعيد بن فائز العسبلي خوفاً من أن يتكرر الموضوع .

خشي الشريف عبدالله من الطريق التي يسير فيها ، وخالف أن تكون اتصالات جارية فعلاً بين الأمير محمد بن عائض وبين الشريف عبد المطلب بن غالب ، فإذا انتصرت عسير أخذ الشرافة عبد المطلب ونزعت منه ، وإذا انتصر الترك عدوه حليفاً لابن عائض فنزعوا الشرافة منه . فيكون في كلتا الحالين خاسراً ، لذا عمل علي تعديل خطه ، وترك الصله =

= مع ابن عائض والعودة إلي مسايرة والي الحجاز محمد كامل باشا ونائبه محمد عزت ، ومسايرة سياسة الدولة العلية ، وإعلان الطاعة لها ، والسير في ركابها ، والعمل علي ضرب عسير ، واتخاذ الوسائل المقنعة حتي لا يحس العسيريون بذلك .

لم تخف هذه السياسة المزدوجه التي سار عليها الشريف عبدالله علي محمد بن عائض ورجال دولته ، إذ أدركوها من خلال مكاتباته ، ولكنهم لم يفاتحوه بها ، وإنما ساروا علي الخط الذي يسير عليه ، وبدأوا يعاملونه بحذر . وبقي الشريف عبدالله في الوقت نفسه علي صلة بأشراف أبي عريش الذين يتولّون الأمر من قبل الأمير محمد بن عائض ، ويحرضهم علي الخروج عن طاعة أميرهم في الوقت المناسب فإن في هذه اللحظه ما يرفع من شأنهم في المنطقه التي يتولّون أمرها ، كما كان يراسل ابن رشيد ، وفيصل بن تركي ، وابنه عبدالله .

بقيت هذه السياسة تسير علي هذا المنوال حتي عام ١٢٨٠ هـ حيث ظهرت ثمرة تحريض شريف مكة لأشراف أبي عريش ، أما الدولة العلية فكانت تتنازعها سياسات : العلاقه الحسنة مع عسير أم ضربها ، أم الإبقاء علي الحالة الراهنة فيها .

استمرت الصلة بين الشريف عبد المطلب بن غالب وبين آل عائض ، وقد التقي بالأمير محمد بن عائض في الطائف في شهر صفر من عام ١٢٨٠ هـ - ، وبعث الأمير محمد بن عائض إلي أعيان القصيم بخبر اللقاء في الطائف ، وطلب منهم إرسال وفد يمثلهم ، وجاء الوفد ومن بينهم عبد الرحمن وحسن آل المهنا ، وناصر السحيمي ، وإبراهيم الزامل ، وناصر السعوي ، وعبدالله الدخيل ، وتم الاتفاق بينهما علي أن يعود الشريف عبد المطلب بن غالب إلي شرافة مكة علي أن يكون تابعاً هو والحجاز إلي الأمير محمد بن عائض ، وأن يكون في الحجاز مجلس شوري برئاسة الشريف ، وأن يدعم أعيان القصيم ليكونوا مستقلين إذ في القصيم جلّة قبائل العرب وعلمائها ليكونوا في وجه طلال بن عبدالله آل رشيد والي حائل ، وفيصل بن تركي آل سعود والي نجد ، إذ يمثلان سراً السلطة التركية في الجزيرة ، وتصل اليهما كتابات ولاة الحجاز وولاة العراق .

وقد طلب آخيراً من طلال وفيصل دعم الحملات التركية المتجهة لضرب عسير ، والتقيد بأوامر قادتها .

= كان أعيان القصيم قد يلتقون بالأمير محمد بن عائض عند زيارتهم لعسير ، وكثيراً ما كانت تتمّ من أجل التجارة إذ يحملون إليها منتجات الشام ويأخذون من عسير منتجاتها كالبن ، والعسل ، والمواشي ، والذرة ، والدخن ، واللوز ، والجلود ، والخناجر ، وكذلك الأقمشة والتوابل والعطور التي كانت ترد عن طريق عدن . وكانوا يلحون عليه ، كما كانوا يفعلون مع أبيه ، وسلفهما برغبتهم في الوقوف إلي جانب عسير وكرمهم الشديد بأن يكونوا مع الرياض ،أو حائل أو الحجاز أو تحت سلطة الأتراك علي اعتبار انها ذات سيادة واستقلال .

وفي نهاية شهر ذي الحجة من عام ١٢٨٠ هـ جاءت أوامر إلي طلال بن رشيد وفيصل بن تركي بالتحرك باتجاه عسير مع القوات التركية القادمة مع العراق لقتال محمد بن عائض ، كما عليهما تزويد القوات المتجهة من العراق بالمؤن وما تتطلبه ، فما كان منهما إلا أن امتثلا الأوامر في حين أن بعض الأعيان في نجد وحائل يعارضونهم ويطلبون الوقوف معاً ضد الأتراك . وإن قوة عسير تُشجّعهم علي السير في هذه الطريق

تحركت قوة من حائل تُقدر بثلاثة آلاف مقاتل بقيادة رشيد بن عبد الرحمن بن جبر بن رشيد ، واتخذت القصيم طريقاً لها ، غير أن قبائل القصيم قد وقفت في وجهها وحالت دون مسيرها فجرت معركة بين الجانبين قتل فيها قائد القوة التي جاءت من حائل ، ومن نجا من المعركة اضطرّ للعودة إلي المكان الذي جاء منه .

أما قوة نجد فتُقدر أيضاً بثلاثة آلاف ، وكان قائدها جلوي بن تركي شقيق الوالي فيصل ابن تركي ، وقد انضمت إلى من جاء من العراق ، وساروا معا ، وانطلقوا باتجاه رانيه ، وتمكنوا من دخولها وطرد حامية محمد بن عائض هناك ، ثم ساروا إلي بيشة حيث تمركزوا فيها .

وكان محمد بن عائض في الطائف في لقاء مع الشريف عبد المطلب بن غالب ، وقد رجع بعد انتهاء الاجتماع ، وعندما وصل إلي بلاد غامد وصلت إليه أخبار الحملات العراقية والنجدية ، كما علم بمصير حملة طلال بن رشيد . سار محمد بن عائض مسرعاً غاضباً بما جمعه من رجال القبائل القريبة منه ، واتجه فوراً نحو بيشة حيث قاتل الغزاة ، =

= وتمكن من دحرهم ، وقد وقع جلوي بن تركي في الأسر ، وقد عجب ابن عائض لما أقدم عليه فيصل بن تركي ، إذ كانت العلاقة بين أسلافه وعسير علاقة ودٍ واحترامٍ وتقديرٍ ، وكانت الصلات بين الطرفين لا تنقطع إضافة إلي تبادل الرسائل وإبداء النصح ، غير أنه قد عذره ، لأن للأتراك الهيمنة علي نجد ، ولا يتمكن فيصل من المعارضة الصريحة ، ولذا فقد أطلق سراح جلوي ومن وقع معه في الأسر ، وأكرمه ، وأعاده معززاً ، وحمله كتاباً جاء فيه :

إن ما قمتم به لم يكن مستحسناً منكم ، وإنكم تعلمون أن هؤلاء الأتراك حرب لنا ، وإن مناصرتهم من قبلكم لا يليق ، وتدركون ما صنعوه في أهل نجد من الأمور التي لا يقرها الشرع ، ويقضي الواجب منكم أن تعتزلوهم ولا تكونون ردءاً لهم . وقد كانت مواقفنا معكم تلزمكم بالوفاء لنا فلا تُعينوا عدواً لنا . فلولا وجودنا في هذه المنطقة لكان وضع الجزيرة والحرمين مغيظاً ، ولكن جعلنا الله في هذه الجزيرة قوة رادعة كلما أرادوا التسلط علي اليمن أو الحجاز أونجد دفعنا بقواتنا في وجوههم ودعمنا من يرغب ذلك حفظاً علي وحدة الجزيرة فأنتم تعلمون بما ارتكبوه في عُمان من فظائع ، واستصرخونا فأنجدناهم ، ورفع الله بنا البأس عنهم في العام الماضي . وأنتم تدركون حملاتهم المتكررة علينا ليقضوا علي قوتنا ليصفو لهم الجو ويخلو لهم الميدان .

وحربنا لهم هي حفاظ علي الجزيرة لأنهم بغاة علينا ، ولم تكن حروبنا معهم حرب مسلمين لكفار ، وإنما نقصد الدفاع لأنهم جاءوا إلي بلادنا بحجة أننا خارجون علي الخلافة وليعلم الله أننا أشد تمسكاً بها من غيرنا ، لعلمنا أن ربط العالم الإسلامي بدولة واحدةٍ مما تأمر به الشريعة ، وليس في الاختلاف إلا الفرقة ، وتمكين النصاري من المسلمين ، فيحسن بكم توطيد النفس علي المكروه ، وتحمل قسوة ما تأتي به الأحداث ، فالأمة المسلمة مجاهدة . =

=

١ – غَضْباً جعلتُكَ كيْ أَلُوذ بِهِ	عِنْدَ الصِّدامِ إذا عتّا لِدّ
٢ – فَغَدَوْتَهُ لكنّهُ بِيَدٍ	عَسْراءَ أُحرّكَ عَزْمَهَا وَغْدُ
٣ – عَجَباً تَدِينُ له وتَتبَعَهُ	عَجَباً أحُراً قَادَهُ عَبْدُ
٤ – أهِ عَلَي عَزْمٍ تَسيرُ بِهِ	نَحْوَ الحَضيضِ ويَسْقُطُ المجْدُ
٥ – هَلاّ شَمَخْتَ بِهِمَّةٍ وَإِبَا	وأثار نُبْلكَ مُرهَفٌ حَدّ
٦ – نَجْدٌ غَلَتْ غَضَباً لِخِسْتِهِ	قَدْ نَابَهَا مِنْ فِعلِهِ الجَهْدُ
٧ – وَهَلِ الّتي إنْ رِيعَ جَانِبُهَا	هبّت كذلكَ تَفْعَلُ الأسدُ
٨ – مَاذا أتجْعَلُ من أخيكَ لَنَا	خَصْمَاً يَقُودُ فِعَالَهُ الحِقْدُ
٩ – وَتكُونُ في صَفِّ العَدوّ وَلَمْ	تَرْعَ الوَفَاءَ أَيُنْكَرُ الوُدُّ

والسلام عليكم وعلي كافة العلماء والأعيان والإخوان.

محمد بن عائض

كما أرسل كتاباً إلي طلال بن رشيد يحذره من العودة إلي مثل هذا الفعل ، وإنما عليها اتخاذ الأعذار ، وانتحال المبررات للأتراك كي لا يشترك في حملة إلي عسير أو الرياض أو القصيم ، وإن فعل فسوف تتحرك قوة من عسير إلي حائل لضربه ، وحذره أيضاً من أن الأتراك لا يمكنهم حمايته من عسير .

إن ما حدث قد أغضب الشريف عبدالله بن محمد بن عون إذ أحس بقوة محمد ابن عائض فخشي علي نفسه ، فالتقي مع والي الحجاز وبالغ في قوة عسير ، وخطرها علي الحرمين والدولة ، ونقل له معلومات ادّعي أنها قد وصلت إليه عن =

= طريق عيونه أن محمد بن عائض يعد عدة لاحتلال الرياض وحائل ، وأنه قد بعث بقوةٍ إلي القصيم تمركزت هناك دعماً لأعوانه فيها ، ونقطة للانطلاق منها ، واستدعي شيوخ قبيلتي عتيبة ومطير إليه لهذا الغرض ، فأخذت الحماسة والى الحجاز ، وأمر بإعداد قوةٍ كبيرةٍ ، وأوكل قيادتها إلي الشريف عبدالله وإلى إسماعيل بك .

سارت الحملة عن طريق تهامة ، واحتلت القنفذة ، بعد معركة كتب لها فيها النصر ، ومن القنفذة تحركت نحو عسير غير أنها التقت في (حلي) بقوات محمد بن عائض ، وجرت حامية بين الطرفين اندحرت إثرها القوة التركية بعد أن قتل أكثر قادتها .

أرسل محمد بن عائض قوةً تمركزت في (الليث) لإيقاف تحركات الترك نحو عسير . وفي عام ١٢٨٢هـ تحركت قوات من جدة بقيادة الشريف عبدالله وإسماعيل بك مرة ثانية لإجلاء قوات محمد بن عائض عن (الليث) ، وذلك في ربيع الثاني ، ولكنها هُزمت دون أن تحقق أي هدف . كما بعث قوةً عن طريق البحر لاحتلال جدة وتمكّنت من السيطرة عليها مدة ثمانية أشهر حيث طلب سحبها ، ويقول إسماعيل الحفظي : إن الغرض من هذه الحملة إشعار الدولة أنه لو أراد الحجاز لأمكنه ذلك .

كانت الدولة العثمانية قد أوكلت لواليها إسماعيل باشا بالإشراف علي أملاكها في شرقي إفريقيةً وسواحل البحر الأحمر . فأراد إسماعيل أن يُمهد لنفسه في المنطقة ، غير أن عسير كانت لا تنفك الحملات التركية من التحرك نحوها ، ورغب في دراسة الأمر ، وتوصل إلي أن هناك عاملاً محركاً ، وباعث فتنةٍ ومن خبرته بتاريخ الأشراف وضع يده علي مبعث الفتنة ، وعزا الأمر إلي أن الشريف عبدالله يعمل علي الوقيعة باستمرار بين عسير والدولة العثمانيه . ويحثّ والي الحجاز ويحرضه للعمل ضدّ عسير ، ويدعي أن لمحمد بن عائض نوايا توسعية ، ونزعة إلي الاستقلال بالجزيرة معتمداً في ظنّه علي استدعاء محمد بن عائض علماء من الجزيرة كلها ومنهم شيخ الإسلام ومرجع علماء اليمن حسن بن الحسن الأكوع من الروضة وجمع العلماء عنده في أبها للتشاور معهم في وضع الجزيرة ، ونتيجة ذلك تجرد الدولة العلية حملاتها علي عسير ، لذا رأي الخديوي إسماعيل باشا أن يراسل محمد بن عائض مباشرةً ويعمل لكسبه إلي صفه ليكون عامل سلم بدلاً من أن يكون =

= عامل حرب وبهذه الطريقة يكسب إسماعيل باشا رضي الدولة العلية إذ تدرك أن الهدوء الذي تمّ في عسير لم يكن ليحدث لولا حكمة واليها وفطنته ، ويمكنه بعدها أن يطلب الإشراف علي مناطق أخري للدولة العلية .

تمت المراسلة بين الخديوي إسماعيل باشا والي مصر وبين الأمير محمد بن عائض سيد عسير ، وبعد تبادل الرسائل بين الطرفين وقعت معاهدة بينهما في شوال عام ١٢٧٨هـ . ولكن الحملات التركية استمرت كما رأينا ، وذلك بسبب بقاء والي الحجاز علي صلةٍ مع الشريف وفي الوقت نفسه هو الذي يخاطب الباب العالي ويرتبط به . فلما أصبحت سواحل البحر الأحمر عدا شواطئ عسير تحت إشراف الخديوي إسماعيل باشا تغيّر الوضع إذ أصبح الجميع يرتبطون به ، فخفّت فتن الشريف وأثرها ، وهدأت الأحوال بين الحجاز وعسير ، وانقطعت الحملات التركية .

ورغب الخديوي إسماعيل في أن يكون محمد بن عائض بجانبه يضرب به من يظهر التمرد في المنطقه بل في الجزيرة العربية كلها ، وهذا ما يتناسب مع أطماعه التي كان يحلم بها في أن يكون سلطانه يشمل وادي النيل كله ، وشرقي إفريقية ، وجزيرة العرب كلها .

كما أن الامير محمد بن عائض وجد في صلته مع خديوي مصر المباشرة فرصة طيبةً يستطيع من خلالها أن يخفف فتن الأشراف ، والحملات التركية علي عسير ، بل وأن يكون هو الأقوي في المنطقة نتيجة الصداقة والمعاهدة ، بل أصبح له نتيجة المعاهده ممثلين في القاهره يتصل عن طريقهم بالخديوي ويعرض له كل ما يريد في منتهي الصراحة والوضوح والصدق . كما أصبح للخديوي ممثلون أيضا في أبها ، يبلغهم الأمير محمد ما يريد من الخديوي ، وبالتالي تمكّن محمد بن عائض من توحيد الجزيرة تحت قيادته إذ أن اليمن والحجاز هما الموقعان لتحرّك الأتراك للوقوف في وجه طموحاته وأشغاله عن التوسع ، حيث تعج نجد وباقي الجزيرة حتي العراق بالقبائل العسيرية ويمكنها أن تنفذ أمر محمد بن عائض تنفيذا كلياً . =

= ولكن إذا كانت قد هدأت الجهات الشمالية من عسير، وتوقف القتال فيها في هذا الوقت إلا أن الجهات الجنوبية لا تزال الأحداث فيها، وتقع الاختلافات والمعارك بين مدة وأخرى، ويرجع ذلك إلي أن شريف مكة عبدالله بن محمد بن عون لا يزال يثير أشراف أبي عريش ضد محمد بن عائض، وأن الأئمة في صنعاء في صراع دائم فيما بينهم للسيطرة علي الحكم، وكل طرف فيهم يري الاستعانة بعسير أقرب طريق لنجاحه في استلام الأمر والتغلب علي خصمه، وهذا ما يجعل ابن عائض مضطراً للتحرك في اليمن حرصاً في دعم أعوانه لتبقي له الهيمنة والسيادة هناك وفي الوقت نفسه حرصاً علي الوحدة .

عندما عاد حكام عسير من آل يزيد بعد انقطاع مدة بسيطة لا تتجاوز الثماني عشرة سنة كانت البلاد قد دخلت تحت سيطرة آل سعود ، وبعودة آل يزيد عمل أمراؤهم المتتابعون سعيد بن مسلط ، وعلي بن مجثل ، وعائض بن مرعي ، ومحمد بن عائض علي إبقاء أشراف أبي عريش في الإشراف علي تهامة بل والعطف عليهم ، إذ اعتقدوا أن بقاء هؤلاء علي رأس السلطة ، وقد تمرّسوا فيها ، وعرفوا رجالات تهامة ، وما يصلح لها أفضل من التغيير الذي يؤدي بالتالي إلي التعرّف من جديد علي الأوضاع ، والإتصال بناصحين جدد ، وزادت قناعة أمراء يزيد بهذه السياسة عندما استطاع طرد الأتراك عن بلادهم ، بل والصلة المباشرة مع خديوي مصر وعقد معاهدة معه . ولكن شريف مكة عبد الله ابن محمد بن عون ، الحاقد علي أمراء آل يزيد ، لم يترك فرصةً تسنح له إلا ويُحرّض أشراف أبي عريش علي أميرهم محمد بن عائض خوفاً عل مركزه من عبد المطلب الذي أصبح في عداد قوة محمد بن عائض .

أما أشراف أبي عريش فكانوا يسيرون بسياسة مزدوجة يظهرون لآل يزيد الطاعة والاعتراف بالجميل ، ولكنهم في واقع أنفسهم يجنحون إلي الاستقلالية ، ويعملون كل ما من شأنه إرباك أمراء آل يزيد حسدا لوضع العوائق أمام تقدمهم لليمن ، وشريف مكة يحثّهم علي ذلك لمصلحته ، فإن ثورة أشراف أبي عريش علي أمرائهم تضعف من شأن =

= أمراء عسير خصوم شريف مكة الدائمين ، كما أنها تمنعهم من التحرّك نحو اليمن نتيجة إضعافهم ، كما أنها تفسح المجال لشريف مكة بالتقدم في عسير وضرب محمد بن عائض الذي يدعم منافسه علي شرافة مكة الشريف عبد المطلب بن غالب .

لم يكن أمراء عسير لتخفي عليهم السياسة الازدواجية التي ينتهجها أشراف أبي عريش ، وقد اتخذوا وسيلة لإحباطها وهي الاحتفاظ بعددٍ من أبناء أشراف أبي عريش عندهم في أبها حتى لا يفكروا بمواجهة آل يزيد خوفاً علي أبنائهم الذين يفقدونهم فيما إذا تحرّكوا ضدّ عسير وفسحوا المجال لتوغّل قوات الأتراك في سواحل عسير ، وبقيت هذه السياسة حتي عام ١٢٨٠هـ.

لم يكتف أشراف مكة بالتواطؤ مع أشراف أبي عريش للعمل ضدّ آل يزيد ، بل أرادوا ضرب الأمير محمد بن عائض من عقر داره ، إذ حرّضوا بعض الذين رأوا فيهم حباً للزعامة والسلطان في رجال ألمع ، ووعدوا أحدهم بالدعم ، وإعطائه حكم تهامة عسير ، وجعل قاعدته بلدة (حلي) إذا ساعدهم بالعمل ضدّ الأمير العائضي ، وهكذا تشكلت ثلاث جبهات ضدّ عسير هي : أشراف مكة ، أشراف أبي عريش ، ورجال الإمارة المرتقبة في (حلي) والتي أخذت تتحرك عام ١٢٨١هـ علي خيوط الأشراف في مكة وأبي عريش ، والتي تزعمها ابن راجح وكان وراءه عبدالله اليعقوبي الكناني .

عندما آل الأمر في عسير إلي محمد بن عائض ، وكان والده قد مهّد له الحكم ، وذلل له الصعاب ، ومع الشدة التي كان الأمير محمد بن عائض قد عُرف بها ، إلا أنه قد غيّرها ، إذ رأي سياسة اللين تناسب الأمير علي حين تناسب الشدّة القائد الحربي . كانت رهائن أشراف أبي عريش في أبها أيام أبيه ثلاثة ، وهم : حيدر ، وأحمد ، والحسن ، من آل الخيرات ، فاستبدلهم ابن عائض برهائن أخري بعد أن هدّم قلاع أبي عريش باستثناء دار النصر التي ترابط فيها حامية عسيرية منذ أيام سعيد بن مسلّط . كما وزّع تهامة بين بعض هؤلاء الأشراف فأعطي الحسن بن محمد بن أحمد بن الشريف حمود أبي =

= عريش والمنطقة الممتدة من (ضمد) إلي (مور) علي حين أعطي عمه الحسن بن أحمد بن الشريف حمود (صبيا) و (جيزان) و (الشقيق) . كما أنه شارك معهم أولاد حسن بن خالد الحازمي ليأمن من جانبهم ، وأن الأمير محمد قد أظهر اللين إلي هؤلاء الأشراف فكسر جناحه لهم لعلهم يُقدّرون له هذه السياسة ، ويقلعون عن سياستهم الازدواجية التي درجوا عليها ، وعن تواطئهم مع شريف مكة ، وعن العمل ضدّ أبها ، لكن ذلك ما زادهم إلا إمعاناً في الكيد والتربّص إذ ظنوا ذلك ضعفاً من الأمير ، ورغبة منه في اصطناعهم خوفا من قوتهم . والواقع أنهم في قرارة أنفسهم يكرهون آل يزيد ويفضلون حكم الأتراك والبقاء تحت نفوذهم وذلك خير لهم من بقائهم تحت إشراف آل عائض وإن كانوا سادةً علي تهامة ، لذا جنحوا إلي الأتراك يراسلونهم ويستحثونهم للقدوم إلي تهامة وامتلاك عسير ، ويخبرونهم علي تحركات محمد بن عائض علي الجبهات كلها .

أما سواحل تهامة الجنوبية الواقعة(الحادث) ميناء وادي مور وعدن فكانت بيد ولاة يتبعون لآل عائض ، وهم من الطاهريين الأمويين حكام اليمن السابقين ، ورجال من المنطقة ، وكانت تلك الجهات هادئةً اللهم إلا من مناوشاتٍ بسيطةٍ كانت تحدث أثناء محاولات الأتراك لإحتلال بعض الموانئ مثل (المخا) و (الحديدة) أو بعض المدن الداخليه مثل (زبيد) وقد ينجح الأتراك في محاولاتهم ، ولكن لا تلبث أن تصل النجدات لولاة آل عائض من السراة أو تهامة فيجبرون الأتراك علي الانسحاب ، وقد يعودون من جهةٍ ثانيةٍ وربما رجعوا من المكان الذي جاءوا منه في المرة الأولي .

إن الطريقة التي اتبعها أشراف أبي عريش جعل المنافسة فيما بينهم شديدة وأدت إلي صراعٍ دمويٍ بعضهم مع بعضٍ انتهي بزوالهم عندما دخل الأتراك المنطقة في مطلع عام ١٢٨٩هـ . وكأن ما حلّ بهم كان عقوبة لهم إذ انحازوا إلي جانب الأتراك وشنوا الغارات علي المناطق التي كانت بجانب محمد بن عائض مما أدي إلي تمكين الأتراك لقتلهم محمد ابن عائض الذي سعوا للتخلّص منه بغية بقائهم فزالوا بهلاكه . =

= أما اليمن فكان الأئمة فيها متنافسين علي السلطة ، ولم تكن أوضاعهم بأفضل من أوضاع أشراف أبي عريش من آل الخيرات ، غير أنهم كانوا علي صلةٍ وثيقةٍ بأمراء آل عائض سواء أكان ذلك في السابق أم في الأوقات التي تلت ارتباط عسير بالدرعية ، وكانت القبائل التي تعيش جنوب صعدة تتبع أبها ، وتتلقي تعليماتها ، وأما الأئمة فكانوا يتقربون من أمراء آل يزيد ويرغب كل منهم في إحراز المودة والصداقة مع زعماء عسير كي يتلقّي منهم دعماً ضدّ من ينافسه من بقية الأئمه المتصارعين علي الحكم في صنعاء ، وآخر من كان يدعمه آل عائض هو محسن بن أحمد الملقب بالمتوكل ، وابنه الذي جاء من بعده ، وكذلك الحال مع الهادي الحسين الملقب بالمنصور إذ ولاه الأمير محمد بن عائض اليمن وأرسل إليه بإشارة الإمرة وهي المظلة والجواد وذلك عام ١٢٨٠هـ. ثم اضطربت الأمور بعد احتلال الأتراك لعسير ، إلا أن صلتهم بأمراء عسير لطلب نجدات استمرت حتي أيام حسن بن علي .

حدثت مناوشات في الماضي بين أئمة اليمن وبين آل يزيد في عسير حيث كان الأئمة يعملون علي نشر المذهب الزيدي علي حين كان أمراء آل زيد يسعون في حصره في صنعاء وما حولها ، والعمل علي نشر مذهب الإمام الشافعي . وكذلك وجدت الإسماعيلية وهي إحدي الفرق الباطنية ، وحاولت الوقوف في وجه المدّ اليزيدي ، والعمل علي نشر أفكارها لكن القبائل اليمنية لم تتقبل الآراء الإسماعيلية لما فيها من بعد عن الإسلام ، لذا انكفأت الإسماعيلية نحو الشمال وعملت علي الدعاية لآرائها غير أن أمراء آل يزيد أيضا قد طاردوا أتباع هذه الفرقة وتقصوا رجالها في كل مكان ، ولكنها وجدت لها أتباعاً في منطقة بدر عند المكارمة إحدي بطون قبائل يام إذ خدع بها محمد بن فهد بن صلاح المكرمي ، وحاول خداع آخرين لتحقيق بعض أغراضه ، ولكن لم تتجاوب معه إلا مجموعة صغيرة أغوتها أهواؤها ، وربما تعاطف معه آخرون عصبيةً علي اعتباره بين ظهرانيهم ، وكانوا أمراء آل يزيد يحاولون إخراج أتباع هذه الفرقة من قبائل يام كي تبقي هذه القبائل نظيفةً من الباطنيين الذين لا يصح مشاركتهم بالقتال مع المسلمين ، لذا كانت =

= إذا خرجت يام إلي القتال ألزم الباطنيون بالبقاء في أماكنهم . وكذا كان المسلمون في تاريخهم كله حتي ألغيت الخلاف يتجنبون سوق أهل الكتاب من نصاري ويهود ، وسوق أتباع الفرق الباطنية من إسماعيلية ودروز ونصيرية إلي القتال بجانب المسلمين ، وهذا ما يقتضيه الشرع الإسلامي .

كان شيوخ الإسماعيلية يذهبون إلي مكة تحت ظلّ الإسلام الذي يتظاهرون به أحيانا ، أو التي يظنهّم العامة أنهم من المسلمين ، غير أن أمراء آل يزيد سعيد بن مسلّط ، وعلي بن مجثّل ، وعائض بن مرعي ومن جاء بعدهم كانوا يعرفون حقيقة الإسماعيلية وبعدها عن الإسلام ، لذا فقد كتبوا إليهم بعدم الارتحال إلي مكة إلا بإذن منهم ، كي لا يفسحوا لهم بالدخول إلي الحرم كما كتب هؤلاء الأمراء إلي عمالهم أشراف أبي عريش بعدم السماح لأحد من الإسماعيلية بالاشتراك بالجيوش التي يسوقها الأشراف إلي القتال ، والقبض علي كل من يوجد في الجيش متخفيا وإرساله إلي أبها ، لذا لم تكن هناك جرأة لدخول المكارمة بين الياميين وكان لقبائل يام دوراً مشرفاً في الاشتراك مع القوات التي بعثت من أمراء آل يزيد لحماية سواحل بحر فارس ، حيث شاركت قبائل من هبرة ، والغز ، وجشم ومرة وبنوعجيم ضمن القوات الموجهة من بني عتبة وبني جميلة ، وكعب وربيعة وعامر ، وجعدة وقشير ، ودوسر وبعض قبائل بيشة – بني خالد – وذلك لحماية السواحل من القرن– كويت – حتي عمان عام ٩٤٢ لطرد البرتغاليين ومنعهم من دخول الجزيرة العربية .

وذكر الحفظي أن بعض المكارمة ومنهم : حسن هبة الله ، وأخوه إسماعيل قد ذهبا إلي أبها ، وأعلنا رجوعهما إلي الإسلام ، وتبرؤهما مما كانا عليه ، وأشهدا شهوداً علي ذلك ، وبقيا في أبها ما يقرب من سنتين يتلقيان العلم علي أيدي العلماء في أبها والسقا ، وعادوا بعدها إلي قبائل يام ، وكان لعلمهما الذي تلقياه الأثر في مجموعة المكارمة وذلك عام ١١٧٠هـ

وقد أنشئت مدارس في قاعدة نجران (الحضن) للتعليم ، وكشف الشبهات ، وإلقاء =

= الدروس في فقة الإمام الشافعي ، وفي السيرة ، وكذلك أنشئت مثل هذه المدارس في كل من (بدر) و (حبونة) وشُجع المكارمة علي حضور هذه المدارس وحلقات العلم .

عاش محمد بن عائض إمرته التي دامت أكثر من سبع عشرة سنه بين ولاة له يظهرون له الطاعة والمحبة ، ويبطنون له الشرّ والرغبة في الزوال ، وهذا ما شجعه حسب ما يبدو له من طاعة إلي رغبة في التوسع ، وعندما أحسّ من بعض عيونه بما يبطنه بعض أولئك الولاة قررّ أن يُطهّر البلاد منَ المنافقين الذين يبدون غير ما يخفون ، ورأي أن يزيل أشراف أبي عريش ، ويسير إلي اليمن فينهي الوضع فيها ويضمها إلي إمارته ، وينتقل بعدها إلي الحجاز ، فيخرج الأتراك من الحرمين ، ويتجه إلي نجد فيطردهم منها .

راسل الأمير محمد بن عائض الشريف عبد المطلب بن غالب ، وتواعدا علي اللقاء في (تربة) وتمّ اللقاء في الموعد والمكان المحدد بعد موسم عام ١٢٨٧هـ ، وكان الشريف عبد المطلب علي صلة وثيقة بالأمير محمد وبوالده الأمير عائض من قبل ، حتي ليعدّهما وليي نعمته ، وفي الاجتماع الذي حدث تقرر أن يسير محمد بن عائض بقوةٍ ضخمةٍ من السروات ، ليلتقي بالشريف عبد المطلب في الطائف ومعه أعوانه ومن يستطيع جمعه ويعملان معاً لطرد الأتراك من الحرمين ، ويسيرا بعدها إلي نجد ، وكانت في مرحلة من الضعف ، وصراع بين أبناء فيصل بن تركي ، فيطردان الأتراك منها ، ويوحّدان الجزيرة العربية ، وتكون الإمرة لمحمد بن عائض ، وشرافة الحرمين لعبد المطلب بن غالب ، ثم يعملان علي إقامة مجلس للشوري يكون مقره مكة المكرمة ، ويضمّ العلماء والأعيان ممن يمثل العالم الإسلامي .

ترامت أنباء اللقاء في (تربة) بين محمد بن عائض وعبد المطلب بن غالب إلي الشريف عبدالله بن محمد بن عون فأحسّ أن التخطيط يدور حول إطاحته عن شرافة مكة فأخذ يتصل مع الأتراك ويشجعهم علي الإسراع بالقضاء علي إمارة آل عائض قبل أن يستفحل أمرها ويصعب بعدها العمل علي إزالتها، ويحثهم علي ذلك ويهول لهم الأمرَ =

= بأطماع محمد بن عائض التي يتخيلها دون أن يعرف عنها شيئاً ويذكرهم بقوته التي بعثها إلي ينبع عن طريق البحر ، وفتكت بقبيلة حرب ومن معها بحجة أنها اعتدت علي الحجاج قتلاً وسلباً كما يذكرهم بما فعله بالحديدة بعد نقض الصلح مع محمد عزت باشا نتيجة تصرّف القائد التركي مع فتاة استنجدت بمحمد بن عائض فأنجدها بقوةٍ سار علي رأسها وقبض علي القائد وأنزل به النكال وطرد الحامية ، وكتب إلي الوالي أنني نقضت الصلح ، وعاقبت القائد ، وطردت حاميتكم لا رغبةً في التوسع ، ولا حباً بالزعامة ، وإنما دفاعاً عن المسلمين وأعراضهم . علي حين كان الخديوي إسماعيل يتصل بالأتراك ، ويخُفف لهم الأمر بأن محمد بن عائض لا يخرج عن دائرة الدولة العلية إن لم يثار ، ولا يخشي منه إن لم يُهيّج .

كان محمد بن عائض علي صلةٍ بالشيخ جمال الدين الأفغاني الذي برز علي الساحة يومذاك بعلمه ، وكان يعرض عليه كثيراً من الأمور ويستشيره في بعض المشكلات ، وكان جمال الدين يومها في استنابول ، فأرسل إليه مبعوثا إلي هناك ليعرض ما عزم عليه ابن عائض ، فاستحسن جمال الدين ذلك ، ونطق بـ (استعينوا علي قضاء حوائجكم بالكتمان) وإني سأخبركم إن شاء الله بما يتراءي لي هنا ، وستصل إليكم بإذن الله تباعاً ، وسأكون بين ظهرانيكم في الوقت المناسب إلا أنه لم يلبث أن طُرد من استانبول عندما عُلمت صلته بأمير عسير ، وظهر من خطابه الذي أرسله من مصر إلي ناصر بن عائض يعزيه بمصرع أخيه وما حلّ بعسير .

كما كان علي صلة قريبه بملك بهوبال أبي الطيب محمد حسن صديق خان الذي من أجله علماء زمنه اجتهاداً ودراية وبروزاً في علما الشريعة ، وقد تتلمذ عليه الأمير محمد آل عائض وكانت كتبه تصل الي مكتبة الأمير محمد تباعاً ، وكان الأمير محمد يستقبل حملتها إليه بحفاوة تليق بعظمة هذا العالم ، ثم يحملها الأمير علي كتيفين إجلالاً ويأمر علماء المنطقة بتدريسها في مجالس التدريس ، وقد خصص منها شرحه علي . =

= للإمام الشوكاني رحمه الله حيث شرحها شرحاً مفيداً ضمنه الإجماع وجعل الأمير محمد لمن يحفظها جائزة من بيت المال يتقاضاها الحافظ سنوياً واطلق عليها اسم " الإجازه " وكان الأمير محمد ذا مكانة عالية عند الإمام صديق خان ، وكان يتعهده بالمراسلات التوجيهية فيما يتعلق بأمر المسلمين التي بعثها الي الشام والعراق وشمال إفريقيا وغيرها فأجازه في ذلك .

وكان الأمير محمد يُجِلُّهُ فلا يقطع أمراً للمسلمين إلا بعد عرضه عليه ، ومن ذلك كتاباته الي علماء الأمصار الإسلامية والتي يدعوهم فيها الي الالتقاف علي بعضهم لتوحيد ، كلمتهم علي خليفة من المسلمين سلم إليه تقاليد الأمة الاسلامية وأن يكون اجتماعهم في موسم عام ١٢٨٣هـ ، لما رأي الأمير محمد تغلب النصاري علي بلدان الإسلام وعدم قدرة الخليفة العثماني علي صد غائلتهم وإخضاعهم للجزية أو الإسلام . وخطورة اجتماعهم علي غزو بلاد المسلمين وقد ذكر ذلك علي بن موسي بن جعفر الحفظي في كتابه " المسمي الرسائل والأجوبة " الذي ترجم فيه لأصحاب الرسائل والأجوبة .

غير أن ذلك الاجتماع لم يتم ، فقد حال دون ذلك ما قامت به الدولة العثمانيه من القبض علي أولئك العلماء وزجت بهم في سجون الأنصار الخاضعة لهم .

تحرّك محمد بن عائض نحو تهامة ، ووصلت أخبار ذلك استانبول ، فكان هذا مؤشراً قوياً لصدق ما كان يبعث به الشريف عبدالله بن محمد بن عون من حثٌ علي ضرب إمارة عائض قبل اشتداد ساعدها ، كما كان هذا محركاً لما في نفوس رجالات الدولة العلية من حقدٍ علي عسير وأمرائها ، وكيداً للخديوي وتصرفاته ، ويُضاف إلي ذلك اللقاء الذي تم بين محمد بن عائض والشريف عبد المطلب .

قررت الدولة العثمانية إرسال حملة كثيفة تفوق كل ما سبقها كي لا يبقي مجال لإمارة آل عائض بالمناورة والحركة ، وليسهل القضاء عليه ، وأوكلت مهمة قيادة هذه الحملة إلي أبرز رجالها محمد رديف باشا كما اختارت معه أحمد مختار ، وانتشرت الشائعات في بلاد =

= العرب عن الحملة وقوتها قبل أن تتحرك الحملة . كما تحدثت عنها الصحف الأوروبية وعدّتها اعتداءً علي منطقةٍ لها حريتها .

وأرسلت قوات بحرية إلي (المخا) و (الحديدة) و (عدن) لتناوش قوات محمد بن عائض هناك ويندفع هو نحو تلك الجهات فينشغل عن الدفاع عن قاعدته الرئيسية في السراة.

تحرّكت الحملة بحراً ، ووصلت إلي جدة في شوال عام ١٢٨٨ هـ ، وهناك انضمّت إليها القوات التركية التي ترابط في الحجاز ، وسار الجميع بحراً نحو القنفذة ومن جدة تحركت قوة من الحملة إلي الطائف ، وهناك مشى قسم من هذه القوة إلي تربة فبيشة ومن هناك تسير إلي أبها ، وكان هذا القسم بقيادة أحمد فيضي ، أما القسم الآخر فسار عن طريق السراة باتجاه أبها حيث يلتقي هناك مع القسم الأول .

كما جاءت من الأحساء قوة من الأتراك بإمرة غبوش بك عبر الخرج ، والأفلاج ، والدواسر ثم نجران لتخضع قبائل هذه المناطق ، ولإشغالهم عن الإنضمام إلي عسير ودعم قوة آل يزيد هناك ، وأخيراً تضرب قوات عسير من جهة الشرق ، ولكنها هُزمت في الأفلاج . وفي الوقت نفسه طلب من أشراف أبي عريش الانضمام إلي قوة الأتراك المتجهة إلي ميناء (المخا) و (الحديدة) والتي أمرت بالتحرك نحو الشمال والتمركز في (الشقيق) و (أبي عريش) بعد السيطرة عليها وإجلاء قوات آل عائض عنها .

لما علم محمد بن عائض بزحف هذه القوات عاد مسرعاً من (الحديدة) ، واستقدم باقي قواته في (المخا) و (عدن) ؛ ما عدا القوات التي ترابط في (صنعاء) فقد أبقاها قوة بيد الإمام المتوكل محسن بن أحمد لتدعمه ، وأمر تلك القوات التي كانت في (المخا) و (عدن) بالتوجه نحو قاعدة حكمه في أبها لمواجهة القوات الغازية ، وجعل علي الساقة أحد إخوته ليستحثهم في سرعة العودة ، وقد جعلت هذه السرعة في الحركة الشريف علي ابن حيدر يحرّض أهل تهامة للخروج علي محمد بن عائض وقواته ومحاولة الفتك بها وصدها عن التحرّك بسرعة نحو السراة ريثما تتمكن القوات التركية من السيطره علي =

= مدن عسير الهامة حتي تبقي قوات محمد بن عائض في تهامة محاصرة ، وإيهامهم أن الأتراك قد تمكّنوا من احتلال السروات وأنهم قد سيطروا علي إمارة آل عائض ، والواقع أن أهل تهامة قد طمعوا فسوّلت لهم أنفسهم الحصول علي الغنائم فانقضت قواتهم علي قوات عسير لتسلب ما معهم ، وتقتل من تستطيع لتأخذ ما بأيديهم ، ولما أحس العسيريون بالخطر وسوء طبع التهاميين بطشوا بمن تعرّض لهم .

وصل محمد بن عائض إلي مشارف مدينة أبها بجيشه وقد أعياه السير ، وقد جدّ به ليسبق الترك ، وقد أحسّ بما يخططه الأعداء ، وكان الأتراك قد أسرعوا بالزحف علي عسير ، ووجهوا سفناً تحمل قوات منهم إلي (المخا) و (زبيد) لمناوشة رجاله هناك ، ولما بلغهم ذهابه إلي (الحديدة) ، ومحاصرته لها ، حركوا قواتهم لاحتلال عسير قبل أن يرجع إليها ، وأعطوا عماله من الأشراف في تهامة ، والذين كانوا يكاتبونهم سراً لقطع طريق عودة محمد بن عائض ، وإشغاله بالمناوشات كي يتأخّر وصوله إلي عسير ليتمكنوا من احتلالها ، ولكن محمد بن عائض شعر بذلك واحتاط للأمر ، وأعطي التعليمات لقادته بسحق كل من يقف في وجههم .

وجد ابن عائض أن الأتراك قد سبقوه إلي المناطق القريبة من أبها ، فلم ير بداً من منازلتهم بقوة رغم تعب جيشه ، وأعطي الأوامر لقبائل السروات أن يحافظوهم علي قراهم من زحف الأتراك ، وأن يبعثوا بأعداد ولو قليلة إلي أبها علي أن لا تخلّ بقوة القبيلة ووقوفها في وجه العدو .

وإن الخوف الذي أصاب لكثرة الشائعات والأراجيف التي بثّها الأتراك قد جعلت الذعر يصيب بعض النفوس الضعيفة فتحرص علي نجاة نفسها فلم تجد سوي التقرب من الغزاة وربما أوحي لها شيطانها بالحصول علي بعض المنافع من مركزه ونحوه ، وصارت تخذل رجالات قبيلتها . =

= كان الجيش الغازي مزوداً بأحدث أسلحة ذلك العصر علي حين كان سلاح الجيش العائضي لا يزيد علي الأسلحة العادية والتي تعد قديمةً بالنسبة إلي عتاد الغزاة ، ومع هذا فقد صمدت قبائل عسير أمام الأتراك ما يزيد علي أشهر من شهر شوال حتي مطلع العام الجديد وهو ١٢٨٩هـ حيث كانت ملحمة (ريدة) البلدة التي تحصّن بها الأمير محمد بن عائض وكانت معقله الأخير حيث تم مصرعه فيها مع عدد من رجالاته ، وأكثر القتلي من الأتراك إذ فتكت بهم الألغام التي وضعها العسيريون من البارود ، وكان الأتراك قد أحكموا خطة الحصار علي بن عائض ، وأجبروه علي اللجوء إليها بعد أن دفعوه إليها دفعاً بعد تطويقها وسدّ جميع منافذ الإمدادات إليها . فقاتل العسيريون في هذا الموقع مع أميرهم قتال المستميت حتي نفدت ذخائرهم ومؤنهم .

وكان لمقتل ابن عائض ، واحتلال الأتراك لعسير صدي واسع في استانبول حيث جعلوا لهم من ذلك اليوم يوم نصرٍ أقاموا فيه الاحتفالات ، وألقيت الكلمات والقصائد أمام السلطان ، وبُعثت برقيات التهاني ، وقلّدت بعض المدن في دولة الخلافة حاضرة الدولة ومن هذه المدن القاهرة ، ودمشق ومكة وبغداد .

وذكر الحفظي أن آل عائض الذين نفوا إلي استانبول مع من أسر من أعيان عسير قد حملوا بعض جرائد تلك الأيام عندما أطلق سراحهم ورجعوا إلي بلادهم .

أما اليمن فعندما وصل إلي قادتها خبر ملحمة (ريدة) خارت عزائمهم ، وعدّوا أنها ضربة قاضية لهم . ولما كان محمد رديف باشا القائد العام لحملة الأتراك كان قد طعن في (ريدة) وحمل الي استانبول حيث كانت وفاته من تلك الطعنة ، فقد بقيت الحملة بإمرة أحمد مختار الذي وحّد قواته لدحر قوات ناصر بن عائض واحتلال أبها ، وقد جاءته الأوامر بالسير إلي صنعاء فرفض ذلك، وقال : إن الخطر يكمن في عسير لا في اليمن ، ولا يصح ترك عسير قبل إلقاء القبض علي أعدادٍ من آل عائض وأعيان المنطقة ، وإخضاع السكان التام ، وقتل هذه الأنفه الموجودة عندهم والتي كانت تدفعهم للالتفاف حول ناصر بن =

= عائض في أبها ، وذلك كي لا يتحركوا بعدها أبداً وعندها يمكن الاطمئنان علي عسير والسير بعدها إلي صنعاء .

لم يكن الشريف عبد المطلب بن غالب بعيداً عما يدور من أحداث في المنطقة لما له من صلات مع رجالات الحجاز وبعض القادة الأتراك ، ولما ترامت أخبار الاستعدادات الواسعة للمسير إلي عسير لاحتلالها والقضاء علي إمرتها هاله الأمر ، إذ أحس بأن ذهاب محمد بن عائض عن السلطة هو وأسرته سيكون ضربة لأحلامه وما يخطط به في استلام شرافة مكة ، بل في ذلك زوال لاتفاقه مع محمد بن عائض الذي تكلمنا عنه لذا فقد أسرع مبعوثا له إلي ابن عائض الذي كان يومذاك في الحديدة فأخبره بأنه قد وصلت إليه أخبار تفيد بأن حملات كثيفة جدا تُجهّز في الحجاز والإحساء ، ونجد ، والعراق للانضمام إلي حملة ضخمةٍ قادمةٍ من بلاد الترك للسير إلي عسير ، وقد شجع هذه القوات ما جاءها من معلومات عن طريق أناس من عسير من أصحاب الدنيا من أهل المصالح ، والذين لا يعرفون من الحياة إلا الكيد ، وحبّ تدمير الآخرين علّهم يرتفعون أو يحصلون علي بعض المغانم التي يحلمون بها ، وقد جاءوا إلي الحجاز من عسير يمثّلون أنفسهم وأمثالهم ، وينقلون الي السلطان أن عسيراً خاوية من الحماة ، فالقوات العسيرية بأجمعها مع أميرها محمد بن عائض في تهامة تقاتل هناك ، وليس في عسير كلها إلا حامية في أبها مع ناصر بن عائض ، ومثلها في (السقا) مع سعد بن عائض ، وأن الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) في استانبول قد أعطي قائد الحملة محمد رديف باشا تعليمات بإجراء الصلح مع محمد بن عائض بقدر الإمكان بناءً علي أوامر السلطان . لذا رأي الشريف عبد المطلب وهذا ما أبلغه إلي ابن عائض بضرورة العودة من تهامة والتحصّن في عرينه ، لإمكانية مواجهة الغزاة القادمين ، والعمل علي تطهير المنطقة من أولئك المنتفعين الذين يتصلون مع الأتراك لوحدة الصف الداخلي وتقويته وكي يفاجئ الأتراك بقوة في عسير لم يكونوا يتوقعونها ، كما اقترح عليه الموافقة علي الصلح حتي ولو كان فيه شئ من الغضاضة ، وهضم حق عسير بعض الشيء فإن ما يُعد في الخارج وفي الحجاز أكبر من الطاقة. وربما كان في الصلح ما يخيب آمال عبدالله بن محمد بن عون وأولئك الذين يأتون إليه =

= من عسير ، وقد يقطع الصلة بينهما إذ يشعرون أنه لا فائدة ترتجي من ابن عون فإنه لا يملك من الأمر شيئاً وليس له من وزن علي مجري الأحداث ، وأن هذا الصلح سيميط اللثام عن وجه عبدالله بن محمد بن عون الذي يتستر به ببعض ما يبعثه من رسائل إليكم من رسائل ولما كانت كتابات الشريف عبد المطلب تؤيد كتابات سعيد بن عائض التي بعثها من قاعدته بالطائف إلي أخيه محمد في اليمن ، وفيها طلب منه العودة الي عسير فوراً وأخبره بأن الأتراك بقيادة مدحت باشا قد احتلوا بلدان القطيف والاحساء والقصيم ، وأن هناك قوة وجهها مدحت الي عسير . ويبدو أن لكلام عبد المطلب بن غالب أثراً في نفس ابن عائض وقناعةً ، لذا فقد ودّع (الحديدة) ورجع مسرعاً إلي عسير مع قواته وأمر بعودة قواته من سواحل اليمن عدا عدن وصنعاء حيث تبقيان هناك للحماية .

ولما وصل محمد بن عائض إلي عسير نظم الأمور مباشرة ولم ير لجمع قوات عسير في مكان واحد ، فقد تدور عليها الدائرة في معركة ، ولكن رأي توزيعها فإن هزمت في موقع انتصرت في آخر ، وإذا تراجعت في موضع فقد تتهيأ في ثانٍ وتتنازل الخصم ، وعلي هذا استمر ناصر بن عائض مع قواته في أبها ، وبقي سعد بن عائض في السقا مع مجموعة ، وانطلق الأمير محمد علي رأس كوكبة الي (ريدة) يتحصن بها بعد أن تراجع في (شعار) و تهلل) و (السقا) .

وشعر رجال القبائل بأهمية المعارك فأسرعوا نحو أبها للمشاركة بالدفاع عن بلادهم ، كما أحس أهل اليمن بخطر هذا القتال الذي سيجري علي أرض عسير ، وأنه سينالهم شرّه ، فإن انتصر الأتراك علي عسير فسيدفعون بعد ذلك إلي اليمن ، وسيكتوون بنار الحرب ، وكابوس الظلم ، لذا فقد رأوا من الضرورة اشتراكهم من البدء مع أهل عسير قبل أن يقاتلوا وحيدين ، كما رأوا بواجب مشاركتهم في الحرب ، لصلتهم الوثيقه مع آل عائض الذين طالما أنجدوهم ، وقدّموا لهم المساعدات كلما طلبوها منهم ، وهكذا جاءت جموع من قبائل من كهلان ، وهمدان ، وحاسد ، وبكيل ، وعك ، كما وصلت إلي أبها قبائل يام ، وتجمعت هذه القبائل كلها في أبها ، ووضعت نفسها تحت تصرف ناصر بن

= وأعطته قيادتها ، فكانت قوة لا يستهان بها ، وغدت أبها حصناً منيعاً يصعب اقتحامه فوجّه ناصر قسماً من القبائل اليمنية إلي الحديدة لطرد الأتراك والتمركز هناك . كما جاءت قبائل من الأفلاج ووادي الدواسر ، وغيرها من عتيبة وحرب ومطير ، ورابطت في (بيشة) مع ابن ضبعان .

لم يتقيّد القائد التركي محمد رديف باشا بالتعليمات التي أعطيت له ، إذ غرته نفسه ، وأعجبته القوات التي يتولي أمرها بأحب ان يقتحم عسيراً كلها ، ويلقي القبض علي أميرها ، ويرسله الي استانبول صاغراً ليُوقع هناك الشروط التي تمليها عليه الدولة العلية فقد يكون في هذا ما يسر السلطان فيرضي عن قائده ، ويمنحه الأعطيات والأوسمة والألقاب التي يأملها ، ويرتفع اسمه عند بقية القادة بل في الدولة العلية كلها ، وفي خارجها ، وقد تسلمه الدولة ولاية كإقطاعية له .

حاصر محمد رديف باشا أبها ، وظن أنه سيقتحمها بسهولة ، عُجبا بنفسه وبقواته ، غير أنه لم يستطع أن ينال منها شيئا بعد أن حاصرها ثمانية أيام ، بل فقد علي أبوابها خسائر تعد جسيمة في نظره ، لذا أخذ يتراجع عمايدور في رأسه ، وخاصة عندما بلغه أن قبائل تهامة الجنوب قد أخذت تتجه نحو (ريدة) دعماً للأمير محمد بن عائض ، وأن وادي (مربه) أخذ يعج بجموع هذه القبائل ، وينظم قدومها عبد الرحمن بن عائض ، كما بلغه قوات من آل عائض في الحديدة ، وكذلك بلغه توجيه قوات بيشة لاحتلال الطائف والسير إلي مكة للتمركز فيها .

طلب محمد رديف باشا من معاونيه " أحمد مختار " و " أحمد فيضي " و " أحمد فيض الله " التركيز علي بلدة (السقا) و (ريدة) قبل فوات الأوان ، وبذل كل الجهود لدخولها ، وتجمعت القوات الخاصة بهؤلاء القادة ، وهاجمت (السقا) معاً ، وتمكنت من دخولها . وانتقل سعد بن عائض ومن بقي معه إلي (الحفير) وصبّ باقي قذائف مدفعيته علي تجمعات الأتراك في (السقا) ففتكت بهم ، واضطروا إلي الالتجاء ثم باشرتهم مدفعية =

= بلدة (الولجة) ليتمكن سعد بن عائض من النزول إلي (ريدة) بحيث يرابط فيها أخوه الأمير محمد .

انتقل محمد رديف باشا إلي (السقا) بعد أن احتلها قوات آل عائض ، واجتمع بمعاونيه هناك ، ورأوا جميعاً اللجوء إلي الحيلة ، وقد أعيتهم مدينة أبها ، وسيعجزون عن (ريدة) ولا بدّ لهم قبل مداهمة (ريدة) من قطع المدد عنها الذي يأتي عن طريق وادي (مربة) ، وقد عجزوا من الوصول إلي (ريدة) وقصفوها بالمدفعية ، واستتخدموا مدفعية (الهاون) فلم يغنهم ذلك شيئاً .

وقد تحدّث أحمد فيض باشا في مذكراته " حرب عسير " عن ما عانته القوات العثمانية في حرب عسير ، ومما ذكره أنه بعد احتلال (السقا) جاءوا ليستقوا من الأباز فوجدوها ملوثة بمادة حمراء فتخوفوا من الشرب منها علي الرغم من أننا اختبرنا سلامة هذه المياه بسقياها للخيل فلم يحدث ضرر ، ولكن خشينا من أثرها علي الإنسان فقط أو أنها تفتك بالشارب بعد حين ، وكذلك طلوا بهذه الماده أسطحة المنازل حتي تتلوث مياه الأمطار التي تتجمع ، وهذا ما جنبنا استعمالها أيضاً . كما ذكر أنهم بقوا عشرة أيام بعد دخول (الصقا) بحالة مزرية إذ قصفتنا مدفعية (الحفير) و (الولجة) و (جبل خبيب) وهو شرق وادي (مقهب) ، وكانت الإمدادات العسيرية تاتي إلي هذا الجبل من بني مالك ، وربيعة ورفيدة ، وعلكم ، وبني مغيد ، ولم نستطع السيطرة علي منافذه ، وقد أصابنا الارتباك في التحرك إذ تصلينا نيرانهم من كل جانب ، ولم تنقطع غاراتهم عن مواقعنا ، وكانت الغارات علي خيول دهم ، ترتقي الجبال دون صعوبة . ولو استمر حصارهم لنا خمسة أيام لاستسلمنا لهم . ولو تم ذلك لانتهى أمر محمد رديف باشا في أبها ، ولكانت تحركاتنا عشوائية .

قررت القادة الترك أن يسير "أحمد مختار" عن طريق – محايل – القنفذة – ويبدى أنه قد ترك مواقعه مغاضباً إلي قائده محمد رديف باشا ، فإذا ما وصل إلي القنفذه اتجه =

= جنوبا إلي (البرك) و (القحمة) و (الشقيق) ، ومنها ينطلق إلي (درب بني شعبة) ، ويصعد في وادي (عتود) فرافده وادي (مربه) ليقطع سيل جموع القبائل التهامية نحو (ريدة) ، ونفذ أحمد مختار الخطة ومعه أحمد فيض الله .

بعد أن نفذ أحمد مختار الخطة التي ذكرناها رتب القوات ، وأوكل قيادتها إلي أحمد فيض الله ، وعاد هو حتي التقاء وادي (مربة) بوادي (حسوة) فصعد في وادي حسوة إلي الشعبين حيث وجد مقاومة من رجال ألمع كادت تقضي عليه غير أنه تجاوزها بعد أن الحق الهزائم بقوات عبد الرحمن بن عائض ، وبعث جزءاً من قواته لضرب (ريدة) من جهة الغرب فتمركزت في غرب جبل (الجبيل) ، وسار إلي (السقا) حيث كان بانتظاره القائد محمد رديف باشا .

أخذ أحمد فيض الله يحول دون وصول القبائل التهامية من الجنوب إلي (ريده) وهذا ما أوقف وصول هذه القبائل ، ولكن أخذت قبائل رجال ألمع تتجه إلي (ريدة) عن طريق وادي (عرفة) أحد روافد وادي (مربه) ، فاصطدمت بتلك القوات ، وكان هدف قوات رجال ألمع حماية الطريق لخروج محمد بن عائض من (ريدة) إلي بلدة (الشرفة) ليتخذها مركزاً حصينا إذ أن المنافذ إليها عديدة ،، ويمكن السيطرة عليها وحمايتها .

بعد أن رجع أحمد مختار إلي (السقا) عاد " محمد رديف باشا " إلي أبها يحاصرها ، غير أن هذا الحصار لم يجد رغم شدته ، بل استطاع سعيد بن عائض أن يدخل السقا ، وأن يخرج الأتراك منها ، حيث كان أحمد مختار قد سار بقسم من الجند لدعم محمد رديف باشا في حصار أبها للتخفيف من وطأة رجال القبائل عنه ، وترك في السقا حامية بقيادة عثمان بك . وهذا ما جعل محمد رديف باشا يخشي عاقبة حملته ، فأبها لم يستطع دخولها ، و(ريدة) لا تزال صامدة ، وفيها الأمير محمد بن عائض ، ومعه أخوه سعد ، والسقا استعادها سعيد بن عائض ، وغدت قلعة لأهلها من جديد ، وعبد الرحمن بن عائض ينظم رجال القبائل ، ويرسل بهم إلي الموقع الذي يحتاج إلي دعم وتحرك بقية آل عائض بمن معهم من قوات علي عدة محاور . =

= ولم تكن قبائل عسير لتخشي الحملة التركية إذا اعتادت علي ذلك الغزو بين المدة والأخري ، وبلادها حصينة ، وتعرف دوربها ومسالكها وشعابها ، وعندها عزة وأنفة فلا تبالي بالخصم وتتحداه ، غير أن الذخيرة أخذت تنفذ منها ، ويقلّ ما بين يديها ،، لذا أخذت تعمل علي مداهمة القوافل التركية فتغير عليها ليلاً أثناء استراحتها وعلي غفلة منها فتنفض ممتطية خيولها علي رجالها بالأسلحة اليدوية فتأخذ ما تطاله أيديها من ذخائر وغنائم ، وتسلب ما تستطيع حمله ، وتعود إلي أماكنها .

لقد أرهب هذا الموقف القائد محمد رديف باشا فخاف أن تداهمه رجال القبائل بقوات كبيرةٍ ، وتحيط به وهو يحاصر أبها ، فيصبح هو المحاصر ، رجال أبها يحيطون به من جهةٍ ، ورجال القبائل يُطوقونه من جهةٍ ثانيةٍ ، لذا رأي أنه لا بد له من العودة إلي موضوع الصلح ، وخير له أن يعود بشرفٍ من أن يرجع بخزي أو يدفن في مكان مع جنده ، علي الرغم من أن استانبول ترسل إليه الجيوش بين وقت وآخر .

أخذ محمد رديف باشا يتداول مع نائبه أحمد مختار في موضوع الصلح ، ورأيا أنه لا يمكن طرحه إلا وهم في موقف هوةٍ كي يملوا علي ابن عائض بعض شروطهم ، وحتي لا يظن الأمير محمد بن عائض في (ريدة) أن طلب الصلح معناه الاستسلام ، فأخذ محمد رديف باشا ونائبه يفكران في إحراز نصر ، ولو كان قليلاً ، واتفقا علي دخول (السقا) فهي أقرب منالاً من غيرها ، ويعدّ نصراً مهما لما لـ (السقا) من أهمية .

سار أحمد مختار علي رأس قوة من (أبها) إلي (السقا) ، واستطاع أن يدخلها ، بل ووقع أميرها سعيد بن عائض أسيراً في يده . لجأ أحمد مختار إلي طريق السياسة والمخادعة ، فاكرم سعيداً وأخذ يتلاطف معه ، ويبدي له أن حملتهم لم تكن لها من مهمةٍ سوي اعتراف عسير بالتبعية للدولة العثمانية ، ولا يرغبون أبداً في حكمها من دون أهلها ، ولو تم الاعتراف لانسحبت القوات التركية مباشرة من عسير ، واقترح عليه أن يذهب إلي أخيه الأمير محمد في (ريدة) يعلمه عن مهمة الحملة التركية علي عسير بصدق ويستشيره في المفاوضة الرسمية ، بل لا مانع من أخذ تفويض منه للبدء بإجراء مفاوضات رسميةٍ =

= لم يمانع سعيد في ذلك ، بل وأراد اختبار صدق أحمد مختار في حديثه الذي طرحه عليه ، وجديته .

أطلق سراح سعيد بن عائض ومن وقع معه في الأسر وسار إلي أخيه محمد في (ريدة) ، وعرض عليه وعلي مجلس الشوري ما دار بينه وبين أحمد مختار ، وأخذوا يتباحثون في شروط الصلح المقترح ، وتوصلا إلي شروط بعد أن درسا وضع الذخيرة بأيدي القوات العسيرية ، وأنها قد أوشكت علي النفاذ ، وطلب القادة المستمر لتوفيرها لرجالهم . وكانت نقاط الصلح التي توصّلا إليها هي :

١ – ضرورة إطلاق سراح الأسري من كلا الجانبين .

٢ – لا مانع من اعتراف عسير بالتبعية الاسمية للدولة العلية ، وأن تكون متصرفية خاصة، ترتبط مباشرة باستانبول ، ولا علاقة لها بولاة الحجاز ، ولا ولاة مصر .

٣ – قبول أمير عسير لقب " أمير الأمراء " الذي سبق للسلطان أن منحه إياه بوساطة خديوي مصر إسماعيل .

٤ – انسحاب القوات العثمانيه من عسير وسواحلها مباشرة ، بعد توقيع أمير عسير وثيقة الصلح .

٥ – إعطاء شرافة مكة لعبد المطلب بن غالب وإقامة مجلس شوري برئاسته ويضم علماء الحرمين .

٦ – عدم إيواء المجرمين الذين يأتون من إقليم أي من الطرفين ، وتسليمهم إلي أولي الأمر في الإقليم الذي فرّوا منه لإقامة الشرع عليهم .

٧– تشمل متصرفية عسير تهامة من (القنفذة) حتي (المخا) وتضمّ من الداخل بلاد همدان نجران ، والعقيق ، والأفلاج ، (وبيشة) و (تربة) و (الخرمة) و (رانية) وبلاد بني الحارث جنوب الطائف ، وصعدة ، وصبحا ، والدوادمي ، وعفيف ، وظلم ، ومنازل قبائل هذه المناطق وما امتدت إليه شمالاً وشرقاً ، وأن تكون القبائل المنداحة في نجد وعلي سواحل الخليج من قحطان ويام والدواسر وسبيع وعتيبة مرتبطة =

= بعسير ، وأن ساحل سلوي قسماً من عسير لوجود تلك القبائل هناك كما كانت في عهد علي بن مجثل

٨ – تعطي الحرية للقصيم بالاستقلال لأن أهله لا يريدون الارتباط لا بولاة نجد ولا بولاة حائل ولا الحجاز .

٩ – تعطي الرياض وما يرتبط بها إلي سعود بن فيصل بعد رفع يد أخيه عبد الله عنها وذلك لضعف عبدالله بن فيصل ومحاولة ابن رشيد كسبه إلي صفه وضمه إليه .

١٠ – يختار علماء اليمن حكومة لبلادهم تخضع لإشراف مجلس شوري .

أخذ سعيد بن عائض هذه الشروط وغادر (ريدة) في طريقه إلي (السقا) حيث قدمها إلي أحمد مختار ، وبعد قراءتها حملها وسار إلي أبها لعرضها علي محمد رديف باشا ، ومعه سعيد بن عائض ، والتقيا معه في منطقة (الخباطي) في الجبل الشرقي حيث كان هناك مقر قيادته ، فعرضا الشروط علي محمد رديف باشا ، وأبدي موافقته المبدئية عليها ، ولكنه أضاف شرطا آخر ، وهو ضرورة وجود حاميةٍ عثمانيةٍ دائمةٍ تتخذ من (حلي) مقراً لها ، أو تنقله إلي مكانٍ آخر إن وجدت في ذلك مصلحة لها ، أو دعت ظروف المنطقة إلي ذلك .

أخذ سعيد بن عائض شروط الصلح إلي أخيه محمد في (ريدة) ، وعرض عليه ما أضافه محمد رديف ومن وجود حاميةٍ عثمانيةٍ دائمةٍ في (حلي) فلم يمانع الأمير محمد علي ذلك ، ولكن قيّد ذلك بضرورة محافظة هذه الحامية علي تعاليم الإسلام ، ووجود عالم معها ، ويرجع إليه أفرادها في شؤون دينهم أو يُعيّن من قبله ، وألا تتعرض هذه الحامية لأحد من سكان المنطقة الذين يرجعون أصلاً إلي قبائلهم وشيوخهم وأرائهم ، ولا يصح أبداً أن يرجع أحد من أبناء عسير إلي الحامية التركية في شأن من شؤونه . واشترط محمد بن عائض وقوف إطلاق النار مجرد وصول خبر الموافقة إليه .

حمل سعيد بن عائض موافقة أخيه الأمير محمد إلي أحمد مختار في (السقا) الذي حملها بدوره إلي محمد رديف في مقر قيادته فوقّعها ، وأعلن أنه سيدخل أبها ، وأن علي محمد بن عائض أن يخبر أخاه ناصراً في أبها بعدم المقاومة ، وكان ذلك بعد موسم حج =

= عام ١٢٨٨ هـ ، وكان الشريف عبدالله بن محمد بن عون ضمن القيادات مع محمد رديف ، وقد أحس بوجود سعيد بن عائض في مقر القيادة فأدرك أن هناك مفاوضات تجري في الخفاء ، وحاول أن يستوضح جلية الأمر من أحمد مختار . فلم يحصل علي نتيجة ، فأبدي تذمراً ، وأعلن أنه لا بد من القضاء علي محمد بن عائض ، واحتلال عسير ، وضمّها إلي الدولة بالقوة إذ كفي الدولة ما تعانيه من حروبٍ من أجل إخضاع هذه المنطقة ، وقد حان الوقت وتهيأت الفرصة لتحقيق ما تبغيه الدولة فيجب أن تستغل ذلك دون تباطؤ . وكلما تأخر الوقت لم يكن ذلك في صالح الدولة ، ولما كرّر هذا الكلام ، وألحّ باستعجال الأمير ، طلب منه المغادرة والعودة إلي مكة خشية أن يكون إلحاحه محاولة استطلاع ما قد تم سراً بين محمد رديف وأحمد مختار أو أن يكون ضالعاً مع آل عائض ، وذلك لكثرة تغيير مواقفه ، وهذا ما علل به المحفظي أمر إرجاعه ، وأحمد فيض في مذكراته (حرب عسير) .

ولكن الصحيح أن ذلك كان بسبب وصول خبر إلي محمد رديف بأن محمد بن عائض قد جهّز ثلاث حملات ، وهو في محايل من قبائل غامد وزهران وبني الحارث وخثعم وشمران لدخول مكة بعد أن رأي ضغط الأتراك عليه شديداً ولا يمكنه دفعه إلا بالهجوم من جهة ثانية تؤلم العدو فلم يجد أولي من الهجوم علي مكة ، أما الحملتان الأخريان فكانت إحداهما إلي نجد وأما الثانية فإلي اليمن ، وأمر القوات المرابطه في صنعاء بأن تذهب إلي زبيد والحديدة والمخا وأبي عريش .

فرجع خائفاً يتصوّر استفحال أمر آل عائض وإمكانية سيطرتهم علي الحرمين ، وإبعاده عن شرافة مكه مادام عبد المطلب بن غالب علي قيد الحياة ، وهو نصير آل عائض .

رجع الشريف عبد الله منسحبا إلي مكة ومعه مجموعة من رجاله لا تزيد علي الخمسين نفراً ، ولما نزل من عقبة (شعار) تعقبه مجموعة من رجال عسير بإمرة محمد بن يحيي بن مرعي ابن عم الأمير محمد بن عائض ، وسلبته ما معه ، ولم ترد قتله ، وإنما جرحته في وجهه إهانةً ليبقي علامةً علي ذلك ، وإشارةً لسوء فعلته في محاباة الترك ضدّ قرابته . ووصل خبر ذلك إلي أحمد مختار فلام سعيد بن عائض علي هذا العمل فأنكر علمه بأي =

= شيء من هذا . واشتدت مراقبة الأتراك علي المنافذ المؤدية إلي (ريدة) و (أبها) بطريقةٍ مقبولةٍ لا تشعرهم بهدفها .

وما أن تحركت حملات آل عائض حتي كان الوضع قد انتهي في أبها فعادت إلي أماكنها بعد ما بلغها ذلك .

وصلت وثيقة الصلح محمد بن عائض موقّعه من محمد رديف ، فوافق وأخبر سراً أخاه ناصراً بما تّم عليه من شروط وأن أوضاعنا لا تسمح لنا باستمرار المقاومة ، وعلينا أن نقبل بهذا الصلح ولو مكرهين تقديراً للحالة التي تعانيها قبائل المنطقة من التعب الذي أنهك قواها أثناء عودتها من تهامة والتحامها بالحرب مباشرة ، كما تعلم قرب نفاذ الذخيرة من أيدينا ، ونخشي من إدراك ذلك فيستغلونه فتقع البلاد تحت وطأة هذه القوات الغازية ، وما موافقتنا للصلح إلا تداركاً للأمر وخروجنا من هذه المحنة بشرفٍ ، غير أن ناصراً قد بعث إلي أخيه محمد سراً أن هذه مخادعة ، ويجب أن نرفض الصلح ، وأن نكون حذرين من مكرهم ، وأنا من جهتي لن أسمح لمحمد رديف بدخول أبها متكبراً ، مظهراً النصر ، ومبلغا حكومته أنه دخل أبها قهراً ، وكم أتمني أن يعود لدولته ذليلا يجرّ وراءه ذيول الهزيمة والذل .

طلب الأمير محمد بن عائض من أخيه سعيد إبلاغ أحمد مختار ليفهم بدوره محمد رديف أن شروط الصلح قد تّمت الموافقه عليها ، وأن وثيقة الصلح قد وقّعت ، وأن دخول أبها لا يعني شيئا أبداً ، وهو كذلك ليس من شروط الصلح ، فما علي محمد رديف إلا التقيد بشروط الصلح ، وفك الحصار عن أبها ، والمغادرة إلي (السقا) ، ثم الخروج من البلاد .

رغب محمد رديف باشا في إنهاء الموضوع بسرعة لما وصل إليه من أنباء أن المدد الذي سيصل إليه من الحجاز أو نجد قد حالت القبائل العسيرية دون وصوله ، وطلب من أحمد مختار بالتوجه إلي (ريدة) مع سعيد بن عائض ، وإعلام الأمير محمد بن عائض أن الأمر قد تمّ علي ما يحبّ ، وأنا في طريقي إليه في طريق عودتي - إن شاء الله - وسار أحمد مختار وسعيد بن عائض إلي (ريدة) حسب أوامر محمد رديف ، وأبلغا محمد بن عائض بما قاله محمد رديف باشا .

= سار محمد رديف بقسم من القوات المحاصرة لأبها إلي (السقا) إيهاماً بفكّ الحصار . وفي (السقا) أمر القوات التي سارت معه بالعودة إلي أبها واقتحامها علي ناصر بن عائض ومن معه فيها ، في زمن حدّده لهم ، وهو مدة وصوله إلي (ريدة) وإنطلق من (السقا) بجزء من القوات المرابطة فيها ، وأمرهم بالتحصن في قلاع (الحفير) ، وتوجيه المدافع نحو (ريدة) انتظار الأوامر منه بالإشارة إلي رمي (ريدة) بالمدفعيه ، والإسراع بالمشاة إليه إن دعت الحاجة .

واتجه محمد رديف إلي (ريدة) مع كوكبة من الجند ، فلما وصل إليها استقبله الأمير محمد بن عائض ومعه إخوته عبدالله ، وسعد وسعيد ، ونائبه أحمد مختار . ولاحظ الأمير محمد علي محمد رديف علامات الغدر ، وفعلاً لم يلبث محمد رديف أن أعطي أوامره أحمد مختار بإلقاء القبض علي محمد بن عائض وفهم سعد بن عائض ما قاله محمد رديف لأحمد مختار لأنه كان يعرف التركية ، فنبّه أخاه محمداً ، فأخذ حذره مباشرة ، واشتبك الفريقان في معركة حامية ، فطعن سعد بن عائض محمد رديف بمدية كانت معه ، وصرع محمد بن عائض ، وأمر عبدالله بن عائض رجاله بتفجير الألغام ، وانقلبت (ريدة) كما يقول الحفظي إلي ليل دامس ، فالمدفعية في (الحفير) تطلق بحممها علي (ريدة) والألغام تنفجر ، ومدفعية آل عائض في (رأس الجبيل) و (الغمرة) تلقي بقذائفها علي المدفعية التركية في (الحفير) ، وعلي عقبة (ريدة) لمنع الأتراك من النزول ، ولا تدري القوات من كلا الطرفين بما يحدث ، وتلقي قذائف نيرانها جذافاً .

وسرت أنباء معارك (ريدة) في أرجاء عسير ، ووصلت إلي خارج المنطقة ، وأنها تجري في صالح آل عائض ، وأن الأتراك قد أصبحوا في قبضة العسيريين ، وشاع الخبر في الغرب ، فأسرع الأسطول الانجليزي إلي البحر الأحمر ، يريد أن يجد ثغرة ليتدخل في الأمر . وأزعجت تلك الأخبار دار الخلافة فبعث بالمدد . وأرسل ناصر بن عائض عدة مدافع للتمركز في ظهرة جبل (تلاع) عن طريق (غاوة) و (المجزعة) لضرب الأتراك في السقا ، وحماية قوات عسير المتجهة إلي (ريدة) لدعم إخوانهم . =

= استسلمت قوات آل عائض في (ريدة) ونواحيها ، وعددهم يقرب من ثلاثة آلاف بعد أن انتشرت أخبار الكارثة ومصرع أميرهم محمد بن عائض ، وأسر عدد من آل عائض والأعيان الذين كانوا في (ريدة) مع المقاتلين ، وأحصي عدد القتلي في (ريدة) فقط ، كما قال الحفظي : فكان من الأتراك ١٧٥٣ قتيلاً ، بينهم من القادة أحمد فيض الله ، وسعدي بك ، وتوفيق آغا ، وفي أبها كان عدد القتلي ١٦٦٣ من الأتراك ، وفي طبب ٤٩٣ عدا بقية القتلي الذين خرّوا صرعي أثناء زحفهم علي القري التي مروا بها ، ثم كان المشير محمد رديف باشا الذي طعن ثم وافته المنية بسبب تلك الطعنة ، وكان من أبناء عسير ١٩١٥ قتيلاً منهم : الأمير محمد بن عائض ، وأخواه سعد وعبدالله ، وأسر ستمائة وثمانون بينهم عدد من آل عائض منهم سعيد ، وعبد الرحمن ، ويحيي إخوة الأمير محمد ، وكان بينهم نساء منهم فاطمة بنت سعد بن عائض ، وعمتها فاطمة بنت عائض ، ومنهم من آل الحفظي : أحمد ، ومحمد ابنا موسي بن جعفر ، وموسي بن إبراهيم ، وعلي ، وأحمد ابن عبد القادر الحفظي ، وقد تحدّث أحمد فيض الله بمذكراته بإسهاب عن هذه الحادثة وذكر جميع أسماء الذين أخذوا أسري من دولة آل عائض ، ومكانتهم . ويبدو أنه كان متأثراً لمقتل الأمير محمد بن عائض حيث كان معجباً بإمكاناته ونبله مع رجولةٍ وتضحيةٍ ، ووصفه بذلك كله . ونقل عدد من القادة من بين الأسري إلي استانبول ، وأمر السلطان بتوزيعهم علي الولايات لتطمس أخبارهم لكنه عاد وغيّر رأيه عندما بلغه أن المعارك لاتزال مشتعلة في عسير ، وأن أعيان المنطقة قد بايعوا ناصر بن عائض الذي كان يتحصّن في أبها ، وقد وقع في يده الكثير من الأتراك أسري مما جعل السلطان يتريث عن إنفاذ ما قرر في حقهم من عقوبة خوفاً علي الأسري من الأتراك . وقد أمر السلطان بعد ذلك بإكرامهم ، ثم طلب أن يسمح لهم بمقابلته ، وتمّ ذلك فارتجل أحمد الحفظي خطبة بليغة مؤثرة بين يديه ، كما تكلم سعيد بن عائض بكلام حادٍ ضمنّه ما حدث من غدرٍ بعد الصلح وما جري من تصرفات من المشير محمد رديف باشا لا تتفق مع هيبة الخلافة ، ويجب استدعاؤه وطلب وثيقة الصلح ، وإن كل دمٍ أريق بعده يُعدَ جريمةً أنتم المسؤولون عنها =

= امام الله ، وقد أثار ذلك الكلام حفيظة السلطان علي قائده فاستدعي ، وقُدم للمحاكمة التي قضت بفصله من الجيش ، وخلع رتبته العسكرية ، غير أنه لم يلبث أن أدركته الوفاة بسبب طعنته التي طعن بها في معركة (ريدة) .

بقي الأسري في استانبول تحت رعاية السلطان مدة سبع سنوات (١٢٨٩ - ١٢٩٦) ، وأوكل من يقوم بشؤونهم ، وكان العامة من الأسري من يتسلل ويعود إلي بلاده أما عائض وآل الحفظي فلم يمكنهم ذلك ، وعمل بعضهم وخاصة الحفاظية بالتأليف في الفقه والأدب والتاريخ والأنساب ، وأهدي أحدهم وهو أحمد عبد القادر إلي الخليفة كتاباً أسماه السياسة الشرعية في حق الراعي علي الرعية ، وقدمت مؤلفاته وقصائدهم هدية للسلطان ، وإن كانت قد رفعت عنهم الرقابة ، وخاصة بعد أن تزوج سعيد بن عائض بـ "رفعة بنت عبدالله ابن السلطان محمود الثاني " ومات في استانبول أحمد بن عائض (١٢٩٠هـ) وعلي بن عائض (١٢٩١هـ) ويحيي بن عائض (١٢٩٢هـ) . ومن كتب لهم الحياة عادوا ومنهم عبد الرحمن بن عائض ، وأخوه سعيد بن عائض ، وابنة أخيه فاطمه بنت سعد بن عائض .

أما (ريدة) فقد دُمرت قلاعها وحصونها ، وكانت من قبل مقراً لآل يزيد جيلاً بعد جيل ، وتُعد مفخرة عسير . وعمل الغزاة علي تغيير اسمها لتنسي من التاريخ فأطلقوا عليها اسم (صيدا) وكان أول من أتخذها من أسلافه مقراً لحكمه علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وبني قصره المشهور فيها ، وأطلق عليه اسم "حوارين" .

وأما الأمير محمد بن عائض فقد كان لمصرعه ، وهو في سن الشباب ،، ومنتهي الرجولة والشجاعة صديً واسع في الجزيرة العربية كلها ، بل وتجاوزها ، وقيلت القصائد الطوال في مدحه ، وفي رثائه . ولم يتجاوز عمره يوم وفاته الثامنة والثلاثين ، إذ وُلد في جمادي الأولي عام ١٢٥١هـ ، وتولي الحكم في الثانية والعشرين ، وكانت مدة حكمه ستة عشر عاماً وعدة أشهر ، وكان - رحمه الله - علي جانبٍ من العلم ، هو وإخوته ، إذ تلقوا علمهم في حلقات التدريس التي كانت منتشرة في المدن والقرى على أيدى العلماء من آل =

= الحفظي وغيرهم من علماء المنطقة وممن وفد عليها من اليمن ، والحجاز ، ونجد ، ومصر ، وكان أبوهم قد أرسلهم بأسماء مستعارة لتلقي العلم في مصر ،والشام والعراق ، وبعدها إلي الحجاز ، ولمعرفة أحوال الناس ، وكان يجيد أكثرهم الشعر ، ومنهم محمد ،إذ كان ناصر بن عائض قد غادر أبها ليتخذ من (تثليث) قاعدة ينطلق منها إلي قتال الأتراك ، وخلف بها أخاه يحيي عندما انسحب محمد رديف باشا بجزء من قواته التي كان يحاصر بها أبها متجها إلي (السقا) ، فلما وصلت إلي ناصر أخبار (ريدة) وما حلّ بأهله عاد مسرعاً إلي أبها ، وتحصّن بها ، وشدّد قبضته عليها .

ورأي أعيان عسير بأعينهم غدر الأتراك ، وما حلّ بمنطقتهم نتيجة ذلك الغدر ،فلم يأمنوا الغزاة ، ولم يأنوا علي حياتهم وأملاكهم ، ورأوا أن أفضل السبل لهم للمحافظة علي حياتهم هو الاستماتة في قتال الذين دخلوا بلادهم وغدروا بهم ، والقتال لا بدّ له من أمير، فاجتمع مجلس الشوري في أبها ، وقرّر مبايعة ناصر بن عائض أميراً لعسير ، وخوّله بتولّي أمر القتال الذي كان يمارسه من قبل .

أخذ ناصر بن عائض يقاتل الأتراك بمن معه من أبناء عسير ، وفي هذه الأثناء جاءت أوامر سلطانية بترقية أحمد مختار باشا إلي رتبة مشير ، وأمر بالسير إلي اليمن فاتجه نحوها ولم يجد أمامه مقاومة تذكر حتي وصل إلي صنعاء فاتخذها مقرا له ورفع أحمد فيضي إلي رتبة الباشوية ، وأمر أن يخلف أحمد مختار باشا في عسير ، وأن يتولي قتال العسيريين الذين يقودهم ناصر بن عائض . وقد قال أحمد مختار باشا للصدر الأعظم أن الخطر في الجزيرة إنما يتمثّل في عسير وليس في اليمن ، وكان من الأجدر بقاء القوات فى عسير كقاعدة تتحرّك منها حتى تنهى وضع آل عائض .

أخذ الصراع بين (السقا) حيث يتمركز الأتراك ، وبين أبها حيث يُرابط العسيريون بقيادة ناصر بن عائض ، وكانت المناوشات مستمرةً ، وفي إحدي المعارك التي استبسلت فيها قوات عسير والمحاصرة للأتراك في (السقا) أصيب ناصر بن عائض برصاصة أودت بحياته بعد مدة فمات في ١٠ المحرم ١٢٩٥هـ . =

= كان ناصر بن عائض قد أمر مشايخ القبائل الذين معه في أبها الذين يقاتلون الترك أن يسيروا إلي بلادهم بعد أن كثرت الأراجيف بأن الترك قد جاءوا من كل جهةٍ نحو عسير ، من نجد ، ومن الحجاز ، ومن تهامة ، ومن اليمن فوقع الخوف في نفوس رجال القبائل من أن تتعرّض قبائلهم للمعرة وبطش تلك القوات الغازية ، وأمرهم ناصر بن عائض بأن تكون كل قبيلةٍ مسؤولةً عن حماها من أن يدخلها الأتراك ، فانصرفوا متحمسين لمنازلة خصومهم، وتركوا مع الأمير ناصر ممثلين عن القبائل من أجل المقاومة . ولما قتل الأمير ناصر بويع ابنه محمد فتابع طريق أبيه .

وجاءت قوة من الحجاز بقيادة " عاصم بك " نحو بلاد الحارث في الشمال فانهزمت، إذ اجتمع عليها بنو الحارث وبنو بجيلة ، وبنو مالك ، وبعض عتيبة .

وجاءت حملة من الطائف باتجاه تربة وبيشة بإمرة صبحي بك ، ودخلت تربة والخرمة ، ورانية، واقتربت من (بيشة) فالتفت عليها قبائل (بيشة) في (الحيفة) ، وإبادتها .

واتجهت حملة أخري من الأحساء نحو الأفلاج ووادي الدواسر فردت من الأفلاج .

كما جاءت حملة من الرياض إلى وادى الدواسر عن طريق القويعية وسقمان فهزمت علي مشارف الوادي .

استمرت المقاومة بين العسيريين والترك بقيادة محمد بن ناصر الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمرة إذ لم يكن من آل عائض غيره ، فدعمه الأعيان ونهضوا به وبقي ذلك حتي رجع بقية آل عائض من الأسر في استانبول فطلب محمد بن ناصر من الأعيان أن يتجهوا إلي أعمامه ويبايعوا أحدهم .

ذهب أعيان عسير إلي سعيد بن عائض ودرسوا معه ما حلّ بالبلاد وأهلها من الجور ، وعرضوا عليه بيعته ، لكنه أبى ، بل وحذرهم من عاقبة أمرهم حيث أن الدولة لا ترحم ، وستشدّد قبضتها علي من يستعصى عليها ، وأن وضع عسير لا يمكنها من القتال ما عانت من ويلات الحرب ، فاتجه الأعيان بعد رفضه إلي أخيه عبد الرحمن فوافقهم . =

= كان أول عملٍ قام به عبد الرحمن بن عائض مهاجمة قلعة شعار بمن معه من قبائل قحطان وشهران ورجال الحجر ، وكان يهدف من وراء تلك العملية قطع طريق الإمدادات التي تأتي من تهامة عن طريق محايل إلي السراة عبر قلعة شعار ، وتمكن فعلاً من مباغتة قوات قلعة شعار ، وقضي علي القسم الأكبر منهم ، ومن نجا فرَّ باتجاه تهامة أو نحو أبها عن طريق (طبب) حيث توجد فيها حامية تركية .

وصلت أخبار عملية عبد الرحمن بن عائض إلي متصرف عسير عثمان باشا فأراد الانتقام من قبائل رجال الحجر الذين شاركوا ابن عائض في تلك العملية وتأديبهم مما قاموا به إذ جعلوا (تنومة) مقراً لابن عائض . فسار توفيق بك إلي رجال الحجر بقوةٍ كبيرةٍ غير أنها هُزمت .

كان لهاتين العملتين وقع كبير في نفوس العسيريين إذ شدّتا من عزائمهم ، وانطلقوا يتصدون للأتراك في كل مكان ، فحاصروا (السقا) و (طبب) و (أبها) وسيطروا علي منافذ تلك المدن لمنع وصول الإمدادات إليها .

أمر ابن عائض رجال ألمع أن تتحرك بإمرة حسن بن عبد المتعالي للهجوم علي القوات التركية في الشعبين ، ومحايل ، وإلقاء القبض علي عبدالله الكناني وأعوانه ، فلبّت رجال ألمع الأمر وأسرعت لتنفيذ المهمة التي ألقيت علي عاتقها وتمكنت من إحراز النصر عليها ، ففرّت تلك القوات التركيه نحو (القنفذة) و (صبيا) و (أبو عريش) حيث توجد قوات للأتراك متمركزه فيها .

كما أمر ابن عائض شيخ قبائل بني شعبة حمود بن عرار بن شار بمهاجمة الأتراك في (صبيا) و (أبو عريش) و (جيزان) وطردهم من تهامة ، واتخاذ أبي عريش مقراً له ، وأنجده بقبائل بني حبيب بن مالك ، وبني أنمار ، وبني ربيعة ، وبني وائلة ، فتمكّن من النجاح ، وتمركز في أبي عريش ، وفرّ قائد الترك هناك حسني بك إلي صنعاء يطلب الاستنجاد ومعه أحمد بن علي بن حيدر الشريف الخيراتي .

ضرب ابن عائض الحصار علي مدينة أبها عام ١٢٩٩ هـ ، وتمكن عدد من قواته التسلل إلي داخل مدينة أبها لضربها من الداخل، واستمر الحصار أكثر من شهرين، واستنجد =

= متصرف عسير باليمن والحجاز والأحساء ونجد ، فجاءته قوة من كلٍ من تلك الجهات ، ووصلت قوة الحجاز عن طريق تهامة ، وكانت القبائل تتصدي لها علي طول الطريق غير أنها كانت تتجاوز تلك المقاومات لضخامة القوة الغازية ووصلت إلي أبها ، كما وصلت قوة اليمن ، وتمكن القادمون من فكّ الحصار عن أبها ، إذ أمر الأمير عبد الرحمن بإظهار التراجع ، وفسح المجال للأتراك بدخول المدينة ، وأن تكون هناك مناوشات جانبية توهم الترك بتقدّمهم حتي إذا ما دخلوا المدينة عاد فأطبق عليهم ، فلما دخلوا أحكم عليهم الحصار .

وأمر ابن عائض رجال القبائل الذين أوكل إليهم الإشراف علي الطرق المؤدية إلي عسير بقطع هذه الطرق في وجه الإمدادات التي قد تأتي من أية جهةٍ ، وبهذة الطريقة انفرد رجال عسير بالقوات التركية المحاصرة في أبها .

ولما بلغ والي اليمن أحمد ما تعاني القوات المحاصرة في أبها أسرع بإرسال قوة إليهم من صنعاء بإمرة محمد بك عن طريق تهامة نجدةً للأولي غير أنها قد قضي عليها في أبي عريش بقوات من رجالٍ بني شعبة ، وقبائل بيش بقيادة ناصر بن عبدالله الشماخي ، فلما بلغ والي صنعاء هزيمة القوة التي أرسلها أسقط في يده ، إذ خشي أن يثير ذلك حفيظة اليمنيين فيثوروا عليه فأظهر أمام أعيان صنعاء عدم الاكتراث خوفاً علي مركزه من أن يثير ذلك حماسة اليمنيين فيناهضوا القوات التركية تضامناً مع عسير إذ أن كثيراً من قبائل همدان مشاركون في حصار أبها ، ولكن لم ير بدا من إشعار الباب العالي بمحاصرة أبها ، وما آلت إليه هذه القوة ، ولما أخبره جاءته التعليمات بضرورة إرسال القوات التي يراها إلي عسير وأن قوات قادمة إليه من استانبول .

وعندما بلغ أحمد فيضي نبأ مصير قواته في أبي عريش تضايق جداً ، وأمر فوراً بحشد قواتٍ كثيفةٍ وانطلق علي رأسها باتجاه عسير ، ورغب في اقتحامها من جهة الجنوب عن طريق بلاد همدان وسنحان وقحطان ، ولما توغّل في بلاد همدان ، جاءه مبعوث من حيدر باشا يعلمه أن الحصار عن أبها قد انتهي ، إذ فكّ رجال عسير حصارهم بناءً علي وساطة الأمير سعيد بن عائض الذى رأى أن استمرار الحرب ليس في مصلحة عسير =

= وسيؤدي بها إلي الخراب حيث غدت مناطق الجزيرة كلها في قبضة الأتراك ويمكن حشد أهلها وسوقهم لقتال العسيريين . فرجع أحمد فيضي إلي صنعاء ، وأبلغ السلطان ما تمّ ، فشكر السلطان لسعيد بن عائض حسن صنيعه ، وأصدر فرماناً بتنصيبه أميراً علي عسير الشمالية (بلاد شمران وخثعم ، وبالقرن وبني عمرو وغامد وزهران وبنو الحارث وبيشة وتربة) فاتخذ الأمير سعيد بلدة (الظفير) مقرا له ، وعيّن الأميرعبد الرحمن مُعاوناً لمتصرف عسير برتبة باشا ، وأوكل إليه شؤون قبائل عسير من صعدة إلي الطائف ، وبقي في عمله حتي توفي عام ١٣٠٥هـ أما سعيد بن عائض فبقي في عمله حتي عام ١٣١٥هـ حيث اعتزل العمل ، وانتقل بعائلته إلي مكة المكرمة ، وانقطع إلي العبادة حتي وافته منيته عام ١٣١٦هـ. وانصرفت زوجته رفعة حفيدة السلطان محمود الثاني بأولادها إلي استانبول . وحل محلّه الأمير عائض بن محمد بن عائض .

استمر الأمير عبد الرحمن في عمله حتي توفي عام ١٣٠٥هـ ، وبايع العسيريون بعد ذلك ابن أخيه علي بن محمد بن عائض الذي كان غير راضٍ عن وساطة عمه سعيد في الصلح ، وهذا ما جعل بينه وبين الأتراك حاجزاً شفافاً فلا يلبث أن يخترق عند حدوث أدني خلاف وكان هناك في عسير من يؤيد هذا الموقف الرافض بين رجال القبائل ومجلس الشوري ويقول الحفظي : إن خروج علي بن محمد علي الصلح كان برأي عمه عبد الرحمن لتكون قوته تهدد الأتراك في حالة ضغطهم علي قبائل عسير ولتشعر القبائل أن هناك قوة رادعة يمكن الرجوع إليها في حالة تعسف الترك .

كان متصرف عسير العثماني ينظر إلي مجلس الشوري أنه الجانب المحرّض ضدّ القوات التركية ، فيحاول كسبه ، لذا فقد قرر لكل عضو فيه عشرين ليرة عثمانية ذهبية ، وحوّل اسمه من مجلس الشوري إلي مجلس شيوخ الجبل بعد موافقة أمير عسير السابق علي اعتبار أنه الرئيس لذلك المجلس . ويقصد بالجبل سروات الطود الممتد من صعدة إلي الطائف ، وهو ما أطلق عليه اسم عسير في القرن الثاني الهجري ، عندما استقل به الأمير علي بن محمد اليزيدي كما مرّ . =

= كان الأمير علي بن محمد بن عائض قد اتفق سراً مع إمام صنعاء المنصور محمد بن يحيي ابن محمد بن يحيي حميد الدين الحسني علي طرد الأتراك من عسير واليمن بالقيام في وقت واحدٍ علي أن يمد علي بن محمد المنصور بقواتٍ من عسير تساعده بمهمته ، وأن يطلع كل منهما الآخر علي تحركه وتحرّك قواته .

أخذ علي بن محمد يتضايق من وجود القوات التركية في عسير ، وكلما مرّ زمن زادت مضايقته ، فلما صعب عليه التحمّل عام ١٣٠٦هـ نزل إلي حرملة ، واستدعي مجلس الشوري إليه سراً حيث أصبحت المقر الرسمي له ، وكذلك فقد كاتب أمراء الجزيرة للوقوف سويةٍ في وجه الأتراك وإخراجهم من البلاد ، منددا بأفعالهم ، ومحذرا من نواياهم .

قام بأول حركةٍ له عام ١٣٠٧ هـ ، وكان متصرف أبها يومذاك عثمان باشا إذ بدأت المناوشات بين الطرفين واستمرت طويلاً ، ولم تستطع القوات التركية الحدّ من نشاط علي ابن محمد لما يتمتع به من نفوذ بين القوات العسيرية ، وليقظته الدائمة ، ولتحصنه في أماكن منيعة .

وكانت القوات التركية في عسير تموّن وتمدّ باستمرار من القوات المتمركزة في صنعاء، والرياض ، وجدة ، والأحساء ، والقصيم. وفي الوقت نفسه فإن أشراف مكة لم يرتاحوا لحركة علي بن محمد بن عائض إذ خشوا أن تعود لآل عائض قوتهم التي كانت لهم في السابق ، وتهددهم في مكة والحجاز، وكذلك فإن أمير حائل محمد بن عبدالله آل رشيد الذي كان يرغب في مدّ نفوذه إلي نجد علي حساب الأتراك غير أن رجال القبائل في القصيم قد وقفوا في وجهه حيث كان يري في علي بن محمد بن عائض القوة الكامنة التي يخشي بأسها وخاصة عندما وصل إلي عسير عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركي بعد وفاة عمه عبدالله عام ١٣٠٧هـ ، فأصبح ابن عائض المخيف لابن رشيد، ولذا فقد ركز علي القصيم باعتبارها الفاصل بين الطرفين، وخاف ابن رشيد من انضمامها إلي عسير علي أساس أنها تتلقي الدعم منها فتزيله من حائل وتضمها إلي عسير وتولي أمرها عبد العزيز بن سعود ، وهذا ما جعل أشراف مكة يتعاونون مع ابن رشيد الذي استغل هذا التعاون لصالحه فأخذ يمدّ يده إلي ما كانت تحت ولاية فيصل بن تركي باسم العثمانيين. =

= أخذ اشراف مكة يحاولون استمالة بعض القبائل العسيرية مثل بجيلة ، وغامد وزهران ، وبلحارث ، وقبائل بيشة، والدواسر ، والأفلاج ، والبقوم ، وبيع وكذلك علي بعض قبائل تهامة كبني زيد ، وبني شعبة والقبائل الأخري الممتدة قبائلها من الليث إلي حلي، ومحاولة إثارة هذه القبائل ضد آل عائض وإخافتهم مما هم عازمون عليه من دعم حركة ابن عائض، وتذكيرهم بما حلّ بالقبائل العسيرية ورجالها قبل الحكم العثماني عام ١٢٨٩هـ كما كان الأشراف يحرضون قبائل عتيبه ومطيروعنزة علي القصيم والانخراط في صفوف الأتراك.

أما الشيوخ الذين يسيطرون علي الأجزاء الممتدة علي الخليج العربى فلم يكن لهم حساب إذ أنهم يأتمرون بانكلترا التي لها نفوذها الواسع هناك ، وهي تحرص أن يكونوا تحت سلطتها لتتخذ من حمايتها لهم ذريعة لقتال الأتراك فلما أرادت القبائل العسيرية أن تتمركز في ثغر حكومتها علي الخليج العربي (سلوي) حيث تتبع هناك قلاع علي بن مجثل وعائض بن مرعي ، ضربتها القوات البريطانية وذلك عم ١٢٨٧هـ ، وكانت القبائل العسيرية قد اتخذت ميناء سلوى مقراً لها منذ أن انطلقت في مواطنها لمساعدة مقرن بن زامل الجبري ضد البرتغاليين من الفرنجة الذين دخلوا الخليج العربي عام ٩٢٣ هـ في عهد الأمير اليزيدي إبراهيم بن عائض بن علي بن وهّاس الذي بني هناك قلاعاً لمرابطة العسيريين لاتزال آثارها إلي الآن .

وتكررت حركات علي بن محمد ، وكانت هذه الحركات تنطلق كلها من مركز قوة إلا أنها تفشل لوجود عمه سعيد في بلاد غامد وزهران حيث كان يحدّ من جماحة إضافة إلي أن القبائل العسيرية كانت تحترم سعيد بن عائض فلا تريد أن تخرج عن رأيه ، ولا ترغب في إثارته ، أو خفر ذمته ، فلا تنهض كلها نهوض رجلٍ واحدٍ . وقد يكون هذا أمراً متفقاً عليه علي حد زعم أشراف مكة في التقارير التي يرفعونها إلي والي الحجاز .

كان الأمير علي بن محمد ينازل الأتراك بين حين وآخر حيث يري أن بقاءهم في عسير لا يأتي علي المنطقة إلا بشر ، وأن تعاطف عمه سعيد معهم لم يكن إلا مرحليا إذ يري أن عسيراً الأن غير قادرة لمقاومة دوله عظمي كالدولة العثمانية ، إذ يحتاج الأمر إلي وقت فإن ما يملكه العثمانيون من أسلحة لا يملك العسيريون سوي ١/ ١٠٠ منها، وإن ما يملكه أهل =

= عسير لا يتعدي البنادق القديمة وبعض ما يحصلون عليه في الحرب من خصومهم إضافة إلي الأسلحة اليدوية البسيطة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن العثمانيين يسيطرون علي معظم أرض الجزيرة العربية ، وبإمكانهم حشد قوات هائلةٍ من المناطق الواقعة تحت سيطرتهم هذا بالإضافة إلي القوات التركية من خارج جزيرة العرب . وهذا ما جعل الأمير عبد الرحمن بن عائض أمير عسير السابق يقبل بالوساطة التي قدمها أخوه سعيد ويقبل الصلح الذي عرض عليه ، فإن استبسال العسيريين وحماستهم الشديدة وصرامة موقفهم ضد الأتراك لا يكفي كي يقوموا ضدّ دولةٍ كبيرةٍ وليس بأيديهم السلاح المناسب والكافي .

ومع ذلك كله فإن الأمير علي لم يهدأ له بال بوجود الأتراك في عسير ، ولم يكفّ أيضا مناوشتهم بل ظلّ يهتبل الفرص لمنازلتهم وشنّ الغارات عليهم ، وهذا ما جعل الأمير سعيد بن عائض يعتزل العمل وينتقل إلي مكة عام ١٣١٥هـ ، ويفسح المجال لابن أخيه .

وكان من فتكات الأمير علي بن محمد ما وقع عام ١٣١٠هـ حيث أن أمر عامله علي صعدة الشريف أبو نبية أن يكون علي أهبة الاستعداد لدخول مدينة صنعاء لدعم المنصور ، وذلك أن الأتراك اتخذوا من مدينة محايل نقطة تجمّع لدعم قواتهم في أبها وفي صنعاء فحشد الأمير علي قوات وداهم بهم القوات المتمركزة في محايل فلم يفلت أحد من الأتراك، وكان لهذه الواقعة صدي في الحجاز واليمن وفي نجد ، وهذا ما جعل المنصور يتحرك نحو صنعاء بمساعدة قوات أبي نبية . كما أن الحادثة قد استنفرت قبائل عسير من الطائف إلي صعدة ، وهذا ما جعل موقف سعيد بن عائض يتأزم ، وخشى أن يفسر الأتراك هذه الواقعه بأمر منه ، لذا فقد اتجه فوراً إلي أبها ، ولما وصل إليها عمل علي تهدئة الوضع ، وأرسل ابن أخيه محمد بن ناصر بن عائض إلي ابن عمه الأمير علي بن محمد بن عائض في (الشرفة) يخبره برغبة عمه سعيد بملاقاته في (السقا) . وكان الأتراك في أبها قد أرسلوا معظم قواتهم في أبها إلي السقا لحماية أبها والمنافذ المؤدية إليها واستنجد متصرف عسير بصنعاء لإرسال مدد إليه كما أحاط والي الحجاز علماً لما حدث . =

= وكان والي الحجاز قد استعجل بالأمر وأرسل قوة إلي أبها من مكة المكرمة ومتخذة السراة طريقاً لها ، غير أن القوات عندما وصلت إلي بلاد بني الحارث فوجئت بهجوم قبائل بني الحارث وبجيلة عليها فهزمتها وسلبت ما معها من عتاد ، وفرّ من استطاع الفرار من أفرادها .

كان سعيد بن عائض عندما سار إلي (السقا) اصطحب معه شيخ شمل قبائل زهران بن رقوش ، وشيخ شمل غامد محمد بن عبد العزيز الغامدي بالإضافة إلي شيخ شمل خثعم محمد بن واكد ، وشيخ شمل شمران سعد بن عبدان ، وشيخ شمل بني القرن محمد بن ناصر ، وشيخ شمل بني عمرو سعيد بن عثمان ، كما اصطحب معه من مشايخ بني شهر : العسبلي ، وابن دعيش ، وابن العريف ، وكان اصطحابه هؤلاء الأعيان للتأثير علي ابن أخيه علي كي لا يغامر ، ويزج عسيراً في حربٍ جديدةٍ . وجاء علي إلي عمه بالسقا حسب الموعد الذي حدده له ، وجاء معه مشايخ بنو مغيد ، وعلكم ، وربيعة ورفيدة ، وبني مالك ، ورجال ألمع وبني شعبة ، ومشايخ وادعة ، وسنحان ، وعبيدة ، وناهس ، وشهران ، وبيشه ، والوادي ، وتهامة عسير بما فيهم مشايخ بالأسمر وبالأحمر ودُرس في اللقاء وضع البلاد تحت سيطرة الأتراك ، ونتائج الحرب فيما لو تحرّك العسيريون ، وإمكانية ذلك ، وتباينت الآراء ، ثم ترك سعيد وعلي المباحثات ليتداولها مشايخ القبائل الحضور بصفتهم يشكلون القوة الأساسية لعسير وقد توصلوا إلي أن الوضع الحالي في عسير لا يمكن السكوت عليه ، ولما فيه من سوء ، ولأن رجال القبائل لم يعتادوا الضيم ، ولم يسبق لهم أن رأوا بلادهم مُحتلة بهذه الصورة ، وإن القبائل لتقف بجانب الأمير علي وتدعمه لمجرد ظهور أول بادرة من متصرّف عسير ، وعندها لا بدّ من إخراج الأتراك من البلاد . أما إذا ادّعي العثمانيون أنه من الضروري دعم الخلافة الإسلامية للوقوف في وجه الكفار ، وأن بلاد المسلمين واحدة تُؤيد الخلافة وتدعمها فلا مانع من ذلك ، وتكون عسير متصرفية تتبع الخلافة اسمياً ، وقد وقفت هذه المتصرفية بجانب الدولة العثمانية عندما انطلقت للدفاع عن أرض الإسلام ضد الغزاة البرتغاليين في القرن العاشر ، ولكن يدير شؤونها أهلها ، ولا علاقة للأتراك بتسيير أمور عسير .

= أما إن كان ما يشاع من أن الباب العالي يعمل لإقامة مراكز للقوات التركية في كلٍ من : التماص ، وبيشة ، ونجران ، والوادي ، والأفلاج ، وغامد وزهران ، وتثليث ، وصعدة ، وظهران وغيرها ، فهذا لا يمكن السكوت عليه أبداً لأن معناه توطيد أقدام الترك في هذه المناطق ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن ذلك يُؤدي إلي قيام احتكاك بين الأتراك وأبناء البلاد بشكلٍ دائمٍ وهذا ما لا يرضي عنه أحد ، إذ نعمل علي التفاهم والتقارب علي الخلاف والتباعد . ومن ناحية ثالثة فإنه من الأفضل توجيه هذه القوات لمواجهة الكفار ، ودعم ذلك بقواتٍ من المسلمين من كل مكان ، وليس بعثرة هذه القوات وتوزيعها في بقاعٍ شتي ، وحرمان أبناء المسلمين في هذه المناطق من الجهاد يجعلها تفكّر بمواجهة هذه القوات الموضوعة لها ، ويجب أن لا ننسي أن وضع القوات التركية في هذه المناطق لها أثرها السلبي ، إذ أن بعض عناصرها يتخذ من الدخان عادة له إضافة إلي بعض العادات الفاسدة الأخري ، وهذا ما يكون له تأثير السيء علي أبناء البلاد الذين يختلطون معهم ويحتكون بهم ، فلربما انتشرت هذه العادات في هذه المجتمعات التي لا تزال نظيفة من هذه التأثيرات الغريبه عنا والتي هي من صفات غير المسلمين . وقد تتشكل بسبب ذلك جماعة تمعن فساداً في أهل البلاد ما دامت جزءاً منهم ، ولابدّ من وجود حكومةٍ قويةٍ تأخذ علي أيدي هذه الجماعة إن أرادت تشد ، ولا يمكن أن تكون هذه القوة من الأتراك إذ يرون بينهم مثل هذه الجماعة ويسكتون عنها ، ولم يتخذوا أية طريقةٍ لردعها ، لذا رأوا أن ما ذهب إليه الأمير علي هو عين الصواب ، ولا بدّ من مقاومة الأتراك . وأبلغوا الأمير سعيد وابن أخيه الأمير علي بما تم عليه الرأي .

لم يكن الأمير سعيد بعيداً عن هذا الرأي غير أنه يري أن الوقت غير مناسب الآن ، وأنه من المصلحة أن يعمل وسيطاً كي يرحل الأتراك من عسير وألا يبقي في المنطقة إلا مجموعة صغيرة تبقي في أبها كمركز لتبعية عسير إلي الخلافة ، وإنه سيبذل جهده لتحقيق هذا ، وإنه مقتنع بالحصول علي المطلوب من الباب العالي ، فما كان منهم إلا أن تركوا له الأمر للعمل كوسيط وبالشكل الذي يراه بالاتصال مع الصدر الأعظم . =

= رجع مشايخ القبائل إلي قبائلهم ، وعاد الأمير علي إلي قاعدة حكمه في (الشرفة) بجبل (قو) ، أما الأمير سعيد فرجع إلي أبها ، وبدأ عمله بالحديث مع متصرف عسير ، غير أن المتصرّف ليس له من الصلاحية ما يخوله للحديث في هذا الموضوع ، لذا فقد لاذ بالصمت وطلب من الأمير سعيد أن يتجه إلي الباب العالي - إن رغب - لطرح هذه الآراء .

عاد الأمير سعيد إلي مقر عمله في بلاد غامد وزهران ، وبدأ من هناك بالاتصال بالصدر الأعظم ، وقدم مقترحاته للوصول إلي حلٍ مناسبٍ لوضع عسير بشكلٍ ترضي عنها الدولة العثمانية ، ويخلد معه أهل عسير إلي الهدوء حيث يأمنون علي أنفسهم وأملاكهم وبلادهم .. وطالت المباحثات وتعددت السفارات بين الأمير سعيد والباب العالي ولكن دون جدوي نتيجة كيد الأشراف وتخويف الدولة العثمانية الدائم من تفرّد آل عائض بالسلطة في عسير . ولما لم يجد الأمير سعيد أذاناً صاغية وتفهماً من قبل رجال الدولة قدم استقالته من منصبه كأميرٍ علي بلاد غامد وزهران وغيرها ، واتجه إلي مكة المكرمة من غير أن ينتظر الموافقة علي استقالته ، كما مرّ .

أما الأمير علي فإنه منذ أن رجع إلي (الشرفة) أخذ يستعد للمقاومة ، ويناوش القوات التركية .

وإن وجود سعيد بن عائض كأمير علي بلاد غامد وزهران قد أدّي بخدمات جلّي إلي كثير من القبائل علي اختلاف منازلها وأماكنها ، وذلك لماكان يتحلّي به من صفات الحلم والأدب الجم . إضافة إلي العلم وحسن الحديث ونظم الشعر ، ورغبته في خدمة الآخرين وعدم وقوع حساسيات بين القبائل والقادة الترك دون أن تكون له مصلحة أو يفكر بأي نفع ، ومن هذه الخدمات : كانت القوات التركية قد فرضت علي قبائل عتيبة وعنزة ويام ومطير والعجمان وضع إبلها تحت تصرّف المسؤول التركي لاستخدامها في مصلحة الأتراك ، وذلك من باب فرض السخرة ، وقد أصاب هذه القبائل أذي كثير من هذا التصرّف إذ أن هذه الإبل هي الوسيلة الوحيدة لتنقلها وعملها ، كما أنها المصدر الرئيسي لوسيلتها في الحياة ، ولكن لم تستطع أن تفعل شيئاً حيث لا تملك ما تستطيع دفع الضيم عن نفسها، فلما بلغها أن الأمير سعيد سار إلي بيشة عام ١٣٠٧هـ وأنه مقيم الآن في =

= قصر الأمير صقر بن حسان في بلدة (القاع) أسرعت إليه وعرضت عليه ما تشكو منه ، وهي تعرف مكانته عند رجال الدولة ، ولما تحقّق من وقوع الظلم علي هذه القبائل تعهّد لشيوخها أن يُزيل عنهم الضيم الذي لحقهم من تسلّط الأتراك ، وراسل الصدر الأعظم ، وأبان له الحق ، وخوّفه من مغبة الأمر ، فاستمع الصدر الأعظم وأبلغ القوات التركية في جزيرة العرب كلها أنه لا يصح أبداً تطبيق نظام السخرة ، وإذا اقتضت الحاجة إلي رجالٍ أو جمال فلا بدّ من أن يكون ذلك بالأجر والرضا . وعندما بلغت القبائل هذه التعليمات سرّوا جداً ، وشكروا للأمير سعيد حسن صنيعه ، أما هو فقد طابت نفسه لنجاح مسماه .

وفي عام ١٣٠٩هـ شكت قبائل عتيبة من نزوح قبائل قحطان المستمر ، ومنافستها علي مواردها حتي ضاقت بها الحياة ، فاتجه أعداد من مشايخ القبيلة إلي قصر الإمارة في (الحيفة) في منطقة بيشة حيث كان ينزل هناك ، وعرضوا عليه الأمر ، فما كان منه إلا أن استدعي مشايخ قحطان وأبان لهم الوقع بأسلوبه المعروف ، ثم حدّد المنازل لكلا الطرفين بخط يبدأ من جبل حضن ، ويمتد إلي جبال دخن والشعراء ، ثم ينثني إلي العارض محتضناً القويعية ومناطق الرين ، فيكون لعتيبة ما كان غرب الخط وشماله ، ولقحطان شرق الخط وجنوبه ، فرضي الطرفان ، وجعل مشايخ قبائل بيشة قبلاء علي الطرفين . وكذلك صنع مع مطير والعجمان حينما توغّل العجمان في مناطق مطير .وللأمير سعيد بن عائض ديوان شعر ، جمعه عبدالله بن عثمان بن عقالة الغامدي ، كما ضمنّه رسائله ، ولا يزال مخطوطاً عند ابن عقالة.

وبعد أن ارتحل سعيد بن عائض إلي مكه المكرمة نشط أمير عسير علي بن محمد بن عائض ، وأجمع العسيريون علي مبايعته إذ كانت له من الميزات ما تؤهله لذلك حيث كان علي درجة من الورع والتقوي ، ضليعا فى فقه الإمام الشافعي ، وعلي مستويً رفيعٍ من الأدب إضافة إلي شجاعته وجلده .

جمع الأمير أعضاء مجلس الشوري ، وطرح الموضوع العام الذي تتعرّض له البلاد ، وأبان لهم الخطة التي يريد أن يسير عليها ، وهي الإغارة علي التجمعات التركية وإشغالها ليتمكن من السيطرة علي أبها والمراكز الهامة الأخري ، فوافق المجلس علي هذه الخطة . =

= وجّه الأمير عليّ أخاه عائضاً ليكون أميراً علي شمالي عسير ، فنزل في قصر الحكم في الظفير ، فاستدعي مشايخ غامد وزهران ، وبني الحارث ، وبجيلة ، وسلول ، وسبيع ، والبقوم ، ومعاوية ، وأكلب ، وقبائل الحلف (بنو واهب ، بنو منبه ، وهتيم ، وبنو عامر ، وبنو الحارث) ، وخثعم ، وبني عمرو ، وبني القرن ، وأطلعهم علي ما قرره مجلس الشوري في عسير ، وعلي الخطة التي ينوي أمير عسير اتخاذها ، وطلب منهم أن يكونوا علي أهبة الاستعداد ، وأن يحولوا دون وصول أي قوات تركية عن طريقهم إذ بلغهم وجود استعدادات تركية في القصيم والطائف لدعم القوات المتمركزة في عسير واليمن .

ووجّه ابن عمه محمد بن ناصر ليكون أميراً في تثليث ، فنزل دار الإمارة في جاش ، فاستدعي مشايخ قبائل الوادي ، والأفلاج ، وتثليث ، وطلب منهم ما طلبه ابن عمه عائض ابن محمد من قبائل شمالي عسير .

كما وجّه ابن عمه الآخر ناصر بن عبد الرحمن بن عائض إلي (الحرجة) فسار إلي مقر عمله واستدعي مشايخ قبائل سنحان ، ووادعة ، ونجران ، وصعدة ، وسار معهم كما سار أبناء عمومته مع مشايخ قبائلهم ، إذ كانت تلك خطة اتفق عليها الأمراء قبل أن يسيروا إلي مواطن أعمالهم .

وعيّن سعيد بن إبراهيم بن عبد الوهاب آل عبد المتعالي في (الشعبين) ، واستدعى قبائل تهامة ، وأعيانها من الأشراف ، وسار علي الطريقة نفسها . كما عين سعد الدين بن علي الجمالي علي (حلي) و (القنفذة) .

بعث الأمير علي إلي محمد بن يحيي المنصور في اليمن رسولاً يخبره بما قرّر القيام به ، وأمره بالاستعداد ، وذكره بالمراسلات التي كانت بينه وبين الهادي ثم معه والتي كانت عام ١٣١٠ هـ ، والتي أعقبها مجزرة عظيمة حلّت بالقوات التركية في منطقة رجال ألمع ، وحلي ، والتي جعلت القيادة التركية تهبّ لإرسال قوات إضافية من استانبول ، وجعلت هدفها القضاء على كل إمارة لا تريد الانصياع لأوامر الصدر الأعظم التركي ، والتي تخشى من بروزهم لو تّم النصر لآل عائض إذ علّوا إمارة عائض القوة الرئيسية في الجزيرة ، والتي تثير قلقهم باستمرار ، وما سواها فقد تمكّنوا من السيطرة عليهم . =

= وأرسل الأمير علي إلى عبد العزيز بن متعب آل رشيد رسالةً مع بختيان بن سعد شيخ المشاعلة الذي توفي وهو في طريقه فخلفه تركي بن حسون الذي شاخ بعد وفاة عمه بختيان – وكان الشيخ تركي هذا مقطع حق إلي أهل الحساء الذين كانوا يركبون إليه ليقضى لهم وقد أمر الأمير علي عبد العزيز بن رشيد بالتحرك باتجاه منطقة الخليج واكتساحها وطرد الدخلاء منها ، وأخبره أن اتفاقا تّم في قطر بين عبد الرحمن بن فيصل آل سعود وبين الإنكليز ، وقد وعد الإنكليز ابن سعود بالدعم ، ونُقل إلي الكويت ليكون قريباً من مبارك الصباح الذي بلغنا سوؤه ، وإن الذي نخشاه أن يكون النصاري الإنكليز قد استغلوا ضعف ابن سعود ورغبته التي كانت في الماضي وسيلة فأصبحت الآن غاية تكمن فيها مطامعه الجامحة إلي السلطة ، وأنه سيكون أداة طيعةً لهم يسير في ركابهم ، إن حققوا له أمنيته ، كما تمّ لمبارك الصباح الذي تكاد تقتله شهوته ، حسب ما بلغنا ، لذا فهو يتفاني في ولائه للإنكليز ، ويجب أن تعلموا أن مبارك الصباح قد يُوجه إلي حائل قوة مع ابن سعود . وإننا سنمدكم بالقوة التي تحتاجونها ، وفي الوقت الذي تريدون وذكر عبدالله بن عمر البدلي مؤرخ أحداث مرحلة علي بن محمد بن عائض ، وكاتبه الخاص ، أن الهدف من هذه الرسالة شدّه إلي تطلعاتٍ واسعةٍ لإشغاله عن الترك حيث يعدّ الوحيد في نجد الموالي لهم . وكان رد ابن رشيد موافقاً لرغبة الأمير علي .

استمرت المناوشات بين رجالات عسير والأتراك حتي توفي المنصور عام ١٣٢٢هـ ، وخلفه ابنه المتوكل يحيي ، وكانت أكثر الصدامات لمصلحة العسيريين .

نافس المتوكل يحيي بعض أهله فاستنجد بالأمير علي فأنجده برجال وادعة وسنحان ، وكان المتوكل قد جعل (شهارة) قاعدةً لحكمه ، وقوي مركزه بوصول الدعم إليه ، وخنع منافسوه ، وقام بمناوشة الأتراك من جهته ، وشاغلهم عن خط علي بن محمد لمحاصرتهم في أبها .

أحس الأتراك ببعض ما يخطط لهم ، فسارت قوة تركية من القنفذة بقيادة عمر باشا ، وتمركزت في (النماص) ، وأسرت فراج العسبلي إذ كان مرابطاً مع قوةٍ في النماص ، وذلك بعد معركةٍ بسيطةٍ إذ لم تكن قواته متكافئة للجند الغازية له . =

= وضع عمر باشا حامية مع فؤاد بك واتجه هو إلي الظفير للقضاء علي تلك القوات العسيرية المرابطة هناك بقيادة عائض بن محمد لإمكانية وصول إمدادات تركية من الطائف والقصيم والأحساء وليكون القتال في جهةٍ واحدةٍ وشلّ الجهة الشمالية من عسير عن الحركة والقتال إلي جانب إخوانهم في أبها .

طلب الأمير علي من رجال قبائل بني عمرو ، وبني القرن ، وشمران ، وخثعم ، الابتعاد من وجه قوات عمر باشا وتركه يستمرّ في سيره نحو الظفير حتي إذا وصل إليها التفوا حول مشايخهم ، وأحاطوا بالقوات الغازية حيث تكون قد أصبحت بين جبهتين ، ونفذت الخطة ، وقضي علي عمر باشا ومن معه .

وسار بعض بني القرن وبني عمرو نحو النماص لإخراج من فيها من الأتراك مع فؤاد بك ، وفك أسر فراج العسبلي ومن معه من مشايخ بني شهر . وبلغت هزيمة عمر باشا إلي فؤاد بك فلاذ بالهرب مع من معه ، ولكن رجال القبائل القادمة إليه قد تمكّنوا من إبادة أكثر قواته وإن كان قد سلم هو ونجا بنفسه مع أفراد قليلين .

وفي هذه الأثناء وصل إلي (الحرملة) مبعوث من يحيي حميد الدين في صنعاء لإخبار الأمير علي أنه في طريقه للحركة ، وقد ثارت همم قبائل اليمن والتفت حول شيوخها ، وانطلقت مؤيدة له ، وأحسّ الوالي التركي في صنعاء بما يدور ، فجمع قواته في صنعاء وتحصّن بها ، وطلب النجدة من القوات التركية في الحديدة ، والمخا ، إذ طوّقت قبائل اليمن صنعاء .

وكان الأمير علي قد بعث ناصر بن مبخوت بقبائل همدان الجنوبية لطرد الأتراك من صعدة، وتمكّن ابن مبخوت من تنفيذ مهمته وتمركز فيها ، وجعلها قاعدة مدد .

ولما وصل مبعوث يحيي حميد الدين إلي الأمير علي قام باستنهاض القبائل ، وأعطاها موعد اللقاء في السقا، وتمّ اللقاء ، وقضوا علي القوات التركية هناك، ثم انطلقوا نحو أبها فطوّقوها من كل جهةٍ ، وذلك في شوال من عام ١٣٢٣هـ، واستمرّ الحصار ثمانية أشهر، وعاني الأتراك خلالها شدّة من قلة التموين إذ لم تستطع الإمدادات أن تصل إليهم، وهذا ما اضطرّ بعضهم إلي الاستسلام في المناوشات التي لم تنفكّ أبداً طيلة هذه المدة. =

= وكُلفت قبائل عسير بالمرابطة في أماكنها المحددة لها ، فكانت مقاتلة قبائل قحطان وشهران متمركزةً في المنطقة الممتدة من (الشرف) إلي (مشيع) ، ومقاتلة قبائل عسير الشمالية تتمركز في الخط الممتد من (قاعد) إلي (رضف) إلي (الخديلة) بأعلي ضياعة ، وأما مقاتلة بقية القبائل فقد أخذت مواقعها من منطقة (الشرقي) إلي (العثربان) . وكانت المقاتلة العسيرية تتخذ هذه المواقع البعيدة تلافياً لأخطار المدفعية التركية ، وكانت الغارات تتمّ ليلاً عادةً لتكون بعيدة عن أنظار العدو ، ولتكن خيلهم المغيرة في مأمن من تتبعها بالمدفعية . أما الترك فقد كانوا يقذفون قطع البزّ المشتعلة كي يُراقبوا حركة القبائل ،ويتبعوا ذلك بالقنابل ، وكان متصرف عسير يومذاك إسماعيل حقي باشا ، وقد وزع جنده علي أحياء مدينة أبها كي يحولوا دون تحرّك الأهالي ومساعدة مقاتلة القبائل المحاصرين للمدينة .

أما المقاتلون العسيريون الذين يُطوقون أبها فقد تطوّع عدد منهم للتسلل إلي قلب المدينة ، والالتقاء مع الأهالي ، وتشكيل جبهة عسكريةٍ داخل أبها لحصر القوات التركية بين جهتين إحداهما محاصرة والأخري من الداخل ، وتطوّع من كل قبيلة عشرة أنفار حتي بلغوا ثلاثمائة وخمسين رجلاً ، وكان علي رأسهم من آل عائض : عائض بن ناصر بن عائض ابن عبد الرحمن بن عائض وعائض بن محمد بن عائض ، وعائض بن علي بن محمد بن عائض ، وعبدالله بن علي بن محمد بن عائض ، وعبيد الله بن علي بن محمد بن عائض ، وعبد الرحمن بن ناصر بن عائض ، وعبدالله بن عبد الرحمن بن عائض ، والحكم بن عبد الرحمن بن عائض ، ليكونوا قدوة لمشايخ القبائل التي أوكلت إليهم قيادتها .

تسلّل المتطوّعون ، وتمركزوا في الأحياء ، كل في الحي المخصص له ، وذلك بعد إخبار المواطنين ، والطلب إليهم بتنفيذ خطة لإمكانية التسلّل ، حيث تجمّع المواطنون في منطقة البحار مطالبين بتأمين المواد التموينية الأساسيه للحياة ، فخشى القادة الترك مغبة ذلك التجمّع فأحاطوهم بقوات جلبوها من مداخل المدينة ، وهذا ما فسح المجال للمتطوعين بالتسلل . =

= استجاب القادة الترك لمطالب الأهالي المتجمعين في البحار ، ووعدوهم بتأمين المواد التموينية ، ورجعوا إلى أحيائهم ، فوجدوا المتسللين قد سبقوهم إليها ، وبذا نُفذت الخطة، وفي اليوم التالي بدء الحصار الحقيقي لمدينة أبها.

وكانت قبل أيام قد بلغت الأمير علي أخبار فشل يحيي حميد الدين في اقتحام صنعاء ، واضطر إلي فك الحصار عن المدينة والالتجاء إلي بلدة (شهارة) ومتابعة الترك له ، وحصاره فيها ، وذلك بعد أن رأي كثرة القتلي بين رجاله ، واستبسال الترك إذ رأوا أن المعركة انتحارية إذ خافوا من وصول قوات عسير مساعدة ليحيي حميد الدين ، وخاصة بعد أن بلغهم قرب وقوع أبها بيد العسيريين ، كما أن رجال القبائل في اليمن وعسير قد زاد نشاطهم ، وارتفعت معنوياتهم بعد أن لاحظوا عاصمتي المنطقتين وشيكتي الوقوع بيد أبناء البلاد ، وأن القوات التركية علي وشك الهزيمة المؤلمة ، وأن رحيلها أصبح شبه مؤكد ، وهذا ما حمل والي اليمن أحمد فيضي باشا أن يخابر الصدر الأعظم بضرورة الإسراع بسوق قواتٍ جديدةٍ إلي عسير لفك الحصار عن أبها وإنقاذ قوات الدولة في عسير واليمن وقد خشي الأمير مغبة ذلك وخاف أن ينتهي الأتراك من اليمن ، ويتجهوا إلي عسير بكامل قوتهم ، وهذا ما جعله يضع خطة التسلل إلي أبها .

أسرعت الدوله بتسيير حملتين ، كل منهما تضمّ عشرين ألف جندي ، كانت أولاهما بقيادة تحسين باشا والثانية بإمرة كاظم باشا ، أما القيادة العامة فهي لمحمود شوكت الذي اتخذ من جدة مقراً له وأبقي لديه بعض القوات ، وأبحرتا من استانبول إلي القنفذة ، وتمكنتا من دخولها ، وطرد الحامية العسيرية منها ، ودخل تحسين باشا إلي الداخل باتجاه (حلي) ، ومنها سار إلي (محايل) ، ثم صعد إلي السراة عن طريق وادي (تيه)، ليتمركز في (شعار) ، وأما كاظم باشا فانطلق من القنفذة إلي (الحديدة) واستطاع من طرد الحامية العسيرية منها بعد مناوشات ، وقبل أن يتحرك إلي صنعاء بلغه انتصار أحمد فيضي باشا علي يحيي حميد الدين ، وحصاره في (شهارة) ، وجاءته تعليمات والي اليمن بالتمركز في الحديدة والعمل علي طرد العسيريين من المراكز القريبة منه ، وكانت بعض قطع الأسطول الإنكليزي قد ضربت الحصار علي موانئ عسير من القنفذة إلى عدن لدعم الأتراك فيما إذا انتصر عليهم العسيريون . =

= وكان الانكليز قد حاولوا أكثر من مرة أن يكسبوا علي بن محمد إلي صفهم ، ويفسحوا له المجال للتوسع ، غير أنهم فشلوا في مسعاهم ، وردّهم بتعالٍ ، أورثهم حقداً عليه .

بلغت أخبار القوات التركية إلي الأمير علي ، وعرف ما حلّ برجاله في تلك المدن التي دخلها الترك ، فبادر بارسال قوةٍ من قبائل (بالأسمر) و (بالأحمر) و (بني مالك) و (ربيعة ورفيدة) لتُشاغل القوات التركية ريثما يتم دخوله أبها وكان قوام هذه القوات لا يزيد علي ألفي رجل .

وكان تحسين باشا قبل أن يرتقي عقبة (تيّه) قد أفرز فرقة من قواته باتجاه ديار (ربيعة ورفيدة) عن طريق عقبة (رجم) ، واستطاعت هذه القوة من المرور ببلدان (الزهراء) و (طبب) و (الغال) و (الطلحة) و (الملاحة) حيث تمركزت في هذه البلدة الأخيرة ، وكانت هذه البلدان خالية من مقاتلتها الموجودة علي أطراف أبها مع المحاصرين .

وقبل أن يصل تحسين باشا إلي (شعار) ، وهو يرتقي العقبة أخذ الرصاص ينهال عليه فأخذ يطلق المدفعية عليهم ، وهو يتقدم نحو هدفه ، وأخافت المدفعية العسيريين لأنهم يملكون مدفعاً واحداً منذ عام ١٢٨٩هـ قتل الأمير محمد بن عائض ، ودخل الترك عسير حيث سحبوا مدافع آل عائض كلها ، ونقلوها إلي الحجاز ، وجرّدوا باديته وحاضرته من الخيل ليجعلوهم بطيئي الحركة . وأخيراً وصل تحسين باشا إلي (شعار) وتمركز فيها .

وما أن دخل تحسين باشا إلي (شعار) حتي وصلت رجالات القبائل العسيرية ، فأخذ الترك يشاغلونهم حتي تلتفّ عليهم الفرقة التركية التي تمركزت في (الملاحة) إذ أخبرها عن طريق بعض الرجال الذين استطاع كسبهم إلي صفة بالإغراءات ، وهم عادة من ضعاف النفوس ، وهبّت هذه الفرقة التركية التي في الملاحة لدعم تحسين باشا في شعار، وأحس العسيريون بذلك ، وعلموا أنه لا بدّ من الاستماتة في القتال ما داموا سيُطوقون ، وقد توهّم العسيريون الذين حول شعار أن القوات التركية التي جاءتهم من الخلف إما هي من القوات التي في أبها ، وقد مني الأمير علي بالهزيمة التي كان سببها الرئيسي نفاذ الذخيرة ، وجاء القوات التركية بعد انتصارها . =

= قرر العسيريون الذين حول شعار أن يلقوا بأنفسهم في معمعة القتال بكل طاقاتهم حيث لا فائدة من الرجوع إلي بلدانهم بصورة غير مشرفةٍ ، ولامجال لاستطلاع الأخبار أو الانتظار لاستجلاء الأمر من الذاهبين إلي بلدانهم أو القادمين منها إنه لا بدّ من المعركة سواء أدّت إلي موت بشرف أو انتصار بفخر ، وكان القرار بالاستماتة في ميدان المعركة .

لجأ العسيريون حول شعار إلي الحيلة بعد أن رأوا أنفسهم مطوقين من كل جانب .

أظهرت مجموعة من العسيريين أنهم يريدون الاستسلام ، فرفعوا أيديهم إشعاراً بذلك، لكنهم كانوا متمنطقين بالمعيرات ، فما أن اقترب الأتراك منهم يريدون تقييدهم وحملهم أسري حتي أسرعوا إليهم بالمعيرات واشتبكوا معهم بقتالٍ بالأيدي ، والتحمت القوتان بعضها مع بعض ، فذبحت أعداد كبيرة من الطرفين ، فالأتراك أخذ بعضهم يقتل بعضاً ، وهم لا يدرون لكثرتهم ، ولم ينج من العسيريين إلا ما يقرب من المائتين وخمسين ، وعرفت تلك الموقعة بملحمة شعار ، إذ جمع الأتراك قتلي العسيريين وأحرقوهم في بطن الوادي ، علي حين دفنوا قتلاهم قرب العقبة ، وكان يدفن الثلاثة والأربعة في قبرٍ واحد .

أثارت حادثة إحراق الأتراك لقتلي العسيريين حفيظة رجال القبائل الخمس التي حرق عدد من أبنائها (بالأحمر ، بالأسمر ، بنو مالك ، ربيعة ، ورفيده) فاندفع للانتقام من كل قبيلة من هذه القبائل خمسون رجلاً .

اشتدت المعارك في أبها ، وكان كل طرف يعمل علي إنهاء المعركة لصالحه بسرعة ، فالعسيريون يخشون قوات تركيةٍ من اليمن ، أو مجئ قوات تحسين باشا من جهات شعار أو كلاهما معاً ، وعندها ستكون الغلبة للأتراك ، وأما قوات المتصرف فيخشون من نهوض قوات جديدة من عسير بعد أن بلغها خبر (ملحمة شعار) الدنيئة التي أقدم عليها جند تحسين باشا فربما تثير هذه الحادثه أهل البلاد كلهم ويهبون هبّة رجلٍ واحدٍ ضدّ الغزاة . بدأ القتال يأخذ شكل العنف وخاصة علي مداخل المدينة ، وفي الأحياء تسلّل إليها رجال من عسير ، واستعمل الأتراك مدافعهم ، وكافة أسلحتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يُحوّلوا المعركة إلي مصلحتهم ، غير أن إحدي شظايا المدفعية قد أصابت الأمير علي فكانت =

= جراحاته بالغة ، فنقل بالتسلّل إلي (الحرملة) حيث وافته منيته هناك ، ومن هنا أخذ الضعف يظهر علي رجال القبائل بعد أن فقدوا أميرهم .

ضعفت معنويات العسيريين بعد موت ابن عائض علي حين ارتفعت معنويات الترك وخاصةً بعد أن وصلت إليهم قوات تحسين باشا ، ووقعت معركة حامية بين الطرفين انتهت بهزيمة العسيريين ، وانتصار الترك ، ودخلوهم الأحياء التي يُرابط فيها المتسللون العسيريون حيث تمكنوا من إلقاء القبض على من نجا منهم من الموت ، وحملوهم إلي خارج المدينة ، ونقل بعضهم إلي اليمن عن طريق محايل - القنفذة - الحديدة - صنعاء ، وكان علي رأسهم آل عائض الذين سبق لهم أن تسللوا إلي مدينة أبها ، ودخلوا أحياءها بتلك الحيلة التي سبق أن ذكرناها ، وكانوا قد قاوموا أثناء الاستسلام حتي قتل منهم مائة وثمانون رجلاً .

أما عبد الله بن محمد بن عائض أخو الأمير علي فقد كان رهينة بيد الأتراك في أبها قبل بدء الحصار ، رغبة في المساومة عليه إن دعت الظروف إلي ذلك وقد شددت الحراسة عليه ، وكان رجلاً معتدلاً ، مدركاً الظروف التي تعيشها المنطقة ، عارفاً وضع الأطراف المتنازعة والتي تقف خارج الساحة تنتظر الوقت المناسب لتدخل الميدان أو لتؤيد طرفا علي طرفٍ . وكان القادة الأتراك عثمان وحيدر يُجلانه ، ومن جاء بعدهما حقي باشا ، وذلك لمواقفه السلمية ، ونظرته البعيدة ، ويعرفون أنه كان يعمل باستمرار للحدّ من غلواء أخيه علي .

وكان عبدالله بن محمد قد كتب إلي الصدر الأعظم يقترح عليه أن يجلو الأتراك من عسير ويتركوا الأمر فيها لأخيه الأمير علي بن محمد ، وأنهم سيرون أنه سيكون أحد رجالات الدولة المنفّذين لماتراه يتفق مع طبيعة المواطنين ، المتقيدين بأوامر الشرع ، وأنه سيخضع لهم الجزيرة العربيه كاملةً ، ويُلزم كل من يريد التمردّ والعصيان إلي الطاعة ، وأنه ملتزم بتحقيق هذا علي يد أخيه . فإن ما دفعه للقيام لم يكن إلا لرفع الظلم عن عسير إذ اشتط الولاة في ظلمهم فقد فرضوا عليهم المكوس والضرائب ، وألزموهم بنظام السخرة ، وهذا ما لم يتعودوا عليه ، إذ لم يكن إلي بيت المال سوي الزكاة ، وهذا ما تعارف عليه أهل =

= المنطقة ، ويرون أنهم أحراراً في تجارتهم وأسواقهم فلا يُفرض شيء علي تجارتـهم التي ترد إليـهم من مـصر ، والشـام والهند . وأن أسواقهم أقيمت علي أمرين الأول تجاري كما هي الحال في كل منطقة ، والثاني اجتماعي إذ كان هناك من يبُصر الحضور بأمور دينهم، وحلّ مشكلاتهم ، وتنفيذ أوامر الشرع في حق المخالفين ، وإعلان الأوامر والتوجيهات لإستقرار الأمن وتطبيق الشريعة حيث إن الوافدين لهذه الأسواق يتلقونها سماعاً ثم ينقلونها لمجتمعهم القروي إذ كانت القرية تتلهف لما يحمله الوافد من السوق إليها، وغير ذلك مما يطول شرحه مما يتعدي مفهومه إلي خارج المنطقة ، ويضم السوق أيضا وعّاظاً ومرشدين وقضاة يفصلون في خصومات الناس .

ويبدون أن شرافة مكة هي التي كانت تحول دون سماع ولاة الأمر في الدولة العثمانية إلي رسائل قادة عسير من آل عائض خوفاً من قيام هذه الإمارة بقوة فربما أثرت عليهم ، إذ كانت شرافة مكة تؤول لولاة الحجاز الترك والصدر الأعظم تلك الرسائل التي يبعثها آل عائض بأطماع لهم ، ونوايا توسعة ، حتي تحبط مفعولها ، وفي الواقع ما هي إلا تخرصات من الأشراف وأوهام يبنون عليها ما تصورّه لهم أخيلتهم وذلك لضعف مركزهم وفقدان السند لهم .

دخل تحسين باشا بقواته أبها في وقت رجعت مقاتلة القبائل إلي قبائلها . وجري احتفال في المدينة كاستقبال للمتصرف الجديد تحسين باشا خلفاً لإسماعيل حقي الذي جاء وقت الحصار . ووصل أسري آل عائض إلي صنعاء واستقبلهم الوالي أحمد فيض باشا وأكرم نزلهم وأسكنهم قصراً فخماً من قصور صنعاء ووضع أناساً تحت تصرفات يخدمونهم . وكتب إلي الباب العالي يستأذنه في إصدار عفو من آل عائض ، وإعادتهم إلي أبها بدلا من تسييرهم الي استانبول ، خوفا من أن يتفاقم الأمر في عسير ، وفوق هذا فإنه يقترح علي الباب العالي منح عبد الله بن محمد بن عائض ، ويحيي حميد الدين لقب باشا ، وتسليم الأول منهما نائب متصرف عسير ، وإنه يضمن سلوكه ، فلن يصدر عنه ما تكرهه الدولة أبداً ، وقد بلغه عنه العقل الكبير ، وسعة الرؤية ، والاتزان والحكمة ، وإذا ما وافقت الدولة علي ما اقترحته فإن عسيراً ستسعد ، وسيعمها الهدوء ، وستجد الدولة كل ما =

= ترتاح إليه، ويجب علي ولاة الأمر ألا يسمعوا من أعدائه - فإن هذا هو الصحيح - والله أعلم - وسيتحقق الباب العالي من هذا بعد التجربة .

اتجهت أنظار قبائل عسير إلي عبدالله بن محمد إذ أصبح كبير أسرة آل عائض بعد وفاة أخيه ، فوفدت إليه رجالهم ، وأرادوا أن يحملوه علي متابعة مسيرة أخيه علي بالعمل علي طرد الأتراك ، غير أنه أبي عليهم ، وشرح لهم واقع المنطقة وإمكاناتها والحالة الإجتماعية التي آلت إليها الأسر العسيرية ، فما من أسرة إلا ونكبت ، وما من عائلة إلا ولحقها الفقر ، ودعتها ظروف القتال إلي الحاجة ، فالرجال يقاتلون ، ولم تقم لهم زراعة ، ولم تتحرك لهم تجارة ، وما يأتيهم من مغنم في الحرب لا يسدّ حاجةً ، ولا يكفي مؤونةً ، وما تأتي به السنون أصعب مما مضي إن استمرت الحالة علي ما هي عليه ، فيجب أن ننتبه إلي أوضاعنا وأحوال أسرنا - فاقتنع منه من اقتنع وسكت من لم يقتنع غير أنهم قد انصرفوا إلي شؤونهم ، وتركوه يتدبر الأمر حسب قولهم عندما غادروه .

وصلت أخبار ما دار بين الأمير عبد الله بن محمد ورجالات عسير إلي المتصرف تحسين باشا فنقل ذلك إلي والي اليمن أحمد فيضي باشا ، وهذا ما أسعده وشدّ من عزيمته علي متابعة ما اقترحه علي الباب العالي ، فكرر الاقتراح ورجا التأمل فيه .

وافق الباب العالي علي مقترحات أحمد فيضي باشا والي اليمن فصدر أمر بمنح عبدالله بن محمد ، ويحيي حميد الدين لقب باشا . وصدر أمر ثان بإعادة آل عائض إلي ديارهم في عسير مكرمين ، وتبع ذلك أمر ثالث بإعطاء عبدالله باشا بن محمد بن عائض الإشراف علي عسير من قبائل بني الحارث في الشمال إلي مدينة صعدة في الجنوب بعد رحيل تحسين باشا متصرف عسير عنها ، مع إبقاء قوة تركية في عسير تحت تصرف عبدالله باشا ، وتكون بمثابة حماية ، وأخري في محايل ، والقنفذة ، وأبي عريش ، ونجران ، والوادي ، وبيشة ، وتثليث ، وشعار ، وتربة ، والنماص .

وافق الأمير عبدالله علي الأوامر التي وردت إليه ، مادام فيها رحيل الأتراك عن عسير فهذا ما يعمل له ، وما يرضي عنه رجال القبائل العسيرية ، بل ما يحلمون به ، ووصل في هذه الأثناء زعماء آل عائض قادمين من اليمن وعليهم علائم الرضا فاستقبلهم تحسين =

= باشا وفي الوقت نفسه ودّعهم حيث كان ينتظر وصولهم ، فغادر أبها بعد أن ترك فيها حامية تركية ، وخرج لوداعه الأمير عبد الله مع ثلّةٍ من أسرته .

شكّل الأمير عبدالله مجلس الشوري ، وربط شؤون البلاد به ، وضم هذا المجلس ثلاثة من آل عائض ومشايخ القبائل أو من يمثّلهم ممن يوجد في مدينة أبها ،هذا إضافة إلي خمسة من رجال الحامية التركية منهم الشيخ عبد الرؤوف ، ومحاسن الأزهري وهما من علماء الشام من أهل اللاذقية .

استتب الأمن وعادت الحالة إلي وضعها الطبيعي ، ورجع الناس إلى حالتهم العادية . لكن من الناحية الخارجية ظهرت أطماع إيطاليا وبريطانيا في المنطقة في عمل دائب لتقويض دولة الخلافة ، وذهب الصليبيون يبحثون سراً عن أعوان لهم يساعدونهم في التسلّل إلي الداخل ومدّ الأيدي في الخفاء ، فوجدوا بغيتهم في الإدريسي فاتخذته إيطاليا قاعدة لها ، وبدأت تدعمه وترسم له الخطط للعمل ضد دولة الخلافة ، ولتشغلها به ، وتتفرغ هي للتحرك في بلاد المغرب فتستعمر ما يمكنها استعماره ، ولا يمكن لأحد من عسير أن يهب لنجدة إخوانه وقواتها تدعم الإدريسي وتمنع وصول أي دعم من جزيرة العرب إلي ليبيا ، ثم تخلت عنه بعد أن استنفذت أغراضها منه ، ولمانبذته أسرعت إليه انكلترا فتلقفته وعنده الاستعداد للعمالة لكل من يعمل علي رفع شأنه – حسب تصوّره .

لم تنس القبائل العسيرية التي أحرق أبناؤها في (شعار) – كما – سلف فإن صورة ما حدث لا تزال أمام مخيلتهم فعملوا علي الوقيعة بالحامية التركية هناك دون النظر إلي وضع أميرهم عبدالله ، وعملوا بالحيلة فأرسلوا خمسة أفراد منهم علي شكل باعة يبيعون أفراد الحامية التركية بعض ما تحتاج إليه ، والغاية من ذلك جمع المعلوات الكافية عنها من ناحية العدد ، ومصدر الشرب ، والمبيت والسلاح . و.......

جمعوا الباعة والمعلومات التي يرغبون فيها ، ومن جعلتها مصدر مياه شرب الحامية الذي كان من بركة ماء ، وكذلك فقد قدروا عدد الحامية بمائتي جندي وأعطوا هذه المعلومات إلي شيوخ قبائلهم الذين قرروا أن تكون حيلتهم عن طريق مياه الشرب .

يعرف أهل عسير نباتاً ينمو في أوديتهم يُسمي " المي " وفيه خاصية إلحاق الدوار بمن =

= يشرب من مائة بعد غليانه . فجمعوا من هذا النبات وغلوه ، ثم تركوه يبرد ، فلما برد ملؤوه بالقرب ، وطلبوا من الباعة حمله وصبّه سراً في بركة ماء الحامية التركية ، فقاموا بالمهمة ، ورجعوا بعد انتهاء بيعهم ، وأخذ الأتراك يردون البركة يشربون منها ويملؤون أوعيتهم ، وما هي إلا لحظات حتي أخذ الدوار يصيب من شرب ، ومن لم يشرب شغل بالآخرين، بل أصابه الدوار لما شاهده .

كان العسيريون يرقبون الأوضاع من بعيد وعن كثب ، وقد اجتمع كما ذكرنا مائتان وخمسون فرداً من تلك القبائل ، وقد تمنطقوا بالمعيرات ، فلما رأوا ما حل بالأتراك ووجدوا أن الوقت أصبح مناسباً للانقضاض انقضوا عليهم يفتكون بهم حتي أبادوهم جميعاً فلم ينج أحد .

ولم تكن هذه الحادثه لتمر بسلام ، بل سرعان ما طارت أخبارها إلي مدن الجزيرة ، وهذا ما حرّك القبائل في كل مكان لتثأر أو تحاول المغنم فاقتحمت قبائل زهران وبجيلة وبني الحارث بن كعب الطائف ، وسلبت كل ما وصلت إليه أيديها من الأتراك الذين لم يجدوا لهم بداً من التحصن في القلعة ، كما تحركت حرب وهذيل نحو جدة وفعلت ما فعل إخوانها في الطائف ، وانتفضت القبائل في القصيم بدعم من عتيبة ، واتجهوا نحو بريدة وعنيزة ، وطالبوا باستقلال منطقتهم . وهبّت القبائل في صنعاء ، وفي تهامة ، وتزلزل الوضع العثماني في الجزيرة كلها ، وخاصة بعد أن أخرجت القوات التركية من (المخا) و (زبيد)، والتجأوا إلي الحدة (الحديدة) . وهذا ما جعل القيادة في صنعاء تستفز قواتها لمواجهة الوضع ، وطلبت من (استانبول) تداركها بالقوات قبل أن يفلت الأمر فلا تجدى النجدات، وخاصة أن يحيي بن حميد الدين قد تحلّل من الصلح وأخذ يحشد القبائل .

وفي هذا الوقت أخذت إيطاليا تمدّ الإدريسي في تهامة ، وتدفعه للخروج ضد العثمانيين ، وقد بدأت دعوته تتسرّب إلي الجهلة وضعاف العقول الذين يقبلون الخرافات ويستمعون إلي سخافات الصوفية التي يبثّها الإدريسي ودعاته .

أما أمير عسير عبد الله بن محمد آل عائض فقد أثارته هذه الحادثة ، وعدّها بادرة شر تخشى عواقبها فتكون سبباً لدخول المنطقة في حرب من جديد وهذا ما يريد أن تتجنبه =

= البلاد ، ولطالما تجنّبها ، فبادر باستدعاء مشايخ تلك القبائل وتحدث معهم ، وطلب انعقاد مجلس الشوري لبحث هذه القضية ودراسة ما يمكن أن ينتج منها من مضاعفات . وكتب إلي الباب العالي يعزيه ، ويعتذر له ، ويعلمه أن ما حدث لم يكن ليرضى عنه ، ولم يكن علي معرفة به، وأنه قد جمع مجلس الشوري لفرض ما يجب فرضه من عقوبة تمنع أن يجرى مرةً ثانية ما كان قد وقع ، وأن الذين قاموا بهذه الفعلة قد دخلوا في عهدة مشايخ قبائلهم ، وأنه قد أبلغ والي صنعاء بأن الأوضاع هادئة وليس فيها ما يزعج باله ، وأن أمير عسير قد تلافي الأمر واتخذ ما يجب اتخاذه ، وأن عليه استعمال الحزم والقوة .

ورأي أمير عسير أن يحضر مع مجلس الشوري العسيري مندوبين عن الدولة العثمانية ، واقترح أن يكون المندوبان الأمير لاي عارف بك ، والبكباشي فؤاد بك . وتمّ انعقاد المجلس ، وخرج بنتيجة تدين الذين قاموا بالعمل إذ فعلوا فعلتهم في وقت السلم ، ولم يكن زمن حرب ، وفي الوقت نفسه تندد بتصرف بعض الجنود الأتراك الذين أثاروا حفيظة نفوس رجال القبائل ، وتركوا إصدار الحكم والعفو إلي السلطان عبد الحميد نفسه ، حيث رأوا أن درء المفسدة مقدم علي جلب المصلحة ، وأن العقوبة الرادعة قد تثير القبائل التي من الصعب إخضاعها .

أصدر رئيس الوزراء (الصدر الأعظم) تعليمات ومنها أنه يجب تعيين متصرف علي عسير فكان سليمان كمال باشا .

أما موضوع الجنود الذين قتلوا فقد صدر عفو من قبل السلطان عن القاتلين لشبهةٍ درأ بها الحد ، وحمل هذا العفو سليمان كمال باشا عند قدومه لتسلّم منصبه .

جاء سليمان باشا بحراً عن طريق جدة حيث التقي هناك بالوالي التركي ، ومنها انفصل بقواته إلي أبها متخذاً طريق تهامة مسلكاً وارتقي السراة من طريق عقبة " شعار " وبقى في أبها من (١٣٢٦ - ١٣٣٠هـ) .

وصل متصرف عسير في الوقت الذي كانت فيه حركة الإدريسي قد نشطت بعد أن ارتبط الإدريس مع إيطاليا باتفاقية تربط المنطقة الساحلية بها ، وتدعم بقاءه ليفسح لها المجال في احتلال ارتيريا علي العدوة الثانية للبحر الأحمر ، وإمكانية التسلّط علي بعض =

= اجزاء من أقاليم الخلافة كـ (ليبيا) ، إذ أمنت العدوة الشرقية للبحر الأحمر لوجود الإدريسي عميلاً لها إذ يشغل صنعاء ، وأبها ، ومكة وما وراءهم من ظهير في جزيرة العرب والأمة الإسلامية عن مناصرة إخوانهم علي الضفة الغربية للبحر الأحمر .

كانت إيطاليا قد أرسلت فيما مضي مندوباً إلي الأمير عبدالله بن محمد للتفاهم معه وجره إلي اتفاقية كالاتفاقية التي أبرمتها مع الإدريسي بحجة أن البلاد متخلّفة وبحاجةٍ إلي مساعدات ومدربين للنهوض ، وأن الدولة العثمانية لاتفتأ ترسل الجيش بعد الآخر لإضعاف المنطقة وعدم فسح المجال لها للتطور ، وأن الاتفاق مع إيطاليا سيحمي المنطقة ويمنع العثمانيين من الوصول إليها ، وعندها يمكن أن ينصرف أهلها نحو العلم والتطوّر ، غير أن الأمير عبدالله كان علي وعي يدرك ألاعيب الصليبيين ، ويعرف مخططاتهم ، وقد رأي بعينه ماذا فعلوه في بلاد المسلمين إذ استولوا عليها بالحيل والإغراءات ثم أخذ شرّهم يعمّ حتي جاءهم طلاب الدنيا يلتمسون منها نصيباً فاستخدموهم عبيداً لهم يُنفذون من خلالهم مخططاتهم التي تهدف الي دب الوهن في نفوس المسلمين بنشر الفساد والبعد عن الإسلام . لذلك ردّ الأمير عبدالله مندوب إيطاليا ، وأفهمه أن عسيراً ليست سوي جزء من الخلافة وصحيح أن القتال بيننا غير أنه قتال نتيجة خلاف بالاجتهاد ، وربما أثناء القتال بيننا وبين جنود الخلافة طلب منا السلطان أن نسير بقبائلنا لنقاتل أقصي الغرب أو أقصي الشرق لما تخلفنا أبداً ، فنحن لن نخون أمتنا ونبرم اتفاقات مع آخرين ليسوا من رعايا الدولة فما بالك إن كانوا أعداء لها يحاربونها ويريدون اقتطاع أجزاء منها . فخرج المندوب ولم يظفر بحاجته ، وقد خاب أمله ، فاتجهت أنظار إيطاليا إلي الإدريسي الذي كان يومها يدرس في مصر ، ووجهت إليه أحد موظفي سفارتها في القاهرة وهو محمد علي علوي لصلته به ، فأغراه بالاتصال بالطليان فاندفع نحوهم تحدوه أطماعه قارتمى ، فأخذت إيطاليا تخطط له ، ويُنفذ هو ما يرسم له ، وأمرته أن يذهب إلي صبيا .

رجع الإدريسي إلي صبيا وأخذ يسير في طريق أحلامه وتمده إيطاليا بالمال ، وقد سلك منهج الدعوة ليرفع من شأنه وقد علم أن للعلماء مكانة مرموقة لدي أهل تهامة عسير ، وهم سنة شوافع ، وصار ينتقل من مسجد إلي آخر ومن منتدى إلي منتدى فى صبيا وجيزان وأبي عريش حتي لمع اسمه وكثر مريدوه ، وعندما انتقل إلى التنديد بالعثمانيين حيث =

= يتكلم عن ظلم ولاتهم ، وسوق جيوشهم ، وما تفعله تلك الجيوش في هذه البلاد حتي ثارت حفيظة التهاميين علي العثمانيين ، وانقادوا للإدريسي ، وأسلموا له رؤوسهم فتكونت له قاعدة صار يتكلم باسمها ، وتُنفّذ له ما يريد .

لم ينس الإدريسي أن هناك معارضة له ، تنافسه علي مكانته التي حصل عليها ، وتري فيه منافساً علي زعامتها ، أولئك هم آل الخيرات من الأشراف الذين لهم النفوذ والهيمنة علي تهامة سواء اكانت تحت حكم العثمانيين أم تتبع آل يزيد في السراة ، وهم السادة علي تهامة دون منازع ، وأشرافها من غير منافس ، فجاء الإدريسي ليحتل مكانهم ، ويشدّ السكان إلي جانبه ، ومن هنا صار آل الخيرات يتصلون بأبها ويُحذّرون آل عائض من وجود الإدريسي في تهامة ، ومن دعوته التي جاء بها إلي المنطقة ، ومن خرافاته التي يحملها ويريد السيطرة علي عقول السكان بها ، ويفسد عقيدتهم ، وما جبلوا عليه من أخلاق ومفاهيم إسلامية .

وكان مما سهّل للإدريسي عمله في صبيا التي جاءها بعد وفاة أبيه في أواخر عام ١٣٢٤هـ (١٧ ذي الحجة) ضعف مكانة آل الخيرات الذين لم يكونوا علي مستوي أسلافهم في العلم ، وقوة الشخصية ، وإمكانية استمالة الناس إليهم بالشجاعة والكرم والفصاحة .

ولا شك أن الإدريسي يحتاج إلي مصروفات كبيرة ، فمريدوه الكثيرون الذين يلتقي بهم في مجالس عامة تحتاج إلي نفقات ، ومبعوثون إلي المدن والقري للدعاية له يحتاجون إلي مصروفات ، وضيوفه يحتاجون إلي إكرام ، والزعامة لها ثمن ، والسيادة عليها واجب فمن أين يأتي بالأموال ؟ لقد كان الحاكم الإيطالي لمدينة (مصوع) قاعدة ارتيريا يومذاك هو الذي يمدّه بالمال ، وكان طاهر الشنيتي ومحمد سالم المصوعي صلة الوصل بين الإدريسي وجوليتي ، وهما من كبار تجار تهامة ، ومن أهالي صبيا ، وتجارتهما تنطلق إلي مختلف الجهات ، وييسر لهما حاكم (مصوع) تجارتهما ويهيىء لهما الفرص ، والتعهدات التي تحتاجها الوحدات الإيطالية على سواحل البحر الأحمر الغربية ، وهما مقابل ذلك يؤديان له مهمة الاتصال بالإدريسي وإمداده بالمال ، كما أن حاكم (مصوع) لا يبخل من طرفه =

= أيضاً إذ يرسل الهبات والهدايا إلي الإدريسي كما يزوده بالأعطيات والأموال ، ويعده ويمنيه . وكان رئيس الوزارة الإيطالية جوليتي يدفع حاكم (مصوع) في هذا الاتجاه .

وكانت تصل إلي الطليان التقارير الكاملة والمفصلة عن تحركات الإدريسي في تهامة ، ونشاطه بين القبائل ، ومدي التجاوب الذي يلقاه ، والمعارضة التي يمكن أن تقف في وجهه . ويريد الطليان أن يعرفوا قوة الرجل وإمكانية الاستفادة منه لإشغال الدولة العثمانية كي تتمكن من استغلال الفرصة والتوجه نحو طرابلس الغرب في الوقت الذي تكون فيه الدولة العثمانية مشغولة بقتال الإدريسي وغير قادرة علي القتال في عددٍ من الجبهات .

وكانت تهامة من (القنفذة) حتي (المخا) مرتبطة بأبها ، وكان واليها من قبل عبد الله بن عائض أمير عسير ، أحمد شريف من آل الخيرات ، وقد حاول الوقوف في وجهه ، وعمل علي فضح ألاعيب الإدريسي ودجله ، وحرص علي تنبيه مشايخ القبائل من سيطرة الإدريسي علي أفراد قبائلهم ، كما كان يكتب إلي أبها التقارير عن حركات الإدريسي واتصاله بالسكان ، ومدي تأثيره عليهم .

ونستطيع أن نقول : إن أحمد شريف والي أبها علي تهامة قد ارتاب من أمر الإدريسي من بداية مجيئه إلي صبيا قادماً من مصر ، واستقراره في تلك المدينة التهامية ، وقد كتب الكتاب الأول إلي أمير أبها عبدالله بن محمد بن عائض يخبره خبر الإدريسي ، وقد جاء في هذا الكتاب : " قد عاد إلي صبيا محمد بن علي بن إدريس ، وهو أكبر أبنائه وأكثرهم نباهةً ، وكان والده بعد بعثه إلي مصر للدراسة في الأزهر الشريف ، وكان قد تلقي علي يد مشايخ تهامة عسير بعض العلوم الشرعية وشيئاً من علوم الحياة . وقد عاد بغير الصورة التي خرج فيها حيث بدأ يجمع حوله الناس باسم الوعظ والإرشاد ، وينتقل من مكان إلي آخر حيث يتجمع الناس في القري وأسواقها . وتتحدث المجالس عن أمور تنسب إليه ، تدفع الإنسان إلي تقصّي حقيقتها ، ورابني منه حرصه علي التدخل في أمور القبائل وخلافاتها التي تحدث في الأسواق ، ودعوته لبعض الأعيان في صبيا ، وخروجهم منه بصلات لا تتفق مع حالته إذ أن بيته هو منزل والده ، وهو وإخوته شركاء فيه ، إلا أنه في=

= هذه الفتره اشتري بعض الدور وهدمها وبني مكانها داراً منظمة حيث جعل للضيافة قسماً وللمريدين قسما آخر ، وله حجرات خاصة وذلك في حي العثرية في اتجاه الطريق المؤدي إلي ميناء عثّر (القيد) قوز بني جعفر الآن ، كما رابني وجود دعاة له بثّهم بين القبائل الواقعة علي عدوتي أودية وتهامة ، وملاحقة البدو الرحل ، وإن هناك أموالاً تتدفق عليه ، ويشاع أن الرجل قد وضع يده مع النصاري ضد الإسلام والدولة العلية ، وقد حاول من قبل أن يمكث في (الحديدة) ، ويبدى الزهد والتقشف والانصراف عن الدينا ، ويزعم بعض من حوله أنه ينطلق في أواخر إلي البحر ليخلوا إلي نفسه بعيداً عن الدنيا ، وإن أمره يزداد كل شهرٍ عما كان عليه من قبل ، وأكثر ما يحدث به الناس التنديد بالعثمانيين وولاتهم ، ويحث الناس علي وجوب انقيادهم لمن يدعو إلي وحدة العرب ضمن خلافة ، وأمور أخري ربما وصلت إليكم أبناؤها مما يجعلني أجزم أن وجوده في (صبيا) لم يكن وجود رجل غاب عن وطنه ثم رجع إليه بما حصل من علم يفيدهم به ، وإنما يراودني الشك أن الرجل صنيعة لقوة كافرة تريد به شراً للمسلمين ، وأرى استجلابه إليكم ، أو إبعاده عن تهامة حتي يؤمن مكره .. .. " .

غير أن الإدريسي لم يكن ذلك الرجل العادي الذى لا يحسب للأمور حسابها ، ولا يدرك طريقة العمل في المهمة التي أوكلت عليه ، وإنما كان رجل دهاء ومكر ، وقد كتب للأمير عبدالله كتاباً احتاط فيه بإبعاد ما قد يشاع عنه ، وذلك عام ١٣٢٥هـ ، وجاء في هذا الكتاب : رجعت إلي مسقط آبائي وأجدادي بحصيلة من العلم من كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، وأرى من واجبي إبلاغها لمن حولى من المسلمين ، ولابد لى من أن أجد مشقة من ارتيادى الأسواق حيث يتجمع الناس ، ولا يغيب عنكم ما للعلماء من أعداء يوشون بهم ليوقعوا بينهم وبين الولاة ، وذلك حسداً أو جهلاً بمايقوله العلماء ، فأنا بين ظهراني قبائل قد بلغ بهم الجهل مبلغاِ استهانوا به حرمة المسلم ، وإن وجودي بينهم هو خير لي ولكم ، وأرجو أن يصلح الله بالعلماء والامراء ما فسد من أمر هذه الأمة . وأرجو أن يكون ما ذهبت إليه مستحسنا عندكم ومحبباً إليكم فإن كان هذا ، وهو ما آملة ، فإن ذلك يدفعني إلي الاستمرار في منهجي ومضاعفة الجهد، وأعرف أنني سأتعرض لشايات الكثيرين إذ لا يهمهم سوى العيش على جهالات الآخرين حيث لا يرون لهم أن يأتي =

= مصلحون إلي المنطقة يتيرون بصائر أهلها ، إذ أن بقاءهم سيبقي الوشاة يرتعون علي هواهم ، لذا فهم يعيقون طريق المصلحين ، ومن هنا كنت بأشد الحاجة لمساندتكم لي ، وسيكون لهذه المساندة الأجر والثواب من الله ، وممن تسدونها إليه الشكر لكم والدعاء بمديد من العمر ومزيد من الصحة " .

ثم تطرق في رسالته هذه إلي الوضع السيء الذي تعيشه تهامة ، وما تعانيه من أحفاد أسرة آل خيرات ، واستغلال نفوذهم بين المواطنين .

ويطلب من الأمير عبدالله في رسالته أن يكون حذراً من أولئك الأفراد ، موجها نظره عليهم حتي لا يزيد ظلمهم ، ويتمادوا في غيّهم ، فهم في زعمه علي صلاةٍ سريةٍ بيحيي حميد الدين ، وأن هناك اتفاقاً بينهم علي ترتيب عمل لا يعدو أن يكون إلحاق تهامة بصنعاء .

ولم يكن الأمير عبدالله بن محمد علي تلك الدرجة من الغفلة ليخدع بأقوال الإدريسي أو لتفوت عليه حيله التي طالما سمع عنها الكثير لذلك لم يأبه لكتاباته ، غير أنه من موضع المسؤولية قد كتب إليه رسالة جاء فيها : أما ما أشرتم إليه في رسالتكم في أنكم وضعتم أنفسكم في مكان التوجيه فهذا مقصد طيب ، ومندوب إليه ، ومثاب صاحبه إن صلحت نيته لأن للنيات ثمرات تُجنى يوم القيامة . وإن من يسعي مسعاكم يجب أن يتحلّي بالحلم والأناة والتغاضي عما يرتاب منه الإنسان . وتوكل النيات إلي العليم الخبير . وإني أرى لكم تجنّب ما يدعو إلي المراء فإن له عوار .

سهم أصاب ورامية بذي سلم — من بالعراق لقد أبعدت مرماك

إنكم لستم بحاجة إلي التوجيه فأنتم تعرفون مهمة العالم ، وأنه يملّ إذ أكثر ، كما تعلمون ما أخذ الله علي العلماء ، فأحذروا استدراجه لكم فإن منقلبكم بين يديه و .....

أخذ الإدريسي يوطّد أقدامه في منطقة تهامة ، ويجمع حوله أعوانا لينطلق بهم من قاعدةٍ أرسي دعائمها ، وبدأ ينطلق لتنفيذ مخططه ضدّ العثمانيين لمصلحة الطليان ، وقد أخذ بعين الاعتبار وضع الجوار حوله ،وكان الذي يقضّ مضجعه آل عائض في عسير إذ أن تهامة مجال حركته إنما ترتبط بأبها ، ويجب أن ينطلق نحوها غير أن أمراءها من آل عائض يحولون دون ما يطمع إليه ، واتجه إلي مكة المكرمة بنظره ووجد في أمرها ما =

= يحقق أهدافه لضعف أشرافها ، وخلافهم مع ولاة الحجاز في جدة ، ولكن تعيين الشريف حسين بن علي من قبل العثمانيين شريفاً علي مكة قد ألجم أطماعه فيها لمعرفته بقوة الشريف حسين ، وكذلك لم تكن اليمن بأقل من المركزين السابقين في مخيلته وإضافة إلي ذلك فقد كان يتابع تحرّك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في ميدان نجد ويري ظهور علي الساحة بشكل قوي .

عاد الإدريسي فركز جهده علي عسير ، وهو يعلم الغليان القائم فيها بين العثمانيين أصحاب السيطرة الأسمية إلي أبها وبين آل عائض الذين يعدون أمراء المنطقة من قديم وأصحاب النفوذ الفعلي ، ورغب أن يستفيد من هذا الخلاف .... لقد كان يندّد دائماً بالعثمانيين ، وأصبح الآن يضيف إليه ما يشيعه ضدّ آلي عائض ، وضدّ يحيي حميد الدين، وضدّ شريف مكة ، وأخذ يتصل بسكان القري المجاوره لتهامة من السراة ويرسل إليهم المال ، ويبعث بالوفود إليهم ليكسبهم إلي صفه ، وفي الوقت نفسه لم يكن لينسي أمير نجد إذ رغب أن يُحسن علاقته معه ليستفيد منه ومن قوته في حصار خصومه الذين يقعون بينه وبين نجد ، إذ يمكن مهاجمتهم من الجانبين ، والإيقاع بهم ، إذا تمكّن من تعزيز علاقته بأمير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن ، لذا كان كثير المكاتبة له ، ولا تخلو تلك الكتابات من ذكر آل عائض والتعريض بهم ، وحثه علي استعداد ليؤدي دوره من ناحية الغرب . ويخوفه من التراخي لهم فإن لهم نوايا توسعية ، وأنهم يتمسكون بما كان لأسلافهم من سلطان علي أجزاء من اليمن والحجاز وكثير من أراضي نجد ، وأنهم أحق بنجد من آل رشيد وآل سعود .

توطدت العلاقة بين عبد العزيز والأدريسي ننتيجة تلك المراسلات ، وقد وجد عبد العزيز في الإدريسي قوة يُشاغل بها آل عائض من أن يتدخلوا في شؤون نجد يساعدون آل رشيد في حائل الذين هم علي عداوة معه ، أو يحرضون العثمانيين عليه ، وهو بالاسم مع العثمانيين ، وقد حصل علي رتبة الباشوية منهم ويخشي أن ينكشف أمره فهو مع الإنجليز وهم الذين دعموه حتي وصل إلي ما ناله من مكانةٍ في قلب جزيرة العرب .

ولم يكن عبد العزيز إلا واحداً من أولئك الذين يدرسون أمر الجوار قبل أن ينطلقوا في =

= بناء زعامتهم ويتخذون الوسائل كلها للوصول إلي أهدافهم التي يرسمونها في مخيلتهم أو التي تُرسم لهم في سبيل تنفيذ أهداف لغيرهم ، وأخذ عبد العزيز يراسل الجوار كما فعل الإدريسي تماماً .

لقد راسل عبد العزيز الشريف حسين ، وأبان له أن وضعه ضعيف في وسط الجزيرة ، ولا يمكن أن يأتي لأحد منه شرٌ ، وما هو إلا أشبه بوالٍ علي نجد من قبل شرفاء مكة المكرمة ، ولا ينسي أن يعرض بآل رشيد في حائل والذين لم يكونوا سوي عمال لجّدي فيصل بن تركي ، وقد استأسدوا عندما وقع الخلاف بين أبناء فيصل فبسطوا نفوذهم علي بعض جهات نجد ، وأصبحوا الآن ينازعونني أمر الرياض .

وكذلك فقد راسل أمير عسير عبدالله بن محمد ، ولمح له بالصلة التي كانت بين بلديهما ، وبين أسلافهم ، وأننا في نجد لانقضي بأمرٍ حتي نستشير ونسأل ، وأن أول من نسأل إنما إخواننا آل عائض الذين طالما كان لهم فضل علي نجد ومساعدته كلما ألمت به محنة أو نزلت به نازلة ، بل كثيراً ما كانت الدعوة السلفية تعدّ عسيراً مقرها الثاني الذي يمكن أن تركن إليه . ويعرِّض في مراسلاته للأمير عبدالله بن محمد بشكل خفي بشريف مكة ، وإمام صنعاء والإدريسي ، وبشكلٍ صريح بآل رشيد .

وكانت أجوبة الأمير عبدالله بن محمد للأمير عبد العزيز لا تخلو من النصح له بألا يدع مجالاً للخلاف بينه وبين أفراد أسرته الأمر الذي ينتج عنه تعثره في بلوغ مراميه ، وكان يذكره بما حدث من خلافات بين أعمامه إذ استغلها ابن رشيد حيث فسحت له المجال فتغلب علي نجد . فعليه أن يحسن إلي ذوي القربي ويتجاوز عن سيئاتهم .

وأراد العثمانيون عام ١٣٢٤هـ أن يشغلوا عبد العزيز بن عبد الرحمن بعسير فطلبوا منه أن يتجه بقوةٍ من نجد إلي أبها ليدعم إسماعيل حقي باشا ويفك الحصار عن أبها ، فتهرّب من الاستجابة متذرعاً بأن وضعه في نجد لا يساعده علي تنفيذ أوامرهم إذ أنه مُهدّد من ابن رشيد ، ومن الشريف ، وبعض بلدان نجد .

كما كان يراسل إمام اليمن يحيي حميد الدين ويبدي له الصلة الوثيقة بينهما ، ويعرض بخصوم الأئمه في اليمن ويقصد آل عائض وشريف مكة والإدريسي وذلك دون تسمية خوفاً من انكشاف أمر رسائله . =

= اتجه الإدريسي لبسط نفوذه في عسير ، وهو يعتقد أنه لو استطاع أن يسيطر علي عسير لسهل عليه أن يمتد إلي اليمن والحجاز ونجد ، وأخذ يُؤلّب القبائل علي الأتراك ، ويهيب بالأهالي أن يهبّوا لتخليص بلادهم من سلطان الترك وجورهم ، وبدأت بعض القبائل تتأثر بكتبه ، ويغرها كلامه فكان بعضها يتوثب للانضمام إليه عسي أن تكون هناك قدرة لإمكانية عمل مجدي ضد الترك ، وخاصة قبائل تهامة من المخا إلي القنفذة .

أخذ الإدريسي يعد العدة لاقتحام عسير – كما مر سابقاً – وجاء سليمان باشا وازدادت أطماع الإدريسي ، وأراد أن يسرع الخطو في احتلال عسير قبل أن يتمكن سليمان باشا من بسط نفوذه بشكل قوي ، فأعلن خصومته للعثمانيين ، وأشاع أنهم كفّار يتعاونون مع دول كافرة ، ونادي بالجهاد ضدهم . واستنهض همم القبائل ، وهذا ما جعل جريدة (الرد) في أبها تفضح نواياه ، ومن ورائه ، والمخطط الذي يسير فيه .

ولما كانت القبائل التي خضعت لتأثير الإدريسي جزءا من عسير ، لذا فقد حرص الأمير عبد الله بن محمد أن يجنب البلاد حرباً ربما تكون طاحنة ويصيب عسيراً الكثير من نتائجها الوخيمة ، وقد طلب من متصرف أبها سليمان باشا أن يسمح له بالنزول إلي تهامة علي رأس قوة يختارها هو ليقضي علي فتنة الإدريسي قبل أن يستفحل أمرها ، وإن وجود أحمد شريف والمؤيدين له في تهامة فإنه بإمكانهم أن يخذلوا القبائل عن الإدريسي، غير أن سليمان باشا رفض ذلك حيث يعلم أنه إنما جاء إلي آل عائض ، ولم يأت إلي الإدريسي ، فالإدريسي رجل ليس له قاعدة يرتكز عليها ، ويمكن إنهاؤه بسهولة ، وإذا مازال انتهي خطره إذ هو وحيد ، هذا بالإضافة إلي أن المتصرف لم يكن مرتاحاً للأمير عبدالله حيث كان يشعر باستعلائه حتي عليه منذ أن وطأت قدمه أبها ، وظهر في كلمته الترحيبية التي ألقاها عند مقدمه إذ كانت مليئة بالتعالي والشموخ والاعتزاز بقبائل عسير ، وهذا ما جعله يحسّ ضمناً أن الخطر يكمن في عبدالله بن محمد وليس في الإدريسي، ويتمنّي بالتخلص منه بأي صورة حتي يهنأ له العيش في أبها، وكان الإدريسي يحسّ ما تنطوي عليه نفسية المتصرف فأراد أن يستغل هذا ويوقع بينهما ويرمي أحدهما بالآخر فإن تخلّص من أحدهما ارتاح وقطع نصف الطريق ، وإن تمكّن من ضرب بعضهما ببعض وزوال الاثنين فقد قطع الطريق وفتحت له دروب أبها فأرسل رسالة إلي الأمير =

= عبد الله وأمر حاملها أن يلقي بها بيد أحد رجال المتصرف من غير قصد ، وتضمنت هذه الرسالة ما يفهم منها أن اتفاقاً قد تم بين الأمير عبدالله وبين الإدريسي للعمل معاً علي اغتيال المتصرف .

تيقن المتصرف بما جاء في الرسالة ، وقد جاءت مُؤَيِّدة لما يجيش في صدره من أن الخطر كامن في عبدالله بن محمد لذا أخذ يُخطط لاغتياله قبل أن يتمكن عبدالله بالإجهاز عليه ، أو يضعه وقواته في حصار جديد داخل أبها .

شعر الأمير عبدالله بتبرم المتصرف منه ، ولم يدر ما السبب ؟ ولم يعرف مصدر ذلك ، ففضل الاعتزال وفسح المجال للمتصرف غير أن تلك العزلة لم تنفعه . إذ تمكن سليمان باشا من التخلص من الأمير عبدالله بوسيلة يعلمها الله ، وفوجئ سكان أبها بنبأ وفاته بعد موسم ١٣٢٧هـ . وجلس المتصرف للعزاء ، وأبدي حزناً كبيراً ، وكان يتكلم عن الحادثة بألم ويعدّها فاجعة ، ولازم آل عائض ثلاثة أيام متوالية لا يفارقهم فيها إلا للنوم .

أخذ المتصرف سليمان باشا بعد هذه الحادثة يتقرّب من آل عائض ليبعد التهمة عنه ، وليقيم علاقة معهم فيجعلهم يثقون به . لقد أصبح يُدني منه شقيق الأمير عبدالله بن محمد وهو عائض بن محمد الذي كان أكبر أفراد أسرة آل عائض ، ثم ابن أخيه حسن بن علي بن محمد ، وابني عمه محمد بن عبدالرحمن ، ومحمد بن ناصر ، وهؤلاء شباب ولكن كانوا يعدّون طليعة تلك الأسرة ذات الجذور في عسير ، وخاصة أن عائضاً كان زاهداً باع دنياه واتجه يعمل بجدٍ للآخرة .

سُر الإدريسي بما حصل عليه بالقضاء علي أحد الرجلين ، وأراد أن يتابع خطته ، واعتقد أن من بقي من آل عائض إنما هم شباب يستطيع أن يلعب عليهم ، ويشدّهم إلي جانبه ، فكتب رسالة إلي الأمير عائض بن محمد يُعزّيه فيها بأخيه عبد الله ، ويبدي توجّعه علي فقده ، ثم يعود ليذكره بأن هذه هي أحوال الدنيا ، ويحاول أن يُشير بطرفٍ خفي أن للمتصرف نصيب فيما حدث ، ومنها ينفذ إلي الاتراك وأنه لا أمان لهم ، ويجب العمل معاً وتوحيد الجهود لإخراجهم من المنطقة فإنهم قد جاروا وأساءوا وتمادوا في غيّهم ، وخرجوا علي الشرع ، وابتعدوا عن جادة الصواب فاستحقوا العقاب ، وإن الواجب يحتم =

= علينا – وهذه حالتهم – أن نعمل علي إخراجهم ، وإنه علي استعداد ليمد كلتا يديه إليهم ليتعاون معهم ، وعليهم أن يمدوا أيديهم إليه ليتوحد الصف ويثمر العمل . وحاول أن يبعد في رسالته كل ما يشير إلي طمعه في عسير . وأن الأمير عبدالله – رحمه الله – قد طلب في رسالة بعثها إليه أن يكون هناك تعاون للعمل علي إخراج الترك من جزيرة العرب ، غير أنه رحمه الله قد قضي نحبه ، ولم يتم تحقيق ما رغب فيه ، وكان حريصا عليه بعد أن رأي تعاون الأتراك مع الكفار ، وحبذا لو نستطيع أن نخرج إلي حيز الواقع ما كان ينوي عمله ، وأما من جهتي فأنا علي استعداد لتنفيذ كل ماترونه ، ويبقي الموضوع مرتبطاً بكم، إن كنتم جادين في تنفيذ ما كان يرغبه أسلافكم جميعاً حيث قاسوا الكثير من هؤلاء الترك الدخلاء .

لم يكن ليخفي علي آل عائض نوايا الإدريسي ولاما يرمي إليه من وراء هذه الرسالة ، ولكنهم تجاهلوا ذلك ، وأجابوه بالشكر له علي حسن تعزيته ، وألمحوا إلي أن هناك مجالاً للتعاون وتنفيذ ما كان يفكر به الأمير عبدالله – رحمه الله – وذلك فيما إذا ساعدت الظروف، وتهيأت الوسائل ، ووجدنا جدوي من العمل ، وصدقاً في النية ، إذ لم يروا بدأ من ملاينته ، وكسبه إلي جوارهم للسير به شوطاً لضمان سكوته علي الأقل في مرحلة تعدّ من أخطر المراحل في مواجهة الأتراك ومحاولة طردهم من عسير .

بدا أن هناك ائتلافاً بعد الاختلاف غير أن الائتلاف كان مشوباً بحذر ، وكل يمكر بالأخر ويريد أن يستفيد من قوة صاحبه ، هذا مع الافتراق في الهدفين فآل عائض يرون أن الإدريسي دخيل كالأتراك ولابد من طرده إن تهيأت لهم الأسباب ، ومع أنه خصم إلا أن اخفّ الأعداء بصفته فرد لا يمت إلي المنطقة بصلة ، وليس له فيها ركائز يستند عليها ولكن الإفادة منه حاليا في مواجهة الأتراك ، أما الإدريسي فيرى فى آل عائض قوة راسخة في المنطقة إذ تمتد جذورهم إلي أكثر من ألف عام ، وتشعّبت في كل الاتجاهات ، ويمكن الإفادة من هذه القوة ، وكلما تقرّب من هدفه الذي يسعي إليه ، وفي هذه القربي يمكنه بناء تشعبات مع رجال القبائل العسيرية ذات المنعة والأصالة .

أدرك آل عائض من حداثة سنهم أن الصراعات مع الأتراك لا تنتهي ، فما تكاد تقف =

= حتي تبدأ من جديد ، وأن الإدريسي قد جاء عدواً آخر ، ومواجهة العدوين أمر يستحيل فلا بد من مهادنة أحدهما أو استمالته لضرب الآخر ، وقتال الإدريسي لا يحتاج إلي دعم من أحد لذا رأوا جرّ الإدريسي إليهم وزجّه في حرب الأتراك أمر يستفيدون منه ، فإذا ما تمّ لهم ذلك يمكنهم بعدها وبسهولة الخلاص من الإدريسي .

كما لم يعزب عن بال آل عائض وضع إمام الزيدية يحيي حميد الدين حيث له مطامع يريد أن يعمم مذهبه وإن كانت العلاقات بينهما رتيبة إذ كانوا يدعمون أباه من قبل كما دعموه أيضاً ليكون قوة تؤثر علي وجود الأتراك ، ومع هذا فإنهم يخشون أن يقلب لهم ظهر المجن فيستغل وجود الإدريسي كطرفٍ مناوئ لآل عائض فيتحرك لبسط نفوذه علي عسير وتهامة .

كان الإدريسي يخشي أن يتفاهم عبد العزيز بن عبد الرحمن أمير نجد مع آل عائض لما بينهما من صلة قديمة لذا سعي بكل جهده ليتوجه عبد العزيز نحو المشرق ، لذا فقد رغبه بضم منطقة الأحساء إلي نجد لتكون تحت سلطانه ، وعمل أيضاً هذا ليشغل الأتراك في تلك الجهة فيتفرغ هو إلي عسير .

كما لم يكن شريف مكة الحسين بن علي ببعيد عن فكر الإدريسي ولم يسقط من حسابه ، إذ يدرك أن بعض أشراف مكة كانوا علي صلة جيدة مع آل عائض كما أن بعضهم كان علي صلة وقرابة بل إن تلك الصلة قد زادت في بعض الأحيان إلي درجة كان آل عائض يبدون رأيهم فيمن يتولّي شرافة وقد يفرضون أحدهم كما فعلوا بالشريف عبد المطلب الذي كان يتحرك برأيهم لذا فإن الإدريسي قد أكثر من المراسلات للشريف الحسين ، وكان في كل مرة يغريه بآل عائض في محاولة منه لإبعاده عنهم ويبدي له مخاوفه منهم إذ يذكر له أن لهم مطامع واسعة تتجاوز حدود المنطقة كثيراً .

رأي آل عائض أنه لا بدّ لهم من ضم الإدريسي إليهم في حرب تقوم مع الأتراك لعلهم يتمكنون من طردهم خارج المنطقة ، وسعت المراسيل بين آل عائض والإدريسي أدّت إلي التفاهم والاتفاق وكانت هذه فرصة الإدريسي التي طالما حلم بها ، وكم سعي لتحقيقها ، فاهتبل فرصة رغبة آل عائض واستعد لزجّ قواته في المعركة . =

= اتفق آل عائض علي اختيار حسن بن علي بن محمد أميراً عليهم ، ووافق مشايخ القبائل علي ذلك ، وأصبح هو الأمير حسن صاحب الرأي والنفوذ في المنطقة ، وكان يحسّ ضمناً أن وفاة عمه عبد الله بن محمد لم تكن طبيعية ، وإنما كان وراءها سليمان باشا متصرف عسير ، ولم يكن ليبدي هذا وإنما يخفيها في نفسه أنه لا بدّ من بدء العمل لإخراج الأتراك وتحقيق أمنيته ، وفي الوقت نفسه كان سليمان باشا قد وصلت إليه أخبار الأمير حسن سيداً لعسير فلم يكن ذلك ليروق له ولكن أخفي هذا في صدره . وكان يخطط لإلقاء القبض علي سادة آل عائض وإرسالهم إلي استانبول مكبلين لتخلوا المنطقة من حركاتهم .

قرر الأمير حسن بدء العمل ، فتفاهم مع الإدريسي ، علي أن يرسل الإدريسي قواته من تهامة وترتقي السراة من عقبة (تيه) ، و (الصماء) ، و (ضلع) لضرب الأتراك في هذه المناطق حيث لهم مراكز فيها ، وتكون القبائل قد استعدت فما أن تصل قوات تهامة حتي تستقبلها قوات السراة وتتعاونان معاً في عملية طرد الأتراك ، إضافة إلي أن رجال آل عائض في أبها سيقودون الجيش العسيري الذي سيتجمع أفراده سراً داخل المدينة لينقضوا في الوقت المناسب علي خصومهم .

كان آل عائض يعرفون أطماع الإدريسي كما يعرفون ألاعيبه لذا لم يكونوا ليأمنوه وإنما يخشونه ، وكانوا يخافون أن يعمل علي السيطرة إن اتيحت له الفرصة لذلك عملوا علي إبقاء قواته في المقدمة وتكون خلفها مباشرة قواتهم فإن أراد المكر بهم كانوا أشد مكراً منه وقضوا عليه قبل أن يبدأ لعبته .

صعدت قبائل تهامة إلي السراة ، ووجدت رجال قبائل عسير في انتظارها وعملت القوتان معاً وقضت علي القوات التركية الموجودة في المراكز الثلاثة (تيّه) و (الصماء) و (ضلع) ثم زحفت جميعها نحو أبها وألقت الحصار عليها ، وقد تجمعت القوات التي فرت من وجه جيش عسير المتجهة نحو أبها .

كانت الأخبار قد تسربت إلي المتصرف سليمان باشا قبل أن تبدأ الحركة ، فأرسل إلي الباب العالي يخبره بأن ثورة عارمة ستجتاح المتصرفية ، ويجب دعمنا بقوة كبيرة ، وإلا هلكنا ، وخرجت عسير من أيديكم نهائياً ، كما أن إمام الزيود قد اشرأب بعنقه للحركة من المركز الذي يرابط به في اليمن . =

= وصلت أنباء ما يحدث في عسير إلي الباب العالي عن طريق متصرفه هناك ، ولكن لم تكن الدولة العثمانية لتستطيع التفكير بهذه الأحداث الجديدة فإن حروب البلقان لم تترك لها الفرصة لتفكر بغيرها لذا لا بدّ من حلٍ سريعٍ فاتجهت أنظار الدولة إلي والي جدة فأرسلت إليه ليبعث بقوة من عنده بالتفاهم ومشاركة شريف مكة لدعم متصرف عسير .

طلب والي جدة من شريف مكة أن يشارك مشاركة فعّالة في الحملة التي ستُوجّه إلي أبها ، وأعلمه ما يجري هناك ، ولم تكن مثل هذه المعلومات بعيدة عن ساحة تفكير الشريف حسين حيث كان يشعر بهذا من المراسلات التي كانت تتم بينه وبين آل عائض ، ويدرك أنهم سيقومون بثورة عندما تتاح لهم الفرصة ، ولكن لم يكن يتوقّع أن تندلع الثورة في مثل هذه الظروف .كما كان يتمني أن لو تتأخر مدة ريثما يستعد هو ، فإن ما يخطط له أوسع من هذا ، حيث كان ناقماً علي العثمانيين منذ أن رجع من استانبول إذ كان هناك عضواً في مجلس المبْعُـوثِيْن عن الحجاز ، وهذه النقمة لم تكن خافية علي كثير من ساسة الغرب الذين يدبرون المكائد للعثمانيين وهذا ما جعلهم يتصلون به ، ويمنّونه بأن يكون ملكاً علي العرب وخليفة للمسلمين فيما إذا ثار علي الترك وتعاونوا معه لتحقيق أحلامه . وقد غلبت عليه أهواؤه وانقاد لها ، وانخدع للإنجليز ، وأخذ يدبر الأمور ويخطط ، ويستعد للتنفيذ ، وبينما هو كذلك إذ جاءته أخبار ثورة آل عائض في أبها كما وصلت إليه الأوامر بضرورة المشاركة في حملة لردع حركة عسيرّ ، وإجبار آل عائض علي الخنوع ، وكان كلا الخبرين عليه مراً إذ كان يتمنيّ لو تأخرت حركة آل عائض ، ويفضل آلا يشارك في الحملة إلي أبها كي لا يضيع جهده ، وينفر منه بعض من سيكونون دعماً له – حسب مخططه – عندما يقوم بالثورة علي الترك ، وبالواقع لم يكن راضياً علي آل عائض وحركتهم إذ لم يسمعوا له ، فقد كان يطلب منهم التريث ، ويعمل علي تثبيط هممهم ريثما يستعد هو ، وتأتي إليه الفرصة المناسبة ليقوم هو بالحركة ، كما كان يحذّر آل عائض من الإدريسي وصلاته التي عرفت مع ايطاليا غير أنهم علي مايبدو لم يسمعوا منه، وتحركوا وها هو يفاجأ بثورتهم . لم يخل الشريف حسين من حبائل الإدريسي ، وقد أدرك الإدريسي أن شريف مكة سيُوجه إلي أبها ، وأن قيادة الحملة العثمانية ستوكل إليه ، فأراد الإدريسي أن يشكك الأتراك =

= في ولاء الشريف فبعث إليه برسالة ، وأمر حاملها أن يوصلها إلي أحد المسؤولين الأتراك بطريقة ما .

اكتشفت الرسالة ، وكان قد ضمنها ما يفيد أن اتفاقاً سبق أن تمّ بين الشريف حسين والإدريسي ، ويقضي بأنه إذا وجّه الشريف علي رأس حملة إلي أبها أن يبقي أنجاله بالحجاز ليقوموا بحركة هناك للسيطرة علي الحجاز وإخراج الأتراك منها ، وأن القوة التركية التي سيكون علي رأسها إلي عسير سيقضي عليها بمن معه من العرب وبمساعدتنا ، وستشاركنا في القضاء علي القوة المحاصرة في أبها ، وبعدها سنسير معكم إلي الحجاز لتخليصه ، ومن ثم سيكون كل ضمن حدوده التي هو فيها الآن .

كلف الشريف حسين بقيادة حملة إلي أبها ، ولكن الأتراك قد احتاطوا للأمر ، وحسبوا لكل مرحلة حساباً ، إذ أثرت بهم الرسالة بما حوته لما طلبوا مسير أولاده الأربعة معه ، ولكن عندما وجدوا أن قوات عسير ومن معهم من رجال الإدريسي قد وقفوا في وجه حملة الحسين ولاحظوا حماسة الشريف وأبنائه في القتال وضد الهجمات والعمل علي التقدم أدركوا أن الرسالة كانت بقصد فقدان ثقة الدولة بشريف مكة كي يبعد عن الحملة . وبعد أن دخل الأتراك أبها ، تحدّث بعضهم مع سليمان باشا عن تلك الرسالة .

ولما اشتدت وطأة الحصار علي الأتراك ، وقد زادت سبعة أشهر ألزموا السكان بالبقاء معهم ، وحظروا عليهم الخروج من بيوتهم إلا في أوقاتٍ محددةٍ ، وقد سلبوا منهم أسلحتهم، وظنوا أنهم زوّدوا بها من آل عائض كي يتمكنوا من الثورة من داخل المدينة ، وإن كان هذا صحيحاً ، غير أن أعيان المدينة قد أنكروا ذلك عندما جري التحقيق معهم ، وذكروا أن حملة السلاح أمر عادي ، وتركه هو الشاذ . ووضعت القوات التركية علي منافذ الأحياء بعض فصائلها المسلحة لمواجهة أي حركة تأتي من هذه المنافذ والبطش بها مباشرة دون انتظار أو أوامر .

ومع أن مدفعية الأتراك محيطة بالمدينة وموجهة عليها من تلك القلاع المشرفة علي أبها والمقامة في شمسان ، والأدغال في رأس الحمراء في ضباعة ، وذرة ، ورأس الجندل ، والشرفة ، والشرطة ، والصفراء ، وأبو خيال ، والنصب ، غير أن هذه المدفعية كانت =

= عديمة الجدوي لأن المحاصرين علي تماس مباشرة مع الأهالي ، بل ومع القوات التركية حيث يصعب التركيز علي مكان والتمييز علي الأهالي ، بل ومع القوات التركية حيث يصعب التركيز علي مكان والتمييز علي هدف شخصي ، وكذلك فإن هذه الوحدات المدفعية قد أصبحت محاصرة وقلاعها بجنود عسير .

وهناك كثير من مراكز القوات التركية والموزعة في أنحاء عسير كلها قد استسلمت ، وكان أولها استسلاماً القوات في الظفير في غامد ، والقوات التي في بني يسار فذ زهران والتي في محايل ، وحلي ، وبيشة ، وقد سبق الذين استسلموا نحو مقر القيادة العام وغير المعروف آنذاك ، وكان الإدريسي يريد أن يسوق هؤلاء الأسري إلي صبيا ، غير أن الأمير حسن آل عائض قد أبي ذلك ، وقال : إن هؤلاء ليسوا سوي المسلمين ، ولا علاقة لهم إذ أنهم مأمورون ، وقد زجوا بالجيش زجاً وحصلوا من بلاد الترك حملاً إلي هنا فلم يأتوا طواعية كي تعاقبهم علي فعلتهم ولم تكن للإدريسي معارضة حسن لرأيه ، وقد بدأ بتنفيذ الخطة – حسب ظنه .

وظن الإدريسي أن مخططه قد بدأ وشيكاً للتنفيذ ، وأن سقوط مدينة أبها بأيديهم لن يتأخر ، فأعطي تعليمات لخاصة قادته أن يلقوا القبض علي آل عائض مجرد استسلام القوات التركية في أبها . كما أصبح يستدعي قوات القبائل الموالية في تهامة ، ويوزعها علي المناطق الحساسة وخاصة أبها لتكون لديه قوة حامية لجنده ، وتستطيع السيطرة علي السراة فيما لو تعرّض لأعوانه أنصار آل عائض أو عملوا علي الحيلولة دون إلقاء القبض علي زعماء عسير الموالين لآل عائض .

وكانت الأسلحة الإيطالية تصل إلي الإدريسي باستمرار مع بعض التوجيهات ، كما لا يبخل الطليان عليه بالمال ليسدّ أفواه من يشايعه فتعمي أبصارهم عن رؤية الحق . ولم تتوقف مراسلات الإدريسي أبداً ومرفقة بتقارير عن المعارك وتتجه إلي المعتمد الإيطالي في مصوع ، وكانت التقارير تظهر أن قواته هي الوحيدة ، وهي كل شئ ، وأن أمر عسير سيكون قريباً بيده ، وفي كل تقرير تتكرر هذه الجملة حتي شك الطليان في هذه =

= المعلومات التي تصل إليهم منه فأرادوا أن يدرسوا الوضع عن قرب ، ويعرفوا الحقيقة من ميدان المعركة ، وجاء وفد منهم إلي صبياً ، فبعث الإدريسي إلي خاصته باستقبال الوفد وإكرامه وإبقائه هناك حتي تحمل الأيام إليه أخباراً طيبة ، ولكن لم يمر أسبوع علي إقامة الوفد في صبيا إلا وأخذ جنود الإدريسي يصلون إلي منازلهم فراراً هلكي .

وكان الإدريسي قد طلب من الطليان مده بقوات لحماية تهامة وقد خلت من أهلها إذ جلهم قد ارتقي السراة للقتال ، ويخشي أن ينتهز يحيي حميد الدين الفرصة وينقض علي تهامة، غير أن الطليان لم يستجيبوا لهذه الطلبات المتكررة ولم يحبوا الإسراع في التنفيذ، وإنما رغبوا في الانتظار ريثما تتضح لهم الرؤية تماماً ، ولهم مع ابن حميد الدين محاولات لجذبه إليهم والسير به في فلكهم ، وإن خلافه مع الإدريسي أمر يرغبون به .

أما يحيي حميد الدين فقد كان يرقب الموقف وقد رأي الأتراك في وضع ضعيف ، وأنهم قد يضطرون إلي الاستسلام فعلاً في أبها بعد أن استسلمت كثير من حامياتهم في الأطرف ، ووجد يحيي حميد الدين فرصته فاندفع نحو تهامة وسيطر علي بعض أجزائها، وسيّر قوات إلي جنوب عسير ووقعت صدامات غير أن مشايخ قبائل همدان وعلي رأسهم ناصرين مبخوت والشريف أبو نيبه والي صعدة قد سعوا للصلح بين الطرفين ، وحاولوا إيقاف الطرفين لوجود عدو مشترك تدعمه قوي غريبة ، وإن لم يستطيعوا منع القتال تماماً، ولكن خفقوا من شدته ، وبقيت بعض المناوشات دائرة . ولم يكن يخطر ببال يحيي حميد الدين أن قوات آل عائض علي هذه الحالة من المعنويات المرتفعة ، والتضحيات والشجاعة فعلي الرغم من أنهم يقاتلون في عدة مناطق ويحاربون قوات الدولة العلية ، وعندهم بعدها الرديف والقوات التي تنتقل بسرعة من جهة إلي جهة ثالثة ، فما أن وصلت إلي جنوب عسير ، وكان يتوقع ألا تجد أمامها مقاومة وإذ تصل إليه الأخبار المفاجئة بوصول قوات من جنود آل عائض ، وتتصدي لقواته وتصدّها وتريد أن تطاردها لولا تدخل مشايخ قبائل همدان في الأمر .

بدأت تصرفات الإدريسي تفضح ما يخطط له ، وأخذت روائح الشر تفوح من الشائعات التي يطلقها أعوانه ، وتكشفها رسائله ، وأحسّ الأمير حسن بخطورة الموقف وعما=

= ينجم عنه من تهلكة ، فدعا مجلس شوري القبائل ، وأخذوا يتدارسون الوضع ، فوجدوا الصدام بين القوتين يسير نحو الالتحام وأن الخطر يقترب ، وأيما كانت النتيجة كان الوبال علي أهل عسير حيث أن الإدريسي قد ورط أهل تهامة في هذه الفتنة ، وانساقوا وراءه ، ولكنه دخيل ، فإن انتصرنا كان نصرنا علي إخوتنا ورعيتنا ، وإن هزمنا علي أيديهم استفاد الإدريسي ، وأحس أهل تهامة بالندم ، ورجعوا إلي أصلهم ، ولا بد راجعون ، ولكن نكون قد خزينا وقد عُيِّروا ، لذا ومن هذا المنطلق توصل أعيان عسير إلي ضرورة إيقاف القتال ، وفك الحصار عن أبها ، والطلب إلي قوات الإدريسي بترك مواقعهم والنزول إلي تهامة ، والطلب إلي رجال عسير داخل أبها بالعمل لصلح مع العثمانيين .

كانت قوات عسير قد اتخذت من (العثربان) قاعدة لها ، واستدعي الأمير حسن إليها مصطفي النعمي قائد قوات تهامة لمقابلته ، فلما حضر أبلغه بضرورة فكّ الحصار ، ونزوله ومن معه من قوات إلي تهامة مباشرة وبأسرع وقت ممكن ، وأعلمه أن هذا ما أجمع عليه رجال مجلس شوري عسير ، وأن صلحاً سيعقد مع العثمانيين ، وإذا تأخر رجال تهامة بالنزول أو توانوا في تنفيذ هذه الأوامر فسيجدون ما لا يرضيهم .

أبدي مصطفي النعمي تذمراً من هذا الكلام ، ورفض ما جاء فيه ، وقد غرّته قواته ، وظنّ أنه وسيده الإدريسي هما صاحبا الأمر والنهي فقط ، وأحب أن يبدي استعلاء فقسا عليه الأمير حسن ، وحزم معه الأمر ، وأمهله خمسة أيام إن لم يتم خلالها انسحاب قوات تهامة من حصار عسير ، وأخذ طريقها في النزول إلي ديارها ، فقد لا نستطيع بعدها أن نضبط الأمور ، ونمنع حدوث مالا يحمد عقباه ، ونتهم بالغدر ، إذ ضاق رجال السراة ذرعاً بإشاعات ورسائل السيد الإدريسي ، ولم تعد لديهم قوة للاحتمال اكثر من هذا وسأطلب إليكم بعض مقاتلة سنحان بقيادة شاهر بن راسي ، وبعض مقاتلة قحطان بقيادة محمد بن دليم ، وسيكونون مكلفين بالحفاظ عليكم حتي تجاوزوا مندر عتود إذ نخشي عليكم من قبائل بني حبيب ، وبني أنمار ، وبني ربيعة ، وبني وائلة من داعية الغل .

ولما وجد مصطفي النعمي الحزم في أقوال الأمير حسن ، والعزم فيما عليه ، ورأي أن الهلع يدبّ في قلوب قواته أيقن أنه لا بدّ من تنفيذ ما قاله الأمير حسن . =

= في هذه الأثناء أخذت تصل إلي أبها أخبار القوات التركية التي مع الشريف حسين ، وبدأت تصطدم مع بعض الفرق العسيرية المرابطة في تهامة بقيادة ابن خرشان وابن عرار والتي ترامت إليها أخبار الصلح ، فانسحبت القوات الألمعية والموالية لآل عائض ، وصمدت رجال قبائل تهامة الجنوبية مع قائديها وجري القتال ودحرت هذه القبائل إلي بلادها ، كما كان رجال عسير داخل أبها قد أخذوا بالاتصال مع قادة الترك ، وبحث موضوع الصلح ، وتم كل شيء في هذا الشأن ، ولم يبق إلا موافقة الأمير حسن علي مائم .

وافق الأمير حسن علي مائم من بنود الصلح فأمضي ، وانتهي الحصار ، وعادت قبائل تهامة إلي منازلها منحدرة من السراة .

كان من شروط الصلح أن تنحصر مهمة المتصرف بالإشراف علي القوات التركية المرابطة في المنطقة ، وأن يحضر جلسات مجلس الشوري العسيري بصفة أن المنطقة تتبع الدولة العثمانية . أما عسير فتعود لأهلها ، ويشرف علي الأمن وتسيير شؤونها أحد رجال آل عائض يختاره مجلس الشوري ، ويبايعه رجال القبائل والأعيان ، وتمّ الاتفاق أن تتضافر الجهود في سبيل خدمة البلاد .

واختير حسن بن علي بن محمد آل عائض أميراً علي البلاد ، وأن يحمل اسم نائب متصرف عسير .

إن ما حدث لم يكن في حساب الإدريسي الأمر الذي جعله يخيب معه كل أمل وأصيب بصدمة جعلت آماله في عسير تتبخر ، وزاد الأمر عليه أن يحيي حميد الدين قد استغل فرصة تراجع الإدريسي فتقدم نحو تهامة واستحوذ علي أجزاء واسعة منها . وعندما صحا الإدريسي من الذهول الذي أصابه أخذ يفكر في استعادة وضعه ، فأسرع يطلب دعماً من إيطاليا بعد أن أخبر رجالها في الضفة الغربية للبحر الأحمر بأن وضعه قد غدا خطيراً ، وستتفق عسير مع اليمن .

وستزيلان كل ما بناه ليرتكز عليه الطليان ، وجاءت الأساطيل الإيطالية ، وضربت الموانئ العسيرية للإخافة ولكن هذا لم يزد العسيريين إلا ترابطاً والتفافاً حول قادتهم ، علي حين أخذت ارتباطات الإدريسي تظهر لبعض العقلاء وبدأوا يُغيرون مواقعهم ويتخلّون عنه =

= وأعاد الإدريسي يحذر إيطاليا من مغبة الأمر إن تساهلت في الوضع ، غير أنها شعرت أن أوراقه قد سقطت فلم تبال بتحذيراته كثيراً .

ورجع الإدريسي يقلب أوراقه ، ويُفكر في أحلامه ، ويدرس مخططاته فاستقر معه الرأي أن يتجه إلى نجد ، ويوطد مع أميرها أواصر الصلة والتعاون علّه يحصل على عسير بعد أن عجز وحده وبالاستعانة بالطليان ، فالطليان كفّار ربما ينفر منهم السكان وهذا أمر عادي لدي كل مسلم ، أما أمير نجد ، فمن قبيلة عربية ، ومسلم يحمل فكرة الدعوة السلفية التي لا تروق للإدريسي ، غير أن السياسة تقضي ذلك ، والدعوة السلفية ليست غريبة علي عسير بل إن أمراءها من آل عائض ليعدّون من حملتها والعاملين في ميدانها ، وربما يمكن للإدريسي بهذه الوسيلة حسب ما أرشده إليه تفكيرة بناءً علي ما يحلم به في نفسه أن يحقق بعض ما يجول في خياله .

ضاعف الإدريسي من مراسلاته إلي أمير نجد ، وبدأ يصرحّ عما كان يخفيه ، فأخذ يهاجم آل عائض ، ويتحدث أنهم خانوه ، وتركوا جيشه وحده في الميدان فحلّ به ما حلّ ، والحقيقة عند الإدريسي أن آل عائض ليسوا إلا من أنصار العثمانيين ، وهذا ما نلاحظه من تعيين حسن بن علي نائباً لمتصرف عسير ، فهم إذن أعداء لي لا يمكن التفاهم ولا التعاون ، كما هم أعداء لكم لا يؤمن جانبهم ، ولا يمكن الركون إليهم ، ومادام كذلك فالأولي أن تخطط لمستقبلنا بإزالة أعدائنا ، وليس شريف مكة عنهم ببعيد فهو معروف بميوله للعثمانيين ، وضع في مكانه بقرار منهم ، وكذلك يحيي حميد الدين ، وليس خلافه مع الاتراك إلا في سبيل مصالحه فلو أمنت لكان نصيراً لهم ، وهذا ليس ببعيد ، وهؤلاء الثالثة علي خطٍ واحدٍ ، ونحن وإياكم علي جانبيهم يمكن الضغط عليهم وتحقيق ما نُريده ، وإن الوقت مناسب جداً للعمل ، فالعثمانيون اليوم في شغل شاغل في البلقان ، ويمكن أن نتصرّف نحن بما نراه - - يمكن لأمير نجد أن يستحوذ علي الحجاز ، وهذه رغبة أسلافكم من قبل ، وإذا تقدّم إخواننا في نجد في أرض الحجاز كان علينا إشغال يحيى حميد الدين وآل عائض بل والقوات التركية المرابطة في هذه المناطق حتى لا تستطيع دعم شريف مكة .

=

= إننا إذا أمكننا العمل حسب ما ترونه استطعنا ان نحقق كل ما نأمل به . لم يكن أمير نجد ليتسرع في إعطاء الجواب ، ولم يكن ليتهور ويزج نفسه مباشرة في مثل هذه الأمور ، ويقلّب الوجوه حتي يكون واقفاً علي أي جنب وقع ، وخاصة وأنه كان يقارع خصومة في نجد ، ويحاول أن ينتهي من أعوان ابن رشيد ، ويهئ نفسه لدخول حائل نفسها ، ويقضي علي ابن رشيد نهائياً ، ولذا فقد اكتفي بقرع الطبل للإدريسي كإظهار للموافقة والمسايرة من غير أن يقوم بأي عملٍ ، حيث مناطق جنوب الرياض مرتبطة بأبها ، وفي الوقت نفسه كان أمير نجد لا يزال يظهر أنه يعمل في ظل الدولة العثمانية بل قد منحته لقب باشا .

وكذلك لا يريد أمير نجد أن يتحرش بقوات الحجاز أو عسير وأبناء عمومته الذين تركوا نجداً مغاضبين له ، ومناوئين وهم في قواتِ الشريف في أبها ، وقد جاءوا يستنجدون بآل عائض عليه .

كان الشريف حسين قد وصل إلي أبها ، ووجد الحصار قد انتهي ، والأمر طبيعي في عسير ، واستقبل من قبل المتصرف سليمان باشا ونائبه الأمير حسن بن علي وبقية وجود آل عائض ، ومكث في أبها عدة أشهر ثم قفل راجعاً إلي مكة .

جاء الشريف إلي عسير ، وهو يحمل في نفسه مخططاً يجعل فيه المنطقة ضمن حركته التي ينوي القيام بها ، غير أنه عاد وقد تغيّر في ذهنه ما كان يفكر به إذ وجده من المستحيل لأنه رأي جيشه المنظم المدرّب والقوي قد لقي مقاومة عنيفة من أفراد قلة عاقت جيشه من التقدم ، فكيف به إن كانت قوة من أهل البلاد الأشاوس ، ومن هنا بدّل ما كان يخطط له ورأي أن يداهنهم ويقف بجانبهم اسماً ويتخذهم ظهراً له كي يأمن التوجهّ نحوه فيما إذا استتب لهم الأمر

وليعطي نفسه هالة تجعله أمام قبائل منطقة عسير الرجل المنتظر لزعامة العرب ، فقد اصطحب معه أبناء عبد العزيز بن سعود بن فيصل وكانوا قد لجأوا اليه لطلب دعمهم =

= ضد ابن عمهم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل حيث كانوا مناوئين له ويرون في انفسهم انهم هم المؤهلون لسيادة نجد إلا انهم لم يفلحوا، وأثناء وجودهم في ابها رغبوا في الاجتماع بآل عائض لطرح قضيتهم عليهم ليروا مدى استعدادهم لمعاونتهم لإزاحة عبد العزيز عن ساحة نجد ، ولما تم الاجتماع بآل عائض في قصر الأمير محمد بالبديع وكان قد هيأ لهم سكناً من قبل الأمير حسن ، دارت بينهم محادثات زعموا فيها لآل عائض ، أن عبد العزيز قد خدعه مبارك الصباح فأوقعه في شراك الإنجليز وتحالف معهم ضد الدولة العثمانية مما جعلنا نظاهره .

وقد وقف الانجليز بجانب عبد العزيز عن طريق ابن صباح فأمدوه بالمال والسلاح والخبراء ، وقد طلبنا من الشريف فأوعدنا بالمتاجرة إلا إنه طلب منا التريث وطلب بقاءنا بجواره حتى ينظر في وضعه مع العثمانيين ، واننا الان نطلب منكم معاونتنا وأن تكونوا لنا ظهراً تمدوننا بالرجال والسلاح وتؤيدون طلبنا هذا عند والي عسير سليمان شفيق الكمالي ليرفع بأمرنا إلي دار الخلافة ويستصدر به فرمان يقرنا فيه ولاة علي نجد ، وإننا نريد أن نطرح هذه القضية بين يدي سليمان الكمالي بعد الاتفاق علي صيغة العرض ، وأن وجودنا لهم بنجد خير من وجود عبد العزيز لهم ، ولأننا سنتعاون مع ابن رشيد لصالح دولتنا العلية أمّا عبد العزيز وابن صباح فهما سيتعاونون مع الكفار ، غير أن آل عائض رفضوا ذلك ولم يذهبوا معهم ذلك المذهب ولم يؤيدوهم على ماينون القيام به وقال الأمير حسن : أن عبد العزيز رجل مسلم ومن بيت ملك قام على الإسلام ، والأخبار عنه تصل إلينا من السابلة ومن التجار الذين يفدون إلي المنطقة لتجارتهم ونحن نجتمع معهم ، وتجري أحاديث حول الأحداث التي تقع في بلدان نجد نتيجة منافسته لابن رشيد علي السلطة فلم يرفع الينا خبراً يستشف منه موالاته للكفار فهو يعلم أن الموالاة للكفار من نواقض الاسلام ، اما محاولتكم منازعته هذا الأمر الذي بدأ به وأجمعت على تصويبه علما نجد وأعيانه ووقفوا بجانبه بكل ما يملكون فإننا لا نرى ذلك صالحا منكم بل قد يؤدي بكم وبه إلي الهلاك ويجعل خصمكم متمكناً منكم ليضرب بعضكم ببعض وأننا نري أن =

= انتصار عبد العزيز هو انتصار لكم وعزه عز لكم وإننا ننصحكم بالعوده اليه بل نناشدكم الله عز وجل أن تضعون يدكم بيده وتحملون بها سيفا كان بأيدي أبائكم وان لا تمكنوا عدواً من النيل منكم .

اما الشريف فمتي كان صديقا لكم وانتم تعلمون ما كانوا يكيدون به لنا ولكم حتي صار علينا في عسير مثل ما صار عليكم في الدرعية وكل ذلك بسببهم فلا تأمنوهم وهم رجال لا يستقرون إلا بحماية الدول فما من دولة استولت على الحجاز إلا وقد اتخذتهم انصابا لتنفيذ رغباتهم وتمكينهم من شهواتهم ، وأن عبد العزيز الأن في صراع مع ابن رشيد ولا يعلم ماذا ينتهي به ، أمانحن فمهما تطلبونه من أمر الدنيا فتمكينكم فيه مرغوبا فيه أما أن كان هناك خصماً لكم غير عبد العزيز فنحن مستعدون بالوقوف بكل من توليناا أمره من السروات بجانبكم ولعلنا بما افضنا فيه قد وفقنا الى تغيير موقفكم مع ابن عمكم ونحن اذا رغبتم في أن نكون أولئك المصلحين بينكم وبينه فإنما بيننا وبينكم يقتضي ذلك وكان لكلام حسن وقعاً في نفوسهم جعلهم يفكرون في نبذ الخلاف والعوده الي الإئتلاف .

بعد أن أجبر الإدريسي علي الخروج من السروات صاغراً ، وعاد الشريف حسين بقواته النظامية إلي مقرها في الحجاز ، ولم يبق علي الساحة العسيرية سوي آل عائض أمراء المنطقة ، وسليمان باشا متصرف عسير العثماني . ووجد المتصرف أن بقاء عسير ضمن الدولة العثمانية . وهدوء المنطقة متوقف علي تفاهمه مع آل عائض وأن في هذا التفاهم مصلحة لعسير كي تعود الحياة إلي طبيعتها وينصرف الناس إلي أعمالهم وإنتاجهم ، وفي الوقت نفسه فيه مصلحة للدولة العلية كي تتفرّغ لقتال الدول التي تتربص بها الدوائر ، وتقوم بتحريك رجال اعتمدتهم يسعون وراء مصالحهم ، وليس لهم من همّ سوي ذلك ، ووجد أن آل عائض من هذه الناحية نعم الرجال فلم يقبلوا أي تعاون كافر ، ولو أرادوا لتقدمت لهم العروض ، فأساطيل إيطاليا تجوب البحر الأحمر ، وما انكلترا عن ذلك ببعيدة وكل منها لها أتباع وأعوان أقلّ من آل عائض شأناً وأضعف منهم مركزاً ، ودونهم جنداً وقوة ، كما ليس لهم تلك المكانة في نفوس أبناء منطقتهم ولا ذلك التاريخ المجيد إذ لم تعرف المنطقة إمرة لغيرهم من نهاية القرن الأول الهجري وإلي هذا الزمن ، وما =

= اتجهت إيطاليا وانكلترا نحو أعوانها الذين تبنتهم إلا بعد أن نفضت أيديها من آل عائض، ولو وقفوا لما كان لهؤلاء الأعوان اسم ولا ذكر ، لهذا كله ألان سليمان باشا لآل عائض جانبه ، وأخذ يتعاون معهم ، وضرب صفحاً عما مضى ، بل أراد أن يدرك العسيريون ذلك فكان يتجول علي القبائل كلها قبيلة بعد قبيلة بصحبة أفراد من رجال آل عائض فكان يلقي الترحيب ما دام يسير مع من اتخذهم وقاية له . وكتب إلي الباب العالي يعلمه بالخط الذي يريد أن يسير عليه ، في اعتماد آل عائض والتقرّب منهم ، وتركهم في إدارة شؤون البلاد تحت إشراف المتصرف الذي له السلطة الاسمية ، وهذه يجب أن تكون سياسة كل متصرف يأتي إلي أبها .

وإن لم يتلق المتصرف جواباً من الباب العالي علي سياسته التي يريد أن يسير عليها ، أو جاءته الموافقة ، ولم يطلع عليها أحد ، فنحن لم يصل إلينا خبر ذلك ، وهذا الأمر الأكثر احتمالاً لأنه سار عليها معتمداً علي ما بلّغ به رسمياً أو عن طريق مسؤول قادم ، وصفا الجو بين المتصرف وآل عائض ، وهدأت الأحوال ، واستمر ذلك حتي جاء نقل المتصرف سليمان باشا الكمالي من أبها .

وفي هذه المرحلة انكشفت ألاعيب الإدريسي وتوجهّاته ، وتألم المتصرف كثيراً من هذا السلوك مع الصفة التي يحملها الإدريسي ، وفكر بالقضاء عليه من جذوره واقتلاعها من المنطقة وكتب الي الباب العالي بذلك ، ولكن يبدو أن في استانبول مجموعة يعملون سراً ضد الدولة العلية رغم أنهم من كبار موظفيها والمسؤولين فيها ، فكانوا يحولون دون وصول كل شئ إلي الصدر الأعظم أو مقام السلطان ، ويحجبون عنه كثيراً مما يهم شأن الدولة كهذه القضية مثلاً ، ولكنهم يبلغون بها الجهات التي يربطون بها ، ويعملون لتقويض دعائم الدولة، ومن هنا نلاحظ أنه لم تمض مدة علي مراسلة متصرف أبها سليمان الكمالي للباب العالي من أجل القضاء علي الإدريسي حتي أبعد عن المنطقة .

أمّا الإدريسي فلم يبد لأحد ما أصابه من توجّع علي هزيمته النكراء التي مني بها ، وإنما كظم غيظه ، وكتم نفسه ، حتي لم يعلن أن قواته رجعت طريدة والقبائل التي كانت معه قد عادت شريدة ، فقد تحامل علي نفسه ، وتحلّي بالصبر ، بل كان يبدي أحيانا أنه =

= مسرور رغم ما يحمل في داخله من مرارة وأسي علي حين أن كتبه التي كان يرسلها إلي يحيى حميد الدين وعبد العزيز آل سعود فكان يندد فيها بآل عائض ، ويعد فعلتهم هذه خيانة له ، وهو وإنما ذهب لنصرتهم ، فكتب للأمير حسن بن علي آل عائض كتاباً جاء فيه: إن ما انتهيتم إليه مع الترك كان مستحسناً عندنا ، ولعل ذلك كان نتيجة وقوفنا بجانبكم إذ يحسون بالخطر عليهم في التقائنا معكم لرفع هذه المحنة التي لا نطمئن أنها انتهت ما داموا في عسير ، وعسي ألا يكون ذلك خدعة منهم ليتمكنوا بها من السيطرة علي البلاد ثم إلقاء القبض عليكم وترحيلكم إلي استانبول وبذلك يفسح لهم المجال للتوجهّ نحونا ويسيطرون علي المنطقة سراة وتهامة ، ولم يكن بودنا أن تستعجلوا الأمر بهذه الصورة ، وقد أوشكوا علي الهزيمة وطلب الاستسلام ، وهذا ما اتفقنا عليه وتوحدت جهودنا من أجله ، فكونوا علي حذر منهم ويقظه ، فستكشف لكم الأيام ما تنطوي عليه نفوسهم . أما نحن فلن نأمن مكرهم وسنجاريهم ، ونحن لا نرغب عنكم إذ أننا بحاجة إلي القبائل ، وبما تفيدنا مصالحتكم معهم ومع الشريف وهم أعداء لنا ولكم ، يريدون زوالنا وإياكم ، وفي هذه الحالة سنطلب تعاون القبائل معنا باسم الجهاد ، ونطلب منكم أن تشجعوا مشايخهم للتخلي عن الغزاة الترك والتوجه نحونا سراً ، وإن وقوفنا في وجههم ليس هو سوي ترسيخ لأقدامهم في عسير ، وتمكينكم من الهيمنة عليها . وإن تعاون بعضنا مع بعض سيجبرهم علي الانحناء أمامكم ، حتي يتم رحيلهم عن هذه البلاد صاغرين – بإذن الله – وسنظل لكم كما تحبون ، ولا نتأثر بما فعله السفهاء .

وصل الكتاب إلي الأمير حسن فعرضه علي رجالات آل عائض ومجلس الشوري ، وقد عرفوا ما ينطوي عليه من إيماءات وتعريض ، فأمر حسن أن يُرد عليه وطلب من أحمد بن أبو هليل أن يتولّي وأملي عليه ما يجب أن يشمله كتاب الرّد ومنه : إن ما أشرتم إليه لم يكن ليخفي علينا ، وإن التعاون الذي ذكرتم وجوبه علي الطرفين فينا لغاية محمودة إن كان ينبع من قلوب صادقة . وإن ما حدث إنما اقتضته المصلحة ، ولا بد أنكم ستدركون فائدتها . وإنكم لتعلمون أن عسيراً لا تزال مقسمة ، وإن التعاون في وحدتها لواجب ، وإن وجودكم في تهامة لما ينهي به ذلك التصدع الذي حلّ بالبلاد ، ونحن سائرون في طريق التئامه حتي يعود كما كان بيد أبنائه . =

= وصل الكتاب إلي الإدريسي وأدرك إلى أنَّ ما يرمي إليه كلام حسن ، وفهم أنه أحد أولئك الذين ظهروا في أجزاء من عسير ، وأن طرده سيقع في يوم من الأيام بيد آل عائض وعاد إلي خاطره طرد قواته من أبها دون أن تستطيع فعل شئ فعاوده الرعب وتأكد له أنه لا يستطيع التحرك فجيشه وما حوي شهر مشلولاً عاجزاً أمام تصميم جند السراة فتلقّي الأوامر ولم يكن بإمكانه إلا التنفيذ علي حين كان يعتقد أن ما زود به جيشه كان باستطاعته السيطره علي عسير وإنهاء وضع آل عائض والترك معاً ، ثم بدا له أنه أضعف من فرقة من أولئك الجند المرابطين في السروات . وأحسَّ أن ايطاليا بدأت تنفض يدها منه، ولذلك أخذ يتقرب من الإنكليز عسي أن تبقي له مكانة ويجد بديلاً عن الطليان ، ويُعزز من أحلامه التي طالما راودته في الوصول إلي رئاسة ، ولا مانع عنده من أن يدخل في سباق مع أمير نجد ، ولم تكره انكلترا في ذلك ، وأحبت أن تجعل منه ثالثة الأثافي ، فيلتف بعباءة واحده مع شريف مكة ويدخلان في المنافسة مع ابن سعود للسيطرة علي الجزيرة حسبما يحلم كل واحد منهم .

رأي الإحاطه بآل عائض وتدمير قوتهم المتمثلة في القبائل أمراً محتماً عليه ، ولابد من أن يحمل علي عاتقه كل الوسائل الموصلة إلي تلك الغاية ، فوجد في نجد وميض الأمل ، إذ تراءى له ذلك من مراسلاته السابقة ، وقدّر أن هناك رغبة في ما قد شرع إليه .

ومما زاد من جنوح الإدريسي إلي نجد أنه رأي وقوف يحيي حميد الدين وآل عائض إلي جانب العثمانيين ضدَّ دول الكفر ، وقد أعلنوا الجهاد ، وأرسلت عسير قوات إلي ليبيا لقتال المستعمرين الطليان بقيادة عبيد الله بن علي بن محمد بن عائض ، ولم يكن مرتاحاً للأماني التي أعطتها إنكلترا للشريف حيث سيضيع هو فيها ، وهذا ما جعله يري هدفاً جامعاً بينه وبين أمير نجد الذي سينافس شريف مكة علي سيادة الجزيرة كما رأي عنده القوه التي تمكنه من تحقيق حلمه في القضاء علي آل عائض ، واعتقد أن الشريف يسعي بخطا فوق طاقاته إذ لم ير في الحجاز هوة تواكب طموحات الشريف الذي يحلم بالخلافة . كانت المراسلات بين الإدريسي وبين أمير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن قد فتحت الأمل للطرفين ليحقق كل منهما هدفه الذي يرمي إليه بدعم الآخر له ومساعدته في تنفيذ مخططه . =

= عندما كان الأمير عبد الرحمن بن فيصل آل سعود لاجئاً مع أسرته في قطر ، وتم بينه وبين الإنكليز إبرام اتفاقية تثبت أقدام عبد الرحمن في نجد وتضمن له بقاء ذلك لذريته مقابل تحقيق أغراضها في المنطقة وأن يبقي الطرفان بجانب بعضهما بعضاً ، وذلك لكسبه إلي جانبها لتأييدهما فيما تنوي تنفيذه من المخططات ضد أبناء بلدان المنطقة .

ولم يجد الممثل الإنكليزي في قطر لدي آل ثاني شخصيات تمكّن الأمير عبد الرحمن من تنفيذ مشروعاته لذلك طلب منها الانتقال إلي الكويت ، ورغم أن آل صباح قد اعترضوا علي ذلك لكنهم أجبروا ، وأمر عبد الرحمن بالتحرك نحو الكويت – كما سبق ومر معنا – .

كان أبناء فيصل بن تركي آل سعود قد تركوا فراغاً في نجد لما حدث بينهم من تناحر فجاء آل رشيد وملؤوا هذا الفراغ .

برز في آل رشيد أمراء أقوياء ومنهم محمد بن عبدالله آل رشيد ، وعبد العزيز بن متعب ، وكانوا يطمعون في مد نفوذهم إلي الكويت ومنها يمكنهم التغلغل في بقية الخليج ليكون لهم ميناء ، وكانت الدولة العثمانية تشجّعهم ليكونوا في وجه الإنكليز ومن حالفهم من الأعراب .

حمد آل الصباح استقرار عبد الرحمن ومن معه في حوزتهم إذ شعروا بمرارة صدامهم مع ابن رشيد ، ولو لم تكن هناك إلي جانبهم قوة بريطانية تصدّ ابن رشيد عن الكويت كلما همّ باحتلالها لكان قد ابتلعها وأنهي عليها .

كان الأمير عبد الرحمن لايفتأ يفتل في ذروة سنام ابن صباح معرضاً له برغبتهم بالاشتراك معه في حرب ابن رشيد ، ولم يكن ابن صباح يعرف ما تمّ بين عبد الرحمن والإنكليز في قطر .

رأي ابن صباح أن يستفيد من عبد الرحمن وأبنائه كقوةٍ لما لهم من ركيزةٍ في نجد يهدد بها ابن رشيد فأخذ يظهرهم علي الساحة كقادة مجموعاتٍ من قواته حتي كانت وقعة الصريف إذ أرسل ابن صباح قوة مع عبد العزيز لا تقل عن عشرة آلاف مقاتل لاحتلال مدينة الرياض وإشغال ابن رشيد بها عن تقدمه نحو الكويت .

احتل عبد العزيز الرياض بعد مقاومة احتج بها المدافعون عن الرياض أن لابن رشيد =

= بيعة في أعناقهم ، وبعد دخوله الرياض بايعه أهلها بعد أن أقنعهم أن ابن رشيد معتدٍ علي ملك أعمامه وأبيه .

بقي عبد العزيز في الرياض حتي كوّن قاعدة له استطاع أن ينطلق بها فيما بعد . فلماكانت وقعة الصريف وانهزمت فيها قوات ابن صباح وتابعتها قوات ابن رشيد التي كادت تدخل الكويت لولا تدخل القوات البريطانية وإرسال طائرات تقصف تجمعات ابن رشيد حتي ألزمته علي الرجوع .عندها رجع عبد العزيز بن عبد الرحمن إلي الكويت خوفاً من انعطاف قوات ابن رشيد نحوه حيث كان لهذه الوقعة صدي هدّت من معنويات قوات ابن صباح وعبد العزيز معاً . وكذلك فإن ما فعلته الطائرات البريطانية في قوات ابن رشيد قد خففت من طموحاته ، وأخافت من حوله بالوقوف معه ، وهذا ما ساعد عبد العزيز علي معاودة احتلال الرياض إذ اتجه نحوها ثانيةً ، ولم يكن دخول عبد العزيز إلي مدينة الرياض بالأمر السهل إذ كان ابن رشيد قد نصّب عليها أحد مواليه وهو محمد بن عجلان ولكنه اشتدّ علي الذين والوا عبد العزيز ومكّنوه من دخول الرياض ، وهذا ما جعل أهلها يتربصون به فتخاذلوا عن نصرته وأيدوا ابن سعود .

كان مع عبد العزيز عندما خرج من الكويت خمسة آلاف مقاتل جعلها ردءاً له فيما إذا حدث له هجوم من خارج الرياض أو معركة داخلها فتشترك عندها هذه القوة .

ولما اقترب عبد العزيز من الرياض اختار من قواته ما يقرب من مائة رجل عاهدوه علي الاستماتة معه ، واستطاع بهم التسلل إلي داخل المدينة واقتحام القصر وقتل ابن عجلان، وبعدها أخبر البيوت داخل الرياض ممن كان أهلها يتعاونون معه بما حدث ، ولم يكونوا علي علم بذلك ، وطلب منهم أن يلتفوا حوله ، أو أن ينضموا إلي القوات التي معه والتي لا تزال خارج الرياض ، والتي توجد في جبل أبي مخروق ، وفي القليتات شمال غربي الرياض ، وفي بطن السلي حالياً ، وأعلمهم أنه قد دعاها للقدوم إلي الرياض .

والتقت قواته بمن كان معه من أهل الرياض ، وبدأت تفد إليه وفود معظم القري التي حول الرياض والممتدة في وادي حنيفة للمبايعة .

وبعد دخول الرياض واستتباب الأمر له حوّل وجهه عن الكويت واتجه نحو الشمال =

= والغرب للتوسع ، ويبعث سعود بن ناصر الفرحان آل سعود بما تمّ معه من توفيق لوالده ويدعوه وأسرته إلي الرياض ومغادرة الكويت .

قوي مركز عبد العزيز بالرياض وأصبح له قوة دفاعيةً يستطيع بها أن يرد غارات ابن رشيد ، ويضرب بها قوات أمراء بلدان نجد الذين يضلعون إلي ابن رشيد ، ويناوئون عبد العزيز ، ولم يعزب عن باله قوة الدولة العثمانية في المدينة المنورة ، وأبها ، والقصيم والإحساء ، مع ارتباط حائل معها ، ولم يحب أن تبدوا بوادر العداء للعثمانيين ، وقواتها تحيط بما تغلب عليه من نجد .

كان ظهور عبد العزيز بن عبد الرحمن في الوقت الذي كان فيه الصراع بين العثمانيين وبين الأمير عبدالله بن محمد بن عائض في عسير وكذلك الصراع قائم في اليمن بين يحيي حميد الدين وبين العثمانيين . وهذا ما ساعد عبد العزيز وجعله يستطيع توطيد أقدامه في الرياض وما حولها ، وبتغاضي الدولة العثمانية عنه كي لا يكون ثائراً في الجزيرة ، وهي تخوض معارك لا تنقطع ضد الدول الأوروبية التي تسعي جادة في ضرب الخلافة وتمزيق وحدة المسلمين . ولم يتجاهل الأمير عبد العزيز وضع هاتين الثورتين في اليمن وفي عسير بل أراد أن يثبت وجوده فبدأ يكاتب قادتهما ليضع نفسه بمنزلتها ، ويريد أن يشعرهما أنه علي خطهما ، لذا فمن الضروري التعاون بينهم . فكتب للأمير علي ابن محمد في الرابع من محرم عام ١٣٢٠هـ بتأييده له في الثورة ، ويعلمه أنه قد تمكن من طرد أعداء الإمام عبد الرحمن من مدينة الرياض ، وأنه يصدّ بعنف هجمات ابن رشيد الموالي للأتراك ، كي لا يتمكن ابن رشيد بدعمٍ من القوات التركية أن يتجاوز نجداً ويصل إلي دياركم ليدعم الأعداء هناك فهم أعداء لكم كما هم أعداء لنا ، ويري أن إمداده بقوات عسيرية أمر مهم إذ أنهم يقاتلون في نجد الأعداء أنفسهم الذين يقاتلونهم في عسير . وكتب ليحيى حميد الدين بالمعني نفسه كما حدّث فيما بعد آل عائض عبدَ العزيز نفسه عندما اطلع الأمير حسن آل عائض كتابه الآنف الذكر إلي والده علي .

استجاب الأمير علي بن محمد للأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن حيث رأي مصلحة =

= في ذلك ، إذ ربما تخفف الثورة في نجد عن عسير ضغط الأتراك ، ويشغلون بها في الحجاز عن دفع قوات إلي عسير . كما أن قيام ثورة في نجد ضد الأتراك تكون حاجزاً دون وصول قوات تركية من البصرة أو الإحساء أو القصيم إلي عسير . كما رأي آل عائض أن خروج ابن سعود يدعم ثورة القصيم ضد الترك والتي قامت عام ١٣١٩هـ للاستقلال .

استدعى الأمير علي بن محمد عدداً من مشايخ قحطان القاطنة في هجرهم في تثليث ، وطلب منهم ترك أمر العثمانيين في عسير لإخوانهم من أبناء المنطقة ، والتوجه بمن يرغب في أفراد عشائرهم إلي نجد لدعم الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن والوقوف إلي جانبه ضد ابن رشيد والأتراك ، وجعل علي القوة التي ستتوجه إلي نجد عشق بن زيد كمرجع لأفراد تلك القوة . كما أرسل دعماً للقصيم من قبائل بيشة بقيادة ابن الأزهر ، ،من قبائل الوادي بإمرة ابن قويد ، كذلك كتب الأميرعبد العزيز بن عبد الرحمن إلي شريف مكة عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين ، وقد عظّم له من أمر ابن رشيد وأنه صاحب أطماع واسعة، وانه إذا ما استطاع - لا سمح الله - من السيطرة علي نجد فإنه سيتوجه بعدها إلي ديار الحرمين ، وأخبره بأنه مع أبطال نجد نقف له بالمرصاد ونحول دون توسعه ولذا فإن المصلحة تقضي منكم دعمنا كي نوقف ابن رشيد عند حده بل نجليه عن كثير من الأراضي التي بسط نفوذه عليها وهي من أملاك أعمامي وأجدادي من قبل . وأنا هنا لست سوي رجل من رجالك أدافع عن حماكم ، عليكم الأمر وعلي التنفيذ .

وبهذه المراسلات جعل الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن حركته في مأمن من الجوار ، وجعل هدفه الأساسي إضعاف قوة ابن رشيد وحصرها في حائل ، وإضعاف أهل القصيم كذلك وجعل بعضهم يضرب بعضاً .

كان المعتمد البريطاني في الكويت يتابع الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن إذ تصل إليه التقارير ممن كان حوله من رجال المعتمد ، وكانت مشجعة علي أن تستمر الصلة معه ، حيث وجد فيه مؤهلات الرجل الذي تبحث عنه .

بدأ عبد العزيز ينفذ المخطط الذي رسم له من قبل المعتمد البريطاني ، والذي =

= يقضي بالقضاء علي ابن رشيد بعد القضاء علي الأتراك في القصيم ، ثم طرد الأتراك من الأحساء للتأمين علي الخليج العربي من الأتراك .

أحست الدولة العثمانية بما جري بين عبد العزيز والإنكليز ، وأنه سيكون من السهام التي يرمي بها في وجه العثمانيين لذا عملت الدولة العلية علي كسبه وإبعاده عن الإنكليز ، فاتصلت به عن طريق بعض موظفيها ، وجعلته أميراً لنجد ورئيساً لعشائرها ، ومنحته رتبة الباشوية ، فأصبح كموظف حكومي للأتراك يتوسع في حركته . غير أنه في الواقع لم يتخل عن الإنكليز ، ولا يبتعد عن تنفيذ ما رسموه له ، وأن صلته مع العثمانيين لم تكن إلا من باب المداهنة ، وحتي يجد لنفسه مخرجاً طلب من والي الأتراك في جدة تسليمه القصيم بحجة أن السكان يتظلّمون من المسؤول التركي فيها ، حيث كانت نجد والقصيم تحت مأمورية المشير أحمد صبيح بن أبو الخير .

كان عبد العزيز ينظر إلي القصيم نظرته إلي الرأس في الجسم إذ يمثل سكانه الطبقة المثقفة والتجارية ، كما أنهم في الوقت نفسه أهل حرب وبأس ، وأن بادية نجد تعول علي القصيم في ميرتها لموقعه المتوسط بين الشام والإحساء والحجاز وعسير ونجد ، ورأي استمالة سكان القصيم إليه أمراً ضرورياً لتدعيم سلطانه في نجد ، وكان يري أن الحرب بين أهل القصيم وابن رشيد ستنتهي إلي صالحه ، لهذا ركز عليه حتي تمكن من السيطرة عليه عام ١٣٢٤ هـ ، وكانت القوة التي أرسلت إليه من عسير أيام الأمير علي بن محمد ، والتي دعامتها قبائل قحطان هي التي مكنته من النجاح في أكثر حركاته بل لقد أخافت قبائل عتيبة ، وعنزة ، ومطير ، فانقادت إلي عبد العزيز خوفاً من تسليط تلك القبائل القحطانية عليها . مع العلم أن كثيراً من بطون هذه القبائل القحطانية قد سبق لها وتوطنت في نجد بعد عام ١٢٥٠ هـ وأصبحت ذات مكانةٍ تمكّنها من منافسة قبائل عتيبة ، وعنزة ، ومطير ، كما أن تلك القبائل القحطانية قد غدت قوة يحسب لها حساب ، وترهب القبائل التي تجاورها .

استمرت قوة الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن تزداد وتبتلع القوي التي تجاورها تدريجياً حتي عام ١٣٣٠ هـ وفي موسم ذلك العام توجه حجاج من الرياض الي بيت الله الحرام فمنعوا ، وجُرّدوا مما كانوا يحملونه ، وهذا ما كان له الأثر الكبير في نفس عبد العزيز =

= إذ صدمه ما فعله ولاة الأمر في الحجاز بأهل نجد ، واتخذ من ذلك مبرراً للاحتجاج فكتب إلي محافظ المدينة المنورة يبدي به التظلم من تصرفات الحسين بن علي ، وانتهاك حرمة النجديين ، ونظرته إلي النجديين أنهم لا رابط يربطهم مع الدولة العثمانية بالطاعة والولاء ، وأظهر في خطابه ذاك امتثاله للدولة وانقياده لأوامرها ، وبصفته مسؤولاً عن نجد وعشائرها فإنه يُمثل عدالة الدولة ، مرتبطا بعطوفة محافظ المدينة ، وإن نجداً لم ترتبط بالحجاز ، وإنه والشريف ليسا سوي عاملين للدولة العلية ، وإن ما حدث من الشريف لا يصح السكوت عنه ، كما لا يصح سكوت محافظ المدينة كمرجع لنا ، وأخيراً يطلب منع الشريف من العودة إلي مثل ما بدر منه ، وإلقاء اللوم عليه ، وتوبيخه لما حدث منه .

كان عبد العزيز بن عبد الرحمن يربط نفسه من جانب مع انكلترا وبالجانب الآخر مع الدولة العثمانية فإذا شدّ طرف سار معه ....حتي يُشد الطرف الآخر فيعاود الاتجاه نحوه حتي يبقي واقفاً باتزان وذلك إلي أن يشعر القدرة من نفسه ليسير إلي الجهة التي يبغيها ليسير بها شوطاً إلي هدفه حتي إذا أنس من نفسه القدرة لضرب كل الجوار دون خوف ، تخلي عن الجهة التي يمكن التخلي عنها

كانت انكلترا حريصة علي أن تثقل كاهل عبد العزيز بالديون كي يبقي طوع أمرها ولتتخذ من هذه الديون ذريعة للتدخل في الوقت الذي يناسبها ، وتحتل الأراضي التي تختارها تحت اسم حقوقها المالية . كما كانت تفعل دآئماً مع الدول الضعيفة الأخري .

وكانت انكلترا تمده بالاستشاريين الذين يرسمون سياسيتها في المنطقة أمثال " فيلبي " و " شكسبير " و " كوكس " وكان " فيلبي " أكثرهم التصاقا بعبد العزيز وقد بدأت مهمته في الرياض عام ١٣٢٦هـ .

لم يكن الشريف الحسين بن علي قليل الإدراك عن الأحداث التي تجري وسط الجزيرة والتي يحركها عبد العزيز معتمداً بقبائل الحجاز ، وأنه في يوم ما ، وعندما يعلن ثورته الحقيرة ضد العثمانيين تجاوباً مع الإنكليز وحلفائهم الكفرة إنه سيتغلب بتلك القبائل علي الإمارات القائمة بجواره في الجزيرة ، ولكن عندما ظهرت حركة الإدريسي والتي من ورائها إيطاليا تدفعه ، وممالئة الإدريسي وآل عائض للثورة ضد الأتراك ، ثم إرغام قوة =

= الإدريسي علي الانسحاب من حصار أبها ، وتكليف الشريف لفك ذلك الحصار ، وظنه أنه يستطيع أن يبرز قوة جيشه غير أن فشلة أمام مجموعة من القبائل الضعيفة ، وعجزه عن منازلتها ، وهذا ما جعله يغير في حساباته ويعرف أن هذه القبائل الحجازية لا يمكن أن تجعله يقف علي رجليه ، ولاحظ أن قوة ابن سعود تتفوق عليه لذا كان يرغب بأن يجد مخرجاً من ابن سعود إما بالصلح بين الطرفين وتحديد الحدود بينهما وإما بالانتهاء منه بأية صورة من الصور . ولكن عبد العزيز لم يمكّنه من شئ يمكنه أن يكيد له به فكان عبد العزيز يرسل له بالرسالة تلو الأخري يبين له فيها تعاونه معه ، وتعاطفه ، بل وولاءه له ، ولم تكن تلك الرسائل لتخلو من ركونه للدولة العثمانية بصفته والياً لها علي نجد .

ومرت الأحداث مسرعة في صالح عبد العزيز حتي عام ١٣٢٧هـ وقد أراد أن يختبر قوته ورد الفعل من قبل أكبر قوتين يمكن أن تواجهانه ، وهما الحجاز وعسير ، فأرسل قوة بإمرة خالد بن لؤي وقوامها القبائل القحطانية الموالية له ووجهها إلي " تربة " فاستطاعت احتلالها بسهولة والتمركز فيها ، وأرسل قوة أخري بقيادة عبد الرحمن بن ثنيان إلي " بيشة " التي تتبع عسير ، وتمكنت من دخولها غير أنها عادت مرغمة إلي الانسحاب منها وترك بعض رجالها أسري بيد آل عائض وفيهم قائد الحملة بالذات عبد الرحمن بن ثنيان . غير أن هؤلاء الأسري ما أن وصلوا أبها حتي أطلقهم الأمير حسن بن علي آل عائض ، وأعادهم إلي الرياض مكرمين ، ومعهم رسالة إلي عبد العزيز يلومه فيها علي هذا العمل الذي لا تحمد عقباه ، وأنه طعنه من الخلف من صديق ، كما ذكره بالروابط التي كانت بين أسرتيهما في السابق هو ما ينبغي أن يكون عليه في المستقبل . وتريد بريطانيا أن يبقي الخلاف مستحكماً بين هذه القوي .

كان الشريف حسين قد شعر بخيبة الأمل في معركة " تربة " حيث كان قد عبأ فيها أفضل قواته ، وأمدها بمختلف الأسلحة التي يملكها ، ومع ذلك لم يفده شيئاً ، وعرف أن ما يعتمد عليه هشاً لا يمكنه به أن يحقق أي أمل من الآمال التي يحلم بها .

وأما عبد العزيز فقد شعر بالخطر يكمن في عسير إذ أن قوتها ضخمة مع تفرق قواتها لوجود صراع بين عسير وكل من الإدريسي وإمام صنعاء لذا لا يمكنه أن يفكر بالحجاز =

= قبل أن يتخلص من عسير بتوجيه جهوده كاملة إليها ، فإذا منها أمكنه القضاء علي الحجاز ، وبعدها يمكنه ابتلاع اليمن .

اعتذر عبد العزيز لابن عائض علي رسالته التي عاتبه بها علي أن القوات التي كانت مع ابن ثنيان لم يكن إرسالها إلي بيشة لاحتلال بلادكم ، وإنما كانت موجهة دعما للقوات التي سارت إلي (تربة) لقتال عدوّنا وعدوكم وهو الذي يسمي بشريف مكة .

متصرف جديد في عسير : صفا الجو بين متصرف عسير سليمان باشا الكمالي وبين آل عائض ، وأخذ كل منهما يُؤدي المهمة المناطة به ، غير أن خصوم الدولة العلية قد أزعجهم ما آل إليه الوضع في عسير فبدأوا يحيكون الشائعات ، ويفترون الأكاذيب التي كانت تصل إلي استانبول ، ولم تكن رسائل الزعماء الذين يجاورون عسير بقليلة الأهمية إذ كان الإدريسي والشريف حسين ، وإمام صنعاء ليحسون بالخطر في نفوسهم من استقرار الوضع في غير وتفاهم قادته مع متصرفهم ويتوقعون زوالهم نتيجة ما يجرى على الساحة العسيرية لذا أخذ كل من هؤلاء يرسل شخصياً أو بالواسطة إلي الباب العالي في استانبول ما يشكك في نوايا آل عائض ، وخداعهم للمتصرف الذي يوصف بالغفلة ، وكان لهذا أثره مع التكرار ، وجاءت النتيجة باستبدال المتصرف سليمان باشا الكمالي .

صدرت الأوامر السلطانية بنقل سليمان باشا الكمالي إلي دمشق ، وتعيين محي الدين باشا مكانه متصرفاً في أبها ، ورحل سليمان باشا من أبها إلي القنفذة ليبحر منها إلي ساحل الشام فسار معه آل عائض حتي القنفذة حيث استقبلوا هناك في الوقت نفسه المتصرف الجديد محي الدين باشا وذلك عام ١٣٣٠هـ ، ورجعوا معه إلي أبها .

سُرّ الإدريسي بسفر سليمان باشا واعتقد أن المتصرف الجديد لن يكون كسلفه ، ولن يسير علي نهجه إذا كان يريد أن يستقر في أبها فإن سياسة سليمان باشا هذ التي نقلته ، وظن الإدريسي أنه سيجد في المتصرف الجديد ضالته المنشودة ، ويمكنه أن يكسبه إلي صفه ضد آل عائض وسيعود إلي تنفيذ مخططه من جديد .

كان محيى الدين باشا وسليمان باشا وآل عائض قد عقدوا اجتماعاً في القنفذة تدارسوا فيه وضع عسير وشرح سليمان باشا لخلفه المتصرف الجديد ما عاناه من الإدريسي ، =

= وأعطاه كذلك معلومات عن الإدريسي ذلك العميل لإيطاليا ، وهو الآن يتقرب من بريطانيا وإمكانية تعاونه مع أي عدوّ سواء أكان كافراً أم من أي ملة كان في سبيل مصلحته ،وكذلك شرح عن جوار عسير من الشمال شريف مكة ، ومن الجنوب إمام صنعاء ، وأمير نجد من ناحية الشرق ، وأوضاع المنطقة ومن تحتاج إليه والوسيلة السليمة للسير بالمتصرفية ... ... ثم انفرد المتصرفان السلف والخلف بعضهما مع بعض وأسرّ له أهمية آل عائض في المنطقة وضرورة التعاون معهم والأخذ بإرشاداتهم فإنهم بحقيقة الأمر أهل الحل والعقد فيها ، ومن خالفهم لا يستطيع أن يجد في المنطقة من يتعاون معه ، فعسير سراة وتهامة ممثلة في البيت العائضي ، ومهما أشتد الضغط للفصل بين المكان وسادته فلن يجدي ، فأهل عسير يدركون أن عزّ عسير إنما هو بآل عائض فعليك أن تصطفيهم . وأعلمه كذلك أن هناك مخططاً بريطانياً يدفع أمير نجد عبد العزيز للتحرك نحو الشرق ليخرج العثمانيين من ساحل الجزيرة الشرقي كي تستطيع بريطانيا بعدها أن تمتد نحو الداخل، ولتبعد هيبة الدولة العثمانية من نفوس الذين يمكن أن تتعاون معهم انكلترا ، ومن نفوس الأمراء العرب . وأن هذا المخطط وشيك الوقوع ، وإذا ما طلبت القوات العثمانية في الإحساء الدعم فيجب دعمها ومدّها بكل الإمكانات حيث لا يعتمد علي قوة آل رشيد ، وإن كان لهم فضل في بقائهم بجانب الدولة العلية واحترامهم للرابطة الإسلامية .

وذكر سليمان باشا لمحيى الدين باشا أن إمام صنعاء هو أقل أمراء الجزيرة كرهاً للدولة العلية ، لذا يمكن التساهل معه ومحاولة شدّه بشكل أوسع ودعمه إن قوي عليه خصومه أو مالؤوا الأخرين عليه .

كما بين له أن في الجزيرة ثلاث إمارات تتعاطف مع دولة الخلافة وهي حسب الأهمية : آل عائض في عسير ، وإمام صنعاء في اليمن ، وأخيراً آل رشيد في حائل ، ويقابلهم في الجهة الأخري قوي ثلاث : شريف مكة الحسين بن علي في الحجاز وعبد العزيز بن عبد الرحمن في نجد ، والإدريسي في تهامة ، هذا بالإضافة إلي الإنكليز الذين لهم قواعد محصنة علي السواحل مثل عدن أو يُحالفون أمراء ويعاهدون آخرين علي خليج عمان والخليج العربي ، ويقوم هؤلاء الأمراء بتنفيذ ما يمليه الإنكليز مقابل ما يحصلون عليه من حماية تحت المظلة البريطانية ، أو ما يجدون من دفاع عنهم ، ومدهم بقليل من المال =

= المطوعين سوي ربط هؤلاء البدو بالأمير شخصياً ، وترسيخ أفكار في عقولهم أن كل من يخرج عن طاعة أمير نجد فهو مشرك كافر ، لأن الأمير هو " أولي الأمر " فطاعته واجبة في محكم كتاب الله ، ومن ثمّ بثّ معلومات في ذهن البدو أنهم أهل الطاعة ، وأنهم أهل التوحيد والدين ، ومن خالفهم دخل الشك عقيدته ... ... وأن لهذا أهميته إذ غدا البدو جاهزين للقتال ، ولديهم حماسة كبيرة لأنهم أهل الدين والطاعة وأعداؤهم كفار ، وأن أميرهم هو صاحب الأمر ومن خالفه معتد أثيم يجب قتاله ... ... واندفع البدو فى معاركهم لا يبالون بشئ وهم علي قناعة بما يفعلون ، وما يعتقدون ... وليس لأمير نجد من هدف فى تهجير البدو سوى أن يقطع بهم شوطاً فى تحقيق أهدافه . ولم تكن هذه الأراء سوى افكار أحد الساسة الترك الذى عاش فى أبها يراقب الأحداث فيها مدة ، ويعايشها أحياناً .

سياسة المتصرف الجديد : لم يجد محيى الدين باشا بداً من التعاون مع آل عائض ، فاجتمع معهم وتدارسوا وضع عسير فقرروا ضرورة إبقاء مجلس الشيوخ (الشوري) الذي يضم مشايخ القبائل والعلماء ، وعددهم خمسون عضواً يمثل هذا المجلس السلطة التشريعية إذ يتدارس أعضاؤه أوضاع قبائلهم ، وما يلزمهم وارتباطهم بالإمارة .

وأما القيادة فكانت تضم مجلساً خاصاً يتألف من سبعة أعضاء يضم المتصرف ، وحسن ابن علي آل عائض ، وعضوين آخرين من آل عائض ، وثلاثة يمثلون المنطقة . وهذا المجلس بمثابة السلطة التنفيذية ، ويجتمع برئاسة المتصرف . وأما القضاء فلا يخضع لا لمجلس القيادة ولا لمجلس الشوري ، وإنما مستقل لا ينقض حكمه ، لأنه مستمد من الشريعة .

بدأ الجو يشحن بالمخاطر أمام محيى الدين باشا ، فأمير نجد احتلّ الإحساء ومدنها بإشارة من الإنكليز ودعم منهم إذ أخذ أسطولهم يضرب تجمعات الأتراك لإجبارهم علي الانسحاب من الإحساء وإخلائها لأمير نجد الذى اتجه بعدها إلي مقارعة ابن رشيد .

والإدريسي أخذ يستعد للهجوم علي عسير بتوجيه من أمير نجد الذي عمل علي منافسة ابن رشيد علي نجد كي لا تتحرك القوات التركية في عسير لدعم ابن رشيد ، وفي الوقت نفسه فإن أمير نجد طلب من الإدريسي أن يعمل لدي الطليان لضرب الموانئ العسيرية لإشغالها وإشغال العثمانيين في أبها . =

= رأي محيى الدين باشا أنه من الضروري التفاهم مع الإمام يحيى حميد الدين لتوحيد جهود اليمن وعسير للعمل نحو الأهداف المشتركة ، ومنها إرسال قوة واحدة مشتركة من اليمن وعسير لإرسال فرقة منها لدعم إخوانهم المسلمين في طرابلس الغرب في جهادهم ضد الطليان ، وتهيئة فرقة ثانية للخلاص من هذه الجرثومية التي أقلعت المنطقة ، وأفسدت علي الناس أمنهم بتعاونها مع الطليان وتلك الجرثومية هو الإدريسي الدخيل علي المنطقة الغريب عن أهلها .

بدأت الاتصالات بين قيادة أبها وقيادة صنعاء ، وتم التفاهم بعد موافقة صنعاء ، وأخذت القوة التركية في أبها تبحث الأمر مع آل عائض ومجلس الشوري في الوقت الذي أخذت القيادة التركية في صنعاء تتباحث مع الإمام يحيي ، وتمّ كل شئ .

اتصل محيى الدين باشا مع الصدر الأعظم في استانبول وأطلعه علي الخطة التي ينوي العمل حسبها غير أن الأوامر قد جاءت بالرفض ، وأعلمه الصدر الأعظم أن مهمته المرابطة بمن معه في أبها وأن يكون علي حذر من آل عائض وأن المعلومات التي وصلت إلي الباب العالي تشير إلي تفاهم بين النجدي وآل عائض والإدريسي وابن حميد الدين للثورة ضد العثمانيين ، وأن الإنكليز من وراء هذا كله .

وأدرك محي الدين باشا أن هذه الشائعات مصدرها الطليان وأن سفاراتهم في القاهرة تنشر هذه الافتراءات لتحقيق أهدافها ، وأن الإدريسي يعمل أيضاً علي بثها في عاصمة الدولة العلية عن طريق بعض الأشخاص الذين يتعاملون معه ويعملون بالخفاء ضد دولتهم ، كما أن مراسلات الإدريسي إلي أمير نجد قد حوت كثيرا من المخادعات والمخاتلات .

وكانت الصدارة العظمي في استانبول قد أبلغت متصرف عسير محيى الدين باشا أنها أوكلت إلي شريف مكة مهمة القضاء علي الإدريسي ، وهو في طريق إعداد العدة لذلك . وأنه قد اشترط أن يقوم بالمهمة بالجند الحجازيين فقط ولا يريد أن يدخل مع قواته التي ستتحرك إلي تهامة أي جندي عسيري ، غير أن قبائل عسير العثمانية يريد أن تكون إلي جانبه في هذه الحملة لصلة الجوار التي تربطها بالحجاز وللقوة التي تمتلكها ، وهو يهدف من وراء ذلك تجزئة عسير والهيمنة علي أجزائها الشمالية في سبيل بسط نفوذه بعدئذ =

= علي عسير كلها ، ولما عرض الأمر علي قبائل غامد وزهران ورجال الحجر وهي التي أراد شريف مكة أن يصطحبها معه ، رفضت المشاركة في حملة الشريف ، وأجابت بأنها تعمل ضمن قبائل عسير التي هي جزء منها وتنتظم معها في كل القضايا ، ولا تقاتل إلا معها وضمن صفوفها وتحت قيادتها .

في هذا الوقت بدأ الأسطول الإيطالي يضرب الموانئ العسيرية كالقنفذة ، والقحمة ، والبرك ، بل وصلت قذائفه إلي الداخل إذ ضرب حلي ، وذهبان ، وقبائل بني عبد العال من رجال ألمع ، والدرب .

تحركت قوة من الحجاز بقيادة ولد الشريف الثالث فيصل مع من معه من القادة الأتراك غير أن هذه القوة قد منيت بالهزيمة ، وهذا ما جعل الحسين بن علي يدبّ فيه اليأس فلا يفكر في ضم عسير سواءً أكان تهامة أم السراة وأخذ ينزوي بذهنه علي أرض الحرمين في الوقت الذي أخذت قوة أمير نجد عبد العزيز تظهر ويتغلب علي البيت الرشيدي ، وهذا ما زاد من خوف الشريف إذ كانت تهزّ كيانه انتصارات عبد العزيز فأخذ يتقرب من انكلترا ويزداد التجاؤه إليها كلما وصلت إليه أخبار انتصارات جديدة لعبد العزيز .

عادت أطماع الإدريسي تظهر من جديد ، وتراوده أحلامه في السيطرة والتوسع بعد أن رأي استجابة إيطاليا لطلبه في ضرب الموانيء العسيرية ، وزاد ذلك ظهوراً أيضا هزيمة حملة شريف مكة أمام قوات تهامة ، وهذا ما جعله يفكر في بدء حركة التوسع ، واتجه بنظره نحو الجزء الجنوبي من تهامة حيث موانئ ميدي ، وحرض ، واللحية ، فتقدّم نحوها ، وطلب من حليفته إيطاليا أن تعاونه من ناحية البحر فتضرب من أسطولها تلك الموانئ وأمله أن تستجيب له كما استجابت له في المرة الأولي ، غير أنها الآن لم تلب طلبه ورفضت ذلك ، إذ أصبح تقارب بينهما وبين إنكلترا ، فما كانت لتقوم بمثل ذلك الهجوم علي موانئ البحر الأحمر قبل التفاهم مع انكلترا لذا اخذت تراوغ الإدريسي ليبقى إلى جانبها ينفذ لها مخططها .

كان لضرب الموانئ العسيرية أسوأ الأثر في نفوس السكان ، وسبّب ذلك كنقمة علي الإدريسي لتعاونه مع الكفار ، ونقمة على الكفار الطليان الذين يدفعون الإدريسي ، =

= ويلبّون له طلباته وهم حريصون عليها ومن ضمن أهدافهم التي يريدون منها تدمير بلدان المسلمين وإذلال أهلها كي يتمكنوا من تهديم الخلافة ، وظهرت هذه النقمة من صيحات العلماء من الطائف إلي عدن يطالبون قادتهم بالتحرك للجهاد في سبيل الله والعمل علي إزالة الإدريسي ثم التوجّه لقتال الطليان في بلاد طرابلس فقد عاثوا الفساد وأوغلوا في دماء المسلمين هناك . وقام علماء عسير بمقابلة حسن آل عائض ، ومتصرف عسير محي الدين باشا وطالبوهما بالعمل للجهاد أعداء الله وأعوانهم ، فأجابهم حسن أن إيطاليا الآن دولة قوية وهي علي استعداد بما تملكه من أسلحة وأسطول ، ونحن لا نملك هذا فإن خرجنا لقتالها من غير استعداد نكون قد أوقعنا المسلمين في مأزق وخنا الأمانه فنحن مسؤولون عن ذلك ، ولكن علينا الاستعداد والتهيئة وعندما نشعر بالقوة نعمل علي تأديب أعوان أعداء الله، وحتي نصل إلي أولئك الأعداء فنقاتلهم وننتصر عليهم – بإذن الله – وقد قدمنا استطاعتنا بما بعثنا للجهاد بقيادة أخي عبيد الله .

وأما في صنعاء فقد اتخذ يحيي حميد الدين من دعوة العلماء للجهاد ضغطاً على القوات التركية لتنفيذ بعض مطالبه منهم .

نجد وعسير : كان تجار نجد يرتادون أبها يبيعون فيها بضائعهم ويشترون منها حوائجهم، ويلجؤون إليها عندما يشتد ضغط الترك عليهم ، ويتجهون إليها عند القحط ، فلما صُرف أمير نجد نحو عسير بثّ بين أولئك التجاّر عيوناً له ينتقلون معهم إلي أبها ، ويعودون معهم، وهناك يتصلون بالسكان فيعرفون منهم مكانة آل عائض بينهم ، وقوة الحامية التركية ، وعلاقة تلك القوة والمتصرف مع زعماء عسير من آل عائض ، وعن الإدريسي ومؤيديه أو خصومه وفي الوقت نفسه يبثون الدعاية لأمير نجد وما يقوم به من أعمال جليلة للإسلام والمسلمين ، وقتاله لأهل الشرك ، ومحاربتة لأعوان أهل الباطل الذين يظلمون الناس ومنهم ولاة الترك ومن يعاونهم كآل رشيد وشريف مكة . وقد كسب عيون عبد العزيز في أبها بعض الأصدقاء له نتيجة الدعاية التي قاموا بها له .

وكان أمير نجد من ناحية أخري يشجع الإدريسي علي صموده في وجه الشريف ، وآل عائض ، وإمام صنعاء ، ويدبع في مخططه أنه سيستفيد منه في المستقبل عندما يُواجه هذه القوي ، وربما كان لوقوع عسير بين قوات الإدريسي في الغرب وإمكانية قدوم قوات =

= وهذه القبائل ليست سوي فروع ترجع في أصولها إلي القبائل المتمركزة في هجر عسير ، والتي ألزمت علي الاستقرار أيام علي بن مجثّل (١٢٤٣ - ١٢٤٩هـ) وقد خصص لكل هجرة مدرسة لتعليم الكتاب والسنة ، وعلوم العربية . كما خصص لهم أعطيات من بيت المال يسمونها (براوي) يتقاضونها سنوياً .

وكان تركي بن عبدالله قد استنجد بعلي بن مجثّل ببعض رجال القبائل ، ولما جاء عائض ابن مرعي نفذ وصية علي بن مجثّل ، وأنفذ تلك القوة المؤلفة من تلك القبائل ، وقد اشترط علي فيصل بن تركي الذي كان قد خلف أباه بأن تقيم تلك القبائل في هجر حتي يسهل تعليمهم ، ويمكن الاتصال بهم وتوجيههم وكي لا يتفلتوا كالسباع الضارية في صحاري نجد فيصعب جمعهم .

كان آل عائض يرون نجداً تتمة لعسير ، ويمكن لنجد أن تلتف حول عسير بسهولة فيما إذا حصل الاستقلال بزوال الدولة العثمانيه وذلك لكثرة القبائل العسيرية المنتشرة في نجد ، والتي كانت سبباً في سيادة عسير علي نجد ، ومن هنا كان اهتمام آل عائض ويرقبون أحداثها باستمرار .

ولكن ظروف قد واتت عبد العزيز إذ وقفت خلفه قوة خارجية وأمدته بدعم كافٍ وتوجيه دائمٍ فاستطاع أن ينتشل نجداً من بين الأيدي الممتدة إليها من كل ناحيةٍ فأعطاه ذلك وضعاً متميزاً فالتفت القبائل حوله ونهضت به كما نهض بها ، وكأن القبائل العسيرية التي جاءت دعماً لجده فيصل بن تركي قد تنجدت واستطاع عبد العزيز أن يجعلها سيفه الذي حمله ليخضع أرض أجداد تلك القبائل ، كما استطاع بواسطة إفراد القبائل العسيرية شراء السلاح والخيول الأصيلة التي كانت تشتهر بها منطقة عسير لا سيما في تثليث ، ونجران وبيشة ، ووادي الدواسر من باب التجارة أمام أهل عسير ، بينما غايته هي ، إضعافهم والتقوي بها عليهم مستقبلا وعلى غيرهم ، وكان ذلك في أعوام ٣٤ ،٣٥ ، ٣٦ ، ١٣٣٧هـ .

كان متصرف عسير محي الدين باشا متفاهماً كلياً مع آل عائض، كما كانت أراء الطرفين تكاد تكون متفقة تماماً في مختلف المشكلات ، وهذا ما أعطي عسيرا الاستقرار ، =

= وأسدل علي المنطقة طابع الأمن والرخاء ، إذ أن ممثل الدولة وقادة البلاد الحقيقيين يسيرون علي خطٍ واحدٍ ، ولكن هذا قد أزعج الجوار من شريف مكة إلي الإدريسي الي إبن حميد الدين إذ يخشي كل منهم أن يكون هذا حائلاً دون أطماعه التي يعمل لها حيث تكون قوة آل عائض كبيرة لما تحت أيديهم من قبائل ذات بأس وشكيمة ورفعةٍ ونبلٍ ، وبهذا تتصاغر أمامهم كل قوة في الجزيرة لذا عمل كل طرفٍ من هذه الأطراف علي التزلف من آل عائض ولكنه تزلف مشحون بالحسد ، مشوب بالمكر ، متربص بالوقيعة .

شريف مكة عرض علي آل عائض تشكيل قوة من الحجاز وعسير بقيادة ابنه عبدالله لضرب الإدريسي والانتهاء منه ، وابن حميد الدين عرض التفاهم مع آل عائض للقضاء علي الإدريسي ، وهو يبغي ضم تهامة إليه . والإدريسي يريد توحيد جهوده مع آل عائض لإزالة الحسين بن علي من شرافة مكة ، وابن حميد الدين من صنعاء غير أن الإدريسي في الوقت نفسه يمد يده من الخلف إلي أمير نجد ويحاول أن يعمل معه لحصار آل عائض وضربهم ضربةً واحدة من الغرب والشرق ، ويقدّم كل الإغراءات لأمير نجد كي يسرع في تنفيذ هذا المخطط ، ويشجعه ويخوفه من إعطاء الفرصه لآل عائض ... بزيادة قوتهم بالتسويف والتأخير بالقضاء عليهم ، وكان الإدريسي يعتقد تماماً أنه إن لم تكن قوة تدعمه فسوف ينتهي أمره من تهامة لهذا أخذ يوطد علاقاته مع انكلترا بعد أن ضعفت مكانة إيطاليا وجاءت انكلترا وتحمل فكرة تطويق سواحل الجزيرة لتمكين قبضتها عليها ، ورغبة في الضغط علي الدولة العثمانية ، فأخذت تمد الإدريسي وقدمت جزر " كمران " في البحر الأحمر بعد أن أقنعت إيطاليا بضرورة التخلي عنها ، فانكلترا تمسك مغلاقي البحر الأحمر بيديها قناة السويس من الشمال ومضيق باب المندب من الجنوب ، وتتمركز قوتها في عدن المشرفة علي مركز البحر الأحمر من الجنوب ، وكانت سفنها تمخر عباب البحر الأحمر دون أي عائق كما لها نفوذها في دول الخليج ، وهذا ما جعل الإدريسي يركن إليها ويستخف بقوة جواره مادام يعتمد عليها ويري أن بإمكانه احتلال الإمارات العربية التي تحاوره طالما أنها ستدعه ، وأن هناك حليفاً له من الشرق هو أمير نجد ، وبهذا فقد مسك الحبل من طرفيه حسب تصوره ، ومع هذافهو لا يريد إثارة حربٍ مع آل عائض مع ضمانه لها حسب رأيه ، وفضّل أن يحصل علي مبتغاه بطرقٍ سلميةٍ ، وأخذ يعمل علي تصفية الجو مع =

= آل عائض ، ويلوّح لهم برغبته التعاون ، وتوحيد الجهد ، ووحدة تهامة والسراة لمواجهة الخصوم وفي طليعتهم الترك وتصل مراسلاته إلي آل عائض سراً ، وتعرض علي مجلس الشوري ، حيث يتفق علي جوابه بما لا يخرج عن مضامين مراسلاته ولكن بطريق التورية .

هكذا بقيت عسير في أجواء يعتم عليها أطماع الجوار حتي قامت الحرب العالمية الأولي، وانضم أكثر زعماء العرب منهم من كان عن رضا ورغبة ومنهم من كان عن ضغط وإكراه ، ولا نستثني من ذلك سوي أمراء اليمن وعسير إضافة إلي نجاشي الحبشة (إياسو) الذي أعلن إسلامه ووقف إلي جانب الدولة العثمانية ،فتوحدت الجهود ضده وذبح .

جاء الأمر بانسحاب الحامية التركية من عسير قبل منتصف عام ١٣٣٧هـ ، وذلك بعد نجاح حركة شريف مكة حسين بن علي وإرسال ابنه علي رأس كوكبة باتجاه الشمال حيث أخذ الإنكليز بدعمها عندما وصل إلي معان إذ تحركت القوات البريطانية باتجاه القدس من منطقة ساحل الشام الجنوبي قادمة من مصر .

طلبت الدولة العثمانية من متصرف عسير أن يسلّم متصرفيته إلي حكامها الأصليين من آل عائض وأن يُبقي لهم ما في حوزته من سلاح وعتاد تقديراً لموقفهم منه ومساعدته في إدارة شؤون البلاد ، وإلي بقائهم بجانب المسلمين ضدّ الدول النصرانية التي تعمل لتهديم الخلافة وضرب المسلمين ، فنفذ الأمر ، وانسحب المتصرف .

وصل الخبر إلي الإدريسي عن طريق الإنكليز بأن عسيراً سوف تخلي من الأتراك ، وعليه أن يتحرك كي يستحوذ علي سلاح الترك المنسحبين قبل أن يتسلحه آل عائض حسب التعليمات التي وردت إلي المتصرف ، وعليه مباغتتهم بالهجوم ، غير أن قوة الإدريسي لم تكن لديها الإمكانية للقيام بالهجوم ، وخاصةً أنه قد سبق له أن أخذ درساً من حصار أبها – كما مر – كما أوزعت انكلترا لأمير نجد بدعم الإدريسي بقوة تشغل آل عائض من ناحية الشرق ، فأرسل قوة بإمرة ابن ثنيان لأبها ، كما بعث بقوة أخري إلي تربة بإمرة عبدالله ابن عبد الرحمن أخي عبد العزيز ومعه خالد بن لوي الذي باسمه الحملة ، حتي تنسب الهزيمة فيما إذا حدثت لابن لؤي لا إلي أخيه .

ولما لم يكن الإدريسي تلك القوة القادرة علي ارتقاء السراة لذا لجأ إلي طريق الخداع =

= والمكر الذي يلجأ إليه الضعفاء فراسل المتصرف محي الدين باشا قبل انسحابه ، وحذّره من آل عائض الذين زعم أنهم قد أعدوا قوة عند مخرج وادي (مربه) لإلقاء القبض عليه وعلي من معه للقضاء عليهم ، ونصحه بأن يحتاط للأمر فيأخذ معه قوةً كافيةً وأن يكون الذين معه علي يقظة تامة من المباغتة وفي الوقت نفسه كتب إلي حسن بن علي آل عائض يزعم له أنه قد وصلت إليه أخبار تفيد بأن المتصرف السابق محي الدين باشا قد جاءته تعليمات علي غاية من السرية تطلب منه أن يصطحب معه حسن بن علي وكبار آل عائض إلي استانبول ولو كان عن طريق الحيلة وذلك عند وداعه ، فينصحه علي أن يكون علي يقظةٍ وحذر ، وأن يتعلل بشتي الوسائل لعدم مرافقته لوداع المتصرف .

كان لأسلوب الإدريسي الماكر أن جعل كلام الطرفين يتوجّس خيفةً من الآخر ، وهذا ما دعا المتصرف ان يسترجع كمية من الأسلحه لتكون برفقته خوفاً من جماعة الإدريسي الذين ربما يهاجمونه في الشقيق وتحسباً مما ذكره له الإدريسي عن نوايا ابن عائض ، وبعد رحيله سيأمر بإعادة تلك الأسلحة إلي آل عائض حكام عسير الجدد فيما إذا كان ما ذكره الإدريسي غير صحيح ، وهذا الطلب للأسلحة من محي الدين باشا قد قوّى لدي حسن ما بذره الإدريسي بن أراجيف فما كان من ابن عائض إلا أن أبدي عدم معارضته في أخذ الاسلحة ، ولكن أجاب بكلام له أكثر من معني إذ قال : خذ ما شئت من سلاح ودع ما شئت ، وهذا ما أخاف محي الدين باشا إذ أخذ يسترجع كلام الإدريسي فيتوقع أن ابن عائض يقصد أن السلاح هو لنا سواء أخذتموه أم تركتموه فهناك تنتظركم قوة لأخذه وإعادته ، واعتذر له مع ابن عمه محمد بن عبد الرحمن في عدم الخروج معه للوداع، وتعللا بعلل واهيةٍ ، وكتبا له كتاباً قالا فيه : إنه ليحزننا مغادرتكم عسير وهي جزء من بلاد المسلمين ، وانتقالكم إلي ميناء (الشقيق) حيث تنتظركم باخرة للكفار وهذا ما يزيد في حزننا وألمنا ، وهذا وضع فيه من التردّي والسوء لم يسبق للمسلمين أن رأوه ، وهو ينذر بشر خطير للأمة المسلمة والدولة العلية . وقد فوضنا مع بعض مشايخ القبائل الإخوة : محمد بن ناصر آل عائض ، ومحمد بن علي آل عائض ، وناصر بن عبد الرحمن آل عائض ، وعبدالله بن عبد الرحمن آل عائض وقد عمدت محمد حجازي ومجموعته أن يهيئوا ما تحتاجون إليه من جمال وبغال لحمل أثقالكم ، وكذلك يكون بجانبكم كل من =

= أحمد أبو هليل ، ومحمد بن مسلط ... ... وإن عدم نزول ابني عائض حسن ومحمد مع محي الدين باشا قد قوّي ثانية ما زعمه الإدريسي له وإن كانت الحفاوة الكبيرة التي لقيها لتكذب ما ذهب إليه الإدريسي ، وإن كانت غيوم الشكوك تنبعث وترقد .

انطلق موكب محي الدين باشا عن طريق عقبة ضلع ، ووصل إلي مخرج وادي (مربه) فوجد أمامه جموعاً تستقبله ، وقد أعدت سرادق للحفاوة به ، وأقيمت مهرجانات من العرضات الشعبية ، وقد أعد هذا كله بأوامر من حسن بن علي آل عائض . ولما رأي محي الدين باشا هذا أطرق برأسه ملياً مفكراً ، وراح يتأمل فيما نقله له الإدريسي لم يكن سوي خدعة منه فطلب الاجتماع بمن معه من مرافقين من آل عائض وغيرهم ، وسألهم عن سبب طلبه شيئاً من السلاح فأجابوا بالنفي فأطلعهم علي رسالة الإدريسي فلما قرأوها تضاحكوا وأعلموه أن مثل هذا قد كتب لنا ، وهذا ما جعل حسناً ومحمداً لا يخرجا معنا في الوداع وطلبوا من محي الدين باشا أن يحتفظ بهذا السر في نفسه كما نحتفظ نحن، بل نتجاهل كل شيء حتي يتوهم الإدريسي أن خطته قد طليت علينا .

تحرك الموكب باتجاه " الشقيق " حيث صعد محي الدين باشا ومن معه من الترك إلي باخرة إنكليزية خصصت لنقلهم إلي استانبول ، عندما صعد سارت معه ثلة من الجند البريطانيين، وكان الوداع الأخير ، وعاد وفد أبها إلي مدينته وفي نفوس أفرادة الكثير من الألم لما آلت إله أوضاع المسلمين من ذلٍ وهوان لتسلط الكفار .

<u>عوده إلي الوراء</u>: عندما وصلت أوامر انسحاب الترك من عسير وتسليم البلاد إلي أهلها . دعا متصرف أبها محي الدين باشا آل عائض إليه ، وتحدّث معهم عن أوضاع الحرب ، وما قام به بعض أدعياء الإسلام ضد دولة الخلافة ، والواقع أن هذا القيام لم يكن إلا ضد المسلمين عامة . ولم يبتغ به وجه الله فهؤلاء الحلفاء من النصاري إنما يستعمرون كثيراً من بلدان المسلمين ، ويذيقون أهلها ألوان العذاب ويهدفون كذلك إلي ضرب الخلافة واجتثاث جذور المسلمين إن تمكّن شياطينهم من ذلك .

ثم أطلع المتصرف آل عائض علي أوامر الانسحاب ، وذكر أن منطقتهم قد آلت عهدتها إليهم ، وأنها محاطة بزعماء أعمتهم أهوائهم فانطلقوا يهرولون وراء الانكليز ، ولا بد=

= من الصدام بينكم وبينهم عاجلا وآجلاٍ ، فالحقير شريف مكة قد خذل المسلمين بإغراءات من الإنكليز فقد منّوه أن تكون الخلافة له ويقوم بزعامة العرب ، فارتكب جريمة بحق المسلمين لا تغفر له ، وقام بأبشع الأفعال مع إخوانه فنفذ مخطط الانكليز باسم الثورة العربية ... وهناك القذر الإدريسي الذي استبعده أعداء الله الطليان ثم الإنكليز فاشغلوا به اليمن وعسيراً كي يُنفذوا مخططاتهم ، وقد أزهقت بسببه نفوس بريئة من المسلمين عندما ضربت إيطاليا موانئ عسير ، وهاهي الآن سفن الحلفاء تجوب البحر الأحمر لحمايته وشريف مكة .

ويكمن الخطر في نجد حيث يجثم الشر فأميره قد قيده أبوه عبد الرحمن بمعاهدة مع الانكليز وقعت في قطر وجدّدت في الكويت لتأمين سيادته وحماية بيته بعدئذٍ ، وقدمت له المال والسلاح بما يضمن له ذلك ، وقد أخذ يسلح البادية والحاضرة فجاءه المرتزقة من البوادي فانضموا تحت لوائه رغبة في المال والسلاح والتسلط ، وأوكل عليهم المتفيهقين ليرسّخوا في أذهانهم طاعة أولي الأمر والمتمثلة الآن في أميرهم ، ومن خرج عن طاعته فقد شذَّ ويجب قتاله ، ومن وقف في وجهه خرج عن الملة . وما وصل إلينا من تقارير عنه وعن العشائر التي انضوت تحت لوائه لا تبشر بخير .

وجاء في التقارير التي وردتنا في مطلع عام ١٣٣٦هـ أن فيلبي قد وصل إلي نجد كمستشار وموجه لأميرها خلفاً لشكسبير الذي قتل بيد رجال سعود السبهان في معركة جراب (الذغيت) و (اراك) ، وهو ملازم في مكتب الاستخبارات الإنكليزية في مكتب حكومة الهند ، ثم أرسل إلي ابن سعود . واعتقد أن من قاتل معه أفراد من النصاري لا شك أنه سيستعين لحمايته بدولة نصرانية . وقد بلغنا أن ما وصل إلي أمير نجد من سلاح بريطاني قد فاق مائة وسبعين ألف بندقية ماركة أم تاج ولايزال يصل إليه .

ثم أطلع محي الدين باشا آل عائض علي التقارير التي لديه عن كافة أمراء الجزيرة ، وقد كان يعدّ التقارير سرية لا يطلع عليها أحد إلا أنها الآن ليست سرية علي حكام عسير الجدد من آل عائض الذين لم يحالفوا عدواً للدولة العثمانية ، وهو مرتحل عن أبها ، وذلك ليكون أمير أبها عل معرفة بأولئك الأمراء في الجزيرة وإلي أين يسير كل واحد منهم ، ومن الدولة التي وراءه توجهه وتمده ، ويعمل برأيها الذي لا يهدف سوي ضرب دولة الإسلام =.

= وخاطب محي الدين باشا آل عائض قائلاً : إن ما لديكم من قوة وما تركته لكم الدولة من سلاح تستطيعون أن تصدوا هجوم كل من يحاول الاعتداء عليكم وتنتصرون عليه بإذن الله ، إذا أحسنتم استعماله ، ولم تقعوا في خديعة أحد هؤلاء العملاء . وأعلمكم أنه يبدوا أن ساحة الجزيرة العربية سيهيمن عليها الإنكليز لوجود أتباعه الذين يتحركون حسب الأوامر التي يمليها عليهم الإنكليز ، وهؤلاء الذين أوقعوا قادة الجزيرة في فخها بعد أن رفعتهم ، فإن أردتم الوقوع في ذلك الشرك فستفقدون سلطان الله من أيديكم فتخسرون الدنيا إذا ركنتم إلي أعدائه ، وتخسرون أخراكم ، فانظروا أين تضعون أقدامكم لتحموا استقلالكم .

بعد الحرب العالمية الأولي : تسلّم آل عائض إمرة عسير ولم ترتح انكلترا لهذا حيث كانت تخشي امتداد نفوذهم إلي جهات أخري كما حدث في الماضي ، ومعني هذا الامتداد تقليص لنفوذ أتباعها ، لذا لم تكد تتوقف الحرب حتي حرّكت إنكلترا أعوانها للتحريش بعسير .

وإن مخاوف إنكلترا من زعامة آل عائض إنما بنيت علي التقارير التي رفعت إليها منذ حروب محمد علي باشا والي مصر في عسير ، كما كانت فرنسا مهتمة بهذا الأمر ، ولما كانت صلتها مع محمد علي قوية فكانت تدعمه في حروبه تلك لمصالحها فهو صديق لها أولاً ، وهي تخشي ظهور قوة عسير ، كما كانت منافستها لإنكلترا معروفة وخاصة في هذه المنطقة التي هي طريق الهند .

أحس آل عائض بما تنطوي عليه نفوس من يحيط بهم من الأمراء فعملوا علي بثّ عيونهم في كل من صبيا ، وصنعاء ، ومكة ، وحائل وكانت تصل إليهم التقارير باستمرار وقد شعروا من خلال تلك التقارير أن بوادر الشر تتربص بهم وأن المطامع ستدفع بأصحابها للاصطدام بهم ، فانكفؤوا يتدارسون وضعهم ، فوجدوا أن السلاح الذي بأيديهم لا يزيد علي سبعة الاف بندقية ، وهذا العدد لا يكفي شيئاً بالنسبة إلي أآداد رجال القبائل الممتدة من الطائف إلي صعدة حسب وثيقة التسليم التي وقعوها مع متصرف عسير محي الدين باشا وكل هؤلاء الرجال يطلبون السلاح إضافة إلي رجال الوادي ، والأفلاج ، وتثليث، ونجران وما يأتيها من بطونها المنتشرة في نجد وسواحل الخليج . =

= كان شريف مكة الحسين بن علي قد وَجَّه نحو الشمال وسيّر أولاده لدعم الحلفاء في محاربة العثمانيين وإخراجهم من الشام ، حسب مخطط صليبي وعد الحسين بالالتزام به وهذا ما جعله يدير ظهره للجنوب الأمر الذي جعل الإدريسي يتشوق للانقضاض علي عسير وقد شعر أن الفرصة واتته ، ولم تكن انكلترا بعيدة عن إثارة الإدريسي وتوجيهه نحو عسير وصنعاء ما دام حليفاً لها ، ويأتمر بأوامرها ، وإلا لو كانت الأطماع هي التي تدفعه فقط لكان بإمكانه دخول مكة دون أن يجد من يعترض سبيله فقوة مكة وحمايتها أصبحوا في الشام. وانكلترا لا تريد له إلا عسيراً ، ولا تبغي منه سوي القضاء علي آل عائض .

وكي يُودي الإدريسي مهمته التي كلفته بها انكلترا في احتلال عسير أو ساقته إليها أطماعه استمر في مراسلة أمير نجد ملّوحاً له بالاتحاد الذي اعتاد أن يذكره له في كل خطاب ، وهكذا كانت انكلترا قد وجهت أحد أعوانها إلي الشمال ، وحركت الثاني نحو الجنوب وإلي عسير ، فهما طرفي الحبل الذي تقبض عليه دون أن يعلم الآخر بعلاقتها بالأول .

وإذا كانت قوات الشريف الحسين قد أدت دوراً بمن انضم إليها من عربان وساعدت الانكليز مساعدة فعالة في دحر العثمانيين في الشام ، إلا أن حليفها الثاني وهو الإدريسي لم تجد لديه الكفاءه للقيام بمهمته مع أنها قد عملت علي حمايته بأسطولها من جهة البحر وأمدته ببعض الإمكانات لذا فقد وجهته للتعاون مع ثالث أعوانها الذي يهيمن علي نجد ... ... وحالت دون مدّ الشريف آل عائض بأية مساعدة .

واستمرت المراسلة بينهما ، ومن ناحية ثالثة فقد كان الإدريسي يخوف آل عائض من أطماع إمام صنعاء ، ويدّعي لهم أنه أعدّ العدة لحربهم وحربه . وكذلك كان يحاول الإيقاع بين اليمن وعسير بما تنطوي عليه كتاباته لابن حميد الدين .

كان الإدريسي لا يرغب في التحرك نحو عسير وحده وهو يعلم ما لحق به يوم حصار أبها ويذكر ما لقي جيش الشريف هناك ، فلا تزال تلك الأحداث تتراءي له أمام مخيلته لذا كان يريد أن يزج بجيش نجد معه . ولكن أمير نجد يرغب أن يبدأ الإدريسي في القتال دلالة علي صدقه ثم يأتي هو ليكون الفيصل ويقطف ثمار النصر له حسب تصوره . وانكلترا لا=

= تريد الانتظار طويلاً إذ ترغب في توطيد أقدامها في الجزيرة بشكل جيد ، وتعالج مشكلة الخلافات القائمة بين أعوانها ، وتثبت علي واحد منهم تكون له الهيمنة الكاملة وتستغني عن الآخرين .

لم يكن يحيى حميد الدين بعيداً عما يجري علي الساحة بل كانت شغله الشاغل ، ولكنه ينظر إليها من وجهة نظر خاصة فهو لا يري الإدريسي يشكل خطراً عليه لضعفه ولعدم وجود جذور في المنطقة تساعده علي البقاء ولكن يخشي من آل عائض فرغم أنه وإياها لم يعادوا العثمانيين إلا أنه يطمع في تهامه ، ولكن لا يمكن تحقيق أحلامه بهذا ما دامت إمارة آل عائض قوية حيث كانت لها الهيمنة علي تهامة ، كما كان لها النفوذ علي اليمن ، وأن أسلافه كانوا يستعينون بأجداد آل عائض ، بل كانت تصل مساعدات تلك الإمارة إلي صنعاء في كثير من الأوقات ، لذا فهو يريد زوال تلك الإمارة ولكن علي ألا يحلّ محلها أصحاب أطماع أكثر منها أو أعواناً لدول كبري تضر بوحدة عسير . لذلك فقد اتجه بثقله نحو الإدريسي كي يضمن موانئ لبلاده ، وهو يعلم دعم انكلترا للإدريسي بحراً ومده بالسلاح والرجال فمال إلي التفاهم مع آل عائض وهو علي يقين أن عسيراً ليست سوي ظهير قوي لليمن ، وأن قبائلها ذات بأس وقوة ولا تخضع إلا لآل عائض ، ولذا فقد عرض لآل عائض التعاون وأنه علي استعداد للعمل المشترك ويمكنه تسيير قبائل اليمن الموالية له إلي الجهة التي يريدون .

<u>الوفود</u> : كانت التقارير التي تصل إلي آل عائض تفيد أن ابن حميد الدين يري فائدة من وجود الإدريسي في وجه إمارة عسير كي يحدّ من توسعها ويعمل علي حصرها دون امتدادها في تهامة الذي سيكون علي حساب صنعاء ، غير أن ابن حميد الدين يري عدم دعم الإدريسي خوفاً من أن يشتطّ ويعمل علي الانتفاخ ، ولا إضعافه ليكون لقمة سائغة لآل عائض ، وإنما يبقي كما هو ليتوسع علي حسابه في موانئ عسير . وكذلك كان الحسين بن علي في مكة يحمل الرأي نفسه بالنسبة إلي الإدريسي ، رغم توجهه كلياً نحو الشام إذ يخشي إن ضعف الإدريسي أن يرثه آل عائض وتأخذ أعينهم بعدها ترنو إلي مكة ولا قوات فيها فيدخلونها ، كما يخاف إن قوي الإدريسي أن يتجه هو إلي مكة فإن أطماعه ليس لها حدود طالما يجد وراءه ظهراً . =

= وأما هذه التقارير فقد كان آل عائض يرون إبقاء حبل المودة قائما بينهم وبين الإدريسي كي لا تستغله الأطراف المجاورة فيكون مطيتها لتلعب لعبتها لذا رأي أمراء عسير أن تبقي المراسلة بينهم وبين الإدريسي قائمة وفيها شئ من المرونه تقوي أطماعه ، وربما كان ذلك يبعده عن الإنكليز الذين بدأوا يهملونه وقد حسّ هو أيضاً بذلك الإهمال إذ أخذ دوره غيره ولم يعودوا بحاجةٍ مادام قد وجدوا أكثر منه قوةً وأكثر طاعةً وانصياعاً . كما وجد آل عائض أن حسن الصلة بينهم وبين الإدريسي قد تقطع العلاقة بينه وبين نجد التي تسسلّمت راية الإنكليز منه وخلفته في العلاقة مع تلك الدولة الكبري ، فكأنه أصبح ونجد ضرتين تتنافسان الثالثة ذات الخطوة .

أما من جانب الإدريسي فيري في وحدته مع عسير إبراز قوة كبيرة علي الساحة تحرص إنكلترا علي مرضاتها والرغبة في التعاون معها وبذا يستطيع كسب المنافسة مع نجد وغيرها علي محالفة إنكلترا ، كما يحصل في الهيمنة علي أبها وهي أمله الذي طالما قاده إلي ركوب المخاطر ، كما يستطيع إن تمّ ذلك الاتحاد بين عسير وتهامة أن يُوجّه الضربات الي إمام صنعاء وإلي شريف مكه ، كما أنه بذلك ربما يشدّ أمير نجد إليه الذي يطمع في عسير أيضاً ، فلما لم يُوافقه علي التحرّك معاً نحو أبها فقد سبقه وحده ، ونال أمنيته ، وأصبحت له الكلمة المسموعة في أبها ، وبعدها لن يكون لأمير نجد إلا أحد خيارين إما التوجّه بصدق نحو الإدريسي الذي يُمكنه تهديم إمارة آل عائض من الداخل وإما الحرب لعسير مجتمعة ، ولا شكّ فإن الإدريسي يري أن أمير نجد سيأخذ بالخيار الأول ويتقرب إلي الإدريسي ليتمكن من عسير ، وهذا ما يبدو من كتاباته إلي الرياض في جمادي الآخرة من عام ١٣٣٦هـ حيث يدّعي أن سيره نحو الاتحاد مع أبها لم يكن إلا حيلة كي أتمكن من جعل عسير في قبضتي ، وقد كاتبني بعض مشايخ قبائلها وعاهدوني إلي العمل معاً وأعطوني البيعة ، والواقع أن هذه الكتابات لم تكن إلا لتشجيع عبد العزيز لبدء القتال مع آل عائض مستعيناً به ليضرب ضربته التي يُخطط لها منذ زمن .

أخذت الوفود بين أبها وصبيا تغدو وتروح ذاهبةً وآيبةً وكان الإدريسي يري أن يكون اللقاء في صبيا بينه وبين كبار آل عائض وفي مخططه أن يقبض عليهم ويلزمهم بشروط أو يحتل السراة وهم في قبضته ، وأما آل عائض فيرون أن يكون اللقاء في أبها ، ولما بدأ لهم =

= أن الخلاف يكاد يقع وهم لا يريدون وقوعه وإنما يريدون مدّ الحبل للإدريسي اقترحوا أن ينزل حسن بن علي وحده إلي صبيا يفاوض الإدريسي ، واتفقوا فيما بينهم أن يذهب محمد بن عبد الرحمن إلي مكة في الوقت الذي ينزل فيه حسن إلي صبيا ، فلا يُقدم الإدريسي علي مخططه في إلقاء القبض علي حسن لأنه لا يُريده وحده إذ يخشي من وجود محمد في مكة ، وهذا ما يجعل في الوقت نفسه الإدريسي يحاول أن يغري حسناً بالتفاهم والاتحاد ، ويقبل بالشروط التي يراها حسن ولو موقتاً ليكسبه إلي جانبه ، وأما وجود محمد في مكة فذلك كي لا يعتقد الشريف أن التفاهم بين أبها وصبيا إنما هو موجّه ضدّه، كما يُريد آل عائض التقرّب من الشريف فربما يأتي يوم يضطرّون إلي الإفادة منه .

عرض هذا الاقتراح علي مجلس الشوري فتمّت الموافقة عليه ، واتجه حسن نحو صبيا وسار محمد إلي مكة ، وأوكل أمر أبها إلي عائض بن محمد بن عائض .

نزل حسن إلي تهامة واتجه إلي أبي عريش ، ومنها إلي جيزان ثم انعطف إلي صبيا ، وكان يهدف من وراء ذلك معرفة أحوال كبريات مدن تهامة ومدي طاعة أهلها للإدريسي ، وإعطاء نفسه صفة المسؤولية عن المنطقة ما دامت جزءاً من عسير التي يقر أهلها جميعاً لآل عائض بالطاعة ، لذلك قام بزيارة أعيان تلك المدن فلم يرق هذا للإدريسي .

عندما وصل حسن إلي صبيا كانت في استقباله إظهارا للاحترام والتقدير ، غير أن الإدريسي قال : إنها خرجت بخروجه إشارة لطاعتها له ، ولو لم يخرج لم يكن هناك أحد في استقبال الضيف ، وتهامة لا تعرف سيداً غيره ، ولم يبال حسن بقول الإدريسي الذي ينم عن غضبه من السكان الذين تسابقوا في استقبال حسن ، وعرف ابن عائض ان موقعهم في نفوس أهل تهامة لا يزال له قيمته رغم محاولات الإدريسي في نزعه بشتي الحيل ولكنه لم ينجح حسبما ظهر في هذه الزيارة .

تم اللقاء بين حسن والإدريسي وعقدت عدة جلسات ، وكانت مطالب الإدريسي :

أ - أن توضع حدود بين السراة وتهامة أي بين الجهات التي تحت نفوذه والتي هي تحت نفوذ آل عائض . =

= ب – نصيب تهامة من الأسلحة التي خلفها الأتراك في عسير إذ ادّعي أن هذه الأسلحة إنما هي لعسير وليست للسراة دون تهامة .

ج – إيجاد قوة مشتركة من أبها وصبيا تكون تحت قيادته ، وتوجه لتأديب إمام صنعاء وشريف مكة ومنع تعدياتهما .

د – أن تكون رئاسة عسير بالتناوب بينه وبين حسن بدءاً منه .

هـ – حرية التجارة في المنطقة .

و – إلقاء القبض علي المجرمين في السراة وتهامة من أي قسم كانوا وإرسالهم إلي أمن المنطقة التي ينتمون إليها ، ولا تعارض جهة من تسليمهم .

ز – تقسم زكاة البلاد في المنطقتين بنسبة الثلثين إلي أبها والثلث إلي صبيا .

أما حسن فقد اعترض علي هذه المطالب وردها وقال :

أ – إن عسيراً ليست سوي منطقة واحدة وليست هناك حدود بين تهامة والسراة . فكيف نقسم منطقة واحده إلي منطقتين ونجعل بينهما حدوداً ؟.

ب – إن الأسلحة التي خلفها الأتراك إنما هي للإمارة وليست للمناطق فإذا طالبت تهامة بنصيب منها وهي جزء من الإمارة فإن كل قبيلة تدعي ذلك ، بل وكل منطقة من المناطق ... ... وعندها تعطي الأسلحة للقري ومشايخ القبائل وليس للإمارة شيء .

ج – لا مانع من إيجاد قوة مشتركة ولكن يقودها من يخوض غمار المعارك ، وليس من يوكل أمرها لغيره ، أو يُعين القادة .

والقوة هي قوة عسير موحدة وليست قوة السراة منفصلة وتهامة منفصلة فقوات تهامة تنضوي تحت قوات السراة ما دامت جزءا ويعين مجلس الشوري قائدا عليها .

د – وأما الرئاسة بالتناوب فهذا أمر لا يعرفه تاريخنا الإسلامي ، فالرئيس واحد ، ويخضع لمجلس الشوري الذي يعدّ هو الحاكم الحقيقي .

وإن مجلس الشوري القائم سينضم إليه أعضاء من تهامة حسب نسبة سكانها وهو =

= الذي يختار أمير البلاد (ومعني ذلك أن السراة هي تملك أكثرية مجلس الشوري ولن يكون للإدريسي أي نصيب في الرئاسة) .

هـ - وأما حرية التجارة فالمنطقة واحدة فالحرية التجارية قائمة بطبيعة الحال سواء ذكرناها أم لم نذكرها .

و - وأما المجرمون فيجب محاربتهم في كل مكان وتسليمهم إلي الجهة التي تطالب بهم ، وتعمل علي محاكمتهم ، وعلي كل فهذا أمر غير مختلف عليه ما دام الهدف منه العمل علي الأمن وتطبيق الشرع .

ز - والزكاة تؤخذ من الأغنياء أينما عاشوا وتوزع علي الفقراء أينما كانوا حتي ولو كانوا يعيشون في بلدة واحدة في المنطقة فالفقير أينما كان وله حقه في المال .

وبهذا تباينت وجهات النظر بين الفريقين ، وكان الإدريسي يريد أن تكون أحاديث اللقاءات سرية لا يطلع عليها أحد . غير أن حسن قبل أن يغادر صبيا اجتمع مع أعيانها لوداعهم فأطلعهم علي كل ما دار ، وهذا ما كشف لهم نوايا الإدريسي الذي تألم جداً من إطلاع أهالي تهامة علي ما دار من مباحثات بينه وبين حسن ، الذي كان يقول : لسنا أنا والإدريسي إلا ممثلين لكم فالرأي لكم أولاً وآخراً ، وذلك خوفاً من أن يدعي الإدريسي إدعاءات كاذبة تنطوي علي الخبث وتنطلي علي أهل تهامة مستغلاً نزول حسن إليه .

وأخيراً قال حسن للإدريسي قبل مغادرة مجلس المناقشه الأخيرة : قد سمعت منك ما سمعت وأبديت لك رأيي فيما اقترحت ، ويبقي هذا رأيي الشخصي ، ولكن سأعرض ذلك علي مجلس الشوري وهو الذي يعطي القرار النهائي ويعدّل ما يراه . وسأرسل لك الجواب أو تفوض من يتسلمه فأعلمه الإدريسي أن محمد الشوكاني يُمثله في أبها ويمكن أن يسلم الجواب له .

سلك ابن عائض ومن معه في طريق عودته خط الساحل فمر علي درب بني شعبة فالقحمة . فالبرك ، فحلي ، فمحايل ، ثم انعطفت علي الشعبين ثم ارتقي السراة عن طريق عقبة تيّه ، ووصل إلي أبها في شهر رجب ١٣٣٦هـ . =

= وعندما كان في (حلي) بعث أحد رجاله إلي مكة المكرمة ليخبر ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بما تمّ في لقاءاته مع الإدريسي ، ويطلب منه العودة إلي أبها لتتم دراسة ما جري في (صبيا) وفي (مكة المكرمة) ، ولما وصل الخبر إلي محمد في مكة وكان قد أنهي لقاءاته مع شريف مكة عاد ومن معه إلي أبها في نهاية شهر رجب من العام نفسه .

كانت محادثات محمد مع الشريف شبيهة بمحادثات حسن مع الإدريسي إذ لكل مطالب تتفق مع سياسته التي يحلم بها ويخطط لها ، لقد طلب الشريف وهو الذي يطمح بالسيطرة علي الجزيرة ويعمل لها ، ما يأتي :

١ - أن تكون عسير جزءاً من الحجاز ، وأن يكون حسن حاكماً لها نائباً عن شريف مكة .

٢ - أن تستعد قبائل عسير للإجهاز علي ابن حميد الدين وضم اليمن أيضاً إلي عسير كجزء من شرافة مكة .

٣ - الالتفات إلي الإدريسي والقضاء عليه .

٤ - الاستعداد الكافي لمداهمة أمير نجد كي نستطيع توحيد الجزيرة وجمع الصفوف ، وإنشاء قوة عربية ضخمة وستنضم إليها أيضاً بلاد الشام والعراق وهذا وعد قطعه علي أنفسهم حلفاؤنا ، ونصرهم أصبح وشيكاً .

٥ - لا بد من إرسال قوة من قبائل شمال عسير لمساعدة إخوانهم في الحجاز لضرب قوات نجد ، ونحن علي استعداد لمدكم بالمال والسلاح مقابل ذلك .

وكانت أجوبة محمد موجزة ، وهي رد علي مطالب الشريف :

١ - بالنسبه إلى ضم عسير إلى الحجاز فهذا أمر لا أملكه ، ولم أفوض بالحديث فيه ، وهو ليس من صلاحية فرد مهما كان شأنه ، ولكنه من صلاحية مجلس الشوري فيجب طرحه عليه ، وهو صاحب السلطة في هذا الشأن . ولكن يمكن أن أقول من الآن أنه في حالة موافقة مجلس شوري عسير علي مطلبكم ، فلا بد من أن يكون هناك مجلس شوري عام يشمل الحجاز وعسير يختار من يراه أهلاً للولاية . =

= ٢ - لا أري داعياً لشن حرب علي ابن حميد الدين إذ ليست هناك أسباب تستدعي ذلك ، فهو يحكم اليمن ولا يقوم الآن بأية تعديات علي احد.

٣ - أما الإدريسي فإننا نسعي للخلاص منه لأنه فرّق الأمة ، وارتبط مع أعدائها ، وجزأ عسيراً ، ويقوم بالتعديات يميناً ويساراً وهذا أمر نتفق نحن وشرافة مكة عليه .

٤ - إن أمير نجد الآن في صراع مع منافسين له ومن أهمهم ابن رشيد علي نجد وإن كانت كفة عبد العزيز هي الراجحة الآن ولكن لا ندري ما النتيجة فالأمور كلها بيد الله، وهو يؤيد بنصره من يشاء . وإذا كانت هناك خلافات تاريخية بينكم وبينه إلا أنه يبدي تأييده لكم في مراسلاته لكم ، ويعدّ نفسه تبعاً لكم ، فماذا جري ؟ فهل هذا كله من طريق المخادعات ليوطد أقدامه وينطلق من قاعدة قوية .

٥ - أما موضوع وحدة الجزيرة وانضمام الشام والعراق لها وتعهد الحلفاء لكم بذلك ، فاعتقادي أن الحلفاء لا يمكن أن يعملوا لهذا أبداً ، إذ لم يكن النصاري في يوم من الأيام يريدون للمسلمين خيراً ،، وإنما يسعون دائماً لضرب المسلمين وتجزئة بلادهم والعمل علي إذلالهم فهل يصدقون الآن ؟ ما أظن ذلك أبداً ، وبعدها متي كان المسلمون يثقون باليهود والنصاري ويعطونهم مواثيقهم ، ويطلبون الدعم والتأييد منهم ، ما أظن هذا إلا وهما منا وخداعاً منهم ، وما جعل الله للكافرين علي المؤمنين سبيلا **﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل * والله أعلم بأعدائكم وكفي بالله ولياً وكفي بالله نصيراً ﴾** . فكيف نُصدق ممن شهد الله علي كذبهم ؟ ما أعتقد إلا أنهم يريدون أن يحققوا مصالحهم عن طريقكم بالمخادعة والكذب . ولعمري إنه ليذلّ من مشي في ركاب الكافرين الذين يتربصون بنا الدوائر وإن التعاون مع الكافرين لن يكون إلا علي حساب إخواننا ويكون تمكين للكافرين علي المسلمين وهذا كفر صريح .

وأما السلاح والمال فنحن في غني عنه الآن ، وإذا ما جّد شئ ودعتنا الحاجه إليه فسنتفاهم عليه دون أن تكون هناك شروط مسبقة .

وقبل وداع محمد للشريف كلّمه بصراحه قائلاً: يجب أن يكون حديثناحسب =

= الواقع الذي نعيش لا بالأماني التي نحلم بها ونظنها واقعة لا محالة ، وربما نكون بسطاء إذا أغرانا الآخرون بالكلام وأطمعونا لنسير خلفهم تلهث وراء أمانينا ، وهم لنا أعداء ، ولأمتنا خصوم .

اجتمع مجلس الشوري في أبها واستمع الحضور من حسن ومن محمد علي مادارت مباحثاتهما في مكة وصبيا ، ووجد الحضور بعد المدارسة والمناقشة . أن كلاالطرفين (الشريف والإدريسي) أصحاب أطماع ، وكلاً منهما يريد أن يضم إليه ما أمكنه وبأية وسيلةٍ كانت ، ولو كان الكفار وسيلتهم لذا قرروا أنه لا يمكن التعاون مع هذين الطرفين ، ولا الركون إليهما ، ولا الوثوق بهما ، كما أنه ليس من المصلحة الآن إبداء الخلاف الواضح وإعلان الحرب ما دامت هناك قوة أخري تهدد عسيراً .

استدعي ابن عائض مندوب الإدريسي محمداً الشوكاني ، وطلب منه النزول إلي تهامة والتوجه إلي سيده ، وإبلاغه بأن مجلس الشوري في أبها يري أن مطالب الإدريسي صعبة التحقيق الآن . ونحن وإياه علي صداقةٍ وودٌ ولا يري منا إلا ما يجب .

وكان قد سافر وفد أيضاً إلي صنعاء برئاسة محمد بن ناصر بن عائض ، وقد سرّ ابن حميد الدين بهذه الوفود ، وعدّه مبادرة طيبة ، وحسن جوار ، وقال : إنه لا يريد القضاء علي الإدريسي لأن وراءه من تعرفون وإنما نسعي لإجهاض حركته واستعادة موانئ اليمن وطرده من تهامة في المستقبل . وأن هذا الدخيل هو عدو لنا ولكم فإذا ما سعينا معاً للانتهاء منه والخلاص من فتنته عاشت المنطقة في استقرار ، وخاصة أنه كما تعلمون يتحرّك بقوة كافرة ، ويعمل الآن لتحريض أمير نجد علينا وعليكم ويغريه بحربنا .

وكان الإدريسي علي اطلاعٍ بأخبار هذه الوفود عن طريق عيونه وجواسيسه ، ولم ترق له أبداً ، وكان ينقل كل ما يصل إليه إلي أمير نجد ويزيد فيها حسبما يحلو له ويضمنها تحريضا علي أصحابها وتشجيعاً لقتالهم قبل استعدادهم وتفاهم بعضهم مع بعض . وأكد له أنه قد تم اتفاق ضدكم بين آل عائض والشريف علي انفراد ، واتفاق آخر بين ابن حميد الدين وابن عائض ضدكم وعلي انفراد . ويجب مبادرتكم لحربهم قبل أن يغزوكم . وأنامن جانبي أقوم بكامل الاستعداد للبدء بالعمل ، ولدعمكم حين تتحركون . =

= كان أمير نجد يعلم أن إمارة عسير تختلف عن غيرها من الإمارات التي تحيط بإمارته أو التي اشتبك معها في قتال ، فهي إمارة ذات طبيعة جبلية وعرة المسالك صعبة الشعاب ، ذات قلاع منيعة وحصون قوية ، وطبيعية سكان الجبال معروفة فهم أقوياء البنية ، شديدو البأس ، يتحملون الصعاب ، ويصعب قيادهم ، كما يشق علي الغريب أ ن يخضعهم ، ومن غير السهل أن يدينوا لغير أمرائهم ، هذا بالإضافة إلي ما تدرّبوا عليه مع الزمن من

خلال قتالهم مع الأتراك ومع جيوش محمد علي ، وفي صراعهم مع أئمة اليمن ، إذ عركتهم الأيام ، وصقلتهم الحروب فزادهم قوة ومنعة ، وزادهم ارتباطا مع أمرائهم فسلّموهم قيادهم ، ولم يعودوا يعرفون غيرهم، حتي صار اسم آل عائض اسم مرتبط بالمنطقة ، يدافع السكان عنهم كما يدافعون عن بيوتهم ومحارمهم، كما اقترن هذا الاسم بالسكان حتي غدا رمزاً لهم يذودون عنه كما يذودون عن أنفسهم وحماهم ، وهذا يختلف اختلافاً كبيراً عن الأحساء وحائل والحجاز فما من إمارة إلا وحدث بين أبناء الأسرة الحاكمة إلا عسيراً ، وما من إمارة إلا واختلف السكان مع إمرائهم إلا عسيراً ، وكان أمير نجد يعرف هذا معرفةً جيدةً لذا كان يتهيّب منازلة عسير ويخشي بأس أهلها ، غير أن دفع إنكلترا وإلحاح الإدريسي ومطالبته بضرب عسير قد شجّعه ودبّ في نفسه الحماسة ، وحاول أن يطرح الخوف من نفسه التي يسيطر عليها كرها ، فأعطي الإدريسي الإشارة بالموافقة ، وطلب من أن يأخذ بالاحتياطات اللازمة وأن يدفع بالقوات الكبيرة ، وأن لا يبالي بشريف مكة فإنه سيشاغله ويمنعه من دعم عسير ، كما أنه سيتحرك من جهة الشرق ليصرف آل عائض بجزءٍ من قواتهم إليه ، وبذا سيكون الطريق ممهداً للإدريسي والمجال مفتوحاً

كان هناك خلاف بين الشريف حسين بن علي وبين أحد أبناء عمومته من آل غالب لأسباب شخصية وقضايا خاصة ، آلا وهو خالد بن منصور بن لؤي ، فما كان من خالد إلا أن ترك المدينة مغاضباً لابن عمه واتجه نحو خصمه عبد العزيز بن سعود إذ كان رسول الشريف الدائم إلي أمير نجد فتعرف عليه وتوطدت الصلة بينهما .

وجد ابن سعود فرصته في خالد عندما حركت انكلترا الطرفين بعضهما ضد بعض =

= فأراد أن يستغله كطعم يضرب به عدوّه شريف مكة فجهّز له قوة اشتركت فيها رجالات أكثر القبائل وسيّره نحو (الخرمة) ليُشاغل به الحسين فلا يدعم آل عائض إذا ما انتصر عليهم الإدريسي ، لأنه ربما صعب علي الحسين أن يري الإدريسي في أبها وقد جمع إليه عسيراً سراة وتهامة وقوي أمره ولم يعد أمامه من مانع ليتجه نحو مكة .

وفي الوقت نفسه فقد بعث أمير نجد بقوة بإمرة أخيه عبدالله بن عبد الرحمن كدعم لابن لؤي وكتب لشريف مكة في جمادي الآخره ١٣٣٧هـ أن خالد بن لؤي قد خرج باتجاه مكة علي رأس قوة جمع بها مرتزقة العربان علي غير رأيه ومن غير علمه فلا علاقة له به ، بل أري أن تتصدي له من الأمام وأنا أباغته من الخلف كي نجبره علي الاستسلام ، وترك ما عزم عليه ، وإلا قتلناه واسترحنا منه ، وعلي كل حال فهو قريبك ، وأنت أدري الناس به ، والرأي لك .

غير أن شريف مكة قد أدرك اللعبة ، ولم تنطل عليها الحيلة ، فكتب إلي أمير نجد ينذره بأن كل مساعدة يلقاها خالد بن لؤي من أمير نجد فلن يكون إلا الحرب بيني وبينك ، وسأرسل لك قوة يكون صيفها في الإحساء .

وحشد الحسين خيرة رجاله ، وجمع قواته ، وسيّر جنده إلي (الخرمة) بقيادة ابنه عبد الله .

وعندما تلقّي أمير نجد الجواب من الشريف سيّر إلي بيشة عبد الرحمن بن ثنيان ليداهم عسير من جهة الشريف خوفاً من دعم الشريف ، وجاء عن طريق (رانية) متجنبا الوادي لاعتقاده أن قبائله مرتبطة بآل عائض .

بدء الاشتباكات : لما وصلت أخبارهذه التحركات إلي الإدريسي سُر أيما سرور ، وأخبر مباشرة حليفته إنكلترا ، وطلب منها المساعدات فأعطته خمسة عشر ألف مقاتل من مرتزقة شرقي إفريقية ، ووعدته بضرب أسطولها لموانئ عسير مجرد ارتقائه السراة ، ودعا قواته بسرعة إلي التهيؤ ، وما أن بلغه خبر الاستعداد حتي انطلق يطوي الأرض طياً نحو السراة ، وخوفا من مباغتة شريف مكه له فقد وجّه قوة تمركزت في (حلي) ولتحول دون وصول دعم بحري من الشريف إلي أبها عن طريق أحد موانئ عسير (القنفذة) أو =

= (الشقيق) كما احتفظ بقوة أخري في (حرض) خوفاً من ابن حميد الدين ... في قوة احتياطية له في (أبي عريش) تتحرك إلي الجبهة التي تتطلب دعماً ، هذا علي الرغم من أن ابن حميد الدين قد أمدّ الإدريسي بأكثر من عشرة آلاف دون سلاح فسلحهم الادريسي بما أخذ من الإنكليز ، لكنهم تركوا قوات الإدريسي وانسحبوا بأسلحتهم وكأنه قد أوعز إليهم بذلك .

تحركت قوات الإدريسي علي محورين أحدهما طريق الشمال حيث خطط القوات أن تتحرك من رجال ألمع لترابط في (تهلل) ولتأتي إلي أبها من جهة الشمال ، وثانيهما من طريق الجنوب من بلاد قحطان عن طريق (الفرشة) وذلك لترابط في (البطحاء) وتقتحم أبهامن جهة الجنوب الشرقي . ووصلت القوات من كلا الطريقين إلي معسكريهما في (تهلل) و (البطحاء) في وقتٍ واحدٍ ، كما هو مخطط لهما .

خطط آل عائض للقاء قوات الإدريسي ، وقرروا أن يتركوا قوات الخصم تتوغّل في عسير دون مقاومة ، وعند وصولها تكون منهكة ، فما أن تضع رحالها حتي يعمل السيف فيها قبل أن تجد شيئا من الراحة ، وأخبروا بذلك قبائل عسير التي ستمرّ منها قوات الإدريسي ، وطلبوا منها ألا تتعرّض للقوات الغازية بأي أذي ، ولكن يجب أن تكون علي أهبة الاستعداد وإمكانية التحرّك خلال ساعات ، وحدد لها الوقت الذي يجب السير فيه نحو البطحاء ، وكانوا قد عرفوه عن طريق عيونهم في (صبيا).

ما أن حطّت قوات الإدريسي رحالها في البطحاء بعد غروب الشمس حتي فوجئت بقوات عسير قد أحاطت بها بقيادة محمد بن عبد الرحمن بن عائض ومعه قبائل قحطان التي التفّت حوله بسرعة مع بعض رجال عسير ممن جاء معه من أبها ، وما هي إلا جولة حتي شعرت قوات الإدريسي بالضعف والخوار واستسلمت ، وقد تأكدت أنه لا قبل لها بالقتال ، وكان معظم قوات الإدريسي هذه من تهامة ومن مرتزقة الصومال الذين بعث بهم الإنكليز . جردّت قوات عسير القوات المستسلمة من الأسلحة ، وسيقت نحو (صحن تمنية) الذي ليس له سوي مدخلٍ واحدٍ ، وفصل التهاميون عن المرتزقة ، وطلب من شاهر بن راسي شيخ سنحان أن يكون علي رأس قوةٍ تحول دون وصول نجدات من (صبيا) ، ومعه =

= ابن كعبان ، وابن صبحان ، وابن عريعر ، وابن ميخوت ، وابن الأحمر من مشايخ همدان ، ولما حُقّق مع المرتزقة وسُئلوا عن سبب إقدامهم مع هذه الحملة أجابوا بأنهم أخبروا أنهم يذهبون لقتال يهود فاعتقدنا أنه الجهاد ، فإذا بهم يكذبون علينا ، ونقاتل مسلمين مثلنا فأمر محمد بإطلاق سراحنا .

وما أن انتهي محمد بن عبد الرحمن من قوات الإدريسي في (البطحاء حتي انطلق بقواته نحو جبل (تهلل) عن طريق (السودة) وسارت فرقة من

قواته عن طريق (الملاحة) فـ (الطلحة) فـ (طبب) فـ (المغوث) أي باحة ربيعة ، وكانت هذه الفرقة بقيادة محمد بن ناصر بن عائض .

كانت قوات الإدريسي قد تناثرت في باحة ربيعة وفي جبل تهلل وقد قاومتها القري الواقعة في هذه المناطق ، وبقيت تناوشها حتي وصلت إليها قوات محمد بن عبد الرحمن بن عائض التي التحمت مباشرة مع قوات الإدريسي قبل انبلاج الفجر ، وقد استغلت قوات الإدريسي ابتداء قوات آل عائض بالصلاة فهجمت عليهم وهم في الركعة الثانية ، وزاد القتال ضراوة مع الضحي ، وقد ترك العسيريون أسلحتهم النارية ، وفتكوا بخصومهم بالأسلحة اليدوية ، وما أن انتشرت الجثث حتي ولي جند الإدريسي هاربين نحو تهامة وكان نزولهم الاعتباطي وعن غير طريق العقبات قد أفقدهم من النفوس أكثر مما أفقدهم القتال ، كما أن عدداً منهم قد أخافتهم حدة القتل فاستسلموا فجُرِدّوا من الأسلحة ، ونُقلوا إلي جبل (مزيق) غرب بلدة (السودة) والمطل علي (الموحلة) حيث احتجزوا هناك . ومن وصل من الهاربين سالماً إلي تهامة سلبه رجال عسير التهاميون ، كما هجموا علي مراكز قيادات الإدريسي في (محايل) و (الشعبين) . وهكذا تبعثرت قوات الإدريسي علي المحورين اللذين سارت عليهما ، وتمزقت أشلاء ، ويزيد عددها علي خمسة وثلاثين ألفاً شذراً مذراً . وارتجز شاعر عسير ، وهم مقبلون علي ابن عائض .

واخبروا العجزا وكل طير حايم	وسباع البر والوحوش
باحة ربيعة والتهايم	مجزارة الصومال والجيوش =

= رغم أن الإدريسي كان قد كتب إلي أمير نجد أن قواته قد توغلت في عسير وأنها انتصرت علي كل القوات التي تعرّضت لها ، وأنها علي مقربةٍ من أبها وليس هناك من مقاومة أمامها، وأبلغ ذلك القاهرة فنشرت الصحف هناك أن جيوش الإدريسي قد دخلت أبها .

بعث آل عائض قوة تتمركز في ميناء (الشقيق) بقيادة علي بن أحمد بن مشيبة وقوة أخري بين الشقيق ومحايل بقيادة حسن بن أحمد بن عبد المتعالي . وكلّفت قبائل بني زيد القضاعية ، وبني هلال وكنانة بالتمركز في مينائي (القحمة (و (البرك) و (القنفذة) والمحافظه عليها ، والدفاع عنهما ، ووجه محمد قوة بقيادة عامر بن عبدالله التيهان لطرد قوات الإدريسي من مدينة حلي والتمركز فيها .

وخشي الإدريسي من تقدّم عسير هذه نحو صبيا فطلب من حليفته بريطانيا إنجاده ، فضرب الأسطول الإنكليزي تجمعات عسير في الموانيء لإخافتها .

<u>نتائج القتال</u> : كان لهزيمة الإدريسي صديً واسع ، سواء في المنطقة العربية أم خارجها ، وقد تناولت الصحافة هذه المعارك وخاصة في القاهرة التي سخرت من تطاول الإدريسي فإذا بقواتة تداس بالأقدام ، وفي استانبول كانت الصحافة أكثر شماتة بالإدريسي إذ ذكرت أن إمارة في بلاد العرب مزودة بأحدث الاسلحة ، ومدرب أفراد قواتها تدريباً جيداً، وتدعمها دولة كافرة عظمي ، تقوم بالاعتداء علي جارة من الإمارات العربية وتدخل أرضها لكن قواتها تهزم بأبشع الهزائم في كل معركةٍ تخوضها وتنسحب صاغرة ذليلة ، وكانت الصحافة العثمانية تريد أن تثأر من انكلترا ، وتقوي الروح الإسلامية ضدها ، لذا ركزت علي ذلك القتال فقالت : إن قوة السلاح لا تفيد ، وإن غطرسة الكفار لا تجدي فقد ظهر فشل سلاحهم وعدم جدوي قواتهم أمام أفراد مؤمنين ، رفعوا راية الجهاد وتوكلوا علي الله ، وتصدّوا لأعدائهم المسلحين المتغطرسين فإذا بهم أمامهم كالقطط تفرّ إلي مخابئها ، وتترك سلاحها وتسرع لتحتمي بالكفار الذين يدعمونهم في البحر ، أولئك هم أعوان انكلترا ، وانتصر الإيمان ، وارتفعت راية الحق . =

= أما الإمارات المجاورة فقد كان وقع أخبار ذلك القتال عندهم متبايناً . فابن حميد الدين كان يتوقع نصر الإدريسي لذا كان قد جهّز قواته لاحتلال نجران وأجزاء عسير الجنوبية مستغلا هزيمة آل عائض وعدم إمكانية دفاعهم عن بلادهم كما هيأ قوات لاحتلال تهامة مستغلاً كذلك انشغال الإدريسي بالقتال في عسير فلما بلغته أخبار القتال وهزيمة الإدريسي أمر قواته بالتوقف عن الزحف عن نجران — وانتظار ما يجدّ علي الساحة . وأما شريف مكة الحسين بن علي فقد سُر لهزيمة الإدريسي ، ولكن ساءه نصر آل عائض لأنه يخشى قوة إمارتهم التي تجاور دولته وتهدد وجوده ، وكان يريد إنهاك قوة الطرفين، لإضعافهما وخاصة أن قواته بعيدة عن الحجاز ، وهي في صراع في الشام مع العثمانيين أو مهيأة لتدفع عنها خطر نجد حيث يستعد عبد العزيز بن عبد الرحمن للتحرك، وهو المنافس له علي أحضان إنكلترا لتقف بجانب من تراه لتولي زعامة العرب ، إذ كانت انكلترا لإثارتهم ضد العثمانيين ، وتمنيهم بزعامة المسلمين ليتحرك أصحاب الأطماع ويلقون بما لديهم ليكسبوا رضا إنكلترا ويعلنون استعدادهم للتعاون معها ، وكان شريف مكة ، وأمير نجد يتنافسان علي هذا ، وتتخذ من كلا الزعيمين أداة لها ، وإن كان الحسين بارزاً أكثر لمكانته ، ومركز شرافته ، والأماكن المقدسة تحت سلطانه التي هي مهوي أفئدة المسلمين ، ويريد أمير نجد أن يحتل مكانه ويستولي علي أماكنه .

وأما أمير نجد فقد أخافته هزيمة الإدريسي، وكان يتمني أن لا يكون قد تورط في القتال ضد آل عائض ، ولكن قواته لا تزال في بيشة. وكان يظن أن الإدريسي سينتصر ، وأن قواته عندما تتوزع في عسير يمكن لقوات نجد أن تدخل عسير وتهزم قوات الإدريسي ، وتقضي علي إمارته وبذا يضم عسيراً وتهامة إلي نجد ، فلما خاب ظنه اقتنع أن قوة آل عائض ليست لقمة سائغة يسهل مضغها فلا بد له من الاستعداد الكافي، وتلقي الدعم من عدة أطراف =

= لهذا أخذ يلاين شريف مكة وابن حميد الدين في مراسلاته ، حتي يضمن حيادها علي الأقل إن تجدد القتال بينه وبين آل عائض . وفي الوقت نفسه بعث إلي الإدريسي يشجعه ويستحثه ، ويواسيه بأن ما تم ليس سوي هزيمة في جولة ، وليس هو كسب النصر حيث هناك جولات ثانية ، ولابد من الاستعداد وطلب الدعم من حلفائه وخوض جولة ثانية ، وهو من جانبه سيسعى لإعداد جيش قوي يمكنه اجتياز سراة عسير نحو تهامة دون عناء .

التفت آل عائض بعد أن هزموا الإدريسي إلي قوات نجد في (بيشة) و (الخرمة) وأوقعوا بها الهزيمة ، بل أسروا قائد قوات نجد في بيشة (ابن ثنيان) ، وأرسلوه الي الرياض ، وذلك كما مر معنا ، وكانت تلك الأحداث في أواخر رجب من عام ١٣٣٧هـ .

غير أن أمير نجد قد حشد قوات وأرسلهما دعماً لقواته المنهزمة خوفاً من أن يغري آل عائض انتصارهم فيتقدمون في نجد ، وجاءت القوات النجدية ، وهي تتجه الي الموقعين السابقين (بيشة) و (الخرمة) ، وكانت القوة المتجهة نحو بيشة بقيادة (ابن ثنيان) المهزوم سابقاً نفسه ، والتقت مع القوات المنهزمة ، ورجعتا معاً ، وتمركزتا في بيشة ، وكذا تمركزت القوة المتجهة نحو (الخرمة) فيها بقيادة خالد بن لؤي .

وشجعت الإدريسي رسالة أمير نجد فأخذ يستعد لجولة ثانية غير أن معنويات قواته كانت ضعيفة بل منهارة ، ويفزعها كلمة آل عائض ، والسراة ولاتريد أن تقاتل هناك لذا بقيت حركتها مقتصرة علي مناوشة مع قبائل تهامة المرتبطة بآل عائض .

كتب حسن بن علي آل عائض إلي خالد لؤي في ٢٠ رجب من عام ١٣٣٧ هـ يذكره بصلة ذوي غالب بآل عائض ، ويطلب منه التروي في محالفة أمير نجد ويحسن له انضمامه إليه ، ويحاول إغراءه بتوليته علي كل ما تمتد إليه يده في نجد والحجاز ويحذره من مكر أمير نجد بدعوة الإسلام فهذه ليست سوي حجاب يسترون بها أهدافهم ، ويخفون تحته أغراضهم ، وأنه مهما حدث بينك وبين ابن عمك من نزاع فستعود يوماً ما اللقاءات – إن شاء الله – وسيصفوا الجو بينكما ، ونحن معك الآن ، وإذا كنت تريد تدبير الوضع والعمل للإسلام فاستلم أمر (الخرمة) و (تربة) و (رانية) وطبّق فيها الذي تراه ، ونحن ندعمك وتمدك بالذي تري وإن أخوف ما أخاف عليك أن يستدرجك أمير نجد إلي =

= جهته ، ويضرب بك ابن عمك وإذا نال منك مبتغاه ألقي بك اذ يعلم أن ترك ابن عمك خيانة ، ولا يأمن المرء من الخائن ، ومهماسعيت في ركابه فإنه يراها منك نقيصة ، وقد جعلك جنة لأخيه إن هزمت ابن عمك ، قال : لست سوي جندي من جنود أخي ، وإن هزمك ابن عمك قال : كنت سبب الهزيمة ولا أمانة لك ، فكن معنا كما كان جدك عبدالمطلب بن غالب - رحمه الله - ولكن ابن لؤي ردّ علي ابن عائض رداً قاسياً ، وأرسل الخطاب إلي أمير نجد . وعندما بعث ابن عائض خطاباً إلي شريف مكة يبدي له رأيه في ضرورة الاستعداد لمواجهة نجد ، فالمعركة واقعة بينكما لامحالة - والله أعلم - لأن هناك من يدفعكما إليها ، وأن أمير نجد قد استطاع أن يستميل أحد الشرفاء لينافسك به ، وغداً يستميل غيره وغيره ، وشيوخ القبائل ، وتكون القوة وبالتالي النصر لمن يستطيع أن يستميل إليه أعوان الآخر .. .. وختم ابن عائض رسالته بدعوته إلي الحذر والاستعداد والانتباه الي القبائل ، والعمل علي شدّ شيوخها وربطها به مباشرة ، وبذل المال لهم .

لقد أثرت رسالة ابن عائض في نفس الشريف ، وقرر الاستعداد وكان الإنكليز قد دفعوه لمجابهة قوة ابن سعود كي لايفكر بدعم آل عائض ، وتكون منافسة بينه وبين ابن مسعود ، ومن تراه إنكلترا أكثر مناسبة لتحقيق مخططاتها تتخذه مطية لها ، وجاءته الأخبار في الوقت نفسه أن خالد بن لؤي قد وصل إلي (الخرمة) ، وفي نيته الانطلاق منها إلي (تربة) ثم متابعة الطريق نحو (الطائف) ، فأسرع بحشد القوات وأعطى قيادتها لنجله الثاني عبدالله ، فانطلقت نحو ابن لؤي كما طلب من إنكلترا أن ترابط بعض سفنها قريباً من جدة لحمايتها ، وترامت أخبار هذه الحركة إلي أمير نجد فأسرع بتهيئة قوة وانطلق علي رأسها يريد الأمر إما له وإما للشريف . وما أن وصل الي الخرمة في ٢٧ شعبان من عام ١٣٣٧هـ وتجاوزها قليلاً باتجاه (تربة) حتي وصلت إليه أخبار هزيمة قوات الشريف في ٢٥ شعبان من عام ١٣٣٧هـ . ولاحاجة لدعم قوته التي مع خالد بن لؤي فرجع إلي الرياض وقد أدمي مقلتي شريف مكة .

وأخبرني عبدالرحمن بن سعد بن زيد أحد أعوان أمير نجد وأحد ثقاته الذين يعطيهم أسراره أن سير عبدالعزيز كان سرياً بشكل تام حتي أنه كتم علي كثير من الأعوان =

= وأن الهدف منه إنما كان يقصد من ورائه إحدي غايتين فإن انتصر ابن لؤي فذلك ما يبغي، ويعود الأمير إلي الرياض دون علم أحد ، ومن غير أن يعرف أحد عن الحركة التي تمت . وإن انتصرت قوات شريف مكة ادعي أمير نجد أنه جاء دعماً له لقتال هذا المارق الذي فرّق بين الناس ، واتخذ من الحدود بين الإمارات مقراً له ليثير الأمراء بعضهم علي بعض ، وأنه لايؤمن له فمن خان ابن عمه فليس غريباً أن يخون الناس جميعاً وأمثال هذا لابد من التعاون علي حربه وما جئت إلا لهذا ، كما علمت أن هناك تحالفاً بينه وبين ابن عائض علينا، وأنه يريد أن يتخذ منه قوة يضربنا بها . حيث لم يكن عبدالعزيز يوم ذاك يرغب في الصدام مع الشريف بأى صورة من الصور ، ولكن تحرك نحوالشريف لسبب لايزال مجهولاً عندي .

كان لهزيمة قوات الشريف أثر سيء في الحجاز إذ غدا الناس يخشون مما يُسمونهم بالوهابيين ، وتوقعوا أن تتوالي المعارك بعدها عليهم ، وسيطمع الوهابيون بأرض الحجاز ، وسيأخذونها عاجلاً أو آجلاً مادامت لاتوجد قوات تردعهم .

وأما في نجد فكان لذلك النصر الذي أحرزته قواتهم وقعاً حسناً إذ رفع من معنوياتهم ، حيث حطموا قوة كثيراً ما كانت تحول بينهم وبين الحرمين ، بل تمنعهم بعض السنوات من تأدية فريضة الحج ، ولطالما تغطرست قوات الأشراف علي نجد واستباحت بعض قراه ومدنه وفرضت عليهم الضرائب وألزمتهم بدفع الكثير .

وأما في عسير فكان الموقف مغايراً فهناك من سره هزيمة الأشراف لأنهم كانوا في الماضي عوناً للأتراك على أهل عسير ، ولطالما جاءت القوات من الحجاز تارة عن طريق القنفذة من تهامة ، وتارة من طريق السروات ، ولم يكن أثرها أقل من أثر الترك ، وهناك من أزعجه ما تم في تربة إذ توقعوا أن ذلك سيقوي من معنويات النجديين وسيدفعهم مرة أخري نحو عسير التي يحلمون بها ، وإن القوات التي مع خالد بن لؤي في (تربة) ستتجه نحو (بيشة) لتدعم قوات ابن ثنيان ، وسيكون الهجوم علي عسير للانتقام من هزيمة ابن ثنيان التي لم يمض عليها سوي مدة وجيزة والتي ساقها ابن سعود إلي آل عائض ليتمكن الإدريسي من احتلال عسير ، فيجب الاستعداد ، وهذا يعني أن عسيراً أصبحت الآن مهددة وعلي أهل عسير أن يتحملوا المزيد من الاستعدادات والتضحيات ، وقد علّق =

= أمير عسير حسن بن علي آل عائض علي تلك الهزيمة منددا بتصرفات الشريف " إنه يدفع نفسه الي فم عبدالعزيز دفعاً ".

وأما فى اليمن فإن ابن حميد الدين قد عدّ هزيمة شريف مكة تواطؤا بين آل عائض وابن سعود ضد الحجاز وذلك لما جاء في كتاب ابن عائض من تهديد إليه حيث لم يكن تصرف ابن حميد الدين تجاه عسير محموداً لدي ابن عائض إذ رآه متقلتا من التزاماته مبتعداً عن المروءة ، فقد وجد أثناء دخول قوات الإدريسي عسير وتمركزها في (تهلل) و (البطحاء) وجد ذلك فرصة لاحتلال نجران فكتب له ابن عائض كتاباً يلومه على فعلته ، ومما جاء فيه " طالما تنتمي إلى آل البيت فلا يصح أن تفعل هذه الأفعال المشينة ، وليس هذا من صفات آل البيت ، وإن فعلتك هذه ستجعلني أندفع إليك بعسير ، حيث لم يكن أسلافك في اليمن إلا بحماية اسلافي ، وإني أنذرك لئن عدت إلي مثل هذه التصرفات لأوجه إليك ضربة قاضية تزيلك عن اليمن " .

ولما كان كتاب ابن عائض شديداً علي ابن حميد الدين جعله يعّد هزيمة شريف مكة كانت بتواطـؤ مـن ابن عائـض وابن سـعود ، وذلك أن آل عائض كانوا يودون إضعاف شريف مكة ، وعندما يشعر بضعفه يلزمه إلى التوجه إلي عسير والاتفاق مع آل عائض لقتال الإدريسي والقضاء عليه ثم الالتفات الي اليمن وإعلان الحرب عليها . أما ما كان يهدف ابن حميد الدين من ورائه في هذا الاتهام فهو التقرب من شريف مكة بعد غضبه من آل عائض لفعلتهم التي قاموا بها بالتواطؤ مع ابن سعود ضده ثم الاتفاق بين اليمن والحجاز وحربهم معاً لآل عائض حيث يدخل الحجازيون إلي عسير من الشمال ويتقدم اليمنيون من الجنوب . وأخذ ابن حميد الدين يكاتب الشريف ، ويعرض في كل رسالة بابن عائض ، وابن سعود ، والإدريسي ، ويدعي أنهم يريدون القضاء علي آل البيت منا ومنكم وما علينا إلا التفاهم والعمل معاً للوقوف في وجه هؤلاء ، وأن يدعم بعضنا بعضاً إذا هوجم أحدنا .

وأما في الرياض فقد أراد أمير نجد أن ينفي عن نفسه دعمه لابن لؤي ليبقي علي صلته مع الشريف موقتاً، وفي الوقت نفسه ، يبعد عن آل عائض أي دعم من أية جهة فيماإذا =

= توجه لقتالها ، لذا فإنه قد أرسل بعض أعوانه من (العتبان) إلى مكة وأعطاهم تعليمات وأمرهم بنقلها إلي الشريف ، وقد تمكنوا من اللقاء بالشريف ، وأعلموه أن الذي كان من وراء خالد بن لؤي ومهاجمته لقواتكم في (تربة) وإنما هم آل عائض ، وقد أمدوه بقوات من القبائل التي حول (بيشة) وأنه المذكور وهو خالد بن لؤي قد توجه بعد معركة (تربة) إلي (بيشة) لتعزيز قوات ابن عائض هناك . وأن هذا الفعل قد أساء ابن سعود لذا فقد أرسل قوة بإمرة أحد قادته وهو ابن ثنيان لقتال ابن لؤي ، وقد أدركه قرب (بيشة) وتدور معركة بين الطرفين ، وقد أمر ابن عائض قواته بدعم ابن لؤي ، ولم نعلم بعد علي أيهم تدور الدائرة . ويخشي ابن سعود أن تتوسع ساحة المعركة ، وأن يتمكن ابن لؤي شدّ بعض القبائل إليه فتزداد قوته ، ويصبح خطراً علي بقية الأطراف سواء أكانت الحجاز أم نجداً أم عسيراً ، وهذا ما جعله يرسل قوة في أثره .

ويبدو أن الحسين بن علي قد اقتنع بما أخبره العتبان فأخذ يترقب نتائج المعركة التي تدور في (بيشة) ويبث العيون عسي أن يحصل علي بعض المعلومات التي تؤيد أقوال العتبان الذين جاءوا إليه .

بدأت المناوشات علي أطراف (بيشة) بين قوات ابن عائض بإمرة (علي بن مشيبة) وقوات ابن سعود بإمراة (خالد بن لؤي) و (ابن ثنيان) وظهر عجز قوات ابن سعود لقتالهم في مناطق بعيدة عنهم ، وهم بعيدون عن معرفتها ، لذا أخذ قادتهم بطلب النجدات من الرياض ، فكانت تصل إليهم تباعاً واستمرت المناوشات حتي ١٠ جمادي الأولي من عام ١٣٣٨ هـ حيث كانت المعركة الفاصلة التي هزمت بها قوات ابن سعود وعادت إلي نجد وأصيب فيها كا من ابن ثنيان وابن لؤي .

كان أمير نجد قد أحس بمرارة هزيمة قواته بإمرة ابن ثنيان وخشي أن يكون ذلك عاملاً لإضعاف معنويات قبائل نجد فأخذ يحشد الحشود ويجمع رجال القبائل في (رانية) لدعم قواته في (بيشة) بجيش ضخم يفاجيء به العسيريين ، ظناً منه أنه كان يخدعهم بإرسال نجدات صغيرة متوالية توهمهم ضعف إمكانات نجد . فلما تكامل حشد الجيش في (رانية) أرسل ابن عمه عبدالعزيز ابن مساعد لقيادته ، واستنفر معه بقية قبائل نجد =

= حاضرة وبادية إذ اقتنع أن سيطرته علي عسير تمكنه من السيطرة علي بقية الإمارات المحيطة بها من الجهات ، وأن بقاء إمارة آل عائض يمكنها أن تهدد فيما إذا دخل أي إمارة أخري بل تهدد نجداً ذاته وذلك لقواتها وارتباط أهلها بحكامهم ، لذا عليه أن يحشد أكبر قوة يمكنه جمعها حتي تستطيع إحراز النصر ودحر قوة ابن عائض دحراً لم يعرفه من قبل ، تذهله ، ويضطر معها مغادرة عسير مع أفراد أسرته .

وأخبر ابن سعود الإدريسي بأنه وجه قوة ضخمة من جهته بقيادة ابن مساعد وعليه أن يتحرك أيضا من ناحيته لإشغال شريف مكة وابن حميد الدين كي لا يتحركا لصالح آل عائض كما عليه أن يتحرك نحو عسير.

بدا الإدريسي يتحرك من جهة الغرب علي إمارة عسير كما وضع قوات في مواجهةالشريف وابن حميد الدين في الوقت الذي وصل فيه ابن مساعد بقواته الضخمة إلي (بيشة) بعد أن دحر مقاومات وجدها في طريقه في (الخرمة) من القبائل الموالية لآل عائض استمرت ما يقرب من عشرين يوماً .

وصل ابن مساعد إلي مشارف (بيشة) ووحد قوات نجد تحت قيادتة إذ ضمّ إليه ما كان مع ابن ثنيان ، ومع ابن لؤي ، وتمكنت هذه القوات المجتمعة أن تدخل مدينة (بيشة) بعد معارك عنيفة جرت بينها وبين قوات عسير استمرت ما يزيد علي الشهر ، وقد تواطأ ابن مساعد مع بعض مشايخ القبائل الأمر الذي سهل له دخولها ، إذ انسحب من القتال حسين بن سلطان بن الأزهر شيخ قبائل بني معاوية من النخع من القتال كما انسحب الصعير وابن شكبان والقوية لعدم وجود ذخيرة لدي مقاتلتهم ، فأعلنوا الحياد ، وصلت أخبار مايدور حول (بيشة) إلي الحجاز واليمن .

فأسرع شريف مكة وأرسل قوات ترابط في (الليث) وفي (القنفذة) خوفاً من استغلال الإدريسي لتلك الأحداث والهجوم علي الحجاز ، ولكن لم تمكث هناك طويلاً إذ وجدت قوات آل عائض هناك تؤدي المهمة لذا طلب الشريف من قواته العودة كي لاتدخل في المنازعات القائمة ، ومادامت جنود عسير تقف بالمرصاد لكل حركة من حركات الإدريسي . =

= وانتهز ابن حميد الدين الفرصة وبعث بقوات من عنده لتدخل نجران وترابط في ظهران الجنوب ، ولكن قبائل المنطقة لم تمكن القوات اليمنية من ذلك ، وقاومتها بضراوة حتي بعث آل عائض بقوات من سنحان وعبيدة لتدعم قبائل نجران في صد قوات اليمن ، وتم ألزمتها علي التراجع والعودة إلى المكان الذي جاءت منه .

تراجعت قوات عسير من (بيشة) إلي (الخضراء) و (خيبر) و (عين الفقم) و (الصبيخة) و (الفريسة) ، وطلبوا من (أبها) مددهم بالذخيرة للهجوم علي (بيشة) واستعادتها ، واستجابت القيادة في أبها إلي طلبهم ، وأرسلت لهم ما طلبوا .

توقع ابن مساعد أن تقوم أبها بارسال نجدات ، وذخائر وامدادت إلي قواتها في الأماكن التي تراجعت إليها ، لذا فقد كلف ابن الأزهر شيخ قبائل بني معاوية ، والصعير شيخ قبائل بني سلول بالعمل على مرابطة فرق على الطرق المؤدية من أبها إلى أماكن تمركز قوات عسير ومراقبتها بدقة خوفاً من إرسال نجدات فقاما بالامر ، وجاءت النجدات فعلاً ، ولكن قبائل بني واهب وبني منبه قد علمت بما دار بين ابن مساعد ومن جرهم إلي جانبه فهالهم الأمر ، وراقبوا الطرق أيضا ، فلما جاءت النجدات وحاولت قوات نجد وضع اليد عليها تصدي لها رجال بني واهب وبني منبه وجرت معركة في (السرارية) قتل فيها الكثير من جماعات الأزهر والصعير وهرب الباقون إلي بيشة ، ونجت النجدات وسارت إلي الأمكنة المحددة لها ، وبلغ ذلك إلي أميرحسن بن علي آل عائض فشكر لبني واهب وبني منبه حسن صنعيهم وأراد مكافأتهم إلا أنهم أبوا ذلك وعدّوا أن مافعلوا إنما هو واجب عليهم ، ومافعلوه إلا في سبيل الله لإحقاق الحق وفي الوقت نفسه كتب ابن عائض كتابين إلي كل من ابن الأزهر والصعير يلومهما علي ما قاما به وأنه خيانة للأهل ، ونكوص بالبيعة التي بايعا فيها الأمير .

وأما ابن مساعد فقد هاجم القوات العسيرية المتمركزة في الصبيخة قبل أن تصل إليها الذخائر فلم تتمكن من المقاومة ولم يكن أمامها من السبيل إلا التراجع والتوجه إلي خيبر ، والخضراء حيث ترابط بعض القوات العسيرية والتي تراجعت إلي هذه الأماكن من قبل بعد معركة (بيشة) . وبقيت الرياض تدفع بالنجدات إلي ابن مساعد النجدة إثر =

= النجدة مادام الصراع لايزال في بدايته ، وخاصة أن ابن مساعد قد أخبر قيادته أن القتال مع عسير سيكون قاسياً وسيكلفنا الكثير ، فإن القبائل متلاحمة مع قيادتها من آل عائض تماما ، و هذا مايجعل اختراق عسير صعباً ولن يتم إلا بعد أن نضحي بالكثير ومادمنا قد بدأنا فلابد من متابعة الطريق .

بدأ القتال بين الفريقين وبقي سجالاً عدة أيام . وبينما كانت النجدات يتوالي وصولها إلي ابن مساعد ، كانت قيادة عسير لاتبالي بها كثيراً اعتزازاً بنفسها ، وكانت قد وزعت قواتها إلي سبعة أقسام وضعت جزءاً واحداً فقط في وجهة ابن مساعد . ووزعت الاقسام الأخري علي باقي الجبهات ، وأبقت بعضها في أبها احتياطا لوقت الحاجة حرصاً علي عدم استهلاك الذخيرة .

أخذت قوات ابن مساعد تقدم علي حين بدأت قوات عسير بالتراجع وتخلي مواقعها التي تحتلها قوات نجد ، وعلي ما يبدو أن القوات العائضية لم تتخل عن موقع إلا عندما تنفذ الذخيرة من يدها ، وتستميت في الدفاع عن كل شبر من أماكنها .

تقدمت قوات ابن مساعد رغم المقاومة العنيفة التي أمامها ، وكان ابن مساعد قد قسم القوات التي معه الي فريقين : أولاهما وتضم رجال البادية الذين توطنوا في الهجر وعليهم مشايخهم ، وجعلهم بالمقدمة . ووضع بينهم بعض المطوعين الذين يعملون علي رفع معنوياتهم ويحثونهم علي القتال ويعدون حربهم جهاداً ، وقتلهم استشهاداً إذ أنهم يقاتلون أهل الشرك . والفرقة الثانية تشمل أهل الحاضرة من العارض وقراه ، وقاد هذه الفرقة بنفسه . وكانت الفرقة الأولي تتلقي صدمات وهجمات المقاومة العائضية واستمر فيهم القتل . وفقدت مقدمة ابن ساعد فعلاً الكثير من محاربيها من البدو ، واستمر تقدم ابن مساعد حتي استطاع أن يتمركز بقواته في (الخضراء) وأخذ في تجميع قواته سواء التي سيقت إليه من نجد أو التي ضمتها إليه الأطماع .

أمرت قوات عسير أن تتجمع في الزوبراء (تندحة) بإمرة محمد بن ناصر بن عائض وأعطيت التعليمات لقيادة تلك القوات أن يكمنوا خارج قري تندحة ، وأن يأمروا أهل القري بالخروج من قراهم بمتاعهم ، ولايدعون شيئاً يمكن أن يصيبه العدو ، ومن ناحية =

= ثانية يذهبون إلي (الخضراء) حيث يعسكر أهل نجد بعض البداة ويخبرونهم أن قري تندحة قد خلت سكانها . وما أن بلغ الخبر عسكر نجد حتي انطلقت قوات البدو ومن انضم إليها من أصحاب الأطماع ، وأخذت مسرعةً نحو قري تندحة فدخلتها كالسوائم تفتش عن المراعي. وما أن أظلم الليل حتي انقضت عليهم قوات عسير بالسلاح اليدوي دون إطلاق رصاصة كي لا ينتبه من لم ينله القتل ، إذ كانوا مبعثرين في تلك القري يفتشون عن المغانم ، فلم يجدوا إلا رجال فوقهم تعمل بهم ذبحاً ، فلم يكد ينجو من تلك المعركة إلا من أفزعه صراخ القتلي ففروا كالحمر المستنفرة ، وخرجوا هائمين علي وجاههم لايعلمون أين يسيرون بهذا الليل الدامس حتي إذا أسفر الصبح انطلقــوا إلي ابن مساعد وأخبروه بما تم . فهاله الأمر ، وتردد في متابعة السير ، غيرأن مجلس قيادته بعد الاجتماع به قرروا المتابعة وقد ضم هــذا المجلس كلاً من : عبدالله بن الراشد ، وفيحان بن صامل ، وابن ثنيان ، ومحمد ابن حميد ، وحمد بن محمد ، وفيصل بن عبدالعزيز المبارك ، وناصر جار الله وابن سحمي . كما أرسلوا إلي الرياض يطلبون النجدة إذ خشوا أن تنقلب عليهم القبائل التي انضمت إليهم عندما تري علائم الهزيمة واضحة علي قوات نجد .

سارت قوات عسير من قري تندحة بعد أن مثلوا بخصومهم إلي (قاعة ناهس) ليجتمعوا هناك مع الدعم الذي جاء إليهم ووصل إلي هناك قبلهم ينتظرون ، وعاد أهل قري تندحة ليواروا جثث مقدمة قوات ابن مساعد ويعودوا إلي ديارهم ، وهذا ما جعلهم ينالون الأذي من جيش ابن مساعد عندما كتب له الوصول إليهم

بعد اجتماع مجلس قيادة ابن مساعد وقراره بمتابعة الزحف أعطي ابن مساعد أوامره بالحركة ، وأعطي التعليمات لأصحاب الألوية بعدم الابتعاد عن الركب قيد شعرة خوفاً من وجود كمائن عسيرية ، أو الانفراد بمن يبتعد عن الجيش فيزلزلوا المعنويات ، ويضربوننا جماعة إثر جماعة .

تابع ابن مساعد مسيره حتي شارف (قاعة ناهس) وخرجت له قوات عسير وتصاف الجمعان بعد صلاة ظهر الثامن والعشرين من شهر شوال من عام ١٣٣٨هـ ، وابتدأ القتال حتي مضي هزيع من الليل ، ولم يحرز أحد الطرفين النصر ، وإن وقع الكثير من =

= القتلي من الفريقين ، ولكن نفذت ذخيرة قوات عسير رغم سلبهم أسلحة وذخائر قتلي قوات نجد . فاضطرت إلي التراجع إلى ذهبان وقراه من بلاد شهران حيث عسكروا هناك ، غير أنه لم تلبث أن جاءتهم الأوامر باخلاء بلاد شهران ، والانسحاب إلي حجلي والتمركز فيها وأخذ مواقع دفاعية لتتجّنب القري أذي الغزاة . اجتمع مجلس شوري عسير لدراسة الوضع، فوجدوا أن الذخيرة التي يملكونها قد وزعت بين الجبهات الأخري والتي تقوم بمناوشات مع الإدريسي في الغرب ، ومع ابن حميد الدين في الجنوب ، وحتي هذه الذخيرة التي بأيدي تلك الفرق غير كافية لخوض غمار حرب طاحنة ، وزاد الأمر صعوبة عليهم وصول أنباء تفيد بوصول قوات شريف مكة إلي تهامة عسير وتمركزها في (الليث) و (القنفذة) و (حلي) غير أنهم عادوا فرأوا أن وجود قوات الحجاز لها ما يبررها ولم يأبهوا بها أساساً ووجدوا من الأفضل لهم عدم الصدام مع الشريف حالياً وربما كانت ملاينتهم له قد يستطعون الحصول علي بعض الذخيرة منه والتي كان دائماً يتمنع عن مدهم بها ، ومع هذه الدراسة وجدوا أنه من الأفضل لديهم جمع قواتهم علي جبهة واحدة هي الجبهة الشرقيةضد ابن مساعد، والإبقاءعلي قوات دفاعية أمام قوات ابن حميدالدين وقوات الإدريسي ، وبهذا التصرف يمكنهم تأمين شيء من الذخيرة إلي الجبهة الشرقية ، ولكنها لا يمكنها أن تكفي أبداً ، فالمشكلة التي تعانيها عسير إنما هي مشكلة الذخيرة التي لاتملكها وليس لها مصدر منها ، وربما تكون الذخيرة سبب خسارة عسير في القتال مع نجد .

وصلت الأخبار إلي ابن مساعد أن قوات عسير قد انسحبت من قري شهران وتمركزت في (حجلي) لذا أسرع ودخل قري شهران وتمركز فيها ، فجاءته بعض قبائل قحطان وشهران معلنة الأنضمام إليه حفاظاً علي قراها من شره ، وحاول شيوخها استدراج ابن مساعد مدها بالسلاح للاشتراك في القتال فرفض ذلك ، وأمرها تأمين جيشه بما يحتاج إليه من طعام وشراب ، وذلك خوفاً من ضربه بسلاحه فيما إذا قّدمه لها . وهذا مازاد من الطمع في عسير إذ خرج أفراد هاتين القبيلتين من قواتها .

بدأ الاستعداد من الجانبين ، وأشير علي ابن مساعد أن يجعل القبائل العسيرية التي انضمت إليه (قحطان ، شهران ، بيشة) مقدمة له وزجها في المعركة مباشرة ليجعل عسيراً يضرب بعضها بعضاً ، غير أن هذه القبائل رفضت ذلك ، وقالت : ليس هذا =

= جبناً و خورا ، وإنما لما ذكرنا ، فنحن علي استعداد لنكون ضمن صفوف جيش نجد ، وإلا وقفنا علي الحياد .

واضطر ابن مساعد للرضوخ لمشايخ هذه القبائل نظراً للوضع الذي هو فيه ورغبة منه في إبقائهم إلي جانبه ، والتقرب منهم ، فاستبدلهم بفرق البادية وفي الوقت نفسه كتب مشايخ قبائل شهران وقحطان وبيشه إلي القيادة في أبها أننا قد اضطررنا لموقفنا هذا اضطرار خوفاً علي قرانا وأهلها من بطش هؤلاء الغزاة وخاصة قد رأينا ما فعلوه فى أهل قري تندحة، وأننا وإن كنا في صفوف جيشهم غير أننا لن نقاتل إخواننا من أهل عسير ولن نرفع يداً ولا سلاحاً علي واحد منهم ، وربما خذلناهم عنكم ، ورد عليهم أمير عسير حسن بن علي آل عائض جزيتم خيراً وهذا عهدنا بكم (ورغبته ألا يبتعدوا عن عسير كثيراً ويبقوا مرتبطين بها وغير مندفعين بالقتال ضدها) .

تمركزت القوة التي بعثها آل عائض لمواجهة ابن مساعد في (حجلي) وتحصنوا في حصونها ، ولم يكن عدد هذه القوة ليزيد علي ثلاثة آلاف مقاتل وركزوا مدافعهم في جبل (قحطان) التي تقع (حجلي) في حضنه من جهة الشرق . أما ابن مساعد فقد زحف بقوة يزيد عددها علي الأربعين ألفاً عدا من انضم إليهم من مرتزقة القبائل وممن لايهمهم سوي المغنم عن طريق السلب والنهب .

والتقي ابن مساعد بكبار جيشه ليدرسوا خطة المواجهة مع قوات آل عائض ، وكان المطوّعون في تلك القوات ينتقلون من رجال لواء إلي آخر يحضونهم علي القتال ويحثونهم علي ما يسمونه الجهاد ، وأن هذه هي المعركة الحاسمة بين الحق والباطل ، وأن من قاتل حتي يتم النصر للمؤمنين كتب له الأجر وحصل علي الغنم ، ومن قتل كان مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً . ونقلت كلمات هؤلاء المطوعين إلي قيادة أبها فهالهم الأمر إذ يعدون المسلمين كفاراً ، ويبيحون دماء المسلمين ، وانتهاك حرماتهم وهذه لاتصدر عن مؤمن لذا فقد أرسل ابن عائض رسالة حملها علي بن عبشان إلي ابن مساعد وقد جاء فيها : " وصل إلينا ما يقوم به المطاوعة من إيغار الصدور وشحنها بما يستخف به حرمة المسلم ، وتغريرهم بالشهادة في سبيل الباطل ، وأنت تعلم أن =

= ماجمتعموه لايعدو جفاة نجد ، وهم بداة استحكمت في طباعهم الغلظة والجلافة التي عاشوا بها ردحاً من الزمن لايحلون حلالاً ولايحرمون حراماً ثم امتطيتموهم كالسباع الضارية لبلوغ أمر دنيوي ليس من الإسلام في شيء ، ولكن لتقتلوا بهم الإبرياء والضعفاء . وأنكم لو تعلمون جريمة ما ارتكبتم وما أجلبتم له لعدتم من حيث أتيتم ، ولكنكم طلاب دنيا ستدفعون للوصول إليها كل مايتأبي المسلم عن ارتكابه .

لقد وقفتم في صراعنا ما يقرب من ثلاثة شهور أزهقت فيها أرواح بريئة وكنا نحاول قدر المستطاع بالدفاع لكفّ غائلتكم . وقد ألبتم لحربنا من الغرب من ألبكم علينا من الشرق ، وسيكون فى براثنكم غداً ، وزعمتم أن مجيئكم كان لنصرته علي أنه مستضعف ، وإنكم لتعلمون أنه دجّال اصطنعه من اصطنع سيدكم . ولم يكفكم ذلكم حتي أغريتم ابن حميد الدين لقتالنا من الجنوب . وأن النصر الذي يحرز بالمكر سينتهي بالمكر ولو بعد حين .

إننا قد أعددنا قسماً من قواتنا ونرجو من الله أن يجعلها قوة تثبط لما تسعون إليه من شر ، وأننا كمدافعين عن بلادنا فإنني أبرأ إلي الله من تبعة مايراق من دماء وإنني أحملكم وزر ذلك " .

لم يأبه ابن مساعد برسالة ابن عائض كما لم يأبه بسابقاتها لأنه قد سيق إلي حرب تنتهي بنصر أو هزيمة . وعاد ابن عبشان إلي قيادة أبها وعرض موضوع عدم اهتمام ابن مساعد برسالتهم فوجدوا أن الوحش لايثنيه عن وثبته سوي مباجلته بالضرب ، فحصنوا (حجلي) وأمروا مدفعيتهم بقصف تجمعات نجد ، وكانت قيادة جبهتهم الشرقية بإمرة محمد بن عبدالرحمن بن عائض ومساعدة أخيه عبدالله . كما حصنوا جبهتهم الغربية والجنوبية خوفاً من مداهمتهم منها .

ما أن بدأت المدفعية بالقصف حتي بدأت الحرب ، وتمكنت مدفعية عسير أن تصد زحف طلائع ابن مساعد وفتكت فيها فتكاً ذريعاً مما اضطرها علي أن تولي الأدبار وتنسحب منهزمة حتي وصلت إلي القوات النجدية المتمركزة في مساقط وادي تارة والجبال المحيطة به .

أعطي ابن مساعدالأوامر لقواته بالتحرك سريعاً نحو (حجلي) غير أن قادة الألوية أشاروا عليه بالتريث حتي يسترهم الظلام فيتلافون قذائف المدفعية فوافقهم وطلب من =

= القوات الانتظار ، فلما أظلم الليل أمر بالتحرك نحو (حجلي) ولكن قوات عسير علموا بذلك عن طريق عيونهم ، فاستعدوا للقاء ، وكان ذلك ليلة الثلاثاء الموافق للثاني من ذي القعدة عام ١٣٣٨هـ .

رأي قائد قوات محمد بن عبدالرحمن بن عائض أن يكون القتال بالسلاح اليدوي ليساعدهم الظلام علي عدم تقدير العدو لأعدادهم ، وثارت حميةمقاتلة قبيلة علكم ، وطلبوا من الأمير السماح لهم بالانقضاض على مقدمة ابن مساعد فلم يسمح لهم ، وإنما طلب أن يخرج ثلاثمائة من كافة القوات ويتسللوا بين صفوف الخصم المبعثرة والتي لم تتوقع اقترابهم منها .

تسلل الثلاثمائة عسيري في قوات ابن مساعد وأعملوا فيهم القتل بعد نداء " الله أكبر " من السفح فهجمت قوات ابن مساعد باتجاه الصوت ولكن قوات عسير عملت بهم طعناً ، فبدأت القوات النجدية يطعن بعضها بعضاً ، ولايعرف أحدهم الآخر ، ولم ينبلج الفجر حتي تعرفوا علي الطريق وأخذوا يفرون منسحبين باتجاه جبل (تارة) الذي اتخذه ابن مساعد مقراً لقيادته ومعسكراً لقواته ، ووصل قلة من جنده إليه فارين من المعركة جرحي أو منهكين بينما لقي البقية الباقية وهم الأكثرية مصرعهم ولايعرف أحدهم بيد من كان قتله .

قرر ابن مساعد ورجاله الاندفاع بكافة الجيش في اليوم الثاني ، وتحركوا بسرعة كي يفاجئوا العسيرين غير أن قوات عسير كانت تتوقع أن يكون ردّ فعل قوات نجد الاندفاع فاستعدوا للصدام وقرروا القتال من داخل حصونهم .

التقي الطرفان بعد ظهر الثلاثاء ومضي النهار دون أن ينال أحد الجانبيين من الآخر لأن النجديين يقاتلون بأعداد كبيرة ولم تنقطع عنهم النجدات المتوالية التي تكاد تصل إليهم يومياً ، بينما يقاتل العسيريون من داخل حصون (حجلي) ومن جبل قحطان كما أن مدفعيتهم تساعدهم في قصف قوات الخصم ، وهذا ما ألزم ابن مساعد أن يعطي أوامره بالانسحاب عندما حل الظلام والتوجه الي مقرهم في جبال (تارة) .

عاد الطرفان للقتال يوم الأربعاء كأشد مايكون ، وخسر ابن مساعد الكثير من قواته لأن خصومه يقاتلون من داخل الحصون ، ومن مرتفع من الأرض ، وتحميهم المدفعية ، وما =

= كاد النهار ينتهي حتي أوشكت ذخيرة آل عائض في (حجلي) علي النفاذ ، فطلب من القيادة مدهم بنا لديهم ولوكان علي حساب بقية الجبهات ولكن القيادة لم تر ذلك لأن المقاومة علي تلك الجبهات لم تقل ضرواة عن الجبهة الشرقية كما أنه بالإمكان وصول الإمدادت إليها سريعاً علي حين أن العدو يطول وصول الإمدادات إليه لطول المسافة بين قاعدته وجبهته ، وأما الجبهتان لعسير في الغرب والجنوب فيمكن للعدو فيهما أن يتلقي الإمدادات سريعاً وهذا ما يجعلنا نركز عليهما .

غير أن الأمير محمد قائد الجبهة الشرقية لم يكن يدرى بذلك لأنشغاله بأمور جبهته التي بدا له التفوق علي خصمه ، وأن الصبر القليل والدعم سينهي الحرب لصالحه . توقف القتال بعد منتصف الليل وقد لحق التعب بكلا الطرفين . ولم يصل مدد لجبهة (حجلي) فخشي قائدها أن يفوته النصر وقد اقترب منه .

أخذا ابن مساعد يتفقد قواته فوجد أن الخسائر فيها كبيرة وأن الدائرة ستدور عليه إن استمر القتال علي هذه الصورة يوماً آخر ، فأرسل علي وجه السرعة من يطلب النجدة الكبيرة خوفاً من أن يدب الهلع في صفوف جنده أو تطول بهم الحرب فيعطونه ظهورهم ، وفي الوقت نفسه رأي آل عائض أن الذخيرة التي لديهم في أبها لاتمكنهم من استمرار القتال أكثر من بضعة أيام لتعدد الجبهات فبعث الأمير حسن بكتاب إلي الشريف حسين افتتحه بقول الشاعر :

لوكان سهماً واحداً لاتتقيه ولكنه سهم وثان وثالث

إننا نقاتل علي جبهات متعددة إذ أحاطت بنا الأعداء من كل جانب ، واستماتت في قتالنا ، وإن ذخيرتنا علي هذه الجبهات قد أذنت بالنفاذ ، وإن توحيد جهدنا علي جبهة واحدة بما بقي لدينا من ذخيرة سيمكن من اختراق أعدائنا في تلك الجبهات لقواتنا ووصولهم إلي مقرنا ، وأكثر ما نحتاج إليه هو الذخيرة فالبنادق عندنا متنوعة منها عثماني ، ومنها الألماني ، وبعضها ما أخذه جنودنا من أعدائهم أثناء المعارك كالإيطالي والإنكليزي ، وإنك لتعلم أن ما نصاب به من وهن سيكون أثره علي الحجاز ، وأنهم قد صوبوا قوتهم علينا ، وتواطؤوا علينا لإدراكهم أن احتلال بلادنا سيمكنهم من اقتسامها ، ثم تتجه نجد وتهامة =

= عليكم ، وأن ماتقدموه لنا من ذخيرة إنما هو قوة لكم ، وصدّ عنكم . وأن الوضع الذي نحن فيه من مجالدة خصومنا ، وإشغالهم ، وحشد قواتهم علي حدودنا ليمكنكم من الانتقام من خصمكم ، والوصول الي مقر أميرهم ، فقد خلت البلاد من مقاتلتها ، ولاشك أنها خطة تدركون أهميتها .

وحبذا لو أسرعتم بإسعافنا بالذخائر عن طريق القنفذة ، أو عن طريق النماص . ولكم الطريق الذي تختارون ، فنحن سنقاتل علي الجبهات كلها بقدراتنا معتمدين علي الله .

وصلت الرسالة الي شريف مكة فاجتمع بخاصته واستمروا يقلبون الطلب ظهراً لبطن ، وأدركوا أنهم إن لبوا طلب عسير أنهم قد دخلوا الحرب ضد نجد ، وهم يخشون ذلك ، فشبح كارثة (تربة) لازال يلوح أمام أعينهم . كما لاحظوا أيضا من طرف آخر أن سقوط عسير بأيدي قوات نجد يعني سقوط الحجاز في الأثر .

والشريف يريد أن يبقي علي الحياد ، كما طلبت منه بريطانيا . ويري الشريف حسين أن أبناءه في الشام سيعملون علي إنشاء قوة للانتقام من نجد ، فالحرب مع نجد أمر واقع لا محالة ، غير أن الوقت الحالي غير مناسب لوجود أولاده في الشام يعملون لتثبيت أقدامهم هناك ، فيريد أن ينطلق بهم مع شيوخ قبائل الحجاز لبناء ملكة ... وهذه آمال عراض جعلته في حيرة فأضاعت عليه الوقت وضن بما لديه من ذخيرة ليبقيها للوقت الذي يحلم به.. فلم يفعل شيئاً .

شعر آل عائض أنهم أخفقوا في طلبهم ، ورأوا أن عليهم الصمود والقتال ولو بالسلاح اليدوي ، وتوقعوا منذ أن بعثوا الرسالة أن ماديهم من ذخيرة لا يمكنهم من منازلة الخصم إلا لمدة وصول الجواب الذي يحتاج أياماً ، ولكن الجواب جاء بالاعتذار ، وفيه : إن طلبكم تتعذر تلبيته في الوقت الحاضر إذ وزعناه بين قواتنا وعندما يتوفر لدينا ، ونحن في صدد دراسة تأمينه ، وعندها سنرسل ما تحتاجونه إليه .

رأي ابن مساعد أن يقوم بحرب مباغتة فيداهم قوات عسير قبل انبلاج الصبح ، وينشر قواته في قري منطقة (حجلي) ليقاتلوا أهلها باستماتة في الشوارع والطرق فلربما يقذف ذلك في قوات عسير الرعب فيخرجوا من حصونهم فيطالهم دون أن تستطيع =

= المدفعية أن تفعل شيئاً لالتحام القوات بعضها مع بعض ، وقد خشي من إطالة مدة الحرب فتصل لآل عائض نجدات من الحجاز ، لما هناك من صلات بين الطرفين ، ولأن الحجازيين سيدركون أنهم إن لم يدعموا العسيريين فأن دورهم قادم . كما أن أمير نجد كان يستحث قائده لإنهاء مهمته إما بحرب وإما بصلح والعودة إلي الرياض ، حيث ترامت إليه الإخبار أن شريف مكة يعد العدة لمداهمة نجد مستغلاً خلو مقاتلتها منها ، وأن ابنه فيصلاً سيدعمه بقوة من الشام .

أمرعبدالعزيز بن مساعد أمراء ألويته بالتحرك نحو قري (حجلي) والظلام لايزال مخيماً ، فتقدموا مسرعين ، وانتشروا في تلك القري ، وقد أعطت قيادة عسير أوامرها بتمكينهم بالانتشار وبعد صلاة الفجر انقض العسيريون عليهم كالليوث المدافعة عن عرينها فالتحمت القوتان بعضها مع بعض .

كان ابن مساعد قد زج بالمعركة بثلثي جيشه واحتفظ بالثلث الباقي معه ليدخل المعركة في الوقت المناسب .

اشتد القتال بين القوات المدافعة والقوات المهاجمة ، واستمر القتل في النجديين حتي أمتلأت الطرقات بالجثث غير أن كثرتهم قد أبقت علي الكثير وتدافعوا في محاولة دخول المنازل والتحصن بها ، فلم يمكنوا من ذلك لشدة فتك العسيريين بهم ، وحاول عبدالعزيز بن مساعد الإسراع بمن معه ودخول المعركة ، ولكن الفجر كان قد انبلج ووضح النهار ، فانطلقت المدفعية تلقي بقذائفها علي المجموعة التي مع ابن مساعد ، وهذا ما حال دون إمكانية تقدمه .

وكان العسيريون قد أخذوا ألبسة قتلي النجديين . وهي (المرودنات) ولبسوها ، ولفوا علي رؤوسهم عمائمهم حتي لايظهر شعرهم المسدل فعمي ذلك علي من بقي من النجديين وظنوهم إخوانهم فلم يقاوموهم فانهال عليهم العسيريون قتلاً وذبحاً بأسلحتهم اليدوية (المعيرات) التي كانوا متمنطقين بها ، والتي يعرفون أنفسهم بها . كما كانوا يتعارفون بالانتساب لقبائلهم .

وجد ابن مساعد نفسه مضطراً للتقدم إلي ساحة المعركة والالتحام بمن معه مع =

= الخصوم خوفاً من أن تتداعي عليه القبائل العسيرية ويقع في قبضتهم فتذهب غزوته مثلاً فأسرع ومجموعة تحت قصف المدفعية واشترك بالقتال الذي استمر بقية يوم الأربعاء كله ، ونفذت الذخيرة التي بأيدى العسيريين ورأوا أنفسهم مجبرين علي القتال بالسلاح اليدوي وهكذا جاء تهم التعليمات من القيادة بأن يهاجموا الأعداء بقوة ودفعة واحدة بعد منتصف ليلة الخميس ، وأن يستمروا بالقتال حتي يعطوا إشارة الانسحاب فاقبلوا من الحصون والمعاقل وهم يرتجزون في (دمتهم) المعروفة بقول شاعرهم في المعركة (أبى شارة) مشجعاً لهم ومثيراً لهممهم .

إذا خلصت العدة　　　فاقبل بالمعيرة

وذا قفا منا فهو　　　عــار يعيـــره

حتي نكملي

لابتي مثل سيل تحدرا　　　من منصبي خيببي تندرا

يأخذ ماتوه ويعتلي

دفع العسيريون قوات ابن مساعد أمامهم في بداية الأمر ، واستمر القتال حتي قبيل غروب شمس ذلك يوم . وإن أخذت كفة ابن مساعد ترجح لاستعمال الرمي بالبنادق ، ولاذخيرة لبنادق عسير . ولكن كلما حاول التقدم ودفع العسيريين ردوه ، وبعد غروب الشمس جاءت التعليمات من القيادة بأمر الانسحاب ، وإخلاء (حجلي) والتوجه نحو مدينة أبها ، وذلك عن طريق إشارات متعارف عليها لديهم بالبوق .

توقف القتال ودخلت قوات ابن مساعد (حجلي) وانسحب العسيريون إلي أبها وخيم الهدوء علي المنطقة ليلة الجمعة .

تفقد العسيريون أنفسهم في أبها فوجدوا أنهم فقدوا (٨٥٣) ثمانمائة وثلاثة وخمسون رجلاً ، من بينهم سعيد بن عبد الرحمن بن عائض أخو قائد المعركة ، كما وجدوا بينهم (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون جريحاً من بينهم عبدالله بن عبدالرحمن بن عائض الأخ الثاني لقائد المعركة محمد بن عبدالرحمن بن عائض . =

= وتفقد ابن مساعد أيضاً قواته في (حجلي) ، وأخذ يعيد تنظيمها ، ويستقبل النجدات التي كانت تتوالي عليه ، ووجد أنه فقد (١٢٥٦٠) اثني عشر ألفاً وخمسمائة وستين قتيلاً وكذلك وجد (٤٢٨٠) أربعة آلاف ومائتين وثمانين جريحاً وكان جيشه قد بلغ قبل بدء المعركة (٥٥٠٠٠) خمسة وخمسين ألفاً .

بقيت قوات ابن مساعد مدة ثلاثة أيام وهي (الجمعة والسبت ، والأحد) يقومون بإلقاء جثث قتلاهم في الآبار إذ تصعب عملية دفنهم لكثرتهم كل في قبر ولكنهم أبقوا جثث العسيريين في العراء بعد أن أخرجوهم من بين القتلي وكانوا يعرفون أنهم يسدلون شعروهم ، كما يخضبون أكفهم بالحناء .

قرر ابن مساعد أن يقوم بالسير إلى أبها يوم الاثنين ليدخلها علي آل عائض ويحتل البلاد ، حيث يكون جنده قد أرتاحوا بعد المعركة .

كانت القيادة في عسير قد اجتمعت مع مجلس الشوري وتدارست موضوع متابعة القتال ، فوجدت أن ما استطاعت الحصول عليه من ذخيرة في هذه المدة لايكفيها سوي بضعة أيام من الحرب لذا رأوا أنه لاجدوي من القتال إذا لاتسمح إمكاناتهم من حيث السلاح وعدم توفر الذخيرة ، ووجدوا أنه من الأفضل محاولة التفاهم مع ابن مساعد وخاصة أن صلاحياته تسمح بذلك حسبما فهمامن الرسائل المتبادلة بينهم وبين أمير نجد ، ورأوا أنه من الحكمة إلا يبقي أهل أبها داخلها خوفاً من تعنت ابن مساعد أثناء التفاهم معه ومحاولة الانتقام بالبطش بالأهالي . لذا فقد أعلنت قيادة عسير للأهالي أن ابن مساعد قد يدخل عليكم مدينتكم ، وقد يتصرف جنده المعروفون بالجلافة والجهل تصرّف من لايُقدر عواقب الأمور ولايعرف للمسلمين حرمة ، فمن رغب من السكان الخروج من مدينته والالتحاق بالقري فله ذلك ، ومن يعرف أنه يمكنه الاستئمان من قوات نجد فيمكنه أن يطلبه وقد برأت ذمتنا .

ولكن الأهالي وجدوا لافائدة من الخروج إلي القري لأنه سينالهم البطش بعد حين والاستئمان لايفيد لأنه لا عهد لهم ، ولايعطي المعتدي أماناً إلا إن وجد قوة ، ومن هنا أصر السكان علي الدفاع عن مدينتهم ومقاتلة المعتدين ، ونظموا أنفسهم للقتال ، وانضم إليهم بعض القوات التي كُلفت بالمرابطة علي الجبال المشرفة علي أبها من الشمال والغرب والتي تُهدد المعتدين فيما إذا تعنتوا بشروطهم .

انتقلت قيادة عسير من (أبها) إلي (السقا) حيث ستكون مركزاً لتجمع قوات القبائل =

= العسيرية ، وكانت قد جمعت القيادة قبل انتقالها بالأسلحة من مدفعية وبنادق لم تعد صالحة في ساحة قصر (شدا) .

زحف ابن مساعد يوم الاثنين كما كان مقرراً علي أبها ولكن لم يتمكن من دخولها إذ صدته مدفعية عسير المتمركزة في (ذرة) و (شمسان) .، وكان ذلك رغبة من القيادة في إعلام ابن مساعد أن عسيراً قوية ولاتزال تحتفظ القيادة بسيطرتها علي البلاد ، ولايمكن أبداً أن يكون دخول ابن مساعد سهلاً وميسراً إن كان يتوقع ذلك ، وفي الوقت نفسه فإن قيادة عسير قد أوعزت للسكان في أبها بطلب التفاوض مع ابن مساعد وكان القصف المدفعي مستمراً ليتوهم قائد المعتدين أن طلب الأهالي بالمفاوضة لم يكن بعلم من قيادة عسير فيعطي الأمان ، ويتوقع أنه قسّم المقاومة وفرّق بين القيادة والأهالي فيتساهل أيضاً بشروطه ... وطليت عليه الحيلة .

بعث سكان أبها عبدالله بن سعيد بن نمشة إلي ابن مساعد وطلب منه المفاوضة من أجل الصلح ، ودخول أبها سلماً . وأعلم ابن نمشة ابن مساعد أن سكان أبها لديهم الإمكانيات الكافية للدفاع عن مدينتهم دون دعم من القيادة ، كما لديهم من التموين الشيء الكثير الذي يمكنهم من الحياة في أبها دون مساعدة مدة طويلة من الزمن ، ولكنهم لايرغبون في إراقة الدماء أكثر مما أريق . كما يري أهل أبها أن القتال بين القيادات يجب أن يبتعد عن المدن، وأن القيادات يجب أساساً أن تتجنب المدن .

وكان جواب ابن مساعد لابن نمشة : إننا لم نرغب بالقتال ، ولم نحب سفك الدماء ولا احتلال بلاد نأت من أجل هذا أو ذاك ، وإنما جئنا لنصرة الإدريسي الذي استنجد بنا بعد أن حشد له ابن عائض القوات لحربه والقضاء عليه ، وكذا فعل شريف مكة ، وابن حميد الدين في صنعاء . والآن مادام أهل أبها يريدون المفاوضة والصلح وليس لديهم الرغبة في القتال ، ولاشن الحرب علي الإدريسي لذا فأجمع أعيانهم وأت بهم إليّ كي نتباحث معهم علي وضع مدينتكم وتجنبها الحرب وحمايتهم ، وحماية أملاكهم ودورهم .

رجع ابن نمشه إلي أبها ، وحمل ما دار بينه وبين ابن مساعد إلي أعيان مدينة أبها ، فقرّروا أن يذهب إلي ابن مساعد كل من أحمد أبو هليل ، ومحمد بن عزيز ، ومحمد بن =

= حسن ممیش ، وعبدالله بن أحمد بن مفرح ، وعبدالله بن مسفر ، وأحمد هبيش ، وعلي بن عبشان ، وأحمد أبو عجمة ، وعلي بن خنفور فذهبوا إليه ، والتقوا به يوم الأثنين ٤ ذي القعدة ١٣٣٨هـ في (لعصان) من قري بني ربيعة بن مالك ، وقد رحّب بهم ، وأكرم وفادتهم ، وأخذوا منه الأمان وقد كتبه عبدالله بن راشد الخرجي ورجعوا به الي أبها ، وأمروا مفُرح بن إبراهيم وحيان أبو علايم بأن ينادیا بالأهالي للاجتماع في ساحة البحار مما يلي شدا .

فلما اجتمع الأهالي قرىء عليهم الأمان ، وجاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي آل سعود إلي أهالي مدينة أبها .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

« تعلمون بارك الله فيكم أننا لم نأت بلادكم لنروّع آمناً في سربه ، أو نُخيف رجلاً في أهله ، أو نذل عزيزاً في قومه ، وإنما جئنا لننصر المستضعف ولنرفع الظلم عمن أعتدي عليه ، وليس لنا من رغبة في حرب تراق بها الدماء وإنما كل ماحدث فالمسؤول عنه حسن وأعوانه فهم الذين جرونا إلي ما حصل لطمعه في الإدريسي ، وجوره عليه ، وحشده القوات للقضاء عليه الأمر الذي جعل الإدريسي يحتمي بالإمام عبدالعزيز ، فما كان من الإمام سلمه الله إلا أن بعثنا بعد مراسلات تمت بينه وبين آل عائض لينهي ما بينهم وبين الإدريسي عن طريق الصلح ، يحدد فيه حدود الإماراتين ، ويحترم كل منهم الآخر ، ولايحدث تعدٍّ غير أن حسن تعلل بأمور ركب فيها رأسه ، فلم يجد الإمام سلمه الله بداً من أنْ يبعث بهذه القوات المجاهدة التي كرمني بقيادتها ، وسرنا علي بركة الله بالرفقة وإعطاء الأمان لطالبه ، وكف جنودنا المجاهدين عن أذى الناس في قراهم وأوطانهم ، والتماس الأمور التي فيها صلاح الطرفين .

وأن وفدكم قد أتي يحمل إلينا رغبتكم بالأمان ، ويبدي ولاءكم ، وحباً منا في أن تكون الأمور كما يحب أهل عسير ، وليعلموا صدق نوايانا بعدم إراقة الدماء ، وأن مجيئنا لم يكن إلا لإنهاء مابين حسن وبين الإدريسي لذا فأنتم آمنون بأمان الله ورسوله ثم بأمان الإمام =

= عبدالعزيز سلمه الله علي أموالكم ودمائكم وأعراضكم ، وفي دوركم لاتمسون بأذي ، فعليكم كفّ مدافع قلاع آل عائض عن مواصلة الرمي فأن كفوا فالأمان علي ماهو عليه ، وإن استمروا فنحن في حل مما سيحدث "

والسلام

كانت مدفعية آل عائض المتمركزة بالجبال المحيطة بأبها مثل ذرة ، وشمسان ، والأدقال ترمي بقذائفها علي القوات النجدية لتحول دون تقدمها ، ولتفسح المجال للأهالي لإجراء الصلح وطلب الأمان .

وعندما قرىء الأمان علي من حضر من أهالي أبها بدا عليهم عدم الارتياح إذ أن إيقاف المدفعية عن القصف ليس من اختصاص السكان ... لذا فمنهم من رأي الارتحال عن أبها ، ومنهم من رأي استمرارالمقاومة ، ومنهم من رأي دخول البيوت بالسلاح فإن وجدوا تعديات من قوات نجد خرجوا عليهم يقاتلونهم يذودون عن حماهم حتي الموت . ثم اتفقواعلي إرسال وفد الي الأمير حسن يعرض عليه أمان ابن مساعد فإن وافق عليه أمر بإيقاف المدفعية وإن رفض خرجنا إليه لننضم معه لنتابع القتال حتي يحكم الله بيننا وبين الغزاة .

وكان ابن مساعد قد بعث أفراداً من المرتزقة الذين التحقوا به للانضمام إلي أهالي أبها وموافاته بكل ما يقولونه ، وإنه عندما نقلوا إليه أخبار سكان أبها وبقائهم بجانب آل عائض والرغبة بالالتحاق بهم أضمر لهم شراً ، وأسر في نفسه للانتقام منهم .

ذهب وفد أهالي أبها إلي الأمير حسن وعرضوا عليه كتاب أمان ابن مساعد فوافق عليه تجنباً لإراقة الدماء واعتقاداً منه أنه صادق ، وأمر المدفعية بوقف القصف والانتقال إلي جبل نهران ، وجبل ضمو ، وجبل غسان ، وجبل الخديلة وأعطي أوامره لأهالي أبها بملازمة بيوتهم إذا دخلت قوات ابن مساعد مدينتهم .

توقف القصف بعد أوامر حسن ، وأخبر ابن مساعد عن طريق عيونه بما تم فأمر قواته بالتحرك تحت جنح الليل الي المدينة ، وأمر بعضها أن يرابط في (لعصان) ويرابط بعضها الآخر في (المحارث) كما أبقي بعضها مرابطاً في بلاد شهران وذلك خوفاً من أن تكون خدعة من حسن . =

= دخلت جنود ابن مساعد المدينة كأسوا قوم دخلوا مدينة ، وذلك بعد صلاة فجر يوم الأربعاء السادس من ذي القعدة ، وقد فتكوا بالسكان ، ولم ينج إلا من قدر الله له السلامة فتسلل إلي خارج المدينة ، وبعد الفتك أتجه الغزاة إلي البيوت فنهبوها ، ولم تترك أيديهم إلا ما احتقروا من المتاع ، ولم يخشوا الله الذي يظهرون عبادته والدعوة لدينه فهتكوا الأعراض ، ولم يرعوا حرمة لأحد.

وأمر ابن مساعد جنده بجمع مخلفات الأسلحة ، وما تركه الهاربون لعدم وجود ذخيرة له ، وأخبر ابن مساعد أمير نجد بالأسلحة وطلب رأيه فأمر أن تحمل كلها الي الرياض فأرسلها ابن مساعد فيما بعد .

أبلغ ابن عائض عن طريق الذين هربوا من أبها إلي السقا حيث القيادة العسيرية هناك ، وأخبروه بما فعله ابن مساعد في أبها ، فتألم أشدّ التألم لتصرف ابن مساعد وجنده ، وطلب اجتماع القيادة ... فاجتمعت وأخذوا في تدارس الوضع ، وتحدث حسن عما منيت به أبها من نكبة تهون أمامها ما اقتطعه ابن حميد الدين من البلاد ، وما فعله الإدريسي من سوء في تهامة والأجزاء الغربية من عسير التي دخلتها قواته.

لقد وقع هذا نتيجة الحياة البيئية التي عاشها آل سعود في الكويت أيام سيطرة آل رشيد علي نجد وحياة الذل التي فرضها عليهم آل الصباح فنشأت عندهم روح الانتقام والرغبة في التشفي من الآخرين ، وليس بأصعب في الحياة من ذليل إذا تسلّط . وكذلك كان نتيجة أولئك الجهال الذين يدعون العلم حيث أعطوا الجنود هذا القتال صفة الجهاد ووصفوا لهم خصومهم بالكفر وأحلوا لهم دماءهم وأموالهم ونساءهم بل وعدوهم بالشهادة إن هم قتلوا وبالحياة السعيدة إن عاشوا في الآخرة لهم الجنة فانطلق البداة الجفاة غلاظ القلوب بعد ذلك في المدينة يعيثون الفساد وهم يظنون أنفسهم أنهم علي حق ، ويرضون إمامهم القابع في الرياض ينتظر نتائج ما يؤول إليه الوضع في أبها ، وختم حسن قوله بأن هؤلاء قوم استمرؤوا الظلم فلايصلح معهم إلا السيف والإخضاع بالقوة ليعودوا لطبيعتهم، وتعرفون أن إمكاناتنا غير مساعدة لنا أبداً من حيث الذخيرة وقد طلبناها من الشريف =

= بين وقت وآخر ولكن مع الأسف .. لم نظفر بحاجتنا ، وسعينا وبذلنا ، وأنشد :

سألتك أمراً كان فيه خلاصنا تأبيت عن أمري وأنت عليل
مصابي هذا اليوم يرديك في غدٍ بمخلب ليثٍ في مداه يطول
تعللت لكن الأماني كذوبة فدونك خطب - لوعلمت - جليل
فلا تسلم الأوطان يوما لنكبة وقد بان فما ترتجيه سبيل
أأصدي وهذا ما وددت وربّما تري ماتحاً يرويك وهو غليل
فلا غرو إن ليث أطاح بعاهل مقيل غداً « صبيا » كذا وجليل
فما كان عندي أنت تضمر مثله إذا اختلف الرأيان ذاك عليل

ثم أرسل حسن برسالة إلي ابن مساعد حملها إليه مفرح بن إبراهيم جاء فيها :

إن ما أصاب مدينة أبها لم يكن يتوقع من مسلم فكيف بمن يرفع شعار التوحيد ؟ وإني سأنزل إليك لعلى أصل معك إلي مايحول دون امتداد ما وقع في أبها من محنة إلي بقية المناطق ومنع وقوع مزيد من القتال ، فإن كنت عند حسن ظني ووفقنا إلي حل فذلك ما أريد وإن حال دون رغبتي التعنت فسوف أتوجه إلي إمامك لبحث ذلك معه .

نزل ابن عائض يوم ١١ ذي القعدة إلي أبها ، ووصل إليها مباشرة إلي المسجد لأداء صلاة الفجر فلم يشعر ابن مساعد إلا وحسن بجواره وانتبه إلي ذلك من كلام الحضور : ابن عائض .... ابن عائض ... فالتفت مذعوراً ... فأشار حسن بيده هون عليك فما جئت إلا لأضع نفسي مكان عسير فأمر مؤذنك بإقامة الصلاة والحديث بعدها .

ولما انقضت الصلاة أجتمعا معاً وكان مع ابن عائض ابن عمه عبدالله بن عبدالرحمن بن عائض ، ومحمد بن عواض ، وسعيد النعمي ، وحسن بن أحمد بن عبدالمتعالي ، وعبدالله ابن عمر البدلي ، وكان مع ابن مساعد عبدالله بن محمد بن راشد ، وفيصل بن حشر ، وحمود بن عمر ، واستمر اجتماعهم حتي الضحي وهم في نقاش حادٍ تكلم فيه ابن عائض عن بشاعة ما حدث ، وندد بما ارتكبه جنود نجد من وحشية في القري التي =

= استامنت إنما يدل علي ما في النفوس من حقد وسوء طباع ، وحاول ابن مساعد الردّ بأن كل جيش لابد من أن ينضم بعض العناصر غير الطيبة ، وهم الذين يسيئون إلي جميع من معهم ، وأجاب ابن عائض علي هذا بأن الأفعال القذرة كانت من معظم أفراد جيشكم . وإن جرّ عسير إلي قتال مع نجد لم يكن له بالأساس ما يبرره .، وأنت تدرك قيمة الروابط بين الأسرتين وقد تضمنت رسائلنا إلي عبدالعزيز ما رغبنا أن يكون قد أخذ شيئاً منه فقد تركنا له الأمر، وأنت تعلم ذلك ، وأن ما تذرعتم به من أمورٍ رأيتموها ضرورية لحربنا، وأشدها ما تزعمون انتصاركم للإدريسي ، وكنا نري الاتفاق مع عبدالعزيز علي ما يعود بالخير علي الدعوة السلفية بمحاربة أعدائها من متصوفة وغيرها ، وأنتم تعلمون أن الإدريسي من هذا النوع وهو خصم لنا ولكم من حيث المبادىء التي يعمل لها ، وليس أدلّ علي ذلك من تعاونه مع الدول الكافرة وجرها إلي المنطقة ، لتضرب موانيء عسير الآمنة ، وأن مراسلاته لكم لم تكن إلا من هذا القبيل ليوقع الحرب بينا وبينكم فيفسح بذلك المجال لنفسه بالتوسع ونشر ما يحمله من أفكار لا نقرها نحن ولا أنتم ، ويعرف أن الحرب بين عسير ونجد لم تكن سوي قوة له حيث يضعف الطرفان ويمكنه بعدها اقتحام عسير ولا يجد بعد ذلك من قوة تقف أمام أطماعه التي يعمل لها . فالادعاء أن الحرب بيننا كانت بسبب الإدريسي ليس إلا نوعاً من الحماقة . وطلب أخيراً إنهاء الحرب بين البلدين حسب ما كتبناه إلي عبدالعزيز ، فإن كنت تملك ذلك فها أنا قد جئت ، وان لم تملك فأنا في طريقي إلي الرياض ، وسلمني رسالة تتضمن ما دار بيننا من أحاديث .

فقال ابن مساعد إني لا أملك شيئاً مما تقول ، وأنه من الخير لكما وللأمة .

وفي هذه الأثناء كانت مدفعية آل عائض ترمي بشكل متقطع علي أطراف أبها لتدرك القوات النجدية أن إمكانية مقاومة عسير لاتزال كبيرة ، وأنه لم ينته شيء ، وكذلك تنبيهاً لابن مساعد حتي لا يفكر في إلقاء القبض علي ابن عائض ومن معه من رجاله فيلزم العسيريين بالطاعة له خوفاً علي قادتهم .

كتب ابن مساعد رسالة إلي عبدالعزيز أمير نجد ، وهذا نصها :

=

بسم الله الرحمن الرحيم

إلي حضرة جناب سيدي المكرم الأحشم الأشيم الأفخم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل سلمه الله تعالي وهداه ووفقه للعمل بتقواه آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكي وأشرف تحياته أما بعد :

فموجب الكتاب إبلاغ جنابكم المكرم جزيل السلام والسؤال عن ذاتك العزيزة . أحوالنا بحمد الله جميلة وتسرك ، وبعد فقد كتبنا لك خطوطاً شرحنا لك فيها أحوالنا وأخبرناك بما صار إليه أمر المسلمين ، والحمد لله علي ما تم الحال عليه ، ونسأل الله أن يولف بين قلوب المسلمين ويجمع كلمتهم علي الحق ، ويطفي الفتن ويزيل أسبابها وغيرخاف علمك الشريف أن الأمير حسن بن عائض شاف ما وصل إليه الحال فتذاكر مع جماعته أمر عسير وحل المشكل ، وكتب لنا الأمير حسن يخبرنا فيه إنه يرغب الاجتماع بنا للتشاور فيما ينهي به الحرب وتعود الأمور إلي ما يحب ، ولفي علينا ، ولما اجتمعنا صار الأخذ والرد بينا وبينه وأفهمته أن ما تكلمنا فيه ما عندي سنع في حله ، وأن هذا الأمر يكون التفاهم عليه من عند الإمام . وإن شاء الله ما يصير بينك يا حسن وبين الإمام إلا ما يرضي ، فقرر التوجه إلي ذاتك ، وطلبنا إرسال معه كتب بشرح الحال .

فهو واصلك وبعض رجاله ، وحطينا معه مركوبه لخدمتهم والقيام بواجبهم ، وهو ما يبغي إلا صلاح الإسلام والمسلمين . وإن شاء الله يتم كل شيء بسعود الله ثم سعودك . وهذا ما لزم إبلاغك به ويلغ السلام سيدنا الإمام المكرم وكافة العيال ومن لدينا المشايخ والإخوان ، وأنت في أمان الله وحفظه .

١٣ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ

ولدك

عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي

هيئت للأمير حسن كوكبة تضم عشرين من رجال ابن مساعد من أهل العارض بإمرة حلوان أحد موالي الأمير عبدالعزيز آل سعود بناء علي طلب ابن عائض وقبل مغادرته =

= مدينة أبها تحدّث مع ابن مساعد قائلاً : إن قواتنا ياعبدالعزيز ترابط في مواقعها التي خصصناها لها ، كما تشاهدونها ، وبقيادة عدة رجال من أمراء آل عائض وذلك لصد أو منع تسلل المرتزقة الذين اندسوا بين جنودك ، واختلطوا مع قواتك متعهم من أن يندفعوا إلي القري فيعيثون فيها فساداً كما فعلوا في مدينة أبها ، وقد أدي إلي ما حدث من صدام بينهم وبين الأهالي الذين رأوا أن الأمان الذي أعطي منكم لم يكن له حرمة مع هؤلاء فذهب ضحية ذلك من القتلي بين الأهالي ما يزيد علي خمسة آلاف قتيل معظمهم من الأفراد الذين تخلفوا أثناء ارتحال القوات العثمانية من أبها ، وهؤلاء قد اتخذوا الحياد مأمنا لهم من الطرفين فلم يشاركوا في الحرب ضد قواتك ، وهم مسلمون من الشام والعراق والترك يقومون بما أوكل إليهم من وظائف من قبلنا . فكن حريصاً علي ألا يكون هناك أسباب لإراقة الدماء . وقد أمرت أنا القادة من آل عائض أن يتجاوبوا معك ما دمت حريصاً علي كّف جهلة قواتك عن التعرض بالأذي لأحد . كما أعطيت مشايخ القبائل الخيار فيما يرونه من الانضمام إليك أو البقاء مع قبائلهم (وكان حسن قد أوحي لمشايخ القبائل سراً بوضع الخيار لهم ليأمنوا علي أنفسهم وعلي قبائلهم فيما إذا حدث أمر لم يكن في الحسبان سواء أكان لشخصه بالقتل أو عدم إمكانية الرجوع إذ خشي أن تحول بينهم وبين عودتهم رغبة تستجد عند ابن سعود أو يوحي إليه لتمكنه منهم ووجودهم عنده، وكذلك كان حسن قد أوعز لمشايخ القبائل المرابطة أن يعملوا ما يرونه مناسباً لوضع ابن مساعد في أمل الانضمام إليه ، وكانت رسائلهم فيما بعد متبادلة معه . وكان جواب ابن مساعد في أمل الانضمام إليه ، وكانت رسائلهم فيما بعد متبادلة معه) كان جواب ابن مساعد سنكون – إن شاء الله – علي ما تمليه الواجبات ونحن حريصون علي ألا نكون سبباً في تأزم الوضع بينك وبين الإمام .

توجه الأمير حسن ، ومن معه نحو الرياض ولما وصل إلي بلاد شهران أرسل أحمد بن علي ابن مطهف يطلبني أن أسير إليه لألتحق مع ركبه ، وأن يكون مكاني في مجموعة أبها شاكر بن فراج العسيلي .

توجهنا من بلاد شهران نحو بيشة ، وجعل ابن عائض قبل توجهه الي الرياض مجموعة كنت من بينهم لتبادل الرأي في الأمور التي قد تحدث في أبها . كما طلب من =

= ابن مساعد أن يدعو له مشايخ قحطان الذين مشوا معه الي نجد ليكلمهم أمامه فتردد ابن مساعد إذ لم يكن يدري ماذا يريد أن يكلمهم به غير أنه استفسر من حسن عن سبب ذلك فقال : إنهم قوتكم الآن والتي اعتمدتم عليها في حرب عسير ، وأخشي أمراً أن يحدث فأريد أن أكلمهم فيه فلم ير بُداً من الموافقة إذ ظن أن ما سيتكلم به معهم أنما هو مراقبة قبائلهم . فاستدعاهم ، ولما التقوا بحسن في رحبة شدا قال : أتعلمون قوماً جاءوا قوة مع عدوهم ليقاتلوا معه إخوانهم وعشيرتهم لمصلحته ؟

أتعلمون قوما جاءوا من منتجعهم ليعيثوا فساداً في مرابعهم بسنابك خيل عدوهم ؟

أتعلمون عدواً جاء مشرعاً رماحه بأيد ليطعن بها أصحاب تلك الأيدي ؟

أتعلمون لؤماً وصل بصاحبه ما وصلت به نفوس من تنكر لأهل دياره ؟

أتعلمون قبائل تخلت عن واجبها نحو حمي بلادها وجاءت لتستبيح ذلك الحمي ؟

ألم تكونوا بالأمس ترتادون منازل من تحاربون اليوم لأخذ براويكم وأعطياتكم ورؤوسكم شامخة؟

ألم تكونوا بالأمس تحاربون من كانوا يتربصون بكم الدوائر تحت ألوية عسير حفاظاً علي بلادكم ودفاعاً عن حماكم ، وتتسابقون براياتكم لخوض غمار الحرب تحت قيادة من يبعثه لكم أبي أو عمي ، وصرتم اليوم ضد هذه القيادات ؟

ويحكم ما بالكم اليوم تنكرتم لما كنتم بالأمس ترونه واجباً عليكم ؟

أما أن لكم أن تراجعوا أنفسكم وتحملونها علي كره ما تحبون اليوم وترتفعون بها إلي ما كنتم ترغبون به بالأمس ؟

أما تخشون العار أن يُسود به جبينكم إذا دوّن التاريخ فعلتكم التي أجرمتم بها في حق بني عمومتكم الذين تقاتلون الآن ؟ وسيتخلي عنكم غداً من تقاتلون معه اليوم بعد أن يوطد بأيديكم سلطانه ثم يُسلمكم للسيف بعد أن ينهي بكم هدفه .

كان بإمكانكم الحياد حرصاً علي داعية قحطان حيث أنكم لستم بملزمين بالوقوف إلي جانب هذا أو ذاك . وأنتم القوم الضارية في نجد ، وظهيركم بنو عمومتكم في عسير =

= وكنتم كما قال الشاعر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وأن ترشد غزية أرشد

إن قتالكم بجانبه إذلالٌ لكم ، وستعلمون غداً إن تم له الأمر .

وأنتم تدركون في قرارة نفوسكم أن حربكم من ابن سعود ليس له ما يجلي عنكم اللوم إذا ألقت الأيام وزرها فنجد وعسير أهلها من المسلمين . ثم انصرف حسن إلي ابن حشر وابن عمر وقال لهما : هلا كنتما كأبويكما حينما أمرهما فيصل بن تركي أن ينضما بقبيلتيهما في قوات الترك وقواته بقيادة أخيه جلوي إلي غزو عسير فرفضا ذلك ، وقالا : إننا نخشي العار ونكون سبه في قحطان إذا علموا أننا حاربنا بني عمنا في عسير ، فرفضنا الاشتراك . وقالا : إننا علي أستعداد للتوجه إلي جهة عسير فإننا جزء منها . وطلب عبدالله بن راشد وهو العمدة في الفتوي والتوجيه وإثارة الحماسة من ابن مساعد أن يسمح له بتولي الرد . فسمح له لأن ابن مساعد غير قادر علي الرد فهو أمي حينذاك ، وليس بقادر علي الكلام ، وقد تعلم الكتابة فيما بعد ، بل أشار إليه بمقاطعة حسن والكلام فقال ابن راشد : أقصر الكلام يا حسن ، إنكم يا آل مرعي قد خرجتم عما كان عليه أسلافكم من جدك محمد ومن كانوا قبله ، كانوا مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب سيوفاً مصلتة قهر الله بها الأعداء ، وأذل بها الطغاة ، وكانوا ردءاً للمسلمين في نجد ، وحماة للعقيدة بعدما تكالبت الجبابرة بجيوشها الجرارة علي مقرّ الدعوة في الدرعية وما يتبعها من بلدان حتي قضي الله أمره ، ونالوا أجر الصابرين ، والمؤمن مبتلي في ماله ونفسه ﴿ **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال * فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام** ﴾ فاستعان أهل نجد بالصبر ، وقاوموا الطغاة المارقين ، والمعتدين المشركين ، والتفوا حول الأئمة من آل سعود حملة راية الجهاد في سبيل الله ، ولازال أهل نجد يقاتلون تحت ألويتهم المنصورة لايضرهم من خذلهم حتي أظهر الله دينه علي يد الإمام عبدالعزيز فطهر نجداً من الظلم والبدع والتعسف من قبل المتسلطين من أتباع الأتراك المشركين والنصاري الكفرة الذين ينتفي الإيمان بموالاتهم ، وجعل الله عزّ وجلّ الركون إليهم في أمر من الأمور طريقاً مؤدية إلي النار لقوله =

= جل شأنه ﴿ ولا تركنوا إلي الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ والظلم هو الشرك ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

وجعل الله يا حسن في أسلافكم عزاء في مصيبتنا فقاموا بما أوجبه الله عليهم من نصرة دينه ، وانتقاماً لأهل نجد ، فانبروا لقتالهم ودحرهم حتي تمّ عليهم ما تم علي أهل الدرعية ، وبسط المشركون يدهم علي هذه البلاد ، ونشروا فيها الفساد والشركيات والبدع حتي صارت مشابهة بلادهم في كل ما يرتكبونه . وصرت يا حسن لهم تبعاً ، ولم تسلك ما سلك أبوك وعمك اللذان سارا علي طريق أبائك فجررت البلاد والعباد إلي معاضدتهم ، وهذا يعتبر منك ركوناً إليهم واستكانة لهم ، وقوة يقاتلون بها المسلمين حتي استطال بك الغرور ، وهانت عليك حرمة المسلمين . فقمت بمحاربة جارك ابن إدريس ، ولم ترع حق الجوار وقد أزال الله دولة الشرك والكفر الأتراك الذين وقفتم بجانبهم ، ولم تجرؤوا علي رفع السلاح في وجوههم كما فعلتم مع ابن إدريس وقد بسط يده علي تهامة وأزال الله سلطانهم عنها وهي تحت يده الآن ، فوجبت له المناصرة لا المحاربة ولما اشتد ظلمكم له وتعرضكم لبلاده استنجد بإمام المسلمين فأنجده بنا فنحن مدافعين عنه والممكنين له ، ونحن الآن تحت تدبير الإمام فإن أمرنا بقتالكم فسيوف أهل الجهاد لازالت تقطر من دمائكم وإن أمرنا بالكف كففنا وسيوفنا علي عواتقنا وأنتم ذاهبون إليه وشاخصون بين يديه ليأمر فيكم بأمره ويعاملكم بما هو أهل له لا بما أنتم أهل له ، فعليكم إزماع السير فقد هيئت إليكم الركاب والأصحاب ، وأن لله أمراً سيقضيه .

كان ابن راشد يتكلم وقد التف الإخوان حول شدا وهم يهللون ويكبرون ويجهشون بالبكاء ، ويستعجلون ابن مساعد للمسارعة في مواصلة الجهاد ويطالبون بقتل حسن ومن معه .

أما حسن فكان يسمع ما يقال ويري ما يدور وعيناه شاخصتان إلي ابن راشد متعجباً من أن يكون هذا الكلام من هذا الرجل الذي يحمل صفة الإسلام ، وكيف استطاع ابن سعود أن يجذب إليه أمثال هذا الرجل المتفيقه ويسخره لأطماعه والتأثير علي هؤلاء البداة الأجلاف الذين احتوشهم إلي حظيرته بمثل هذا الرجل . وقال مخاطباً له : =

= كنانتي جادت بالسهام بما حوت ولو أنها درت رميت بها خصماً

ثم انصرف حسن بوجهه إلي ابن مساعد وقال له : إن ابن سعود لذكي إذ عرف كيف يُسخر هؤلاء بمثل هذا ليضرب بهم من يقف في وجهه .

ثم طلب حسن من ابن مساعد أن يكتب إلي الإدريسي بأن يكفّ عن التحريش بقواتنا في الغرب ، وقد أمرت قائد قواتنا علي بن مشيبة بالتوقف ، وهذا كتابي إليه ، وسأرسله الآن مع عبدالله قدح .

كان حسن قد كتب إلي شريف مكة قبل أن ينزل إلي ابن مساعد يخبره بما قرره من النزول ويعلمه أن الوضع في عسير لايتحمل مقاومة يوم واحد بسبب نفاذ الذخيرة وإن سكوتك سيغريه به وأري إشاعة قراركم بالزحف علي نجد لعل ذلك يثني عزمه عما تحدثه به نفسه نحونا فلا يتخذ من مجيئنا فرصة لاحتجازنا ولايأمر قواته في عسير بالتحرك إلي بقية مدن وقري عسير ، وإن ذهابي إليه مما تقتّضيه مصلحة الحجاز[وعسير لم تكن هذه الأحداث خافية إذ تناولتها الصحف في مصر والشام والعراق وتركيا والبلاد الأجنبية وقد نددوا بفعله إذ اقتحم إقليماً مجاوراً له حكومة قائمة ومعترف بها ، تعدياً وظلماً ، وقد أرتكبت قواته في أبها وفي كل ما مرت به من فظائع تدل علي همجية .

كان ابن مساعد قد أمر جزءاً من قواته لترابط في رانية ، وتربة والخرمة ، وبيشة عندما مرّ علي تلك المدن ودخلها ، وجعل تلك القوات بإمرة خالد بن لؤي في الخرمة ، وابن ثنيان في بيشة ، ولكن عندما زحف من خميس مشيط إلي أبها كانت قوات آل عائض من قبائل غامد وزهران وخثعم وشمران وبنى القرن وبني عمرو ، وبني الحارث قد تمكنت من إجلاء القوات النجدية من تلك المراكز التي كانت ترابط بها ، ففر ابن لؤيّ الي الرياض ، والتحق ابن ثنيان بابن مساعد فوصل إليه في التاسع من شهر ذي القعدة ١٣٣٨ هـ .

ووقفت قبائل بيشة علي الحياد بين الطرفين فلم تنحاز إلي أحد الفريقين إلا من اتخذ الارتزاق وسيلة له فدخل في جيش ابن مساعد .

وبعد أن اتجه الأمير حسن إلي الرياض بيومين أمر ابن مساعد فرقة من قواته بإمرة ابن ثنيان بالتوجه إلي بيشة والتمركز فيها ومحاولة التقرّب من القبائل لشدّها إلي جانب نجد . =

= توجه الأمير حسن ومن معه إلى الرياض عن طريق بيشة ، فلما اقترب من بيشة استعدّ أهلها استعداداً كبيراً لاستقباله والاحتفال به وهذا ما أغضب ابن مساعد وقرر وضع قوات من جنده لتتمركز في هذه المدينة إذ أعلنت قبائلها أنها على الحياد على حين أن استقبالها لابن عائض ذلك الاستقبال ليدلّ على أنها مع آل عائض بكل إمكاناتها ، وما أظهرت أنها على الحياد إلا لتنجو من بطش قوات نجد .

مكث ابن عائض يومين في بيشة ثم تابع رحلته عن طريق رنيه ووصل إلي الرياض في أواخر شهر ذي القعدة من عام ١٣٣٨هـ . فاستقبله أمير نجد وإخوانه والمشايخ . وكان استقبالاً لائقاً وأنزلوه في منزل قصر فيصل بن تركي المعروف بـ (الديوانية) .

شدّد أمير نجد الحراسة علي ضيوفه فلم يكن بإمكان أحدهم الخروج دون رفقة مراقبة ، كما كان من الصعب زيارة أحد لهم من غير صحبة مخبرين ، كان الضيوف العسيريون يرغبون الاطلاع علي أحوال المنطقة وآراء رجال عبدالعزيز الذين حوله من مشايخ وأعيان ثم تفكير عامة الناس في الحروب التي يخوضونها ، ويجنّدون فيها ، غير أن هؤلاء الضيوف لم يتمكنوا من ذلك حيث كان مع كل حركة رقيب ، وعلي كل نفس مرافق ، وفي كل لقاء حضور يبثهم الأمير ، وهذا ما جعل ابن عائض ومن معه يدركون أن هناك نوايا غير حسنة من قبل الأمير عبدالعزيز ، ويحاول أن يجد المبررات ليبطش بهم أو يحتجزهم فيحول دون عودتهم هذا في الوقت الذي كان فيه أمراء آل سعود والمشايخ يتداولون علي دعوتهم وإكرامهم .

كتب عبدالعزيز الي ابن مساعد كتاباً يطلب أن يقبض علي بقية آل عائض بوسائله الخاصة وبأية وسيلة كانت ، وأن يرسلهم إلي الرياض جميعاً . غير أن ابن مساعد قد أجاب : أن الوقت غير مناسب فآل عائض تحيط بهم قوات متحصنة بأطراف أبها وخاصة علي مرتفعاتها الغربية ، وأن العسيريين متمسكين جداً بآل عائض وملتفين حول قاعدتهم ، وهذا ما يصعب التصرّف معهم ، ولابد من ملاينتهم في بداية الأمر حتي نجد الوسيلة الناجحة لنا ، هذا مع العلم أن ابن إدريس قد بدت تظهر عليه علامات التغير بالنسبة لنا ، إذ يريد أن تكون عسير له ، ولايريد أن تكون تحت نفوذنا ، وقد كتب لنا أنه يريد أن يبعث بقوة الي تهامة ليتسلم أمر أبها من قواتنا ، كما يطلب أن يحمل آل عائض الذين في الرياض إلي صبيا مباشرة ويرغب في أن يتسلمهم شخصياً ، ويطالب باستلام جميع الأسلحة التي كانت في أبها والتي نقلت إلي الرياض حسب طلبكم . =

= وأن ابن حميد الدين قد دخلت قواته إلي عسير من الجنوب في الوقت الذي كانت المعارك تدور بينا وبين قوات آل عائض واستولي علي صعده ، ونجران وبلاد سنحان ، وأن قواته الآن متمركزة في سراة عبيدة وكتبنا له نطلب منه التراجع إلي صنعاء ، وقد لمناه علي ماتصرف به ، فكان ردّه قاسياً إذ طلب منا بالارتحال عن عسير ، فإنه أولي بها منا محتجاً أن حكامها قد مكر بهم وخدعوا ، وبعد ما قمنا به من سير إلي عسير ليس إلا اعتداء وغزواً ، وكأنه يرغب أن يقول أن يبقي كل منا علي ما وضع يده عليه ، فلنا أبها وما حولها وبلاد شهران وله صعده ، ونجران وسنحان وبلاد قحطان ، ويشير إلي أن ما استولي عليه الإدريسي من سواحل عسير إنما هو من أملاك اليمن .
وقد أمرت الشيخ عبدالله بن راشد قبل وفاته بسبب إصابته في (حجلي) - رحمه الله - بنسخ كتاب ابن حميد الدين وإرساله إلي ابن إدريس وذلك في سبيل الإيقاع بين الطرفين ، وأن يلتفت كل منهما إلي الآخر ، وليخفف الإدريسي من أطماعه ومن نظرته إلينا ، كما طلبت من ابن إدريس أن يوُجه كتاباً إلي ابن حميد الدين يطلب منه ترك ما دخله من عسير ، وأن يدّعي حقه في عسير . ويبدو أن ابن إدريس فعلاً قدخفّت أطماعه في الذي كان يطالبنا به ويكتب لنا من أجله ، وحرر كتاباً إلي ابن حميد الدين يطالبه بالجلاء عن أرض عسير ، ووجه قوةً له إلي الحديدة ليشاغله من هناك ، وليدرك ابن حميد الدين أنه جاد فيما يقوله ، وأنه علي استعداد للقتال ، وليعلمه أن ابن حميد الدين غير قادر أبداً علي مواجهة تهامة ونجد معاً وأن قواته في مواجهة الطرفين فقوات تهامة في الحديدة ، وقوات نجد في عسير وجاءنا جواب من ابن حميد الدين فيه تهديد ووعيد إن لم نترك عسيراً . فأرسلنا له جواباً سفّهنا فيه رأيه ، وبعثنا له بنسخة من كتاب الإدريسي لنا ودعواه في عسير ، فإذا كان كلاكما يطلب عسيراً فإن حرباً ستقع بينكما ، وستكون طاحنة ، وستسفك فيها الدماء ، ونعمل نحن علي وقف سفك الدماء . كما أوضحنا أن ادعاءه في عسير خطأ ، وأن قوله أن عسيراً جزء كذب ، فإن اليمن هي جزء من عسير ، وقد كانت تتبعها فيما مضي ، وبرهنا له علي صحة قولنا برسائل أئمة صنعاء التي كانوا يبعثونها إلي آل عائض وأسلافهم يطلبون فيها منهم الدعم ، ويعلنون فيها طاعتهم وقد وجدنا هذه الرسائل في رفوف مكتبة شدا . وأخيراً كلمناه بشدة وأفهمناه أن تهديده مردود عليه ، وأنه بإمكاننا دخول صنعاء وحمله إلي الرياض مكبلاً ذليلاً ، وسيكون هذا إن لم يكف عن صراخه ، وإن لم يتراجع عن أرض عسير . كما علمنا أن هناك قوات =

= الشريف متمركزة في مدينة (حلي) ، وفي (القنفذة) ، و(الليث) ، و (بارق) وهي بقيادة عبدالله الفعر ، ويزعم أن هذه المناطق تتبع مكة وأن آل عائض قد استولوا عليها في الماضي بالقوة . وكتب لنا كتاباً جاء فيه : إن ما أحرزتم من نصر قد سرنا ويجب أن نكون علي وفاق ، وحبذا لو أبلغتكم قواتكم أن تقف عند (حلي) و (بارق) كي لايحصل صدام بينكم وبين قوات سيدي الشريف ، وأبدي لنا استعداده لإزالة الشريف من تهامة . ويشير إلي أن ميناء (الشقيق) سيكون الحد الفاصل بيننا وبينه. وسنرسل إليكم خطابه .

وقد شغل الآن مع الإدريسي وإن كانت قواته لاتزال في المناطق التي دخلتها .

وأعلمك أنه تدور عندنا شائعات عن تحركّ قوات من الحجاز نحونا تريد دعم آل عائض ، وهناك من يقول أن قسماً من قوات الحجاز سيتجه نحوكم ثأراً منكم مادمتم مشغولين في عسير وانتقاماً منكم لتتركوا عسيراً وشأنها ، وربما تصل إلي نجد قوات من الشام .. فأرجو من إمامنا أن يكونوا علي حذر من مكر الأعداء ويقظة من خبث الشرفاء .

ونفيدك أن الإخوان قد تضجروا من عسير ، ورغبوا في تركها ، ويطالبون بالجهاد بالحجاز أو اليمن أو العراق وعُمان وما بينهما ، وتعرف سلمك الله طبيعة البادية لايرغبون استقراراً في غير نجد ، ونخشي أن يتفلتوا من أيدينا ، ونجدهم يطرون تثليث ومناهله ومراعيه ، ونخشي من تطبيق المثل ، تحنّ وعينها بتثليث . كما لايخفي نظركم الكريم حالة حربكم مع ابن رشيد ، ومكايد ابن صباح ، والأمر يحتاج إلي تروي وحكمة وهذه صفات إمامنا ، والشيء الذي لم ندركه اليوم ندركه غداً .

يري الخادم ملاطفة من عندك من آل عائض وألا تشعرهم بشيء ، وإذا اعتزمت احتْجازهم عندك ، فأملنا أن تكون بطريقة حكيمة ، ووجهّنا فيها .

وكان حسن بن عائض قبل أن ينزل إلي ابن مساعد قد اختار عدداً من الرجال العاديين الذين يثق فيهم ، وطلب منهم أنه في حالة سفره ومن معه إلي الرياض ، أن يعملوا للرحيل إلي نجد باسم تجار والتوجّه إلي الرياض ، والتعرف علي المسجد الذي نصلي به ، ومحاولة الالتقاء بعامة الناس والسماع منهم ، وتسجيل كل مايسمعونه ، والعمل علي توصيل ذلك إلينا بأية صورة من الصور ، وكانوا يلتقون بنا في المسجد أثناء =

= آداء الفريضة ويضعون تحت الحصير المعلومات مكتوبة ، ويشيرون إلينا بذلك .

استمرت الأحاديث بين عبدالعزيز آل سعود وبين آل عائض حول الوضع في عسير وكل يضع اللوم علي الآخر . ويقول ابن سعود : نحن ما نرغب في أحد ، ولكن استنصرنا ابن إدريس ونصرناه ، وأن الأمور ستعود إلي ما كانت عليه ، وكما تحبون ، وأن عسيراً هي بلادكم من قديم الزمان ، وصمم عبدالعزيز أن يمنع عودتهم ، إذ رآها فرصة مكّنته من إخضاع عسير بوجودهم في قبضته ويزج بقواته لدعم ابن مساعد لتصفية من بقي منهم، وأعوانهم ، واقتياد الإدريسي إلي الرياض أيضاً ، ومجابهة ابن حميد الدين بقوة تمكن ابن مساعد من إزالته غير أن أخباراً ترامت إليه مما نشرته الصحف خارج الجزيرة نددت باحتجازه لآل عائض ، وعدتها جريمة ، واتخذت صحف مكة من ذلك مجالاً للطعن بتصرفات قادة نجد .

وهذا ما جعله يتردد في أمر مكّن منه ، وما يجبره عليه الواقع الذي لايعلم نتائجه فالشريف في الحجاز وآل رشيد في صراع معه ، وابن الصباح يضع الدسائس لإضعافه، ومشايخ عشائر نجد يريدون تحويل الجهاد إلي الشرق ، وبقية آل عائض تتبعهم عسير .

ورأيت أن حسناً ومحمداً يشعرون أنهم تورّطوا بالمجيء إلي الرياض ، وأنه كان بإمكانهم إرسال وفد بدلا منهم ، وهذا ما كان قرره مجلس الشوري . ولكن حسناً أصر علي الذهاب بنفسه لدراسة شخصية عبدالعزيز ، كما فعل مع الإدريسي عندما نزل إليه .

طلبت من ابن زيد أن يبلغ عبدالعزيز رغبتي باللقاء به بصفة خاصة ودون علم أحد فوافق ، واجتمعت به ولم يكن سوي ابن زيد ، فحدثته بالظروف الراهنة واقتراحت عليه أن يتفق مع حسن علي إرسالي أنا وأحمد بن عبدالله بن مفرح إلي عسير ونري رأي مشايخ القبائل برغبتهم إما بآل عائض وإما بعبد العزيز ، وما يراه المشايخ يقبله الطرفان ويعدانه نافذاً ، ومن الأفضل ألا يعلم حسن أن لقاء قد تم بيني وبينك قبل هذا . فوافق عبدالعزيز وطلب حسناً وعرض عليه الاقتراح حرصاً علي أرواح الناس ، فقبل الطرفان =

= ثم أشار عبدالعزيز إليّ والي ابن مفرح ، وقال :يا حسن اقترح أن يقوم هذان الرجلان بهذه المهمة ، وهما من خاصتك وأقرب الناس إليك ، فوافق حسن ، وأمرنا أن نهيىء أنفسناً للسفر من يوم غدا أي في ٢٦ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ .

أعطي عبدالعزيز أمره لابن زيد بتجهيزنا فتباطأ ابن زيد حتي مضت ثلاثة ، ويبدو أن التأخير كان بأمر من عبدالعزيز ريثما يُعد كتاباً ويبعث به إلي ابن مساعد ، ويصل إليه قبل وصولنا إليه ، وهذا ما أستنتجته عند مقابلة ابن مساعد .

التقينا ببعض أعيان المنطقة ، ووقعوا علي مذكرة أعددناها بعد أن ترددوا علي التوقيع بل إن بعضهم قد رفض ذلك ، إلا أنني أفهمتهم بشكل خفي أن الهدف من التوقيع إفلات آل عائض من قبضة عبدالعزيز بإظهار الولاء له في هذه المذكرة . وهذا ما ذكرهم به حسن فيما بعد ، بعد عودته ، ولم يعلم حسن – رحمه الله – بما تم – ثم تم الصلح بعد عودتنا علي الحدود بينهما وعلي التعاون بالخير لسكان البلدين ، ولم يلتفت عبدالعزيز إلي المذكرة وقال : يا حسن لن اتخذها وسيلة وإنما أبغي وحدة الصف والكلمة . فقال حسن : إن من صلحت سريرته صلحت سيرته ، وينبغي أن نكون كما قلت ويجب أن يبرهن علي ذلك باتفاق يكون بيد كل واحد منا نسخة ، يقيد بها ، ويُطالب بما جاء فيها . وكان ابن عائض حريصاً علي أن يحصل من ابن سعود علي كل شيء يُويد حجّته .

وعمل وثيقتين علي الاتفاق وقع عليهما ابن سعود وابن عائض وشهد عليهما جماعة من كلا الطرفين ، وكان من بنود الاتفاق .

١ – انسحاب قوات ابن مساعد من عسير .

٢ – تعويض الأهالي الذين نهبت قوات نجد دورهم في أبها والقري الأخري .

٣ – التخلي عن دعوي مناصرة الإدريسي ، علي اعتباره أنه رجل دخيل في المنطقة مكّن له من قبل الطليان الكفار ، بغية إشغال اليمن وعسير والحجاز وعدم الالتفاف حول العثمانيين ، وجهاد الكفار .

٤ – إبقاء ممثلين لعبد العزيز في أبها . وعدم تدخلهم في شؤون عسير . =

= **عودة آل عائض** : رجع آل عائض إلي أبها بعد أن مكثوا في الرياض ما يقارب من ثلاثة شهور . وكتب ابن سعود لابن مساعد كتابين يستحثه فيهما علي العودة بقواته إلي الرياض ، وإبقاء طارفة تمثله في أبها ، يربط أمرها بأحد ثقاته ، كما يخبره برسالتيه بما تم بينه وبين آل عائض من اتفاق وأنهم عائدون إليه بتاريخه . ويطلب منه أن يلزم الطارفة بأوامر حسن .

توجّه ابن مساعد من أبها نحو الرياض بعد وصول رسالة ثالثة إليه من إمامه في أواخر شهر صفر بعد أن عينّ العقيلي أميراً علي الطارفة بناء علي أوامر الإمام عبدالعزيز .

وبعد أن وصل حسن إلي أبها ظهرت المدينة والقبائل بعرضاتهم لاستقباله ومن معه ، ودخل قصر (شدا) واستقر فيه ، وكان الإخوان قد دمروا الفرقة ، وطاش قشلة (بناءان أنشا لقيادة الأتراك) بحجة أنهما بنيا بأيدى المشركين ، اما قصر (شدا) فكان مقراً لأمراء آل عائض وأسلافهم .

عقد حسن عدة جلسات لمجلس الشورى لتدراس مستقبل البلاد وذلك في بلدة « السقا » وناقش مشايخ القبائل الذين وردت إلي ابن سعود رسائل باسمهم لتجلو له حقيقة الأمر ، وفاتحهم بقوله : أنكم لتعلمون أنكم تمثّلون قبائلكم ، وأن تهاونكم في أمر يتعلق بكرامة هذه البلاد يعدونه خيانة منكم ، إذ يرون أنهم قد أسلموا لكم القيادة ووضعوا فيكم ثقتهم ، وإن كل شيخ منكم يعّد قوة مرابطة علي ثغرٍ من ثغور عسير ، وتعلمون أن العدو إذا مكن من دخول ثغر من هذه الثغور فدخلها سوف ينفذ منها إلي غيرها ويعيث فساداً ، وهذا أمر لا يقرّ ، فإنه يجب حماية هذه البلاد التي عاشت قروناً ، وهي نجدة لغيرها من الجوار ، يستمدون منها القوة لرفع الظلم عنهم ، وأمنت فيها سبل الحجيج ، كما أمنت فيها قوافل التجارة بين اليمن والحجاز والشام ، وبين السواحل ونجد ، وعلينا أن نحافظ علي ما كانت عليه ، وهو واجب علي كل منا ، وإن اقتحام أيه قوة لجزء من هذه البلاد والسيطرة عليه ليؤدي الي مفسدة إذ أن لهذه البلاد تقاليد وأعراف وعادات انبثقت من المفاهيم الإسلامية جعلت البلاد عامةً مترابط بعضها مع بعض ، وإن ما جرت عليه من أعراف يجهل المتسلطون عليها خيرها وفائدتها ، إذ لا تنسجم مع مفاهيمهم حيث لاتصل إليها =

= مداركهم علي اعتبارهم أنهم قد عاشوا حياة تغاير ما يعيش عليه أهل هذه البلاد .

وتعلمون ما حدث ، وأدركتم ما عليه القوم أثناء وجودهم في أبها ، وقد ساقوا إلينا أجلافاً ، شحنوا فكرهم بكفر غيرهم ، ثم دفعوهم في وجه الناس ، وإن الجاهل في ذمة العالم . إن هؤلاء ولوبقوا في البلاد بفعل القوة التي وراءهم وتمدهم بالمال والسلاح لعشتم حياة الذلّ والهوان والفقر والحاجة ، ولتمني أحدكم أن يكون بطن الأرض مقراً له فهو خير له من ظهرها .

فما حدث من بعضكم من مراسلة لابن سعود تطلبون منه أن تكونوا تحت سلطتة وترغبون منه إبقاءنا في قبضته لم يكن ذلك لتغفره قبائلكم حيث تأنف النفوس الأبية منه فلا تقبل الخضوع لعدو يقتحم ديارها فيذلها ، والله سبحانه وتعالي يقول : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون** ﴾ [سورة النمل ٢٧] وأفسدوها تعني يغيرون من طبيعتها ويسلبون من أهلها عزّتهم شأن الباغي ، فليس هناك من مقتحم ديار ليعز أهلها .

تعلمون أني قد أكرهت نفسي وخاطرت فيها بالنزول إلي ابن مساعد والانطلاق إلي الرياض ، ولم تؤيدوني في ذلك حفاظاً علي وحدة البلاد ، وشدّ البلاد إلي مركز قيادتها ، ولكن أقدمت علي ذلك لما وجدت أن وضع البلاد يتردي من وقت لآخر لنفاذ الذخيرة وليس من مصدر لها علي حين يفوقنا خصمنا بما مكن منه والاستمرار بحربه والحال ما ذكر يعّد مغامرة كمن ينازل الفارس المسلح بالهراوة ، أو صاحب البندقية بالمناظفة ، فرايت أن ما فعلته كان من باب الضرورة والاستطلاع .

فنحن الآن مجتمعون لتقرير ما نراه فلست مستبداً برأيي دونكم ولا مقدماً علي قرار من غير موافقتكم عليه ، فعسير الآن مستشرفة كل قد تحفز للوثوب عليها ، وقد غرس أمير نجد براثنه في عجيزتها ، والإدريسي يتربص بعد أن جرّ لنا ولنفسه شراً فذئب نجد وذئب تهامة وقعاً في مراغة يتحاثيان التراب علينا . وابن حميد الدين غدا ككلب الفرس يترقب متي تكبو فيعمل نابه فيها أو كسبع الغبشة يتربص بصيدته الظلام ، وجانب آخر متطلع ورجله في الشرك ، ونحن اليوم كمن يركب سفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، إن حزمنا أمرنا وشددنا عزمنا سيطرنا علي قيادتها برفق، =

= وإن تراخينا أخذ بنا الدوار إلي التهلكة ، وليس أمامنا سوي المواجهة أو الاستسلام .

إنكم تعلمون أننا لا نعاني نقصاً في الرجال ، ولاضعفاً في النفوس فأبناؤنا معروفون بشدة الشكيمة وقوة الهمم والاستبسال والثبات في غمار الحرب ولكن الذي يجعلنا في حيرة أن السلاح الذي معنا متنوع ، وذخيرته غير متوفرة ، وماكان قد نفذ ، وما بقي منه لايمكننا من شيء ، فمن كان في شرقنا ومن كان في غربنا يمدهم الإنكليز بالسلاح والذخيرة والمال ، وليس الشمال بأقل من الآخرين فإن سرنا علي منوالهم أضعنا ديننا ودنيانا ، ومكّنا الكفرة من ديارنا ، وهذه غاية طالما سعوا لتحقيقها ، وإخواننا مع الأسف لايبالون بهذا الأمر فقد ارتموا وما حدث لهما بعد وقعة تربة ليس ببعيد عنا حيث عملت انكلترا إلي وقف استمرار القتال كي لا يتسلط طرف علي الآخر وأهدافها لم تتحقق منهما بعد. ولم تتوجه نجد نحوها إلا بأمر خارجي تعلمونه ، ولم تتحرك قوات الشريف لمواجهتها إلا لأمر يختبرون أهدافهم في هذين الرجلين ، وماكانت مراسلة الإدريسي إلا وسيلة .

إن الأمر ليس بسهل فهو يقرر مصير هذه البلاد ، فأنتم تعلمون أن ما يقوم به كل من الإدريسي وابن حميد الدين إنما يقومان علي ساحة تعود إلينا فالذي يربح منهما لايربح من خصمه وأنما يربح علي حسابنا ومن أرضنا ، ومن يهزم منهما فهو لا يتراجع عن ملك له وإنما يتراجع عن أرض اغتصبها أصلاً من أرضنا ، فالإدريسي ثبت أقدامه علي سواحل عسير من البداية بدعم من إيطاليا ولمصلحتها في مرحلة كنا قد شغلنا عنها في قتال الأتراك ثم لمصلحتهم ضد الطليان في محاربة الإدريسي في سبيل الأخوة الإسلامية ومقاومة الكفار ، ولايزال الإدريسي يرغب في التمكين لنفسه تحت حماية الإنكليز ، وعلينا الوقوف في وجهه وهذا الوقوف إنما يعني الوقوف في وجه الكفر الذي يقف خلف الإدريسي ، وإن إيطاليا لتطالب إنكلترا بدفع ما بذلته في صالح الإدريسي أو التخلي عن موانيء عسير إذ أنفقت الكثير ، وكان الإدريسي يعمل لحسابها ، فقد سبق له أن خرج من صبيا كأي فرد من أهلها ، فوقع في شرك الطليان ، وقد زعّفت له بعد أن حصل علي ما حصل عليه منهم في سبيل الإيقاع بالمسلمين وبلادهم ، وصرفهم عن الالتفات حول الخلافة ، وبدأ بتنفيذ مخططه من متمسكين إلي متمكن . وتعلمون أن موانيء عسير =

= ضربت من إيطاليا أو إنكلترا عدة مرات بسببه ولصالحه ، ولاتزال بجانبه ، وهو يريد أن يقتطع المزيد من أرضنا ليحصل علي المزيد من الدفع له .

أما ابن حميد الدين فتعلمون أنه رجل طامع في نشر مذهبه ، راغب في مد نفوذه ، وأن اليمن إنما هي من ملك أجدادنا قامت فيها الدولة الزيادية ، وترعرعت فيها الدولة الطاهرية، وكان ولاتها فيما بعد يحصلون علي الدعم من أسلافنا ، والتأييد من حكامنا طيلة العهد المملوكي والعثماني حيث كان أجدادنا يُساندون كل من كان يقف في وجه التسلط فكان ممن وقف علي رجليه من الأسر اليمينة بتلك المساندة أسرة حميد الدين حيث قامت علي دعم أسلافي ، والآن وقد ظهرت هذه الأسرة أصبحت تريد اقتطاع أجزاء من أملاكنا ، وأن الذي أطمعه أن الأتراك قد سلموا له صنعاء عندما انسحبوا من اليمن ليبقي منافساً لنا ، وكذلك أغراه بنا قيام الإدريسي في تهامة في محاولة السيطرة عليها ، وهجمات أمير نجد علينا .

وتعلمون أننا كنا قد درسنا وضع هاتين الإمارتين بعد انسحاب العثمانيين وقررنا التوجه الي الإدريسي وإزالته ثم الالتفات الي ابن حميد الدين وإزاحته .

وقد اطلعتم علي رسائل مشايخ قبائل اليمن وكلها تطلب منا إسعافنا ونجدتها لإزالة حكم الزيود ، فشغلنا عنهما من نحن في دراسة وضعه فاستنفذ منا جهدنا .

وكل من جاورنا يريد إضعافنا ليأخذ له نصيباً من أرضنا ، وما خلافهم إلا كخصومة الطير وعينها محدقة بالمطو.

فما كان منهم إلا قالوا : لا نخرج عن رأى تراه أو طريق تسلكه ، ثم تكلموا عن رسائلهم إلي عبدالعزيز فقالوا : إنهم لم يفعلوها إلا بعد أن أشار علينا بتوقيعها كل من محمد بن مسلط ، وأحمد بن عبدالله بن مفرح ، وكانا يحملانها إلي كل واحد منا ويدعيان لنا أن التوقيع عليهما يفيدنا من ناحيتين : أولاهما أنها تُسهل عودة حسن ومن معه إليكم ، وثانيهما أنها تحمي قبائلكم القريبة من أبها من تعديات هؤلاء المفسدين . ولكن إذا أصررتم علي موقفكم ورفضتم التوقيع فإن هذا يعني إبقاء حسن في الرياض بأيدي خصمه وخصمكم وربما تعرضوا له بمكروه ، ومن يدري ؟ كما إن قبائلكم تصبح =

= عرضة للتعديات ، ومن يحمي أعراضكم ؟ وقد غدوتم من غير قيادة تجمع كلمتكم ، وتوجد صفوفكم ، وتنافح عن سيادة بلادكم . إن التوقيع يفيدكم ولايضر حسناً ، فقال حسن : إن هذا أمر قد أفضي إلي ما تم ، ولعله كان مخرجاً . ثم عادوا يتحدثون في موضوع الذخيرة وكيفية تأمينها ، فلم يجدو وسيلة سوي شرائها من أي مصدر داخل الجزيرة أو من سواحل البحر الأحمر الغربية ، ولكن وجدوا صعوبة في طريقة إيصالها إلي ميناء القنفذة أو الشقيق أو البرك أو القحمة أو بيشة أو ظهران ويقوم رجال من عسير باستلامها من هذه الأمكنة .

كما اتفقوا أن يظهروا جانب اللين إلي طارفة نجد في أبها (ممثلو عبدالعزيز) حتي تتقوي عسير . كما أوعزوا إلي رجال منهم أن يعملوا علي إغراء تلك الطارفة لبيع سلاحها أو الحصول عليه وشرائه من أفرادها ، وقد نجحوا في ذلك .

وعندما انتهي حسن من كلامه قام أحمد بن حامد شيخ قبيلة علكم وسأله عن انطباعه عن ابن سعود ، وعن إمكانية تحقيق الأهداف التي يحلم بها ، وعن مدي إطاعة أهل نجد له فأجابه :

لاتخش سُفعاً إذا ما حام منطلقاً ... فالسفع مهما علا في الجو ينحدر
والصقر لاتزدري مهما أضرّ به ... سهم يظل شديد العزم يقتسر
لايعتريه وهام فالإباء به ... طبع وعدته الإقدام والظفر
والسفع إن شمخت في الجو طائرة ... لها فؤاد جبان كله خور

ثم سأله عن الإدريسي فقال :

لا لن يروعك صل في تقلبه ... أنيابه قد نزعت والسم قد ذهب
من نفخ أودجه يبدو فتحسبه ... قد اشرأب ومنه الويل قد نشب

وكذلك اتجه ابن حامد نحو محمد بن عبدالرحمن آل عائض وسأله عن رأيه في =

= رأيه في ابن سعود فقال :

هو الصقر الأبي به شموخ فلا يخشي النوائب وهي تجري
يصدّ الهاجمين علي حماه ومخلبه كحدّ السيف يفري

وسأله عن نظرة الشريف لابن سعود ، فقال :

طموح ولكن دونما هو راغب صحاري بها هول يشدّ ويتعب
كراكب متن لم يجز ثم أرضها ولاالظهر أبقاه فقد خاب مطلب

ثم سأله عن شريف مكة الحسين بن علي ، فأجابه :

رؤى إذا ما تُرى تهفو النفوس لها حيناً وحيناً تُرى ضغثا من الحلم
نفس هوت ملّت وهما تعيش به ردحاً وكان به عذباً من الشبم
إن النفوس إذا أخلاقها سمقت تنال شأواً رفيع القدر والهمم

فقال ابن حامد : إن كان ابن سعود كما ذكرتما فقد حلّق.

عادت إلي حسن سيطرته علي عسير ، وشكل قوتين إحداهما للتوجه إلي تهامة لردع الإدريسي ، وتأديبه والثانية إلي الجنوب لطرد قوات ابن حميد الدين من المناطق التي دخلتها .

وبعث حسن إلي قبائل عسير التي تعيش علي أطراف عسير وتجاور البلدان الثانية لتعمل علي تأمين الذخيرة بنفسها ، وأن تبقى مرابطة في أماكنها لرد أي عدوان محتمل ويأتينا منها ما يكفي للإشارة إلي مشاركتنا .

لم يرق لطارفة نجد التي اختير لها قلعة شمسان لتقيم فيها ومن يأوي إليها من نجد لم يرق لها القوة التي عادت لعسير والحملات التي جهزتها إلي تهامة والجنوب فأرسلت الي ابن سعود تخبره بما آل إليه أمر عسير وما أقدمت عليه وتخوفها من ذلك ، كما ظلت كتب الإدريسي تصل إلي عبدالعزيز تستصرخه بأن لايضيع الفرصة التي مكنته من عسير. =

= وصل إلي رئيس طارفة نجد في عسير فهد العقيلي جواب من إمامه علي غاية من السرية والخطورة يطلب منه إن تمكن من الخلاص من أعيان آل عائض فليفعل ، ووصل هذا الخبر إلي حسن آل عائض إذ كان قد استطاع أن يخترق صفوف الطارفة وأن يكسب بعض رجالها إليه ، ومنهم أكثرهم التصاقاً بأميرها فهد العقيلي حتي كانوا يعدونه أمين سره ، وهو الذي أبلغ حسناً ما وصل إلي العقيلي .

شكّ حسن بالأمر واستبعد أن يقدم ابن سعود علي مثل هذا العمل ، وربما ضحي بطارفته كلها ، ولكن من باب الحيطة والحذر قرّر ترك قصر (شدا) والانتقال إلي (السقا) وأبقى في شدا بعض رجاله ، وعمل علي مراقبة الوضع بدقة ومتابعة الحرس .

وفي ١٣ ربيع الأول ١٣٣٩ هـ وصل إليه خبر قصر شدا من قبل طارفة نجد وكان عددها مائتين وخمسين رجلاً ، ولكن رجال القصر استطاعوا أن يتسللوا الي خارج القصر من خلال منافذ يعرفونها ، وبقي رجال نجد يحيطون بالقصر علي أمل اقتحامه مع الفجر ، وقد بلغهم أن أعيان آل عائض قد حضروا اجتماعاً فيه تلك الليلة فوجدوا ذلك فرصة لهم .

أمر حسن بقوات من عسير تطوّق المحاصرين ، فلم يشعر جنود نجد إلا والقوات تحيط بهم من كل جانب فذعروا واندفع بعضهم إلي داخل القصر مستسلماً ظناً منه أن رجال آل عائض يملأون القصر ، فلم يجدوا أحداً ، فتداعوا للدخول .... وازدحموا علي الباب الضيق والرصاص من خلفهم فذهب في تلك الساعة ما يقرب من مائة وعشرين قتيلاً ، وبعد أن دخل منهم من دخل أغلقوا علي أنفسهم أبواب القصر وأخذوا يناوشون محاصريهم ، نقل آل عائض أحد مدفعيهم اللذين بقيا عندهم إلي قصر شمسان بعد أن جيء به من الحرملة ، وأخذ هذا المدفع يوجه ضرباته وقذائفه علي قصر شدا حتي دك البرج الشمالي ، فلما رأي المحاصرون في القصر أن البرج قد تناثر اضطروا إلي الاستسلام . وجرت مفاوضة انتهت بالموافقة علي عودتهم إلي نجد دون سلاحهم . وقد عرضوا في ساحة البحار أمام تجمعات القبائل وهي ترتجز . =

= ياعسير الهول إن كان عاد الشور واحد

والحمية واحدة والـربّ شاهـــــد

فقـــد تبين الكـلام

ميد نشار البيارق علي سودان المفارق

ثم راعي الدين مستوفي بدينه

عادت طارفة نجد نحو بلادها غير أنها قد التقت في الخميس بقوات جاءت من الرياض لدعمها فانضمت إليها وأصبحت كلها تحت إمرة فهد العقيلي ورابطت تلك القوات في الخميس و أقامت في بيوت السكان بعد أن أخرجتهم منها في سبيل التحصن بها ، وأرسلت إلي الرياض تطلب بعث النجدات ، وتعلم ابن سعود بما حدث معها .

علمت قيادة آل عائض في أبها ما جري من وصول قوات نجدية واستقرارها مع من كان في أبها في الخميس ، وأن قوات تالية من نجد ستتبع السابقة ، فكتب حسن إلي فهد العقيلي يقول له : علمنا بمرابطتكم في الخميس ، ولم يكن هذا مما التزمتم به قد أطلقناكم كي تعود إلي الرياض ، ولم نعطكم أمان ابن مساعد لأهل أبها ، ونطلب الالتزام بما تم عليه استسلامكم ، والعودة إلي الرياض دون تريث ، وأنا بعد ثلاثة أيام من خطابي هذا أري إخراجكم بالقوة فلا تلوموا إلا أنفسكم .

لم يأبه العقيلي بكلام حسن ، وبقي يتقوي ويطلب المدد.

ولما انقضت أيام ثلاثة ، وبقي العقيلي في الخميس ، وجهت قيادة أبها إليهم قوة علي ثلاثة محاور ، أحدها من الشمال بإمرة عايض بن عبدالله بن محمد بن عايض والثاني من الغرب بقيادة محمد بن عبدالرحمن بن عايض ، والثالث من الجنوب تحت رئاسة عبدالله بن عبدالرحمن بن عايض ، وأخذت قيادة أبها بعين الاعتبار ما قد يقوم به كل من الإدريسي وابن حميد الدين إذ بعثا إليهما بقوتين إحداهما رابطت بالشقيق بقيادة ناصر بن عبدالرحمن ومهمتها منع الإدريسي من دعم العقيلي ، ووجهت الثانية إلي صعدة للحيلولة دون إتاحة الفرصة لابن حميد الدين بالتقدم في عسير أثناء انشغالهم بقتال العقيلي . =

= لما علم العقيلي بسير قوات أبها نحوه استدعي بعض مشايخ قبائل شهران وقحطان واحتجزهم عنده في مقر قيادته ليتخذ منهم درينة له ، وليفاوض عليهم إن احتاجت الأمور إلي مفاوضات.

ومن ناحية ثانية فإن ابن عائض قد كتب إلى مشايخ شهران يأمرهم بإخراج النجديين من بيوتهم ، وأن كل بيت أوي نجدياً ولم يخرجه سيحرق وسيحاسب أهله .

استعد العقيلي ورأي التوجه نحو أبها ومباغتة أهلها ، وقواتها قد غابت عنها ، فتوجه نحو هدفه فاصطدم بالقوة التي يقودها عايض بن عبدالله وجرت المعركة بين الطرفين عند وداي عتود استمرت طيلة ذلك اليوم انتهت بهزيمة القوات النجدية بعد أن فقدت أعداداً كثيرة منها كان قائدها العقيلي من بينها ، وولت الأدبار ، وأسرعت نحو الخميس لتتحصن فيها ، فوجدت القوات العسيرية القادمة من الشمال والآتية من الجنوب قد أصبحتا علي مشارف الخميس .

أرسل عايض خيالته بسرعة لتطارد فلول العقيلي وأمرها أن تدخل الخميس وأن تحرق البيوتات التي آوت نجديين ولم تخرجهم ، واقتحمت الخيالة الخميس وأحرقت ما أمرت بحرقه . وعندما اقتربت بقية القوات العسيرية من الشمال والجنوب من الخميس وجدت النار تلتهم المنازل والقصور فعلمت أن كل شيء قد انتهي .

وتابعت فلول العقيلي سيرها هاربة نحو نجد ، والتجأت إلي تندحة وطلبت الإجارة من بني المستنير وبني أسامة ، فأجاز ابن عايض إجارتهما بعد أن اشترط أخذ السلاح منهم . التقت القوات العسيرية كلها وكانت تحت إمرة محمد بن عبدالرحمن بن عايض وذلك في بلدة ذهبان ، وأمر محمد بإطفاء الحرائق ، وعدم التعرض للسكان علي اعتبار أنهم جزء من عسير ، فإنهم قد غلبوا علي أمرهم .

وجاء مشايخ شهران وقحطان إلي الأمير محمد يعتذرون عما قد حدث ، فقبل منهم العذر ، وقال إن الجبابرة الطغاة يخشاهم الناس فيلجؤون إلي مسايرتهم خوفاً من أن يلحق أذاهم الرعية .

وأعلن أولئك المشايخ تجديد بيعتهم لضسن آل عائض ، فقال لهم محمد : أنتم أحرار ، وتضعون قبائلكم تحت إمرة من تشاؤون ، وأن ما قمنا به لم يكن لإكراه الناس علي غير مايحبون ، وإنما نقصد إعطاءهم الخيار فيما يرغبون ونحن وأنتم أبناء عمومة وليس =

= لنا من فضل عليكم وإنما هو واجب نؤديه في سبيل تماسك عسير لتبقي قوة تنصر المظلوم وتردع المعتدي .

وتلقي حسن آل عائض في اليوم التالي رسالة من شاهر بن راسي قائد قوات عسير التي تقاتل قوات ابن حميد الدين يطلب فيه دعم كل من ناصر بن مبخوت ، وابن كعبان ، وابن عريعر ، وابن صبحان ، وابن نصيب ، وأبو ساق وأبو نيبه لإمكانية مقاومة ابن حميد الدين التي تتقوي عليهم .

فكتب لابن عمه في الخميس أن يرسل من يري علي رأس قوة الدعم المذكورين علي أن يتم توزيعها عن طريق ابن راسي . كما أمره بإرسال قوة أخري للاسقة الإدجيين تحول دون تمركزهم في بيشة ، وأن تستقر هذه القوة هناك حتي تأتيها التعليمات .

استعرض محمد قواته لاختيار الفرقة التي سيرسلها إلي ابن راسي ، فكانت تمر أمامها وهي ترتجز .

ياعسـير الهـول — مـا هـذي القضية
ميـد نجـران — نجعلـوا سـرية
وأخبروا ولد الإمام — لابـد مـن صنعاء

ونحـرق فـي قصـورها

وأخبـروا جمـع المشـارق — إنا قد نشرنا لها البيارق
فعسير علي الحدّ ما تفارق — ميـد نجـد ويـزكـي
مـن أبهـا تمـورهـا

وأبلغوا قحطان تمشي بالوقاعة — ماهقينا الذئب ينهش من ذراعها

فكفـوا عنـكم السـلام

= جلس محمد بن عبدالرحمن في الخميس مدة أسبوعين يستدعي خلالها القبائل فوفدت عليه ، فأخذ ثلاثة آلاف ، ووجهها إلي شاهر بن راسي في مكان تمركزه في (علب) ، وكانت بقيادة أحمد بن علي بن مطهف المطري ، ومن هناك وزعّت إلي قادة آل عائض الذين خرجوا لطرد قوات ابن حميد الدين من الأراضي التي دخلتها ، فأجلتها فعلاً عن بلاد همدان ، ونجران ، وصعدهُ ، فأخاف ذلك الإدريسي ، وطلب من الإنكليز أن تكون لهم بوراج قريبة من جيزان ، وكمران ، وفرسان ، فلما جاءت تلك البوارج شعر الإدريسي أن ظهره أصبح قوياً فاستغل انشغال آل عائض بحرب ابن حميد الدين وتوغل في تهامة عسير الجنوبية .

رجع محمد بن عبدالرحمن إلي أبها ، وعقد مجلس الشورى جلسة في (السقا) لدراسة وضع الإدريسي ، وقرروا إرسال حملة في محاولة للقضاء عليه ، وجهزوا قوة مؤلفة من ثلاثة آلاف بإمرة علي بن أحمد بن مشيبة شيخ قبيلة بني مغيد ، وأعطيت تعليمات بالتمركز في (أبي عريش) حيث كاتبت السادة الخواجية وغيرهم من ذوى خيرات الأمير حسن آل عائض وطلبوا منه إرسال قوة إليهم لمساعدتهم في القضاء علي الإدريسي .

مرت هذه الفرقة أمام الأمير حسن ليري تجهيزها ، فمرت وهي ترتجز

خوّلت براق وأنا في الطور الأخضرا   تزكم له رعود واي له نو تنشرا

في ساحل اليمن

وري مخالة دمرت صنعاء اليمانيه

ياذا اليماني ليت لك عين تنظـــرا   يوم جينا مـثل البحـــر ليتكـــبرا

دولة بلا ثمن

والرجل منا في اللقاء يقرع ثمانية

سارت الحملة عن طريق عقبة الظهار فوداي عرقة ، فوادي مربة فوادي عتود حيث التقت بمقاتلة ربيعة ، وأنمار ، ووائلة ، وآل حبيب بن مالك ، وسار الجمع إلي الحمرا ، فشرق العكوتين حتي وصلوا إلي أبي عريش حيث تمركزوا فيها . =

= وقد اختيرت أبو عريش قاعدة لهم ليكونوا بعيدين عن مرعي البوارج الإنكليزية الموجودة في جيزان فيما إذا تدخلت في الأمر . كما أن أبا عريش بإمكانها السيطرة علي صبيا ، وجيزان لارتفاعها النسبي عنهما ، ولأن وراءها قبائل قحطان الموالية لآل عائض .

لم تخف هذا التحركات علي الإدريسي ، غير أنه لم يستطع فعل شيء لإمكاناته المحدودة وهذا ما جعل قوة عسير تصل إلي أبي عريش دون أن يعترضها إحد بل انضمت إليها أعداد من القبائل المستقرة علي جوانب أودية بيض ، وبيش ، وفيفا . واستقبل هذه القوة أشراف أبي عريش من الخيراتية ، والحوازم ، والخواجية .

ورأت قيادة عسير في السقا ضرورة إرسال قوة عن طريق رجال ألمع ، فتحركت مجموعة تتألف من ألف رجل ، وثلاثمائة من رجال آلمع ، وسبعمائة من عسير السراة ورجال الحجر ، وأوكلت قيادتها إلي حسن بن أحمد بن عبدالمتعالي ، واتجهت إلي صبيا ، مارة بالشقيق ، وانضم إليها بعض بني شعبة ، وما أن خرجت من الدرب ، وأخذت طريق البياض محاذية للساحل حتي فوجئت بقصف المدفعية الإنكليزية بكثافة ، وأصابت أعداداً منهم ، وكانت هذه خطة دبرها الإدريسي مع الإنكليز لقصفهم قبل الاقتراب من صبيا كي يأتوا إليها جماعات يمكن تصيدهم أو القبض عليهم . غير أنهم تراجعوا الي الدرب ، ولكن المدفعية لاتزال تلاحقهم .

أما القوات التي تمركزت في أبي عريش فكانت تسمع انفجار القنابل ودوي المدافع ولكن لم تعرف شيئاً . وكانت قد انقسمت إلي فرقتين : فرقة تتجه إلي صبيا ، وأخري إلي جيزان لاحتلالها ، فلما سمعت هذه القوات توقفت حتي ينجلي لها الموقف .

وكان الإدريسي قد أرسل إلي القوات في أبي عريش مجموعة لتناوشهم ، قد يشغلوا عن تقصي خبر القصف ، وحتي يخرجوا من أبي عريش فتقصفهم البوارج الإنكليزية .

وعندما توقف القصف لدخول الفارين الي الدرب ، تابعت القوات في أبي عريش تقدمها نحو صبيا وجيزان ، ولم تبال بالفرقة التي أرسلها الإدريسي والتي انسحبت كي تتمكن البوارج الإنكليزية من قصف قوات عسير . وقد قام الإنكليز بالقصف فعلاً وأثخنوا بالقوات العسيرية التي اضطرت إلي الانسحاب والتمركز ثانية في أبي عريش ، غير أن =

= القيادة العامة في أبها قد طلبت الرجوع منها إلي أبها ، لأن قوات نجدية كثيفة في طريقها نحو عسير بإمرة فيصل .

جرت هذه الأحداث في المدة الواقعة بين عشرين ذي الحجة ١٣٤٠ هـ حتي العشرين من شهر المحرم من عام ١٣٤١ هـ حيث جاءتها الأخبار أن الأمير فيصل بن عبدالعزيز قد تمكن من الوصول الي رنية بقوات لاتحصي علي الحصر إذ استنفر رجال نجد جميعاً ، وقد احتل رنية في ١٦ المحرم ١٣٤١ هـ وقضي علي حامية عسير فيها ، وجعل المدينة مقراً لتجمعات قواته حيث فضل التريث بالتوجه نحو أبها عندما علم أن صراعاً يدور بين آل عائض من جهة وبين كل من الإدريسي وابن حميد الدين من جهة ثانية ، إذ أن الصراع يضعف الجهات الثلاثة ، ورغب أن يصل الي بيشة وقد أنهكت قوات الذين أمامه .

الإدريسي والإنكليز : كان الإدريسي يكاتب الانكليز باستمرار ويعظم لهم من شأن آل عائض ، وأن أمرهم سيكون في خطر فيما إذا انضمت لهم قوة أخرى ، أو سيطروا علي أجزاء أخرى ، ذلك أن المنطلق الذي ينطلقون منه يؤثر علي السكان ، ويجعلهم يتبعونهم ، حيث يرفعون شعار الإسلام ، ويعدون كل من يوالي غير المسلمين كافراً ، ويعلنون أن صلتهم بالترك يجب أن تكون قوية علي حين أن كل من يتعاون مع الإنكليز أو غيرهم من دول أوروبا يجب محاربته ، ويستمع العرب لمثل هذه الأقوال .

ولذا فإن آل عائض يحرضون العرب جميعاً علي معاداة جميع الذين يتصلون بكم ، ويُعدّون أصدقاء لكم ، فالخطر علينا جميعاً منهم فيما إذا قوي أمرهم ، وهذه المناداة التي يعلنونها يستمع لها جميع الناس وإن كانوا لايستطيعون المجاهرة بتأييد آل عائض لكنهم في الواقع يؤيّدونهم ، وينتظرون الفرصة التي يستطيعون بها دعمهم والانطلاق بهم علي حين نغايرهم وأصدقاؤكم النظرة حيث نري الأتراك كفاراً ، ويجب الابتعاد عنهم ، وقد أفسدوا في البلاد ، وإن حربهم والاستعانة بأية قوة جائز .

ولكن يبدو أن الإدريسي عاد فغيّر رأيه ، ورغب في إعادة العلاقة وتحسين الصلة مع آل عائض ، وذلك لمصلحته طبعاً ، إذ رأي أن نجداً عندما دخلوا أبها بقيادة عبدالعزيز بن =

= مساعد كانوا يضمرون له العداء ويتربصون به ، وأنهم إذا وصلوا إلي تهامة ، وتمكنوا منه ، سوف يطيحون به ويتخلصون منه ، ومن هذا المنطلق فقد رجع يكاتب الأمير حسن آل عائض ويعمل علي التودد له ، وتناسي الماضي .

وقد كتب كتاباً للأمير حسن في ١٠ صفر من عام ١٣٤١ هـ يطلب فيه تناسي ما مضي وتحديد الحدود بين تهامة والسراة بالشكل الذي يراه آل عائض ، وأنه من الضرورة التعاون بعضنا مع بعض لمواجهة الأخطار التي تحدق بمنطقتينا واللتين وضعناهما في حرب تؤدي نتيجتها إلي تغلب الطامعين حيث نكون قد استنفذنا قوتينا ، وينتهي صراعنا لمصلحة الطامعين من الخصوم ، ولكن حسن لم يبال بهذا الكتاب خوفاً من أن تكون لعبة يراد منها أن يأمن العسيريون الإدريسي ويتجهوا بكل ثقلهم إلي القادم من الشرق ، وعندها يتقدم الإدريسي إلي أبها ، ويبدو أنها كانت هكذا . إذ تحركَّ الإدريسي بقواته عندما وجد كفة قوات فيصل تكاد ترجح علي كفة قوات عسير ، واحتج الإدريسي بتقديمة هذا أن الأمير حسن لم يبال به ولابكتابته له واكتفي بكتابة هذين البيتين وأرسلهما له :

إن المطامع قد تُضلِّل أهلهــا تُرديهم صمَّاً لأسوأ منزل

تكسوهم سمة النجاح مظاهراً لكنهم سلكوا طريق الخذَّل

وكان الإدريسي قد تمرد علي ابن مساعد عندما تقدم إلي أبها وطلب منه أن يقف في تقدمه نحو عسير عند المنحدرات التي تتجه شرقاً ، وذلك بعد أن أرسل إليه مهنئاً بانتصاره علي قوات عسير .

ولكن ابن مساعد لم يقبل منه هذا وأرسل له عبدالله بن راشد معتمده الشرعي ليناوره في الموضوع حيث أن الأيام حبلي لايدري ما تلد فإمام نجد في صراع مع عدة جهات . وطلب منه أن يقوم قبل كل شيء بالسير بمعوله مع عدد من قضاته لهدم القبة التي علي قبر جده . وبدأ ابن راشد بأول ضربة لهدم تلك القبة وهو يقول : وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » وأشبع أولئك القضاة تقريعاً كيف تقبلون بمثل هذه القباب وأنتم تعلمون أن ذلك لا يصحّ شرعاً ؟.

وفي يوم الجمعة اعتلي ابن راشد منبر مسجد صبيا وألقي خطبة الجمعة ومما قاله : =

= إن سيدكم هذا - وأشار إلي مكان الإدريسي حيث كان يجلس - قد راسل الإمام عبدالعزيز كثيراً وهوّل له في كل رسائله إليه من شأن آل عائض ، وزعم له فيها أن آل عائض قد بنوا في معاقلهم في عسير في أبها ، والسقا ، والحرملة ، وريدة القباب علي قبور أسلافهم ، واتخذوا منها مزارات يأتي إليها العامة يتبركون بها ، ويدعون ويدفعون المال علي فقرهم ، ويأخذ هذا المال حكام أبها من آل عائض ، ولكن لما دخلنا أبها لم نجد شيئاً مما ذكره سيدكم في رسائله ، ولم نجد قباباً علي قبور ، ولم نر مزارات ، ولم نشاهد آثاراً لها ، ولما سألنا عن ذلك لم نسمع من أحد من السكان أن سمع بهذا أو عرف عنه شيئاً بل كانت العامة تستعيذ بالله عندما نُوجهً سؤالاً ، فعرفنا أن ذلك كان افتراء صريحاً من هذا السيد المطاع فيكم . ولما جئنا إلي صبيا وجدنا كل ما كان ينسبه لآل عائض عنده قائماً ، وشاهدنا كل ما كان يدعيه لغيره أنه موجود عنده ، فلا قباب في أبها ولا في عسير كلها - كما سمعنا - مثل هذه القبة التي علي قبر جد هذا السيد المطاع فيكم **﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾** سورة البقرة ٧٩ **﴿ أنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله﴾** سورة النحل ١٠٥ وإنكم ياأهل صبيا بل أهل تهامة ، إن نجد بعد اسبوعنا هذا في منطقتكم قبةً ، كقبة قبر جد سيدكم ، أو مزاراً أو أي مظهر من مظاهر الشرك فلا تلومون إلا أنفسكم ، وأن جيوشنا علي مقربة من دياركم ، وهي علي أهبة الاستعداد للنزول في أقل من نصف يوم فحذار من أي شيء يغضب الله وليقم أهل كل بلدة بعد صلاتنا هذا إلي ما يعرف من مزارات وقباب أو أي مظهر من مظاهر الشرك وآثار الكفر فليهدمه .

وأعلمكم أني جئت إلي عسير مع بعض الإخوة قبل هذه الأحداث ، وتجولنا وحدنا في أصقاعها باسم عمال ، وحاولنا معرفة قبور رجال الدعوة السلفية الأوائل في هذه المنطقة لنقوم بزيارتهم زيارة مشروعة ، ندعو لهم ونتعظ ممن سبقنا فالموت أكبر واعظاً ، ولكننا لم نتمكن من معرفة قبر أحدهم ، فأصحابها قد ماتوا وانتهي عملهم في دنياهم ، ولم يبق إلا ما جنوه من عمل لأخراهم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، كما قال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ، فإياكم والاعتقاد بغير هذا ، فإنه عين الشرك . =

وقد دخلت جيوش نجد بلادنا بعدد يزيد علي خمسين ألفاً ، وأخبرنا كم بذلك ، وطلبنا منكم التحرك نحو نجد لانشغال جيوشه بحربنا ، وكان هناك متسع من الوقت لكم لتقوموا بدوركم ، وتدعموا ابن رشيد كما طلب ، ولكن تراخيتم حتي تم ما حدث ، ولانزال نحن وأنتم نتداول رأيين مختلفين قد يُودیان بنا معاً إلي هزيمة : الواحد بعد الأخر ، إلا أن يشاء الله غير ذلك . وأثناء إقامتي بالرياض بثثت بعض رجالي ليتعرفوا علي أحوالهم ، ما يدور في مجالسهم ، فوجدت أنه ليس لديهم من التحفظ ما يجعلهم يكتمون شيئا .

كما ذكرت رجالي أنهم شاهدوا أناسا يُعزّرون بالضرب المبرح لتعاطيهم شرب الدخان ، تلك الشجرة الممقوت استعمالها بهذه الحال . علي حين أن بعض أقاربه وكثيراً ممن حوله يشربونه خفية ، وهو يعلم ذلك ، كما يعلم الذين من واجبهم إقامة الحدّ .

كما ذكروا أن الوشاية عند رجال عبد العزيز تثيرهم للانتقام دون تثبّت ، وهو يأخذ بكلامهم . وعيّن فئةً من الناس وظيفتهم إزالة المنكرات ، وذكر رجالي أنهم قد شاهدوا بعض هؤلاء يجوبون الأسواق بالعصي والمقصّات لقصّ ما زاد من الملابس عن الكعبين ، ويتفقّدون الناس في صلاة الفجر ، علي حين أن ما حوله يجرّون ثيابهم بطراً وخيلاء .

ويهجرون من يفد من خارج المناطق التابعة لهم ثلاثة أيام، ولما سألنا عند ذلك قالوا : إنهم أنجاس إذ جاءوا من بلاد الشرك ، ونسوا أنهم كانوا يرتادون تلك المناطق من قبل .

= كانوا يريدون توحيد قوتهم ومداهمة ابن سعود في نجد ، ثأراً وانتقاماً ، بل إن إنكلترا كانت تهدد هذين الطرفين كلاً منهما بالآخر ، ليبقي يشعر بالحاجة إلي دعمها وتأييده وينافس الطرف الثاني علي رضاها ، لهذا استدعي ابن سعود قائده عبدالعزيز بن مساعد من أبها بعد ما تم بينه وبين آل عائض الصلح ليتقوّى به وينطلق نحو حائل كما أنه استنفر بقية القبائل ، وطلب من الجميع حشد ما أمكنها حشده ليتحرك بتلك الجموع كلها نحو الشمال لإزالة إمارة آل رشيد .

وانتهي ابن سعود من حائل وعاد يتجه ببصره نحو عسير ، وقد حدث صدع مع أهلها ولايمكن رأبه إلا باحتلالها حسبما يتصوّر ، كما رأي أن الإدريسي وابن حميد الدين ينازعانه عليها ، وأن تراخي أو تهاون في شأنها سبقاه إليها ، كما أن شأنه قد هان أما شريف مكة الذي يعده المنافس الأول أو هكذا كانت إنكلترا توحي لكل واحد منهما ، والأقوي هو الصالح للبقاء ، وهو الذي تصطفيه لنفسها ، وتبقيه سيداً في الجزيرة ، فلا بد لابن سعود من إظهار القوة أمام شريف مكة ليرهبه ، ولابد له من إبداء الإمكانية ، والقدرة علي المناورة والحرب النفسية ليكون المفضّل عند إنكلترا وتختاره علي منافسه ، وتسوّده علي المنطقة كلها ، وهذا ما حدث حيث دفعته لاحتلال (تربة) فاتخذ من خالد بن لؤي واجهة يدفع من خلفها بقواته . كما أغرت الشريف للتحرك نحو نجد فزج بجيشه بقيادة ابنه عبدالله ، وهكذا ضربت بعضهما ببعض لتبقي العداوة بينهما مستحكمة وتستفيد من كلا الطرفين برجوعهما إليها .

كان ابن الصباح أمير الكويت قد أخذ يحسّ بالخطأ الذي ارتكبه إذ أبرز عبدالعزيز بن سعود حيث مكن الأسد من عرينه ، وبينما كان يفكر بجعل ابن سعود قائداً له وعاملاً له إذ به يتجاوز سيده ، ويطغي عليه ، بل يفكر من امتلاك أرضه ، وشعر ابن صباح بما يفكر ابن سعود ، ورأي ما وصل إليه من قوة لذا عاد ابن صباح يراجع حساباته ويبحث عن طريقة يتخلص بها من ابن سعود فقاده تفكيره إلي التوجه إلي ابن رشيد ودعمه والعمل معه ضدّ ابن سعود حتي ينهيا وضعه من نجد أو يقبل بالعودة إلي ابن صباح ويرضي أن يكون له عاملاً علي نجد ، ولكن ابن سعود كان تجاوز هذه المرحلة كثيراً ، وإذا كان ابن صباح مغرورا بما تقدمه له إنكلترا ، وبما بينه وبينها من معاهدة فإن =

= ابن سعود قد غدا رجلها الثاني في الجزيرة ، وينافس شريف مكة علي المرتبة الأولي وهو الآن مرشح ومؤهل للصعود إليها ، واتجه ابن صباح نحو ابن رشيد ، وأدرك ابن سعود ما يدور في خلد ابن صباح ، فأعد العدّة لكل طارىء وكثف قواته المتجهة نحوحائل لينال مبتغاه ولتكون ضربة ابن رشيد موجعة ترهب ابن صباح وترعبه وتجعله يعدل عن تفكيره ، ويقبل بما قسم له ، ويأوي إلي جحره ، وإلا فإن مصيره مصير ابن رشيد ، ومن أجهز علي الذئب لايخفيه عواء الكلب ، ولكن عبدالعزيز يعلم أن وراء ابن الصباح بريطانيا ، فلابد أن يسير بحذر .

بعد انتهاء ابن سعود من إمارة آل رشيد رجع يُفكر في غربي الجزيرة فوجد :

١ - أن المنافس القوي له شريف مكة لوضع الحجاز الديني ، ومكانة شريفها بين المسلمين، ولقوة الحجاز ، ولقيام أبناء الشريف في الشام وقد غدوا علي أطراف أملاكه بعد دخوله حائل ، ولصلة إنكلترا بالشريف ، وتعاونها معه ودعمه وإن وجودهم يشكل خطراً عليه .

٢ - أن سلطنة نجد غدت تكافىء شرافة مكة من حيث القوة غير أن عامل الحسم بين الطرفين هو عسير ، فإن تبعت نجداً أمكن التغلب علي الحجاز ، وإن انحازت الي جانب الحجاز واتفقت مع الشريف أمكنهما التغلب علي نجد لذا لا بدّ من إتباع عسير له .

٣ - أن عسيراً في حروب دائمة مع الإدريسي ومع ابن حميد الدين فإن تمكنت عسير من التغلب علي الإدريسي واليمن أصبحت منافسة قوية له . وفاقت الحجاز في قوتها وفي منافستها له وأصبح جانبها مرهوباً ، ويخشي بأسها ، وكذا لو انتصرت أية جهة من هذه الجهات الثلاث وانضمت بعضها إلي بعض . ورأي أن بقاء هذه الحروب هو في مصلحته لإضعاف قوة عسير وعندها لا يجد صعوبة في التغلب عليها واحتلالها ويري أن آل عائض لو أخطاؤا وطلبوا منه دعماً لمنازلة خصومهم لاغتنم تلك الفرصة وأسرع لدعمهم والقتال بجانبهم ولكن لن يقبل بعدها الخروج من عسير ، وسيتمركز فيها ، وسيداهم الحجاز منها . =

= ولما وجد ابن سعود أن الوضع لم يتغير ، وأن الوقت الذي يمر ليس في مصلحته ، ورأي أن آل عائض لم يستنجدوا وبدا له أن عندهم ما يكفيهم لإحراز النصر علي خصومه بل أنهم سائرون في هذا الطريق ، ويتقدمون بسرعة ، ويتفوقون على خصومهم عندها رأى أنه لا بد له من العمل قبل أن يشتد آل عائض ويتقوون بانتصارهم علي الإدريسي وابن حميد الدين وعندها لا يمكنه التغلب عليهم بل ربما يغلب أمامهم لأنهم يكونون قد وحدوا اليمن تحت قيادتهم ، وعندها تصبح نجد نهباً بين أطراف شتي أهونها عليهم عسير ، وأشدها شريفة مكة ، ولم يستبعد غزو ابن صباح ، ودبَّ الروح بآل رشيد من جديد.

وبينما هو أخذ بالتفكير في غزو عسير ، وأنه لابدّ له قبل كل شيء من ملاينة شريف مكة كي يقف علي الحياد علي الأقل ، فأخذ يراسله ويتودد إليه ويتحبب منه ، فإذا بالإخوان يرون ما لايري ويطلبون منه التوجه إلي شرقي الجزيرة والعمل علي إنقاذ تلك الجهات من حكامها الذين ارتبطوا في إنكلترا وانضووا ضمن دائرتها ، ولم يطبقوا الشريعة ، بل يمشون في شهواتهم ، ويسعون وراء مصالحهم ، ويعملون علي المحافظة علي مراكزهم ، وأنه يخشي علي الجزيرة منهم ، فلربما انتقلت مفاسدهم إلي داخلها ، وسرت تصرفاتهم إلي مدنها فعرضوا علي عبد العزيز البدء بأولئك الحكام الذين هم أشد خطراً من غيرهم بكثير . ولكن عبدالعزيز لم يوافق الإخوان ، إذ يعلم ولا يعلمون أن إنكلترا لا توافق له علي السير في هذه الطريق ، ولاتسمح أن يتعدي حدوده المرسومة له ، فإن هناك معاهدات بينها وبين أولئك الحكام تلزمها علي مساعدتهم وحمايتهم وتجبرهم علي طلب النجدة ، وإضافة الي ذلك فإنه ضمن الدائرة ولا يمكنه الخروج منها ، ولا التحرك إلا بإذن ، ولا التصرف إلا بأمر .

ولما كان ابن سعود لايزال بحاجة إلي الإخوان لذا فإنه لم يقف في وجه آرائهم ، ولم يسفههم . كما لايستطيع أن يصارحهم لذا أخذ يروا غ معهم ، ويعدهم بالتوجه نحو الشرق بعد الانتهاء من الغرب ، ويتكلم عما وصل إليه من شائعات عما يجري في غربي الجزيرة ، وإن لم يكن كلها صحيحاً إلا أن بعضها يكفي للدلالة علي الشرك ، فوافقوه علي أمل التخلص من جانب بعد جانب ، ولامانع من البدء بالغرب ثم التوجه الي الشرق وإزالة كل معالم الشركيات والوثنيات في الغرب - حسب زعمهم - والقضاء علي كل آثار الكفر والارتباط بالكفار في الشرق . هذا بالإضافة إلي ما كان يعلمه عبدالعزيز من رغبة =

= إنكلترا بالتحرك نحو الغرب إذ كانت قد درست وضع الجزيرة من خلال ملفاتها من أيام حملة نابليون علي مصر فوجدت أن أشدها خطراً هي منطقة عسير حيث كانت التقارير عنها تشير إلي الخوف منها لهذا أوعزت إلي عبدالعزيز بالتوجه نحوها وأمرت الشريف أن يبقي علي الحياد ، كما كلفت الإدريسي بإشغال عسير من ناحيته .

وأماشريف الحسين بن علي فكان يري أيضاً أن عدوه اللدود هو ابن سعود ولكن بينهما بيد وفيافي واسعة قد تُزهد كلاً منهما الآخر ، وصحيح أنه حدثت بينهما وقائع ولكن لم يكن القصد منها السيطرة الكاملة علي الحجاز .

ولكن المشكلة يراها في عسير إذ يعتقد أن عند أهلها نزعة وهابية فربما تكون سبباً في جمعهم مع ابن سعود وعندها تكون البلوى التي لا مخرج منها إذ تصبح الحجاز بعدها الهدف الذي تصوب إليه السهام ولايمكن ردّها ، وعندها تقع الفريسة ، وكذلك لواستطاعت نجد احتلال عسير ، لذا يجب الحيلولة دون تفاهم نجد وعسير ، وعدم طغيان أحداهما علي الأخري .

ونجد يمكن القضاء عليها بعد حلّ مشكلة عسير وذلك بتجهيز الجيوش إليها من أبنائه في الشام ومن قبائله في الحجاز والتحرك نحو الرياض من كلا الجهتين ، ويمكن لهذه الجيوش أن تجبر ابن سعود علي أن يقبع في الرياض لايتعداها ، إلا إذا رأوا آنذاك غير ذلك كأن يكون القضاء عليه أو إعادة ابن رشيد ، ولكن لم يكن للشريف أن يرضي أن تكون هناك قوة كبيرة في نجد سواء أكانت تحت إمرة ابن سعود أم تحت إمرة ابن رشيد أو غيرهما ، لذا فمن المصلحة إبقاء الصراع بينهما وانقسام أهل نجد .

ولكن عسيراً في حروب دائمة مع الإدريسي ومع ابن حميد الدين ومع استمرار هذه الحروب تكون الفائدة للحجاز حيث تضعف قوة آل عائض لكثرة الحروب والخسائر التي تتعرض لها ، وعدم توفّر الذخيرة وهو ما يُشكل عقبةً دائمة لآل عائض ، فإذا ما أنهك آل عائض أمكن التحرك نحوهم ، والقضاء عليهم ، وضم عسير إليه ، فعسير ليست سرواتها إلا تتمة لجبال الحجا ، أما إن لم تذهب قوة آل عائض في الحروب فيصعب الاقتراب منهم إذ أن رجال الحجاز لايمكنهم الصمود أمام القوات العسيرية، ولهم سابقة في التجربة =

= علي والقتال ، ولكن الخوف يبقي علي صدر الحجاز فيما إذا أحرز آل عائض النصر علي الإدريسي وابن حميد الدين وعندها تزداد المشكلة حرجاً . لذا يمكن قبول ملاينة ابن سعود ، ودعم الإدريسي سراً ، والتلويح لآل عائض بالقتال كي تبقي لهم حامية في الشمال ، فيخف العبء علي ابن حميد الدين ويمكنه إحراز النصر ، وإضعاف عسير.

ولهذا كانت مماطلة الشريف حسين في دعم عسير ومدها بالذخيرة ، بالإضافة إلي ما كان من إيعاز إنكلترا له .

أما ابن حميد الدين فإنه يرغب أن يتقوى ، ولا تكون له القوة إلا إذا سيطر علي القبائل اليمنية تمام السيطرة ، غير أنها الآن ترتبط نفسياً مع آل عائض وتشعر أنها ترتبط بهم ولوكانت تعيش علي الأرض التي تخضع لابن حميد الدين . إذن لايمكن لابن حميد الدين أن ينال القوة إلا بزوال آل عائض ، وعندها يمكنه فرض هيمنته علي تلك القبائل . هذا بالإضافة إلي زوال إمارة عسير يمكنه من احتلال أجزاء من مخلفاتها وعندها يصبح قوياً قادراً علي مواجهة الأطراف الأخري التي ترغب في السيطرة علي عسير . غير أن فتح حروب جديدة مع إمارات واسعة قد يُعرضه لمخاطر لايدري نتائجها ، فنجد أضحت دولة واسعة ذات إمكانات ، والحجاز شرافة ذات نفوذ ، والإدريسي وإن كانت إمارته صغيرة إلا أن لها ظهراً تحتمي به ، وكل هذه الجبهات ذات ارتباطات بإنكلترا التي غدت سيدة المنطقة بعد ضعف الدولة العثمانية ، وانكلترا تمد هؤلاء وتوجههم جميعاً ، ومن هنا وجد ابن حميد الدين نفسه ضعيفاً أمام هذه التيارات ، وفضل المحافظة علي إمارة آل عائض لكنه يريد ضمنياً أن تكون له الرعاية علي القبائل التي تعيش ضمن إمارته رعاية تامة فخطر علي باله أن يضع حدوداً بينه وبين آل عائض ، وعندها تضطر تلك القبائل أن ترتبط به ، ومع الزمن يصبح شعورها بأنها تابعة له ، ولهذا كتب كتاباً إلى الأمير حسن بن علي آل عائض يطلب منه العمل علي إنهاء القتال بينهما ووضع حدود ثابتة بين الإمارتين كي لايحدث خلاف بين الجانبين مادام الأمر واضحاً ، وأن يكون التعاون بينهما علي حفظ كيان الدولتين والرّد علي أى أعتداء خارجي يريد غزو إحداهما ، وألمح إلي غزو نجد لعسير ، وأن هذا يقتضي التفاهم والتعاون وقال : =

= إن الضربات النجدية التي كانت توجه إلي أطراف عسير كنت أحس أنها تقع علي رأسي، فإذا ما استقر أمير نجد - لاسمح الله - في أبها كانت الضربات بعدها علي صنعاء ، والذي دعاني إلي الإسراع في هذا الكتاب إبلاغي خبر مسير فيصل ابن أمير نجد نحو عسير وقد استنفر كل قومه ، وبواديه ، ومن أطاعه ، وأنه قد أصبح حسب علمي علي مشارف رنية ، ولا أعتقد أن هناك موضوعاً أهم من هذا يدعونا كي نوحد جهودنا ولنقف أمام أصحاب الأطماع وقد بلغني أنه قد أرسل إلي الإدريسي يطلب منه أن يتحرك من جهة الغرب وأن يشاغل آل عاض من هناك ولا شك أن شريف مكة صاحب مصلحة ولايوثق به ولايؤمن جانبه و هو مرتبط بما ارتبط به الآخران وهذا كله وجدت عليه حقاً أن أبدائكم بالمراسلة بعدما وقع بيننا وأن نسعي للرد معا علي كل ما يأتينا .

وقد أجابه حسن بن علي علي رسالته وشكر له نبله وحسن عواطفه وتعاونه وأعلمه أن الحدود بين الإماراتين لايحددها أحدانا أو كلانا وإنما القبائل هي التي تحددها حيث تعرف كل قبيلة منازلها ولا يمكنها أن تقبل التخلي عن جزء منها فقبائل قحطان سواء أكانت في عسير أم في اليمن تعدو واحدة ولاتقبل غير ذلك كما لا ترضي أن نجعل جزءاً منها يرتبط بصنعاء وآخر يرتبط بأبها فمصالحها هنا وهناك وكذا بقية القبائل ، هذا إضافة إلي تداخل بعضها مع بعض بطوناً وعشائر ، ولسنا نحن سوي حماة لها ، نذود عن منازلها وندافع عن حماها ، ونحرص ألا يقع بينها خلاف ، ولايحدث نزاع لتشعر أنها تعيش في ظل دولةٍ ويجب أن نعلم أن وضع الحدود بين إمارة وأخري إنما هو تجزئة لبلاد المسلمين ، وترسيخ للتعصب الإقليمي وإثارة للنعرات ، وهذا ما يضعف المسلمين وهو ما يريده النصار الاوربيون ويعملون له ولذلك فانهم أول ما يحتلون بلاداً ويسيطرون عليها يقومون بتجزئتها ويطلقون علي كل جزء اسماً ثم يأخذون بإثارة الخلافات بينهما ثم يتعصب أهل كل جزء إلي إقليمها وهذا نتيجة الغفلة والجهل الذي أصبح فيه المسلمون مع الأسف

وقد ذكرت وصدقت ما نحن فيه ونحن من جهتنا قد أصدرنا الأمر لقادتنا بالتوقف عن التوغل وأن يقفوا في المكان الذي انتهوا إليه وعليكم مثل ذلك ونرجو من الله أن يهيء للمسلمين الفرج ، ويزيل هذه الغمة ، =

= ويجعل العاقبة حميدة . ونستعلمكم إن شاء الله عمايحدث وإن كنا بحاجة إلي شيء أخبرناكم .

بعد أن احتل الأمير فيصل « رنية » دفع بقواته نحو بيشة التي كان آل عائض قد عززوا قواتهم فيها ، فجرت معارك بين الطرفين استمرت عشرين يوماً انتهت بهزيمة قوات آل عائض التي تمركزت في (الصبيخة) حسب التعليمات التي وردتها . أما الأمير فيصل فقد استقر في (بيشة) وجعلها قاعدة له يجتمع فيها الجند وتصل الإمدادات إليها .

كان انسحاب قوات عسير إلي (الصبيخة) خطة يقصد منها استدراج قوات نجد لملاحقتها والصراع معها فتفرغ بذلك (بيشة) من قوات نجد الضخمة وتستطيع قوات عسيرية الجاهزة في (العلاية) أن تنقض (بيشة) عن طريق (تبالة) بعد أن تخلي (بيشة) من الجزء الأكبر من النجديين ، وكانت قوات عسير في (العلاية) تضم قوات قبائل (غامد) ، و زهران ، وشمران ، و خثعم وبني القرن بالإضافة إلي رجال الحجر .

تحرك الأمير فيصل وراء قوات عسير الي الصبيخة بعد أن ترك قوة ترابط في (بيشة) بإمرة عبدالرحمن بن ثنيان .. ووصل فيصل إلي (الصبيخة) وكان معه خمسة وأربعون ألف مقاتل والتحم الطرفان في معركة دامية وبعد مضي يومين وصلت الأخبار إلي فيصل أن قوات عسير دخلت (بيشة) فصعب عليه الأمر، فترك فرقة من جيشه بإمرة محمد بن إبراهيم بن سلطان ورجع مسرعاً ببقية القوات إلي (بيشة) .

كانت قوات عسير في (العلاية) تترقب خروج فيصل من (بيشة) فما أن أحست بخروجه حتي انطلقت نحو هدفها ، ورابطت قبائل رجال الحجر في (عين الفغوم) ردءاً لحماية القوات المنطلقة . واستطاعت قوات عسير من القضاء علي حامية نجد في (بيشة) إذ لم ينج منها إلا من أستطاع الفرار مع ابن ثنيان باتجاه (الصبيخة) للالتحاق بقوات نجد وإخبار فيصل بما وقع في (بيشة).

ووصل فيصل الي مشارف (بيشة) ، وكانت طلائع جيشه بقيادة سلطان بن بجاد قد اصطدمت بالقوات العسيرية ، وجرت بينهما معركة شديدة ، ولما رأي العسيريون أن القوة النجدية قد أخذت بالتكاثر وأن ذخيرتهم قد أوشكت علي النفاذ وعدم وصول الإمدادات ، وإشغال الإدريسي للجبهة الغربية واحتدام القتال فيها ، وتحرك =

= ابن حميد الدين لاحتلال صعدة وياقم لذا فضلوا الانسحاب واتجهوا نحو (العلاية) ، ولم يعمل فيصل علي مطاردتهم خوفاً من الكمائن ، أو تكون خطة فيها الجديد من الخدعة . وخوفاً من بعثرة جنده ، وخشية من أن يصبح ألعوبة ينتقل من مكان إلي مكان فينهك عسكره ، وتدبر لهم الخطة بعد الخطة ، لذا فضل التمركز في (بيشة) حسب توجيه من معه ودراسة الوضع وعدم الحركة إلا بخطة مع ملاحظة أن الهدف الرئيسي هو أبها لا المعارك الجانبية .

أما الفرقة النجدية التي بقيت تقاتل في (الصبيخة) فقد استضعفها العسيريون وشنوا عليها هجمة عنيفة قضت علي أكثرها وكان من بينهم قائدها محمد بن ابراهيم بن سلطان، ومن بقي لاذ بالفرار نحو (بيشة) ملتحقاً بقائده.

تمركز فيصل في (بيشة) ووحّد قواته ، وأخذ يستقبل النجدات القادمة إليه من الرياض ، ويكتب لأبيه يومياً بما يحدث ليكون علي بينة من كل أمر .

وكانت عيون آل عائض المبثوثة في نجد والحجاز ترفع إليهم الأخبار التي تصل إليها ، وكان منها أن رسائل تقرأ في مساجد نجد تدور حول شائعات تبثها السلطة عن انتصارات القوات النجدية في سبيل استنهاض الهمم والانضمام للعدد.

علم أن قوات لآل عائض متمركزة في (عين الفغوم) وأخرى في (الحيفة) من قري (بيشة) استدعي مشايخ القبائل وسألهم عن موقفهم الصحيح من هذا النزاع القائم . ولما مكّنوا قوات عسير من دخول (بيشة) والفتك بالحامية النجدية ، أثناء غيابه في (الصبيخة) وأن هذا يدل علي تواطئهم مع آل عائض ، وأنهم محاربون لنجد ، أعداء للقوات التي معه . فأجابوا أن منازلهم علي الأطراف ، وأنها تتعرض لأذي المنتصر فإن انتصرت عسير ، وكنا قد وقفنا بجانبكم تعرضنا لأذي ال عائض . وإذا وقفنا مع عسير ، وانتصرت قواتكم حلّ بنا الضيم ، ونالنا الشقاء من جنودكم لذا فضلنا البقاء علي الحياد لاندعم هذا ، ولانويد ذاك ، ولا ندل علي عورات أحد الطرفين ، ولا نمنع قوات جانب من النيل من الفريق الآخر . لم يعجب كلام مشايخ قبائل (بيشة) فيصلاً ، لذا قرر زجهم في السجن ومعاقبتهم بما يستحقون إذ أنهم محاربون له ، وأعداء حسبما تصور ، غير أن =

= مستشاريه وكبار من معه أشاروا عليه بالكفّ عن هذا ، فالوقت وقت حرب ولايصح معاقبة شيوخ القبائل ، وخاصة أنهم لم يدعموا عسيراً ، وليس بيننا وبينهم عهد علي ذلك ، وأن قولهم كان صريحاً لا مواربة فيه ، فأخذ فيصل برأي المستشارين ، وكف عن العقوبة .

تحرك فيصل مع قواته نحو أبها بعد أن ترك حامية في (بيشة) تعادل ضعف الحامية السابقة التي كانت فيها عندما ارتحل إلي (الصبيخة) ، وجعل عبدالرحمن بن ثنيان علي رأس تلك الحامية ، وجمع مشايخ قبائل (بيشة) وأبقاهم مع حاميته حتي تكون حركاتهم مرصودة .

سارت طلائع فيصل من الخيالة أمام الجيش ، وكان فيصل يعتقد أن قوات عسير في (الحيفة) و (عين الفغوم) ليست سوي حاميات لذا لم يبال بها كثيراً ، ولكن ما إن دخلت طلائع القري التي حول (الحيفة) واتجهت إليها حتي ردت بضراوة إذ أن قوات عسير فيها متمركزة في الحصون ، ومتحصنة خلف المتاريس ، فصوبت بنادقها إلي الغزاة ، وأصلتهم بوابل نيرانها ، فأردت أكثرهم ، فوقعوا عن ظهور جيادهم ورجعت خيولهم جامحة نحو (بيشة) والتقت بقوات فيصل فولت هاربة خائفة ، فعلم فيصل بما حل بخيالته .

ولم تكن القوة النجدية التي سارت إلي (عين الفغوم) بأحسن حالاً من القوة التي اتجهت إلي (الحيفة) إذ ولّت الأدبار ، ورجع من نجا منها إلي قوات نجد التي مع فيصل ، وإن كان قد أصيب الكثير من قبائل رجال الحجر الذين استبسلوا في هذه المعركة .

اعتقد فيصل أن قوات عسير في (الحيفة) و (عين الفغوم) ضخمة بعد أن رأي تراجع قواته أمامها ، بل وذعرها من كلمة قوات عسير لذا أضطر أن يولي الأدبار نحو (رنية) تاركاً (بيشة) إذ لم يأمن علي نفسه منها ولا قواته بل خشي من مداهمة عسير له ، وكتب لابيه يطلب منه أن يرسل النجدات إلي (صبحاء) التي رأي أن يعود إليها ، ويتخذها مقراً لتجمع قواته ثانية بعد أن فشل في الجولة الاولي من هذه الحرب.

أما قيادة عسير فقد ارتاحت لتباشير هذه الحرب، وأخذت تمد قواتها في (عين الفغوم) =

= و (الحيفة) بالنجدات الواحدة تلو الأخري . كلما تهيأت لها قوة دفعتها إلي جبهة القتال مع نجد.

ودار في خلد مستشاري فيصل أن هذا التراجع مفيد لهم ، إذ أن طول المدة يفسح المجال للإدريسي أن يتحرك من الغرب فتضطر قيادة عسير أن توجه جزءاً من قواتها لرد الإدريسي فتخف قوات عسير علي الجبهة الشرقية ، ويمكن لنجد عندها أن تحرز نصراً . كما أنه من المحتمل أن يقحم ابن حميد الدين قواته في الميدان ، وإذا ما حدث ذلك تكون الأرض قد زلزلت تحت أقدام آل عائض .

تراجع فيصل مع قواته إلي (صبحا) ، وتلقي هناك خطاباً من أبيه بضرورة مواصلة سيره إلي الرياض .

كان فيصل يعتمد في تحركه إلي أبها علي تحرك قوات الإدريسي من جهة الغرب ، وعلي تحرك ابن حميد الدين من جهة الجنوب ، فلم يتحركا لوجود قوات من عسير في مواجهة قواتهما ، وبقيت قوات عسير مجتمعة لم تتوزّع علي عدة جبهات ولهذا تلقت قوات نجد ضربات قوية أجبرتها علي الهزيمة ، وأصابتها بخسائر كبيرة .

وبلغ ابن سعود أن شريف مكة قد أرسل قوة عن طريق (القنفذة) وعن طريق تربة لدعم عسير ، وهذا ما أخاف أمير نجد علي ابنه وقواته فطلب منه العودة إلي الرياض ، لحشد قوات أكبر ، وللإصرار علي الإدريسي للتحرك بقوة للضغط علي عسير لتوجه معظم قواتها نحوه .

وقد خشي ابن سعود من أن يكون قد جري صلح بين آل عائض وبين ابن حميد الدين ، وكذلك بين آل عائض وبين الإدريسي وخاصة بعد أن لحق الإدريسي ما لحقه من إهانة أيام عبدالعزيز بن مساعد ونقض ما كان بينهما من عهود حيث عدّها الإدريسي مخادعة له ليمكّن قوات نجد من عسير ، فإذا ما كان قد تم هذا وعقد اتفاق علي مقاومة نجد ، فإن قواته لن تستطيع أن تقوم بأي تقدّم في عسير .

إن عيون ابن سعود لم تستطع أن تعرف فيما إذا كان قد تم اتفاق بين أمراء الجهة الغربية ، ولكن أخبروه أن مراسلات كثيرة قد تمت بين تلك الأطراف . =

= وما أن وصلت قوات فيصل المتراجعة إلي الرياض حتي ترامت الأخبار إلي ابن سعود أن آل عائض بعد انتصارهم علي قواته قد جهزوا حملة لضرب الإدريسي ، وأخري لتسير إلي ابن حميد الدين ، فعلم أن تقديراته كانت خاطئة ، لذا أخذ يعدّ العدة من جديد ويشيع أن استدعاءه لقوات ابنه فيصل من عسير إنما كان بسبب أخبار ترامت إليه أن عشائر في جنوبي العراق قد أغراها بعض شيوخ قبيلة شمر في العراق للإغارة علي منطقة حائل وربما يسير أمامهم أحد أبناء شريف مكة الحسين بن علي وتأتي قوات كثيفة من الشام معه ، وقد حشدت هذه العشائر جموعاً من المقاتلين وأرادت التحرك نحو حائل وهذا ما أجبره علي استدعاء ولده في حين أنه كان في أوج انتصارته وأنه أوشك علي دخول أبها ، ولكن فضل الذود عن نجد قبل اجتياح عسير ولهذا استدعاه وفوّت النصر .

كان فيصل قد غادر الرياض بقواته في ٨ شوال ١٣٤٠ هـ ، ووصل إلي (رنيه) في ١٦ منه حيث واجه أول مقاومة واستمرت المقاومات في وجهه حتي عاد في ٣ ذي الحجة إلي الرياض بمن بقي معه من القوات التي عانت الكثير فى هذه الحملة حيث لم تعاون قوة أخري لعبد العزيز ما عانت هذه القوة. وغنمت قبائل عسير الكثير من أسلحتها وذخيرتها فتقوّت بذلك ، وعوّضت عما فقدته أيام حملة عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي .

واستطاعت أن تقف في وجه ابن حميد الدين الذي غدر في عهوده والتزاماته تجاه عسير ، وأراد احتلال عسير ولكن صدته قوات من يام وسنحان بقيادة ابن راسي ، وابن منيف ، وأبو ساق .

لم يستطع أمير نجد أن يصبر علي ما لحق قواته من هزائم ، فكان يبدو دائماً قلق البال يُفكر في حشد القوات وجمع الذخائر ليعيد الجولة علي عسير ويُحقق مالم يحققه في المرة الأولي ، ويحصل علي الثأر ، وتعود له الكلمة المسموعة ، واليد الضاغطة علي كل من يُفكر بالارتفاع في الجزيرة ، ويريد أن يكون كل شيء من تحت يده ، فلا يريد أن يظهر بموقف يُطمع به شريف مكة ، أو يقلّل من شانه في نظر بريطانيا التي يمثلها عنده فيلبي فتقدم عليه الشريف حيث سرت أصداء خسارة فيصل في حملته علي عسير في =

= أنحاء كثيرة من الخارج وخاصةً مصر ، وتسرب بعضها إلي دول أوروبا .

وسُرّ شريف مكة بما تم ، وظهر عليه في الوقت نفسه التخّوف من قوة آل عائض التي تصاعدت علي مواقعه الجنوبية ، ومع ذلك بعث برسالة إلي أمير أبها جاء فيها : لقد بعث في نفسي الأمل ما لحق من هزيمة لتلك القوات التي ساقها إليكم رئيس عشائر نجد وما حشده فيها بُداةً أجلافاً ، ولعل ذلك يعيده إلي رشده فيترك ما فيه من غرور ، ولكن ما أعتقد ذلك ، وإنني لأري أنه سيعاود الكرة بعد الكرة ، حتي يتم له النصر ، أو يظفر بصلح يفيده وكنت قد نصحته عدة مرات في مراسلات جرت بيننا أن يكفّ عن عسير ، وأن غزوه لها ليس في صالحه وإنما هو بغي ، وتعهدت له أن أنهي الخلاف الذي بينكما غير أنه كان يتهّرب في كل مرة بأسلوب من أساليب المراوغة حتي انقطع أملي من أي خير يمكن أن يأتي من هذا الرجل ، ولربما جُبل علي غير ذلك .

أخذ الاستعداد في الرياض لإعداد حملة مكثفة تذهل عسيراً فتبعد أهلها عن الحلم – حسب تصوره – وكان قد نصح الأمير بعض مستشاريه أن يدع عسيراً بينه وبين اليمن وشرّها ، غير أنه كان يستمع وفي نفسه التصميم علي المضي نحو مايهدف إليه ، وكان يبدو عليه ذلك من أقوال كان يطلقها أحيانا وتظهر ما تنطوي عليه نفسه إذ قال مرة : إن لم تكن عسير في يمينى فإن نجداً ستكون في شمال يد شريف الحجاز . وقال أخري : سأسعي أن أقبض عليهما بيدي هاتين .

ولما تكاملت الحملة وكان يهيء فيها قبل عودة ولده ، وما أن رجع فيصل حتي عاد وكّلفه مرة أخري ، وبعث معه بكبار ثقاته ، وتحركت الحملة في ١٢ ذي الحجة من عام ١٣٤٠ هـ . ووصل إلي القويعية في ١٨ منه ، ومكث فيها يومين ، وقبل أن يرتحل منها ، وصل إليه رسل من الإدريسي في طريقهم إلي أبيه في الرياض ، يحملون رسائل يعتذر فيها الإدريسي عما كان قد حدث ، وأنه الآن في حرب آل عائض ، وأنه يستنصر أمير نجد ضدّهم ، وأن قليلاً من الصبر ، سيجعل الذخائر في يد آل عائض تنفذ ، وسيضطرون إلي التسليم وخاصة أنهم يواجهون أيضاً ابن حميد الدين، وإن كان دربنا يختلف عن دربه .

وأن جهدهم الآن موجّه إلي فإن لم أسعف ربما قويت عسير وتطاولت علي غيرها ، =

= وربما كان توجّه آل عائض الكلي نحوي سيمهد الطريق لسلطان نجد أن ينال منهم ، وأن يُحقق ما يريد ، ويكون بذلك قد قطع شوطاً بعيداً نحو هدفه الذي يسعي إليه . وأعلمه أن الأخبار التي وصلت إلي تفيد بأن شريف مكة قد وجّه حملة نحو تهامة للاستيلاء علي موانئها بحجة دعم عسير ، فإن كانت الأخبار صادقة قوي الشريف ، وغدا لك خصماً عنيداً ، وإن تأخر نجد في مداهمة عسير سيجعل منها قوة كبيرة يصعب عليك بعدها النيل منها و يجعل الشريف تلك القوة ، وفي كلتا الحالتين فالخطر علي نجد ، وما علي سلطانها الآن إلا أن يغتنم الفرصة ويُسرع لاقتناص عسير مادامت مشغولة بي ، قبل أن تكون فريسة للشريف ، أو تكون أسداً ، وكذلك وصل رسل من ابن مشيط إلى عبد العزيز رسائل مضمونها أن الأمير فيصل لو تابع تقدمه لحصل علي النصر لأن المعارك الآن دائرة بين آل عائض من جهة وبين كل من راعي صبيا وراعي صنعاء من جهة ثانية ، وأن وضع أبها الآن متردي فلو بقي الأمير فيصل في ديرتنا ، واستمر في حربه لكانت فرصة مناسبة جداً له ، وتقول الرسائل أيضاً : إن ابن عائض قد أمر مشايخ قبائلنا بالالتحاق بقواته التي تحارب راعي صنعاء ، فمنهم من تخّوف فتوقف عن الالتحاق ، ومنهم من خاف ابن عائض والتحق والآن يحاربون ابن حميد الدين . كما تضمنت الرسائل أن ابن مشيط قد كتب لابن عائض أن يختار ثقاة لإجراء صلح بينكم وبينه فأخبرني أن الصلح قد جري بالرياض مع الإمام وأن نسخة من هذا الصلح معه كما توجد معي نسخة منه . وكرر ابن مشيط أن وضع عسير الآن مرتبك ، ويخشي آل عائض أن تصل قوة من عـندكم ، ولم ينهوا القتال مع راعي صبيا وراعي صنعاء ، وختم رسائله بأنه هو حسب رأي وتوجيه الإمام .

وقبل أن يغادر فيصل القويعية وصل إليه بعض عيونه الذين بقوا قريباً من عسير يتحسسون الأخبار ، ويستطلعون التحركات ، وكان منهم عبدالرحمن بن ثنيان ، ومحمد بن محيا ، وسعد بن مقرن ، وعلي بن مضحي ، وأخبروه أن قوات من عسير قد نزلت إلي بيشة وتمركزت بها ، كما جاءت جماعات إلي (رنيه) وأقامت فيها ولكنها ليست علي تلك الأهمية ، غير أن المهم أن مشايخ قبائل بيشة قد ذهبوا إلي ابن عائض وجددوا له البيعة ، وأن ابن مشيط وابن دليم ومشايخ شهران وقحطان يلعبون علي الطرفين .

تحركت قوات فيصل من القويعية في ٢١ ذي الحجة ، واتجهت نحو (صبحاء) حيث =

= كانت مكان استقبال الغزاة من كل الجهات والأطراف حسب اتفاق مسبق ومكاتبات ، ووصل فيصل إلي (صبحا) في ٤ المحرم ١٣٤١ هـ ، والتف حول الأمير هناك ما يزيد علي خمسة وأربعين ألفاً ، وما وصل إلي (الخريق) حتي زاد العدد علي الستين ألفاً ، ولم يبق بينهم وبين (رنية) سوي ضحوة من نهار .

نزل الأمير فيصل بالخريق ، وأرسل سرية استطلاع أمامه فلم تلبث أن عادت إليه مهزومة . وكان أبوه قد أمره بأن يضع أبها نصب عينيه لايتحرك يمنة ولا يسرة حتي يدخل أبها أو يموت دونها .

ولكن جيش الأمير فيصل كان يضم قسماً من قبائل قحطان ؛ وقحطان بالأصل من عسير، وتوالي آل عائض ، ولابد من أن يكون بين القحاطين من ينقل الأخبار إلي أبها ، وفعلاً كانت أخبار حركة جيش فيصل تصل إلي آل عائض تباعاً ، ولهذا السبب كان أبوه قد خاف من ذلك فحشد في الحملة معظم عشائر عتيبة ومطير وعنزة مع حاضرة بلدان نجد .

وكانت هذه الحملة كبيرة في نظر أمير نجد ، ويعطيها أهمية كبيرة حتي كان يتحدث فيقول : إن هذه الحملة إما أن تسلمه عسيراً ، أو تجبرني علي الخضوع لآل عائض .

أثارت هزيمة سرية فيصل الاستطلاعية حماسته وحماسة من معه من القادة ، وخشي أن يوهن ذلك من عزيمة قواته لذلك أمر الجيش أن يتجهز بسرعة ثم أعطي الأوامر بالاندفاع نحو (رنية) ، فانطلق الجيش واجتاح (رنية) بعد مقاومة من قبل حامية عسير القليلة والتي اضطرت إلي الهزيمة والانسحاب ، والالتحاق بإخوانها في (بيشة) ، وكان ذلك يوم ١٢ محرم ١٣٤١ هـ .

استنجدت قوات عسير في (بيشة) وأخبرت قيادتها في (أبها) عما جري ، وعن تلك الجموع النجدية الكثيرة التي تتجه نحوها ، فأمدت القيادة في أبها حاميتها في بيشة بنجدة ، ووصل فيصل بقواته إلي بيشة ، وجرت معارك حامية بين القوتين هناك استمرت طيلة المدة الباقية من شهر محرم ، انتصر إثرها فيصل ، ودخل بيشة وتمركز فيها =

= في الثاني من صفر ، واضطرت قوات عسير إلي الهزيمة والانسحاب إلي (كتنة) ، ولكن المعارك استمرت علي أطراف بيشة مدة شهر صفر فلم يستطع فيصل تجاوز بيشة لشدة المناوشات ، وخوفاً من وجود قوات كبيرة من عسير أمامه ، ورغبة في أن تصل الأخبار إلي الإدريسي فيتحرك علي الجبهة الغربية ويضاعف جهوده ، لعل أن يخف حجم قوات عسير التي أمام فيصل فيقدم بسهولة .

وأعلنت بعض القبائل حيادها خوفاً من كثرة جموع نجد ، في الوقت الذي لا تريد أن تتخلي عن دعم عسير وقيادتها ، ولكن لا حيلة له ، فلا تستطيع أن تقاتل مع نجد بعد أن غلب علي أمرها لكثرة قوات نجد والخوف منها ، فلم تجد أفضل من إعلان الحياد كما لم يكن لديها من السلاح ما تستطيع به المقاومة ، ولم تكن نجد تثق برسائل الإدريسي ولا بالأخبار التي تصل إليهم عن طريقه لذا اعتمدوا أخذ المعلومات عن طريق الأفراد الذين عرفوا المنطقة كتجار من قبل وكمقاتلين أثناء احتلالهم تلك الأرجاء أيام عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي .

وانتشر خبر انتصار قوات عسير علي الحملة النجدية التي أضطرت إلي الرجوع إلي الرياض ، ووصل النبأ إلي تهامة فأخذ بعض سادتها يتطلعون إلي ما كان لهم من دور قيادي في تهامة والذي انتزعه الإدريسي منهم وأخمل ذكرهم ، لكن هذه الأنباء أثارت حماسة نفوسهم إلي مقاومة الإدريسي ، وإزالته فالتفوا حول السيد محمد بن قاسم للتفاهم حول موقفهم مع الإدريسي وكان من بينهم محمد بن ناصر رئيس سادة أهل الحسينية ، فلما اجتمعوا قرروا مباينة الإدريسي والتوجه نحو آل عايض ، واتفقوا علي الكتابة إلي ابن عايض أمير أبها حسن بن علي بن عايض ، وحمل الكتاب علي بن حيدر الحازمي مع وفد يمثل أشراف تهامة ، وانطلقوا إلي أبها عن طريق عقبة ضلع والتقوا بمحمد بن عبدالرحمن بن عايض وتحدثوا معه في واقعهم ، فأكرمهم، ووجههم برفقة أخيه عبدالله إلي الأمير حسن في السقا حيث كان يقيم هناك ، وقد استقبلوا خارج (السقا) وكان حسن ، وبعض آل عايض ، وبعض أعضاء مجلس الشيوخ في استقبالهم ، وقد رحبّوا بهم ، ثم انفرد بهم حسن وبعض من أختار من المقربين إليه ، وشكر لهم حسن صنيعهم ، وأخبرهم أنهم قد وفقوا في اختيار ابن قاسم مسؤولاً عنهم ، وأبان لهم خطر الإدريسي ، في دعوته ، وفي فكره ، وفي سياسته التي بداها بالتعاون =

= مع الطليان ثم مع الإنكليز ، واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين . وأفصح لهم أن لهذه السياسة خطر علي البلاد ، وعلي العباد ، وعلي الإسلام ولابد من الوقوف ضده وضد كل من سار علي شاكلته مهما كان انتماؤه ومهما كانت دعواه . وحسّن لهم اتفاقهم ففي الاتفاق قوة ، وفي الانفراد بالرأي ضعف وتخاذل بل هو التخاذل بعينه ، وسلم الضيوف الكتاب للأمير حسن – وقد اطلعت عليه وقرأته وزودهم حسن بكتاب إلي محمد بن قاسم وبقية السادة ، وعادوا راجعين إلي تهامة .

وقد جاء في كتاب ابن قاسم إلي ابن عائض « لاشك أنكم تعلمون ما وصلت إليه أوضاع تهامة من فساد في العقيدة بما بثه هذا الدخيل المدّعي الانتساب إلي البيت الهاشمي ، وما صارت إليه أحوال المنطقة بما أدخله هذا المدعي من أفكار غريبة تعمل علي تهديد الأفكار الإسلامية ، وبما استورده من أوليائه الكفار الذين يريدون ضرب الإسلام وأهله ليتمكنوا من التمكين لهم ولرهبانهم وصلبناهم . وعمل علي التفريق بيننا حتي لا نستطيع مقاومته والوقوف في وجهه ، وقد رأينا بعد أن صار الأمر إلي ماصار إليه أن من واجب الكبارأن يطرحوا ما بينهم من خلاف ، وأن يتركوا ما حدث بينهم من فرقة ، وأن يبتعدوا عما حاول الإدريسي إيجاده بينهم ، ووجدنا من حق الله علينا أن نستمع لندائه ﴿ يا أيها الذين آمنو استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيكم به .... ﴾ سورة الانفال ٢٤ فأسرعنا لنبذ ما وقع بيننا من شحناء ، واجتمعنا واتفقنا علي الاتصال بكم لنعمل معاً ضد ما يحدث في تهامة قبل أن يستفحل الأمر ، وعندها نسعي فلا نحصل علي شيء ، وندعو فلا يستجاب لنا .

وأملنا بالله كبير أن تتفهموا وضعنا ، وأن تساعدونا علي ما جمعنا أمرنا عليه ، وعلي عزمنا السير عليه مستمدين القوة من الله ..... وإن لم تسعفونا فإننا نخشي أن يمتد نفوذ النصاري إلي دياركم علي يد هذا الدخيل ، ونعوذ بالله من شره ، ومن سلطان شيطانه

وقد انتدبنا إليكم من أجمع رأينا عليهم ليتحدثوا معكم مشافهة في هذا الأمر ونرجو من الله أن يهيء للمسلمين من يقودهم ليرأب صدع ما وقع .

وأما جواب حسن فقد جاء فيه « وإنني أري ألا تمكنوا ابن ادريس من أنفسكم ، =

= واجعلوا بينكم وبينه حبلاً وليمسك كل منكما بأحد طرفيه ، وأرخوه له حتي يجعل الله لكم مخرجاً ، وتنفرج عنا هذه الغمة من الحملات المتوالية علينا من جهة الشرق ، والتي ارتبط أصحابها بما ارتبط به ابن ادريس . وقد تم التفاهم مشافهةً مع رسلكم ، وسيخبرونكم ما حدث .

حملة الشريف : وفي هذه الأثناء أرسل شريف مكة قوات إلي تهامة بقيادة الشريف عبدالله بن حمزة الفعر ، قوامها ألفان معظمها من عتيبة وحرب وهذيل ، ظاهرها مساعدة آل عائض ، وواقعها سلب ما يمكن سلبه في المنطقة في هذا الوقت الذي كثر الطامعون الناهبون ، وأحاطوا بالمنطقة وكل يريد تناول ما تصل إليه يده ، وواصلت الحملة سيرها حتي استقرت في الشقيق ، واتخذته قاعدة . ولما بلغ آل عائض نبأ هذه الحملة ، وهم في مأزق ، لكثرة المصائب المحدقة بهم من كل جهة ، فتجاهلوا الأمر ، وأظهروا الغفلة وتركوا الناس يظنون أن آل عائض يعتقدون أن الحملة جاءت لدعمهم ، ووجّه ابن عائض إلي قائد هذه الحملة أحد مشايخ رجال ألمع هو حسن بن أحمد عبد المتعالي علي رأس وفد وقد اختاروه باسم الترحيب والاستقبال .

والتقوا به وتحدثوا جميعاً عن وضع المنطقة ، وهم يرغبون معرفة المهمة التي جاء من أجلها ، وقد فهموا من حديثه معهم أنه جاء مقاسماً للغنم . . وحاول قائد الحملة جرّ الوفد إلي موالاة شريف مكة فأعطي رئيس الوفد خمسين جنيها إنكليزياً ، وكل عضو من أعضاء الوفد الثلاثة الباقيين خمسة وعشرين جنيها وأخبرهم أن هذا سيتكرر سنوياً من سيدي شريف مكة. مادمتم علي العهد والمحبة لنا ، فأظهروا الرضا وقبلوا المبلغ ، وكل علي انفراد ، وفي الحقيقة كانوا يسخرون من هذه الأساليب وهذه السذاجة في التفكير ، وعادوا إلي قومهم فأخبروهم بما حدث ، وما أخذوا فأثار هذا غضب رجالات عسير واعتقدوا أنه لا يمكن أن يأتي خيراً من هذه الجهة ، التي بدأت تضربهم من الخلف ومن جهة أخري تحاول استمالتهم بالمال ، ولجأ ابن عائض إلي مالم يتعوده فأرسل رسالة تحمل اسم الشريف عبدالله بن حمزة الفعر، وفيها أننا قد أرسلنا لكم دعماً لتسيروا معاً نحو صبيا لنقضي علي هذا الدخيل . وعمل ابن عائض علي أن تقع بيد من يوصلها إلي =

= الإدريسي ، وكان ذلك ... وما إن وصلت هذه الرسالة إلي يد الإدريسي وقرأها حتي قرر التوجه بكل قوة يملكها نحو قوات الشريف . وبذلك استطاع ابن عائض رمي الشريف بالإدريسي وتخفيف الضغط عنه شيئاً لعله يستطيع أن يتوجه قليلاً نحو الشرق . كما أن الأسطول الإنكيزى في البحر الأحمر قد تحرك نحو الشقيق ، وضرب قوات الشريف اعتقاداً منه أنها قوات عسير ، وقد أنزل بها خسائر فادحة ، كما أصاب ميناء الشقيق الدمار ، واضطر من نجا أن يعود إلي مكة . وبقيت مناوشات بين قوات عسير وقوات الإدريسي في درب بني شعبة واضطرت قوات عسير إلي الانسحاب إلي جبل الحمراء لتتمركز فيه . وتتلقي الأوامر من أبها . كما أرسل الشريف دعماً لعبدالله الفعر بقيادة الشريف راجح وأمرهم بالتقدم ما استطاعوا نحو مناطق (بارك) وأن تتوجه نحو أبها فيما إذا بلغهم سقوطها بيد الإدريسي أوابن سعود أو ابن حميد الدين .

الجبهة الشرقية : كان الأمير فيصل قد دخل بيشة ،واستمرت المناوشات بينه وبين قوات عسير التي عملت علي توزيع قوات فيصل علي عدة جبهات غير أنها لم توفق ، وعمل الأمير علي متابعة سيره مندفعاً نحو أبها متخذاً طريق الملك أسعد ، وهو الطريق الذي سلكه الفيل من اليمن نحو مكة أيام حملة أبرهة الأشرم علي مكة ، ويعرف هذا الطريق أيضاً باسم « طريق الفيل » .

سار الأمير فيصل علي سفح الطور تاركاً وادي بيشة (بعطان) علي شماله ليتجنب القري في ذلك الوادي ، والتي ترابط بها بعض قطعات من عسير ، ولكن ذلك لم يكن ليحول دون وقوع بعض الاشتباكات ذلك أن المرتزقة في حملة الأمير كانوا يستغلون ذلك الاندفاع ويغيرون علي تلك القري للنهب والسلب ، فتحدث الاشتباكات مع حماةتلك القري من قطعات عسير ، فتردها .

وعلي الجانب الأيمن كانت قوة من رجال الحجر تكمن في بعض أوديتهم ، ولما مرّ الجيش أمامهم قرروا الإغارة علي مؤخرته ، وما إن اجتازتهم المؤخرة حتي انقضوا عليها وإذا بالأمير قائد الجيش فيها ، إذ كان أبوه أوكل به بعض ثقاته لحمايته وبقوا في المؤخرة بحجة مراقبة الجيش . وعدم تخلف أحد عنه وحمايته من الغارات ، علي حين كانت المقدمة تضم مشايخ القبائل المشاركة في الحملة وبيدهم ألويتهم . =

= كاد رجال الحجر أن يلفوا المؤخرة ويحيطوا بها ، ولكن انتبه الجيش إلي ذلك ورجع يحمي مؤخرته ، وينقذ قائده ، وتمكن من دحر رجال الحجر ، وهرب من تمكن الفرار إلي شعابهم ومرتفعاتهم عندما تكاثرت عليهم المقاتلة ، وإن كان قد خسر الطرفان خسائر جسيمة ، وأربك رجال الحجر مسيرة الجيش ، وأصبح يفكر في كل خطوة يخطوها ويحسب لها حساباً لما قد يعترضه .

تمكن الأمير فيصل من الوصول إلي قاعة ناهس بعد معارك جانبية ، وكان أكثر ضحاياها المرتزقة الذين لم تكن تهمهم سوي الغارات للنهب فيلقون حتفهم دونها ، وتمركز هناك، وأعاد ترتيب الجيش لدخول بلاد شهران ، ومن ثَمَّ أبها .

وجاءت وفود من شهران ، وناهس ، وعبيدة تمثل قبائلها ، وتعلن الحياد ، وطلب الأمان بحجة أنهم لايملكون السلاح ، وطلبت قيادة نجد إلزامهم علي القتال بجانبها فأعلنوا أنهم لايمكون السلاح ، فطلبوا التسليح للقتال فخشيت منهم ، وتركتهم ، ولكن ألزمتهم علي إحضار الطعام للمقاتلين والعلف للدواب وتأمين ما يحتاجه الجيش ما بقوا في مكانهم، وقد عانت القبائل الأمرين ، إذ هُدِّدوا بتدمير قراهم ، وتشريدهم منها إن لم يؤدُّوا ما طُلب منهم .

بث الأمير فيصل عيونه ليعرف قوة عسير ويعجم عودها ، ويستطلع استعدادهم ، والروح المعنوية ، وجاءت الأخبار أن آل عائض قد حشدوا كل قواتهم ، واستدعوا مقاتلتهم في تهامة واليمن ، ويستعدون لخوض معركة فاصلة ، لذا يجب الاستعداد لذلك وأخذ الحذر ، وجمع ما يمكن جمعه من قوة ، ومن مقاتلة القبائل التي أعطت ولا ءها .

وحّد الأمير فيصل قواته حسب رأي مستشاريه وتحرك نحو (ذهبان) و (قاط) ويريد بلاد شهران ليجعلها قاعدة له ، ومنطلقاً لقواته .

بعث آل عائض قوة لهم إلي (ذهبان) لتنازل القوات النجدية الغازية ، وتتلقي عنفوان الصدمة الناتجة من اندفاع النجديين وحماستهم ، ولتختبر أيضاً عزمهم وعزيمتهم وحدث اشتباك استمر حتي ضحي ذلك اليوم ، حيث شعر الغزاة بالتعب ، وأصابهم الوهن ، وضعفت روحهم المعنوية حتي تملكهم الشعور أن الأودية كلها محتشدة بالمقاتلين =

= من خصومهم هذا مع كثرة عددهم وأحست مقاتلة عسير بذلك غير أن قلة عددها قد جعلتها تفكر بالانسحاب فهي لم تأت لتخوض معركة فاصلة ، وإنما جاءت لتوهن من شأن أعدائها وقد أدت مهمتها ، وما عليها إلا الانسحاب ، وقد فعلت ، فتراجعت إلي جبل (قاط) جنوب غربي (الخنفة) حيث تتمركز هناك قوة حماية لها ، وكان لديها مدفع يلقي بقذائفه علي قوات نجد المندفعة ، لتتمكن هذه القوة الاستطلاعية من التراجع تحت ستار حماية الرمي ، فكانت قوة جبل (قاط) ظهراً لتلك القوة الاستطلاعية وحماية لها . وكانت هناك قوات حماية أخري إحداها في جبل (حليلي) جنوب (حجلي) والثانية في جبل (القنة) بأعلي (العصان) .

كانت الأوامر لقوات عسير صريحة أن كل من أوشكت ذخيرته علي النفاذ فليبُق بعضها للدفاع عن نفسه ولحمايته أثناء الانسحاب ، وليكن توجه المنسحبين إلي (السقا) للمرابطة هناك .

حشد آل عائض قواتهم في (حجلي) ، ونصبوا قوة حماية لها علي جبل (قحطان) المشرف علي (حجلي) هذا بالاضافة إلي قوات الحماية الأخري المتمركزة علي مرتفعات أخري والتي سبق أن ذكرناها .

وجاءت الأخبار إلي قيادة الجيش النجدي أن القوات العسيرية قد تجمعت في (حجلي) ، فأعطت القيادة أوامرها بالتحرك نحو (حجلي) لملاقاة الخصم هناك .

اندفع جيش نجد نحو (حجلي) فى ١٦ محرم ١٣٤١ هـ وتلقته قوات عسير بقصف مدفعي في سبيل توجهه نحو وادي (حجلي) ، أو وادي (تارة) تجنباً للقصف المدفعي ، وحيث نُصبت لهم هناك كمائن تنتظر الانقضاض عليهم ، غير أن القيادة النجدية قد أدركت الخطة ، وأمرت جندها باستمرار اندفاعهم نحو الأمام دون المبالاة بالقصف المدفعي رغم ما يفتك بهم ويبدو أن هناك من حذّرهم من سلوك طريق الواديين المذكورين لمرابطة كمائن في أماكن محصنة ، وهذه المعلومات ربما وصلت إلي القيادة النجدية عن طريق عيونهم في الجيش العسيري .

التقت القوتان المتحاربتان في (حجلي) واستمرت المعركة ضارية يومي (١٧) ، (١٨) محرم ، ولم تكن هذه المعركة بأقل ضرواة من =

= سابقتها أيام عبدالعزيز بن مساعد وفي المكان نفسه . وانسحبت بعدها قوات عسير نحو أبها تدريجياً وذلك لنفاذ ذخيرتها .

احتل النجديون (حجلي) وتمركزوا فيها ، وبعث فيصل يخبر الإدريسي بذلك ، ويطلب منه إرسال قوة بسرعة إلي أبها لتساند قوته ويحاول إشغال قوات آل عائض ، فأرسل الإدريسي ما طلب منه ، وأمر قادته أن يظهروا للقبائل التي يمرون عليها أنهم جاءوا دعماً لآل عائض . كما بعث بقوة إلي رجال ألمع تشاغل قوات عسير ، وبقيت مدفعية عسير ترشقهم بقذائفها بين المدة والأخري لتحول دون تقدمهم نحو أبها ، ريثما تكون الاستعدادات العسيرية قد تكاملت هناك ولتحمي انسحاب القوات من (حجلي) .

كان آل عائض قد حصنوا أبها بأن وضعوا قواتهم المنسحبة في القلاع المحيطة بأبها وقد تحصنوا . في تلك المعاقل .

كان آل عائض قد أبقوا قوات قليلة مقابل تهامة وأمام قوات ابن حميد الدين علي حين سحبوا الباقي وهو القسم الأعظم إلي الجبهة الشرقية ، ولم تكن القوات القليلة المتبقية لتتمكن من الدفاع وإنما كانت أشبه ما تكون بقوات الإنذار وإعلام القيادة بما يستجد علي تلك الجبهات .

ولما وصلت أنباء الجبهة الشرقية إلي الإدريسي وإلي ابن حميد الدين تحرك كل منهما علي جبهته وقد وجد أن الفرصة قد واتته فاندفع يريد المغنم . فابن حميد الدين قد دخلت قواته ظهران ، وأتبعتها بنجران ، ودافع العسيريون دفاع المستميت ولكن الكثرة قد غلبت الشجاعة وتفوقت عليها ، وقتل من قادة عسير شاهر بن راسي ، ومحمد بن كعبان ، وسعد بن صبحان .

أما قوات الإدريسي فقد تحركت بسرعة نحو المجموعة العسيرية المرابطة في (الحمراء) وتتكون من بني حبيب وبني واثلة وبني أنمار وبني ربيعة ، فأزالتها عن مواقعها ثم اتجهت إلي بني شعبة لترتقي السراة عن طريق عقبة (الصماء) متحركة نحو أبها ، واتجه قسم آخر نحو عقبة (ضلع) للسير نحو أبها لتلتحق بمن سبقها . =

= ووصلت الأخبار إلي الأمير فيصل فألقت الشجاعة في نفسه ، وبثت الحماسة في أفئدة مقاتليه ، فأمرت القيادة بالتحرك نحو أبها .

أعطي الأمير حسن آل عائض أوامر بإخلاء أبها والتحاق سكانها بـ (السقا) كي لاتقع المآسي التي حدثت أيام دخول ابن مساعد وحتي لاتتكرر المصائب والتعديات علي المحارم . وأمر المدفعية المحيطة بأبها والمتمركزة علي الجبال أن تنقل إلي الجبال المحيطة بـ (السقا) وتتمركز في جبال (الحفير) و (الخضراء) و (القرن) وغسان بين (ضمو) و (نهران) . وعرض بعضهم علي الأمير حسن أن تبقي المدفعية في أماكنها تدفع عن أبها غائلة قوات فيصل التي لايمكنها أن تدخل أبها مهما كانت والمدفعية في أماكنها ، فأجاب : إن المهم الآن هو الإدريسي ، ولتكن أبها بيد (السيدان) ولا تكن بيـد (الضربان) ويجب توجيه الجهد الآن ضد الإدريسي .

أخليت أبها من أهلها تحت حماية قواتها التي وقفت في وجه الغزاة تدفعهم عن المدينة وتفسح المجل للسكان بالإخلاء والارتحـال ، ولم تكن قوات فيصـل بالحملة التي يستهان بها ، فقد حشد فيها أبوه عبدالعزيز خيرة رجاله وأفضل قواته ، ومعظم جموعه ، وكان المدد لا ينقطع عنها لا بالذخيرةوالسلاح ، ولا بالقوات والعتاد ، وكانت المراسلات لاتنفك بين قيادة هذه الحملة وبين قاعدتها الرياض ، والتي انتقلت إلي جبال (سقمان) ليكون قريب المدد من ابنه ويتلقي الأخبار بسرعة ، وجعل أخاه محمداً أميراً علي الرياض ، وكانت هناك رموز للتفاهم بين الوالد وولده ، لايعرفهما سواهما كي لاتشيع الأخبار المخيفة في حالة الهزيمة ولا الإشاعات المرجفة عند توقّف النصر ، فقد كان يشار إلي خسارة الألف قتيل بفقدان رجل واحد ، وقتل خمسمائه جندي بإضاعة فرس ، وإذا حدث نصر أشير إليه بالغيث ، وإن حلت هزيمة لمح إليه بالنصر ، وإذا ما رغب مدداً أشار بسلامة الطوراف ، وهذا ما حدثني به ابن زيد ، وكان عبدالعزيز يأمر بقراءة رسائل يدّعي أنها من جبهات القتال وتحمل بشائر النصر لترتفع معنويات النجديين .

ولما ترامت أخبار ما وقع للحملة في بيشة وما بعدها إلي أمير نجد جمع ماأمكنه جمعه وسار بهم نحو (صبحا) ومنها إلي (سقمان) حيث رابط هناك ينتظر خبر أبها فإن =

= ظفر بها فيصل قفل عبد العزيز من (صبحا) إلي الرياض ، وإن فشل فيصل وحلّ به ما لم يتوقعه سار إلي أبها بنفسه ، مع تلك الجموع التي سيّرها مع فيصل والتي انطلقت معه إذ حشد كل طاقاته ليتمكن من القضاء علي الإمارة العائضية ، وأمر ابن مساعد أن يكون علي أهبة الاستعداد بقبائل الشمال ، وطلب من ابن جلوي أن يتاهب بقبائل المنطقة الشرقية إن دعت الظروف لتحركهما للانطلاق نحو عسير .

دخل الأمير فيصل أبها ، ووزع قواته علي السفوح المطلة عليها ، في سفوح (العرضي) وسفوح (الخشع) وسفوح (ثبته) ، وعلي القلاع المشرفة عليها ، ليجنبهم احتلال الأحياء خوفاً من أن يكون المقاتلة قد تحصنوا بها بجانب أهلها ، وأن تكون شائعة الإخلاء مكيدة ، وربما تكون هناك ألغام موجودة أو مواد مسمومة وضعت بصورة مقصودة .

وأما آل عائض فتمركزوا بـ (السقا) ومعهم ما بقي من قوات ، وما لديهم من بقايا ذخائر ، واستمرت المناوشات بين الجانبين دون أن ينال أحدهما من الآخر شيئاً .

أعطي الأمير فيصل قواته الأوامر بالكفّ عن المناوشات مع آل عائض ، وأعطي الأمان لمن أراد أن يعود من أهالي أبها إلي ديارهم ، وأسرع بالكتابة إلي والده لإخباره بما تم ، وكان السكان قد أخلوا المدينة بناء علي أوامر حسن ، والتجأوا إلي القري المحيطة بها ، فلما سمعوا بالأمان أرسلوا نوابهم إلي السقا لمعرفة رأي القيادة العسيرية ، فلم يمانع الأمير حسن بالعودة لمن أراد علي أن يتخذ الحذر وسيلة له . فعاد الكثير من أهل أبها إلي منازلهم .

وبعد ثلاثة أيام من عودة الأهالي إلي مساكنهم طلب الأمير فيصل القدوم إليه للسلام عليه، ولتسليمهم سلاحاً جديداً ، والقصد من ذلك جمع ما لدي السكان من سلاح ، ومعرفة فيما إذا كان قد وصل إليهم سلاح أو ذخيرة من جديد للانقضاض علي الدخلاء . ولكن الأمير فيصل لم يجد جديداً فنزع السلاح من أيدي أصحابه ، واكتفي بهذا التصرف .

بقي الأمير فيصل وقيادته في أبها ، ويحاولون شدّ رجال قبائل المنطقة إليهم ، ولكن دون=

= جدوي لأن آل عائض لايزالون متمركزين في السقا ، ولهذا رأت قيادة نجد أنه لابد من السيطرة علي المنطقة بالقوة وإخضاع آل عائض ، وجعلهم تحت قبضتهم ، أو كسب أفراد منهم ، أو إبعادهم عن عسير . ولهذا بعثت بقوة نحو مقر آل عائض في (السقا) لكن هذه القوة رجعت منهزمة ، فأتبعتها قيادة الأمير بقوة أخري نحو (الحرملة) وتقدر بخمسة آلاف ، وسارت عن الطريق الغربي (المثربان) فـ(نهران) ، وفي الوقت نفسه أرسل الأمير فيصل قوة أخري قوامها خمسة آلاف عن طريق بني مالك فبلاد ربيعة ورفيدة إلي جبل غسان (تهلل) لتهبط من هناك إلي (السقا) ، فتشاغل القوات فيها، وتكون القوات المتجهة نحو (حرملة) قد دخلتها ، وخاصة أن قيادة الأمير فيصل قد أخبرت أن (الحرملة) هي القاعدة الأساسية ،إذ يجمتع بها مجلس الشوري العسيري وهي أحد معاقل آل عايض الرئيسية .

وسارت حملة نحو (السقا) وقوامها خمسة آلاف عن طريق جبل الشرقي متجنبه القري كي لاتصطدم بالقبائل ، وطلب من هذه الحملة أن تتباطأ بالسير ريثما تصل القوة الأخرى التي سارت عن طريق بني مالك فربيعة ورفيدة ، وطلب منها مشاغلة قوات (رجال ألمع) المتمركزة في شرف عقبة بني العوص كي لا تستطيع القوة المتجهة إلي (الحرملة) من تدميرها .

استطاعت القوة المتجهة نحو (الحرملة) أن تصل إلي رهوة (رهمة) وهي المنفذ الوحيد للحرملة من السراة ، وتمركزت في (المحرث) . وأعطت قيادة عسير الأوامر إلي قبائل (آل ويمن) و (بني مازن) و (آل مفرح) و (بني السكران) و (آل محاج) بترك الحملة في المحرث وإغلاق الطريق الذي يأتي إلي (المحرث) والذي يخرج منها نحو (الحرملة) . وكلاهما طريق ضيق أشبه بالخانق إذ لايتسع لمرور أكثر من فرد علي دابته .

وعندما وصلت القوات المتجهة إلي (الحرملة) إلي (المحرث) أحرقت قصره ، وعندما أرادت التوجه نحو (الحرملة) وجدت الطريق مسدودة ، وعرفت أنه لا جدوي من سيرها ولا فائدة من بقائها ، فقررت العودة فوجدت الطريق مغلقة أمام عودتها فأيقن رجالها بالهلاك ، وأنه قد أحيط بهم ، وفعلاً بدأ الرصاص ينهال عليهم كزخ المطر ، فوجهوا =

= بنادقهم نحو مصدر الرمي فلم يجدوا إلا غابات من شجر العرعر ، فأيقنوا بالموت ولكن لابد لهم من المقاومة . بدأت المعركة من صباح يوم العاشر من ربيع الأول عام ١٣٤١ هـ ، واستمرت إلي ما بعد العصر ، حيث رأي النجديون أنه لابد من الاستسلام فقد فقدوا أكثر من ثلاثة آلاف قتيل .

فرفعوا أيديهم إشارة إلي طلب الاستسلام ، فجاءهم الأمر بإلقاء السلاح ، وجاءت فرقة عسيرية تجمع السلاح ، وفسح لهم المجال بالعودة إلي أبها ليعلموا قياداتهم بما حلّ بهم عسي أن تعود إلي رشدها . وكانت هذه المعركة قد جعلت قوات في أبهاتخشي تصعيدها عليهم من القبائل المحيطة بهم فيما إذا وصلت إليها أخبار ما حل بهم لذا فإن قيادة نجد قد ألغت من فكرها موضوع دخول (الحرملة) ...

وكان سلاح تلك الحملة الذي أخذه العسيريون ذا فائدة كبيرة بالنسبة لهم إذ استعملوه في مقاومة القوات النجدية .

أما الحملة التي سارت عن طريق بني مالك فقد اصطدمت بقوة من رجال الحجر ومعهم بعض بني مالك ، وبعض رجال من ربيعة ورفيدة ، وجرت معركة بين الطرفين في بلاد بني رزام بن عمرو ، وتمكن العسيريون من الأنتصار علي الحملة النجدية ودحرها بعد أن تركت بعد أن تركت الكثير من أفرادها قتلي ، ومن نجا رجع إلي أبها .

وأما حملة السقا فقد واصلت سيرها حتي وصلت إلي جبل (المقضي) المطل من الغرب علي وادي خبيب ، فانتشرت هناك علي سفوحه ، ودخلت (العزيزة) ، وتبطنت الوداي ، وتمكنت من بلدة (القارّو) واستطاعت المقاومة والثبات ، ومما ساعدهم علي التقدم القصف المدفعي الذي كان يدعمها من جبل (المقضي) حيث رابطت هناك مدفعية أهل نجد ، والتي كانوا قد استولوا عليها بعد معركة (حجلي) وبقيت مناوشات بين الطرفين ، ونقلت المدفعية النجدية رميها إلي السقا لتدكّ تحصينات العسيريين هناك ، كما طلبت من قيادتها دعماً لإمكانية الوصول إلي السقا واحتلالها ، وأبلغت قيادتها أن تمركز المدفعية في جبل (المقضي) سيحمي النجدات ، ويدعم السير إلي السقا .

اجتمعت قيادة الأمير فيصل في أبها ، ودرست الموضوع ، وقال الأمير فيصل : =

= إننا لم نأت إلي عسير ، وإنما جئنا إلي آل عائض لذا يجب تركيز الجهد لدخول (السقا) وإلقاء القبض علي آل عائض أو علي بعض أفراد منهم ، فإذا تم لنا ذلك استسلمت قبائل عسير وحصلنا علي مانريد . ومن هنا قرر الجميع حشد كل طاقاتهم والتوجه الي السقا ، وملاحقة آل عائض أينما كانوا .

جمع قادة نجد كل إمكاناتهم وساروا نحو السقا ، غير مبالين بما يلاقون ، وكانوا قد تركوا حامية في أبها قوامها عشرة آلاف مقاتل .

كانت القوات النجدية قد انقسمت إلي فرقتين فرقة سارت باتجاه القوات المرابطة في جبل (المقضي) ومن هناك تنطلق إلي (الخضرا) وتأتي السقا من جهة الشمال ، وتحول دون هروب آل عائض من هذه الناحية ، وسارت الفرقة الثانية من (المجمعة) إلي (العزيزة) في طريقها إلي (القازو) لكي تتابع سيرها إلي السقا من جهة الشرق . ولما وصلت هذه الفرقة إلي (القازو) وجهت قوة منها إلي بلدة بني تمام بن حسن لتدخل السقا من الجهة الجنوبية الشرقية .

وصلت هذه القوات الي السقا تحت حماية المدفعية ، وأحاطت بالسقا من جهاتها الثلاث (الشمال ، والشرق ، والجنوب) وتمكنت من دخولها ، ولكن استطاع آل عائض من الانسحاب مع من بقي من قواتهم من ناحية الغرب ، إلي الولجة ، حيث تمركزوا هناك ، وذلك في ١٥ ربيع الأول ١٣٤١ هـ ، وجبل الولجة يطل علي السقا وما حولها .

إن إحتلال القوات النجدية للسقا قد رفع من معنوياتهم ، وأضعف من معنويات بعض قبائل عسير بعد نفاذ ذخيرتهم ورؤية النجديين يسيطرون علي أبها والسقا اللتين تعدان قاعدتي المنطقة .

اجتمعت قيادة عسير ودرست الوضع في البلاد ، ووجدت أن الحالة غير حسنة وأنها تتدهور باستمرار ، وأنهم في منطقة شبه منعزلة ، ولايملكون مدفعية ، ولوكانت لديهم لأمكنتهم طرد القوات النجدية من السقا والعودة إليها ، ولكن المدفعية غير متوفرة ، وأن الذخيرة قد نفذت أوهي في طريقها إلى النفاذ . لذا رأوا إلقاء آخر سهم في أيديهم وهو العودة الي الاتصال بالشريف عسي أن يغير رأيه الذى أرغمته عليه =

= بريطانيا بأن يمسك الحياد فلا يدخل في حرب مع ابن سعود طالما هو في حرب مع آل عائض ولا يوثر علي وجود الإدريسي في تلك الحرب ، ويرسل الذخيرة والدعم ، وحتي يتم هذا رأوا أن تكون (الشرفة) في جبل (قو) مقراً للقيادة .

اتجه آل عارض بمن معهم من الواجة إلي عقبة الظهار متخذين من ظهر الأشقر درباً إلي (الشرفة) ، ومن العقبة نزلوا إلي الجوجو (بني النجيم) ومن هناك إلي وادي عرفة ، ثم إلي جبل (ثاه) من بلاد بني زيد بن عمرو ، ومن هناك ساروا الي الشرفة . ونزل بعضهم إلي (ريدة) عن طريق عقبة الحفير فبلاد بني زيد مخترقين وادي (مربة) واجتمع الفريقان بالشرفة .

وقبل أن يغادر آل عائض السقا إلي الواجة أعطوا أوامرهم لمشايخ القبائل باستسلام قبائلهم للغزاة بعد أن أخذ الأمان . وقد تم لها ذلك ، ولكن بقيت مناوشات بين القري العسيرية وبين الغزاة لأن الاستسلام قد فسح المجال للمرتزقة المنضمين إلي جيش نجد أن يقوموا بأعمال السلب والنهب ، ولم يرعوا ما أعطت القيادة سكان عسير من أمان ، وقد احتلت قري بني مغيد ، وعلكم ، وبني مالك ، وربيعة رفيدة ، وانتشرت فيها .

ترك الأمير فيصل حامية في السقا ، ونزل إلي أبها . أما آل عائض وقيادتهم فقد استقرت في الشرفة ودرست الوضع وقررت إرسال وفد إلي الشريف ، ويضم الوفد : محمد بن عبدالرحمن ، وعبدالله بن عبدالرحمن ، ومحمد بن ناصر ، ومحمد بن علي ، وبعض الأعيان مع هؤلاء العائضيين..

لما علم الإديسي باستقرار آل عائض في الشرفة أرسل قوة إلي (حلي) ليحول دون وصول مساعدات من الشريف إليهم ، وليمنع هرب آل عائض ، وفي الوقت نفسه أرسل قوتين إلي الشرفة لإلقاء القبض علي آل عائض أو القضاء عليهم ، ولكن هاتين القوتين قد هزمتا ، فأردفهما بقوة وأمرهم بالتمركز في (قنا) و (بحر ابن سكينة) وطلب منهم الارتباط بقواته المتجمعة في (حلي) بقيادة مصطفي النعمي . =

= أرسل النعمي قوة بقيادة يحيي بن عجلان إلي الشعبين لاحتلالها وطرد قوات آل عائض منها ، وبعث بأخري بقيادة قاسم إبراهيم إلي محايل للتمركز فيها وطرد قوات آل عائض منها أيضا ، ووجه محي بن عرار علي رأس قوة (رجال) لاتخاذها قاعدة له. غير أن هذه القوات لم تستطع واحدة منها تحقيق أهدافها ، إذ تصدت لها قوات بني الصيـق بن عمرو من بنـي زيـد ومن بني بكر بن وائل ، وبني قيس بن مسعود ودحرتها، ولاحقتها ، وكانت القوة التي سارت نحو محايل قد نهـبت دور بنـي خالد (مخـالد) .

بعث ابن عائض بقوات من بني ثوعة ، وبني عاصم ، وبني البنا ومن بني ربيعة بن عدي (الطحانين) ، ومن بني ربيعة بن عمرو (المقاطرة) ، وقسم من الصواقعة ، وقسم من بني شعبة ، كي تساعد قواته التي تلاحق جماعة الإدريسي ، وتتابع سيرها لإحتلال (حلـي) وطـرد جمـاعة الإدريسي المتمركزة هناك ، سارت تـلك القـوات النجدية بقيـادة « عواض بن محي » واحتلت (حلي) وأخرجت منها أعوان الإدريسي الذين رجعوا الي (صبيا) في ١٥ من شهر ربيع الثاني ١٣٤١ هـ.

التفكير بالعودة : لما رأت قيادة الحملة النجدية استقرار آل عائض بالشرفة وعودة القبائل للالتفات حولهم ، وتسيير الفرق العسكرية إلى مختلف الجهات ، وإحراز النصر علي جماعةالإدريسي في كل المواقع التي خاضوها معها ، وارتفاع معنويات العسيريين نتيجة ذلك ، وعودة صفة الدولة لتلك الإمارة إذ لم يكن من أمر إلا انتقال مركز القيادة من (أبها) إلي (الشرفة) ومن هنا لايمكن استسلام آل عائض ، بل إن قوتهم لاتزال ، وصمودهم باق .

ومن جهة ثانية وجدت القيادة النجدية أن جندهم قد أخذوا بالتضجر نتيجة الاستقرار في بيئة تختلف عن بيئتهم الأصلية التي هي البداوة ، واختلفت حياتهم من النهب والسلب، والكر والفر ، والسير وراء الإبل ، إلي الاستقرار بجمود ، كما أخذت معنوياتهم تضعف نتيجة ما يصل إلي أسماعهم من انتصارات قوات آل عائض علي جماعة الادريسي وما يصل إليهم من أراجيز تندد بانضمامهم إلي عدو لقبائل هم جزء منها ، وازديادهم =

= قوة نتيجة ما يحصلون عليه من سلاح وذخيرة من معاركهم تلك ، وأن القوة لم تكن لتعوزهم وإنما كانوا بحاجة إلي السلاح والذخيرة وها هي توفر لديهم بعضها فإذا حصلوا عليها تمكنوا ولم يبق أمامهم سوي التوجه نحو أبها لإخراج الغزاة منها ، وطرد من أبعدوهم عنها ، وهي بلدهم ، وأخذت الشائعات تزداد عندما رأي إمام الجيش النجدي عبدالله بن حسن آل الشيخ ضرورة عمل شيء لإنقاذ الوضع .

اجتمعت قيادة الحملة النجدية ورأت ملاينة ابن عائض ، والعمل علي صلح معه يرضي عنه الإمام عبدالعزيز ، وتدارست القيادة الموضوع ، وقلبته علي وجوهه ، فالحجاز لايزال قوياً ، وتفكير أشرافه بدخول عسير لأن هزيمتها بدء لزواله ، وابن حميد الدين يقتطع أجزاء ويعمل لتقوية نفسه ، والإدريسي لم يبد مقاومة وإنما هزم في كل معاركه ، ونخشي أن يكون ذلك استدراجاً لنا فتأتي قوات من جهة بيشة وتحيط بنا . وأن طول البقاء في أبها من غير جدوي ليس في مصلحتنا ، وقد ثبت آل عائض أقدامهم من جديد ، وما علينا إلا الملاينة واتخاذ أسباب لإجراء الصلح ، وأما القتال والزحف وراء آل عائض ، وهذا لا نستطيعه ، لأننا لو تقدمنا نحو الشرفة لجاءت القبائل العسيرية إلي أبها ودخلتها ، وأصبحنا في وضع تحيط بنا قبائل عسير من كل جهة . ولو كانت بأيديها أسلحة وذخيرة لما أمكننا الوقوف أمامها وقد حصلت عليه الآن من معاركها مع الإدريسي ، ومعنا في المحرث وغيرها . وأن الإدريسي لا يمكن الركون إليه ، فهو كالجربوع ، وليس غريباً أن يسبقنا للتفاهم مع آل عائض بعد أن وجد نفسه ضعيفاً أمامهم ، وأننا لو توقفنا في مكاننا لانستطيع دعمه ، ولما حصل له مع ابن مساعد ، وإن طال بنا الوقت شهر واحد في أبها لانسل الإخوان من بيننا وعادوا علي غير علم منا، فلننه الوضع بخير قبل أن يأتينا شر ، إذ ترون من الإخوان الإلحاح بالعودة - هذا ما حدثني به محمد بن جيفان فيما بعد - ورأي المجتمعون الكتابة الي ابن عائض .

كتب الأمير فيصل هو وعبد الله آل الشيخ كتاباً إلى الأمير حسن بن عائض جاء فيه « لابد من مواجهتكم بالحقيقة، بأننا لم نأت لنحتل عسير ، وإنما جئنا للإصلاح بينكم وبين الإدريسي إذ استنجد بنا ، ونرغب أن نكون يداً واحدة وهدفنا صالح البلاد ، والعباد والعمل للإسلام .

= أن تتوقفوا عن قتال الإدريسي ، وتضعوا حداً بينكم وبينه ، وأن نعقد صلحاً معاً نخرج فيه من أبها ونعود إلي ديارنا ، ونتعاهد علي أن نكون يداً واحدة تعمل لخدمة الإسلام والمسلمين ، وتسعي لجمع شمل جزيرة العرب ، وإنهاء التفكك والخلافات القائمة، وإن ما حدث بينكم وبين الإمام ما هو كما يقع بين الأخ وأخيه من اجتهاد أخطا فيه واحد وأصاب الآخر ، وما وقع لم يكن ليبعدكم عن الحق وهذا ظننا بكم وبأسلافكم فقد عُرفوا بالحكمة ، ومن نكث ينتقم الله منه ، ونعطيكم عهد الله وأمانه علي مانقول .

وقد حمل الكتاب إلي ابن عائض : سعد بن عفيصان ومحمد بن جيفان ، وآل عفيصان من بني مرحلة (المراحلة) من بني عائذ بن صقر من مذحج ، وكان بنو مرحلة ضمن القوات التي وجهها الأمير إبراهيم بن عائض بن علي اليزيدي عام ٩٢٩ هـ إلي مقرن الجبري لدعمه ضد البرتغاليين ، وبعد مقتل مقرن انحازت المراحلة إلي بني سلمة في الخرج وانضمت إلي قوات حسين بن زامل عامل الأمير إبراهيم علي اليمامة وقد ذكر دخول البرتغاليين إلي الخليج صاحب « الروض المستطاب » ولم تزل المراحلة في أماكنها إلي الآن وقد تفرقت إلي بيوتات منها آل عفيصان .

ولما وصل الوفد إلي ابن عائض وسلمه الكتاب ، استقبلهم بحفاوة وأجلسهم عنده يوماً ليروا وضع القبائل العسيرية ، وعبادتهم ، وحسن التأدب ، وفي اليوم التالي بعث معهم كتاباً وأكرمهم ، ومما جاء في الكتاب :

« ما أجمل ما جاء في كتابكم لو كان يخرج من فم ناطق بالصدق ، وقلب عاقل بالحق، وأن ماذكرتم أن ما حدث إنما يقع بين أخوين ثم ينتهي الأمر إلي رشد ، وهذا صحيح لوكان الأمر بالاجتهاد ، والحديث بالكلام ، والمعاملة بالإخلاص ، وصدق النية ، أما أن يتعدى الأمر إلي السلاح ، واللعب بالنار ، وانتهاك الحرمات ، ودرس الكرامات فهذا لايقع بين الإخوان . وأما ما جاء في كتابكم من وحدة الجزيرة والعمل لصالح الإسلام والمسلمين، فهذه رغبتنا أيضاً والإسلام يدعو إلي وحدة المسلمين ، وجعلهم تحت قيادة واحد تمثلها خلافة لا لأن تكون وحدة يدعو إليها كل فرد ، ويدّعي أنه أمير أو إمام، ويتسلط علي رقاب العباد ، ويستبد بالبلاد وتعلمون أنه ما أكثر هؤلاء اليوم ، ولم يخترهم أحد وإنما جاء بهم الأعداء ، وارتبطوا بالكفار من يهود ونصاري ، لأنهم هم الذين =

= وضعوهم لقد وضعوا علي كل شلو مما مزقوه عبداً لهم سموا أميراً ، ودعموه كثيراً فهو ينطق باسمهم، ويعمل حسب توجيههم ، ويقول بعدها إنه يريد صالح البلاد والعباد ، والوحدة والاجتماع ، وتحكيم الشريعة والفرقان فكيف يصدّق الإنسان ويعرف المحق من الكذّاب ، إن المرء لايعرف إلا بما يراه من الواقع ، وفعل هؤلاء الرجال ... فماذا رأينا من إخوتنا ضيوفنا في أبها الآن ؟

إن المسلمين قد ابتلوا اليوم بسادة أذلوهم لأن هؤلاء السادة قد نصبوا باختيار النصارى ، ليصلوا من ورائهم إلي ما اجتمعوا عليه من كيد للإسلام والمسلمين .

وأما الإدريسي فهو جرادة لايحطب لها ، وقد جعلتموه طبلاً تقرعون عليه لإزعاجنا ، وإن بقاءه في تهامة ليس فيه أي مصلحة للإسلام أو المسلمين ، لكنه ضلّ وأضلّ ، ثم استخفت به إيطاليا وبريطانيا فقد كان لعبة بأيديهما ، وأداةً طيّعة لهما ، وأمكنني الله به لازيلنه ، وأعتقد أني أرضي الله بذلك ، ولاتكن غايتكم منه كغاية إيطاليا وبريطانيا.

وإن ما بيننا سينتهي بإكراه واحد منا والله غالب علي أمره ولكن أكثرالناس لايعلمون ، وليس نصر أحدنا يعطي الدليل علي أنه صاحب الحق ، فإن لله حكمة ».

وتلا ذلك مخابرات لم يصلوا بها إلي اتفاق يرضي الطرفين ، وكان آخرها في مطلع شهر جمادي الأولي عام ١٣٤١ هـ .

وكان آل عائض يحاولون الإطالة في تلك المراسلات ريثما يعود وفدهم من مكة ويعرفون نتيجة تلك الاتصالات وفي نفسه لتنهار جماعة الإدريسي ، وليزداد سأم قوات نجد ، حيث كان آل عائض علي معرفة بما يحدث في صفوف النجديين من عيونهم بينهم ، وليكثر عدد المتسللين من جنود الأمير فيصل والذين يسأمون من بقائهم في أبها من الإخوان ، وكانت هناك خطة في الشرفة تدبر لمباغتة الأمير فيصل وقيادته .

وكذلك فإن ابن حميد الدين قد تقدّمت قواته واجتاحت نجران وأصبحت علي مشارف بلاد سنحان ، وأشاع العسيريون أن هذا الزحف كان بالاتفاق مع آل عائض لتطويق قوات نجد في أبها ، كما أشاعوا أن هناك قوات من مكة قد اتجهت نحو نجد . =

= وكانت هذه المعلومات والأخبار السرية تصل إلي الإمام عبدالعزيز عن طريق عيونه التي زجّها بين صفوف قواته ، فكتب إلي ابنه فيصل كتاباً يستحثه فيه علي العودة الي الرياض علي أن يترك في أبها قوة بإمرة سعد بن عفيصان ، ويكون قوامها خمسة آلاف من نجد ، ووصل هذا الكتاب في الثالث من شهر جمادي الأولي ١٣٤١ هـ .

وطلب الإمام عبد العزيز ولده فيصلاً أن يأمر عفيصان بأن يكون وقواته تحت إشراف ابن عائض ، والذي له التدبير في شؤون عسير . ويجب علي ابن عفيصان ألا يخالف حسناً في أمر يورث شقاقاً بعد اتفاقكم معه .

وهذا ما جعل فيصلاً يسرع في توقيع اتفاق مع ابن عائض علي ما سبق أن اتفق مع أبيه في الرياض .

توجه فيصل إلي الرياض في الثامن من جمادي الآخرة ١٣٤١ هـ ، ووصل إليها في الحادي والعشرين منه .

لم يكن ابن عفيصان ذلك الرجل المؤهل ليوكل إليه مثل هذه المهمة حيث كان متهوراً ، ولم يدرك مكر عبدالعزيز في طلب ابنه بسرعة ، وإخلاء عسير لآل عائض ، وإبقاء هذه القوة التي معه لتنفيذ خطة محدودة . إذ كان الإمام عبدالعزيز قد كتب لابن عائض خطاباً مع كتاب ابنه فيصل ، وقد جاء في الكتاب الذي أرسل إلي ابن عائض : « قد طلبنا من ولدنا فيصل العودة وإخلاء عسير لكم ، وتركنا طارفةً عندكم مع ابن عفيصان لتكون بإمرتكم إن احتجتم إليها في حربكم مع ابن حميد الدين . وكلفناه بملازمتكم لإنهاء ما بينكم وبين الإدريسي الذي ما جئنا إلا من أجله ، وما جئنا إلا لتقرير ما نراه صالحاً . وعندما لا ترون لكم بهم حاجة تسمحون لها بالعودة .

لمال انتهي ابن عائض من موضوع قوات نجد ، وأن القسم الأكبر منها قد غادر عسيراً توجّه إلي ابن حميد الدين ليصفي حسابه معه بعد أن دخلت قواته بلاد همدان ، وسنحان، ويام ، فجاء ابن عائض إلي (السقا) واتخذها قاعدة له ، وحشد جموعاً من رجال القبائل ووجهها إلي ابن حميد الدين ، وأن يكون تحت إمرة محمد بن عبدالرحمن ، غير أن

= عقيصان أبي ذلك ، ووجد في نفسه كبراً ، وصعب عليه أن يكون تحت إمرة محمد ، علي حين أن قائده قد أعطاه الأوامر والتعليمات التي تقضي بذلك .

كان آل عائض قد طلبوا من أن ابن عقيصان أن يكون بجانبهم لأنهم لأنهم قرروا مقاتلة ابن حميد الدين ، ومتابعة قواته حتي صنعاء ، واحتلالها ، وطرد ابن حميد الدين منها نهائياً ، وضمّ اليمن إلي أبها .

ولما رفض ابن عفيصان السير بقواته نحو اليمن والانضمام إلي قوات عسير ، وذلك أنه لايرغب في سيطرة آل عائض علي اليمن خوفاً من الامتداد بعدها نحو الحجاز فنجد وهذا ما حدثني به ابن جيقان وكان هذا مبنياً علي توجيهات أمير نجد التي كانت ترد إلي ابن عفيصان بشكل سرى لحصر نفوذ آل عائض في منطقة ضيقة . فطلب منه حسن آل عائض مغادرة أبها مباشرة . وهنا تطاول ابن عفيصان وظن بنفسه نداً لحسن ، ولكنه عاد فأظهر مباشرة ، وهنا تطاول ابن عفيصان وظن بنفسه نداً لحسن ، ولكنه عاد فأظهر الموافقة ولكنه لجأ إلي طريق المراوغة والخداع .

طلب ابن عفيصان من ابن عائض إرسال عائض بن محمد ومن يراه معه من آل عائض إليه خطة محاربة ابن حميد الدين ، فظن خيراً وبعث حسن عمه الذي سار مع أخويه عبدالله ومحمد ، ونزلوا إلي أبها ، فقبض عليهم ابن عفيصان ، وأودعهم سجن (شدا) وأرسل مباشرة قوة قوامها ألفاً رجل إلي السقا لمحاربة حسن ، وإلقاء القبض عليه ، وطلب منهم أن يطلبوا من حسن النزول إلي أبها قبل محاربته ، فأن نزل فقد إنتهي الأمر ، وأن رفض طلب منهم تسليمه كتاباً جاء فيه : « أرى من المصلحة نزولك أنت ومحمد، لاتظن بنفسك القوة فأن أبيت فأنا قادر بإذن الله علي الإتيان بك ولو لجأت إلي أعتي حصون السروات ، وإني مرسل إليك من يلاحقك ، ولو غصت في الأرض أو ارتقيت في الجو ، وهدده بقتل من عنده وقد ضمّ إليهم عدداً من أعيان مدينة أبها إذا لم يتمثل وينزل مع تلك السريةالتي بعثها إليه » .

وكان من بين الطارفة مع ابن عفيصان بعض مشايخ قحطان من بينهم ابن بخيتان ، وابن عبود ، وشعوان ، وابن حجر ، وابن عشق ، وابن سحمي ، والذين نصحوا ابن عفيصان =

= بالا يقدم علي فعلته تلك ، وأنها مخالفة لأوامر الإمام عبدالعزيز ، وفي الوقت نفسه بعث هؤلاء المشايخ بكتاب إلي ابن عائض ، يقولون فيه : إن تصرّف ابن عفيصان إنما هو تصرف شخصي لا علاقة للإمام عبدالعزيز به ، وأننا الآن في (شدا) ولا نمكّن أحداً من الوصول إلي آل عائض ومن معهم من رجال الحجر الذين خدعهم ابن عفيصان بطلب قدومهم إليه وأدخلهم السجن أيضاً ، وكذلك فإننا نحن الآن بإمرتك حسب تعليمات الإمام عبدالعزيز فإن أمرت بقينا هنا ، وإن شئت رحلنا عن أبها وعدنا إلي الرياض ، وإن رغبت جئنا إليك لنعاونك فيما تعمل ولتضعنا حيث تريد . وقد كتبنا إلي الإمام عبدالعزيز بذلك .

ولما علم ابن عفيصان ما فعله مشايخ قحطان لامهم ، وندد بفعلهم ، وقال لهم : من كان منكم مخالفاً لأمرى فلينضم إلي حسن ، ومن كان معي فليتمثل أمرى ، وعلينا محاربة حسن ، وقادته في قبضتنا ، ولن يستطيع فعل شيء خوفاً عليهم ، وهذا ما يبيض وجهنا عند الإمام .

لم يجد مشايخ قحطان بداً من إظهار الطاعة لابن عفيصان والوقوف بجانبه خوفاً علي حياة السجناء من آل عائض ومشايخ رجال الحجر ، وحتي يخففوا من غلوائه فلا يقدم علي تصرف أرعن أكثر من هذا ، وخوفاً من أن ينسب إليهم شيئاً عند الإمام عبدالعزيز فيتهمهم مثلاً بأنهم أعوان آل عائض ، وهم دخلاء علينا ، عيون لأعدائنا ، فادعوا أن ما فعلوه لم يكن سوي مخادعة لحسن ريثما تصل إلينا الإمدادات من نجد .

رد حسن علي ابن عفيصان بالقوة فأرسل فرقة هجمت علي السرية النجدية ففتكت بكثير من أفرادها ، ومن نجا ولي الأدبار مهرولاً نحو أبها .

وكتب حسن إلي ابن عفيصان كتاباً له وللمشايخ قحطان ولكن ما أن استلم ابن عفيصان الكتاب حتي مزقه دون قراءته .

وكان ابن عفيصان قد بعث بألف مقاتل بقيادة ابنه سليمان إلي بني الأسمر لتأديبهم حيث كانوا قد فتكوا بسرية أرسلها لهم فيصل قبل مغادرته بأيام .

كمن رجال بني الأسمر ومعهم رجال من بني الأحمر وبني شهر لهذه القوة ، ، وعندما وصلوا إلي (الدرجة) خرجوا عليهم فجاة ، واشتبكوا معهم في معركة تمكن فيها العسيريون من خصومهم ، فقتلوا أكثرهم ، ومنهم قائدهم سليمان بن سعد بن عفيصان ، وأسروا الباقي بعد أن سدّوا عليهم طريق الرجعة حتي لايتمكن أحد منهم من الفرار . =

= استنفرت القبائل رجالها ، وشدّ بعضهم من عزم بعض ، وتوجهوا نحو أبها ، بعد أن أعلموا الأمير حسن آل عائض فوافق لهم علي المضي فيما عزموا عليه ، وأنه متجه أيضاً من ناحيته بمن معه .

وعلم ابن عفيصان بالذي جري ، فأحزنه مقتل ابنه ، وأرعبه سير العسيريين نحوه ، واعتقد أنه لاحق بابنه لا محالة ، ولم يعد حسن التصرّف ، ولم يجد بداً من التحصن بـ (شدا) فسار إليه ، وهو علي ذعر . وذلك بناء علي رأي أمراء قحطان الذين أخذوا يقرعونه، ويلومونه علي تصرّفاته ، ويعلمونه أن هذا الذي كنا نتوقعه ، وقد حذّرناك منه ، ولكن لم تفعل ، ونحن أدري بأبناء عشائرنا .

ولما تحصن ابن عفيصان في (شدا) اجتمع مع أمراء قحطان ، وسألهم عن المخرج فأجابوه : لابد من البقاء في هذا الحصن حتي تصل نجدات من الرياض تنقذنا مما نحن فيه . وإما أن نتمكن من إبرام صلح مع آل عائض يخرجنا من هذا المأزق ، وإما أن لاتجد بداً من الاستسلام خوفاً من الهلاك .

وصلت القبائل العسيرية ، وألقت الحصار علي (شدا) ، كما وصل ابن عائض من (السقا) أيضاً ، وأعطي أوامر بالتشديد علي الحصار ، ومراقبته حتي لا يخرج منه أحد. وكان ابن عفيصان قد أدخل معه إلي (شدا) بعض أهل أبها حيث ساقوهم معهم بالقوة كي يحتموا بهم مع من في القصر من آل عائض ومن سبق أن كان معهم ، فيكونوا ردءاً لهم ، فلا يطلق العسيريون الرصاص علي القصر خوفاً علي إخوانهم ، ولا يقتحمونه خوفاً من أن يصاب من فيه بأذي ، وكذلك يجعلون منهم سهماً للمفاوضة . أما القوات النجدية فقد كانت تصلي بنيران بنادقها من يقترب من (شدا) .

كان ابن عفيصان قد كتب لمشايخ القبائل القحطانية والشهرانية وقبائل بيشة ، وتثليث ، والوادي ، ونجران ممن كان يتوقع أنها تريد التقرب منه والتزلف خوفاً من قوة نجد بعد أن تركزت في أبها ، وطلب منها أن تمده بالنجدة لتنقذه مما هم فيه ، أو تتوسط مع آل عائض ليسمحوا له بمغادرة عسير بصورة لايريق فيها ماء وجهه ، وتبقي مهابة النجديين ، غير أن هذه القبائل كلها قد رفضت طلبه بل لامته علي تصرّفه . =

= وكانت أيام الحصار الأولي وبحدود عشرة أيام لاتزال تتسم بالشدة والعنف من قبل النجديين ، ولكن ابن عائض قد أمر العسيريين بعدم إطلاق رصاصة خوفاً علي العسيريين داخل (شدا) فلما انتهت المؤنة داخل القصر خفت حدة المقاومة وشعر ابن عائض بذلك ، فأمر بتقديم المؤنة إلي المحاصرين علي أن تكون كافية كأنهم ضيوف عنده حرصاً علي أهله وأبناء قومه ، وكرماً ، وشهامة بأن لايعامل المسيء بإساءته وأنما يبادله بالإساءة إحساناً . فإساءة ابن عفيصان تخصه ويجب ألا يتحمل جريرتها غيره ممن معه .

أخذت المفاوضات تجري عن طريق الرسل ، وكان ابن عفيصان يماطل عسي أن تأتي نجدات من الرياض ، واستمر الحصار أكثر من أربعين يوماً انتهت في شعبان ١٣٤١ هـ أجبر فيها ابن عفيصان في النهاية علي الاستسلام بعد أن بلغهم وفاة الإدريسي حيث فت ذلك في عضدهم ، وتوقيع الصلح الذي يشترط :

١ – تسليم آل عائض ومن معهم من العسيريين الأسري داخل السجن دون أن يكون أحدهم قد مُسّ بأذي .

٢ – خروج النجديين من (شدا) بأسلحتهم وارتحالهم من عسير جميعاً والتوجه مباشرة إلي نجد .

٣ – عدم التعرض بالأذي لأحد أو لقبيلة أثناء سيرهم إلي هدفهم في الرياض .

فتح العسيريون المجال لانسحاب ابن عفيصان ومن معه بعد أن زُوِّدوا بما يكفيهم إلي أن يقطعوا أرض عسير . لكن ابن عفيصان رغم كل هذه المعاملة الحسنة من قبل آل عائض لم يف بشروطه التي أخذها علي نفسه ، فما أن وصل إلي الخميس حتي تمركزوا فيه علي أمل أن تأتيه نجدات من الرياض ، والتف حوله من أمل بوصول قوات ضخمة من الرياض تعاود الكرة علي أبها، فطمع هؤلاء بالغنائم ، وحلموا بالغني ،.والتفوا حول ابن عفيصان .

بعث ابن عائض رسالة الي ابن عفيصان يطلب منه مواصلة السير ، ويذكره بشروطه ، ويلومه علي بقائه فأجابه ابن عفيصان بجواب قاس : « إني مقيم هنا ، ولن أعود إلي الرياض إلا حاملاً معي ، أو أموت دون الخميس » فما كان من ابن عائض إلا أن أرسل له قوة بإمرة محمد بن ناصر بن عائض . =

= ومن ناحية ثانية كان الإمام عبدالعزيز قد بعث بفرقة علي رأسها « ابن حشر » تنجد ابن عفيصان وهو لايزال بأبها إن كان علي شيء من القوة وتمكنه من القضاء علي آل عائض، ولكن إن وجدت الوضع مختلاً ، وليس بإمكانية ابن عفيصان عمل شيء فيكون ابن حشر كرسول من الإمام إلي حسن بن عائض ويسلّمه خطابين أحدهما له شخصياً ، والآخر يتم تسليمه لابن عفيصان عن طريقه وبعد الاطلاع عليه .

ولكن ما أن وصل ابن حشر إلي بيشة حتي سمع بأخبار حتي سمع بأخبار ما يدور في أبها من مفاوضات للصلح ، فانتظر يترقّب فإذا به يسمع أن الصلح قد إنتهي ، وأن ابن عفيصان قد أنسحب إلي الخميس ، وتمركز فيها ، وأخل بالشروط ، فأراد أن يسرع لدعمه ، فتصل إليه أخبار سير حملة من أبها إلي الخميس لتأديب ابن عفيصان وطرده ومن معه ، ففضل ابن حشر أن يسير بالخطابين اللذين يحملهما ، ويترك الفرقة التي معه ببيشة ، ويدعّي أنه جاء مندوباً من الإمام عبدالعزيز ....

سار ابن حشر وحيداً من بيشة إلي الخميس وليس معه سوي مرافقين ووصل إلي الخميس، والتقي بابن عفيصان ولامه علي تصرفه فنفر ابن عفيصان في وجهه ووبخه قائلاً أجئت دعماً لي أم للدفاع عن ابن عائض .

كانت قوة ابن عائض قد شارفت علي الخميس والتقت بقوة ابن عفيصان ، وجرت معركة بين القوتين جرح فيها ابن عفيصان جرحاً أودي بحياته في شهر شوال ١٣٤١ هـ ، ومحمد بن محيا من أهل الرياض ، وأسر ابن حشر ، فأعلن ابن حشر لمحمد بن ناصر بن عائض أمير قوة عسير أنه جاء موفداً من الإمام وأنه يحمل خطابين للأمير حسن ، وأظهرهما .. فأخذ وما يحمل إلي أبها .

وصل ابن حشر إلي أبها والتقي بابن عائض ، فلما القي بن عائض أول نظرة إليه قال : ادن نحوي ، فلما دنا أجلسه إلي جواره ، فتبسط معه بالكلام ثم سأله عن وضع نجد فأجابه : استقرت الأمور ، وكبت الأعداء ، وألقي الإسلام بجرانه في قراه وبلدانه ، قد نبذوا الدنيا خلفهم واستقبلوا الآخرة بصدورهم ، وحيثما أمرهم الإمام اتجهوا ، وهم أهل الجهاد في هذا الزمن . فقال ابن حشر : أنتم أيها الملوك أعلم بما وراء خصومتكم . =

= بعض مشايخ قحطان لساعدته بعد أن دخل الرياض بعامين .

فقال ابن حشر : إن اليوم غيره بالإمس .

قال حسن : شد ساعده فرمي علينا .

هات ما معك فناوله الكتابين ، فقرأهما حسن علي مسمع من الحاضرين ، بعد أن سأله هل تعلم ما فيهما ؟.

قال ابن حشر : لا أعلم ما فيهما .

قال حسن : لا سر عليك يا وجه قحطان .

جاء في خطاب عبدالعزيز لحسن : « إني نظرت إلي ما حدث بيننا فعلمت أنها أمور جرت حسبما قدّرها الله . ويجب علينا أن نتدارك بقيتها عسي أن يكون فيها مخرجنا ، وقد رأيت الكفّ ، واستقدام طوارفنا إلينا ، وترك عسير لكم وأن نكون يداً واحدة نتعاون علي ما فيه خير الإسلام والمسلمين ، وأن تكون إزالة الأسباب بالتفاهم خليق بنا جميعاً : فسعينا لها واجب » .

وكان في خطابه لابن عفيصان وابن عتيق : « عليكم التماس الإصلاح بين حسن وابن إدريس فإن وفقتم فهذا المطلوب وهو ما جرنا إلي عسير وسبب ما نحن فيه ، وأن لم تصلوا إلي وفاق فاتركوا أمرهما إلي الله ثم إلي ما تفرضه إخوة الإسلام ، واتجهوا إلينا بعد الإذن من حسن ».

ثم التفت حسن إلي ابن حشر وقال : إن الأمر قد صار إلي ما علمت ، وما قُدّر كان ، وإن إزالة الشرّ لاتكون إلا بإزالة الإدريسي وقد ذهب إلي مصيره .

ثم كتب إلي عبدالعزيز جواباً جاء فيه : « لقد كنا نحن وأنتم في غني عما حدث ، وكنت حريصاً أن يبقي بيننا من الود ما كان بين أسلافنا غير أن الشرارة إن لم تخمد أضرمت ناراً فأكلت ما حولها ، فنحن لكم كما كان عليه أسلافنا، فعسي أن تكونوا كذلك ، والله يعلم ما تكنه ضمائرنا . وإن ابن عفيصان -رحمه الله – لقي عمله ، كما وافت الإدريسي منيته – رحمة الله – ووصلنا مندوبك بما يحمل ، وانتهي الأمر بما سبق في علم الله عز وجل. وكنا قد كتبنا لكم مع ابن جيفان ما وردنا أنه أخذ بعين الاعتبار لم يكن ما حدث » .

أكرم ابن عائض ضيفه ابن حشر ، ثم زوده وأرسله. =

= أخذت قيادت عسير تدرس وضع بلادها وتنظر في أمرها وقد تداعت عليها الأحداث ، وتواطأ عليها من كان يُظن به الدعم في ساعات الشدّة ، وكل قد شهر سيفه علي عسير ووجدت هذه القيادة أن وضع البلاد اخذ في التردي ، إذ غدت بلادها مطمعاً للنهب والمغنم ، ورأت أنه لا يوجد بينها فرد واحد يقبل ان يضع يده مع دولة كإنكلترا وغيرها كما فعل عدد من أولئك الطامعين في أرض عسير .

أخذ التفاؤل يسري في نفوس قيادة عسير بعد اندحار قوات نجد ، وارتحالها إلي بلادها، فقررت القيادة التوجّه نحو ابن حميد الدين بما لديها من سلاح ولعلها تغنم من قواته أسلحةً تمكنها من الوقوف في وجه غيره . وكان يعدّ ابن حميد الدين العدو الأول بالنسبه لها فما أن يأتي غازٍ يريد حرب عسير إلا ويستغلّ ابن حميد الدين فرصةً انشغال قوات عسير بذلك الغازي ويحرّك قواته من الجنوب لتحتل ما يمكنها احتلاله ، وبذا تتضاءل قوة عسير أمام الغازي بتوزّعها ، وكان العسيريون يكرهون من ابن حميد الدين هذا الاسلوب ، فقرروا البدء بقتاله إذ هو في نظرهم الجذوة التي ترمي بشررها في كل وقت .

وجهّت قيادة عسير قوة بإمرة القائد العام لقواتها محمد بن عبد الرحمن آل عائض ، وطلّب منه طرد قوات ابن حميد الدين من نجران ، وصعدة ، وبلاد همدان ، وأن يواصل تقدمه ما أمكن نحو صنعاء ، وإن أمكن احتلالها والقضاء علي أسرة ابن حميد الدين فهذا هو المبتغي ، كما طلب من ابن عائض أن يحرص علي الحصول علي السلاح من خصومه ما امكنه ذلك إذ ليس لقوات عسير من مصدر يحصلون منه عل السلاح ، إلا بما يغنمونه في القتال مع خصومهم .مضي محمد بن عبد الرحمن لهدفه ، وتمكن من طرد قوات ابن حميد الدين من نجران ، وصعدة ، وأخذ طريقه نحو بلاد همدان ليتابع سيره نحو صنعاء، غير أنه لم يستطع المضي إلي هدفه حيث خشي من الجبهه الشماليه ، إذ أبلغ أن قوات الشريف قد أخذت تتجمع في تهامة بارق من شهر ربيع أول من عام ١٣٣٨هـ وفي ظاهرة هذا التجمع أن يكون قوةً رادعة لأطماع الإدريسي في أن يتحرك نحو مكة. ولكنها في الواقع كانت لتحقيق أطماع الشريف في عسير تهامة وسراة إن كتبت الهزيمة لعسير فيستولي علي ما يستطيع الاستيلاء عليه .

= وكان محمد بن عبد الرحمن قد سافر إلي مكة للتباحث مع الشريف في شأن التعاون ، وكان محمد بن عبد الرحمن يرغب ضمناً أن يأمن الشريف كي لا يكون عوناً لبقية خصوم عسير الإدريسي ، وابن حميد الدين ، وأمير نجد وكانت قوات الشريف آنذاك تتجمّع وتتحرك بإمرة الشريف عبدالله بن حمزة الفعر نحو تهامة بارق ، فلما انتهي محمد بن عبد الرحمن من مباحثاته مع الشريف في مكة ، ورجع إلي أبها جعل طريقه علي تهامة بأرق ، والتقي مع الفعر هناك وأطلعه علي ماتوصل إليه من مباحثات مع الشريف ، ثم ارتقي محمد بن عبد الرحمن السراة من هناك ووصل إلي أبها في مطلع شهر ربيع الثاني من عام ١٣٣٨هـ ، وقد اصطحب معه الفعر في هذه الرحلة ، لتكمل المباحثات التي بدأت في مكة ويكون حسن آل عائض ومجلس الشوري علي علم بما جري وليرجع الفعر إلي الشريف بما انتهي إليه البحث .

بقيت قوات الشريف منذ ذلك الوقت في تهامة بارق ، ويبدي الشريف أحياناً أن هذه القوات يمكن أن أن يستفاد منها في دعم عسير ، والواقع أنه كان يجمعها هناك لتنقض علي عسير في الساعة المناسبه له .

بدأت المخاوف تساور الإدريسي من وجود محمد بن عبد الرحمن في مكة ، ثم من وجود قوات الشريف في تهامة بارق ، والتقاء محمد بن عبد الرحمن بقائد هذه القوات عبدالله بن حمزة الفعر وأصطحابه معه إلي أبها .

وفي الوقت نفسه لم يكن حسن آل عائض أمير عسير ليرغب في إثارة الإدريسي ، حيث كان قد تفاهم معه ، ويرغب أن يكون هناك اجتماع كلمة بين قادة المنطقه حيث يريد حسن أن يواجه كل عدو لعسير وحده ، ولا يريد أن تتحرك كل القوي ضد عسير دفعةً واحدةً . ولم يرغب حسن بمواجهة الإدريسي بما يخيفه ، وخاصة أن الأنباء قد وصلت أن الإدريسي قد طلب حمايته من إنكلترا ، ورغب منها أن يتقدم أسطولها نحو موانئ تهامة ليتمكن من حمايته وأن يخيف أعداءه بذلك .

ومن ناحية أخري رأت قيادة عسير أن من مصلحة وضع بلادها إطالة أمد التفاهم مع =

= الإدريسي في كيفية الوصول معه إلي حلٍّ تتحد فيه المنطقة تحت قيادة واحدة حتي تقرر مصيرها بدراسة ما وصل إليه محمد بن عبد الرحمن مع الشريف ، لذلك كانوا يتجنبون الاصطدام به حتي يروا رأيهم الأخير حول الأصلح لبلادهم .

وكان ابن حميد الدين في حينه قد رأي خلو عسير من القوات العثمانية فهو يحمل ما يحمل الإدريسي من مطامع في المنطقة ، إلا أنه لم يفلت الفرصة من يده حيث سارع في حشد قوات تواصل تقدمها فتستولي علي بلاد كهلان ، وهمدان ، وقحطان ، ولكن هذه القبائل من أهل السنة ولا ترغب في المذهب الزيدي التي يعتنقه ابن حميد الدين وأسرته ، لذا فإن احتلاله لها وبقاءه فيها سيواجه مقاومات . ومن هنا أرسل الأمير حسن وفداً إلي الإدريسي يضم : عائض بن محمد بن عائض ، وناصر بن عبد الرحمن بن عائض ، والسيد عبدالله بن محمد بن حسن بن عبدالله الحمزي ، وعبدالله بن أحمد بن مفرح ، ومحمد بن حسين ، ومحمد بن دليم ، للتفاهم مع الإدريسي حول موضوعات الاتفاق ، ولإشعاره باهتمام آل عائض بإنهاء الخلاف معه .

والهدف من ذلك الرغبة في إطالة الوقت والأخذ والردّ ريثما يتفقون علي نقطة محدده ، بينما كان الإدريسي يريد تجريد عسير من الأسلحة التي تركها العثمانيون فيها لآل عائض لقاء تفاهمهم ووقوفهم إلي جانبهم ضد قوات الحلفاء الكافرة . حيث يرغب الإدريسي أن تكون عسير مجردة السلاح حتي يسهل له الاستيلاء عليها .

أحس الوفد عندما وصل إلي صبيا والتقي بالإدريسي وبدأ الحديث أن النية عند الإدريسي متجهة إلي احتجاز الوفد ليساوم به آل عائض ويفرض شروطه عليهم ، ولكن الوفد استطاع أن يقنعه أن الأمر ينبغي فيه المراجعة بين الطرفين لتقريب وجهات النظر بالحل المرضي وأقنعه أنه لا بد من طرح ما سايروه به علي القيادة في أبها ، وأنه سيبقي ناصر بن عبد الرحمن في صبيا بينما يرجع الجواب ، كممثل لعسير ، وأن يذهب مع الوفد الشوكاني لممثل له في أبها .

رجع الوفد أبها، وبقي ناصر بن عبد الرحمن في صبيا عند الإدريسي، غير أن الإدريسي وجد بعد ذهاب الوفد أن المفاوضات مهما طالت ستنتهي بالفشل لأنها لا تؤمن له

= أغراضه ، وأنه لا بد من اتخاذ أسلوب القتال لتأمين أغراضه ، فأخذ يعد العدة لذلك كما سبق أن ذكرنا ودار القتال ، وهزمت قوات الإدريسي أمام عسير ، وجاء ابن مساعد من نجد وهو الذي أعاد ناصر بن عبد الرحمن إلي ابها .

ومن ربيع الأول من عام ١٣٣٨هـ حتي رجب من عام ١٣٤١هـ وقوات شريف مكة موجودة في تهامة بارق لهدفٍ في نفس الشريف ، وقد أمرت هذه القوات بالتحرك نحو أبها أثناء حصارها سعد بن عفيصان علي أمل أن تنتصر علي الطرفين المتخاصمين وتستقر في أبها غير أن رجال قبائل بالأسمر وبالأحمر قد تصدّت لها وهي في طريقها إلي أبها ، ودحرتها وأجبرتها علي العودة من حيث أتت ، وكانت قوات الشريف تحاول أن تأخذ نصيبها من الغنيمة فيما إذا سقطت بيد أي طرف ، ولتضمن ضم ما تستطيعه إلي الحجاز من اجزاء عسر . وقد فوجئ آل عائض بتحرك هذه القوات لتحقيق أطماعها ولم يمض علي ارتحال العثمانيين عن عسير باكثر من شهر مما جعل آل عائض يبقون الأعمال الإدارية في بلادهم بيد الشاميين الذين تخلفوا عن عسير بعد رحيل العثمانيين وفضلوا الإقامة حيث هم ، ومن هذه الأسر ال ميمش ، ولهم اقارب في مكة ، ومصر ، وحلب ، وآل أبي هليل وهم من عنز بن وائل ، ولهم عشيرة بالبلقاء ، وآل عزيز من البرادعة بصفد ، وآل قدسي من القدس ، وآل حيدر من نابلس ، وآل حسين من الخليل ، وآل برزان من أريحا ، وآل بشاشة من صيدا ، وآل درويش بن إبراهيم بن عبدالله من العمادية ريثما تستقر الأمور .

في العاشر من ذي القعده من عام ١٣٤١هـ وصل عبد العزيز بن إبراهيم إلي بيشة علي رأس قواتٍ ضخمةٍ من نجد ، وهو علي معرفةٍ بمداخل عسير حيث كان يعمل تاجراً أيام حكم ابن رشيد لنجد فكان ابن ابراهيم يأتي إلي عسير كغيره للتجارة بالبن وغيره ينقلها إلي مدينة حائل ، وقد عرف الكثير من أعيان عسير ومشايخها .

لم يتعرض ابن إبراهيم لأحد في بيشة ولا في غيرها ، بل يمكث في بيشه يوماً واحداً وإنما تابع سيره إلي قاعة ناهس . وكان يحمل خطةً سرية لم يطلع عليها أحد ، بل هي خاصة بينه وبين الإمام عبد العزيز

= قدم ابن إبراهيم أمامه رجالاً يشيعون أنه جاء لمساعدة الإدريسي ضد ابن حميد الدين ، وأنه يحمل كتباً من الإمام عبد العزيز إلي ابن عائض ليسهّل له مروره في عسير في طريقه إلي تهامة . وأشعر ابن جيفان الذي ترأس الفلول المنهزمة بعد أحداث الخميس ووفادة ابن عفيصان بقدومه للانضمام إليه .

ومن بيشة بعث أيضاً بعض مشايخ قحطان مثل مترك بن عشق ، وابن باتع ، وابن بخيتان، وابن سفران ، وابن سحمي ، وابن لبده ، وابن عبود علي رأس جماعات من الإخوان للإغارة علي قبائل عسير والسلب والنهب ما أمكنهم كي تدب الفوضي ويستنفر آل عائض قواتهم لصد تلك الغارات وإشغالها بهم ، ويسهل له ذلك الوصول إلي أبها ، وإطالة البقاء فيها ، وكأنه لا علم له بما يحدث إذ تجاهل أن تكون له أي صلة بهم حينما بعث إليه حسن كتاباً يستفسر منه عن مقدمه أجاء لحرب أم لسلم ، وهكذا أيضا يشيع أفراد من جيشه .

كان الأمير حسن آل عائض قد بلغه استدعاء الشريف عبدالله بن حمزة الفعر إلي مكة واستبداله بالشريف راجح ليكون مكانه أميراً علي قوات مكة المتمركزة في تهامة بارق فنزل ابن عائض إلي بارق في الثامن من ذي القعده من عام ١٣٤١هـ أي قبل أن يصل ابن إبراهيم إلي بيشة ، ويريد ابن عائض أن يعرف أسباب هذ التغير الذي طرأ علي القيادة وليستجلي الموقف ، وليطلب من تلك القوات الرحيل ، وأن عسيراً لا حاجة لها بالرجال وإنما تريد السلاح .

كان محمد بن عبدالرحمن بن عائض في بلاد همدان لإقرار الأمن وطرد ابن حميد الدين فبلغه وصول ابن إبراهيم قلعة ناهس فترك محمد مكانه وأسرع نحو أبها ، وأخبر الأمير حسن الذي كان لا يزال في بارق فرجع بعد أن طلب من الشريف راجح بالبقاء مكانه ، ووصل حسن إلي السقا في مطلع شهر ذي الحجة ١٣٤١هـ ، وكان ابن إبراهيم قد بعث إلي محمد بن عبد الرحمن بخطاب يطلب السماح له بدخول أبها في طريقه إلي تهامة عن طريق عقبة ضلع كما أرسل إليه خطاباً موجهاً من الأمير عبد العزيز إلي الأمير حسن ، جاء فيه : " إنَّ ابن إدريس قد طلب منا نصرته فأرسلنا قوة بقيادة عبد العزيز =

= ابن إبراهيم فتأمل تسهيل مرور قواته إلي صبيا عن طريق عقبة ضلع ، وإن رغبتم أن ننهي ما بينكم وبين الإدريسي فقد فوضناه بذلك كما فوضناه بإجراء الصلح الذي ترونه فيما بيننا وبينكم ،. وإن لم تسمحوا له بالمرور فقد أمرناه بالعودة وألا يتحرك دون أمركم ، ويجب أن يكون معلوم لديكم أن الغاية من إرسال إبراهيم هو ما ذكرناه " .

اجتمع مجلس الشوري عند الأمير حسن في السقا لدراسة الرسالة وما تنطوي عليه ، وابن إبراهيم لا يزال في قاعة ناهس ينتظر رد حسن بالسماح له بالتحرك نحو تهامة ، ودارت المناقشات حول عدة موضوعات ومنها :

١ – رسالة أمير نجد السابقة مع ابن حشر ، التي تشبه هذه الرسالة ، ثم كان القتال فهل أسلوب الرسائل هو طريقة المكر والخداع ؟

٢ – هل يمكن منع ابن ابراهيم من اجتياز عسير ؟

٣ – ما الغرض الحقيقي من قدومه ؟

٤ – هل من المصلحة الصدام مع ابن ابراهيم وقتاله ، وما مدي إمكانية ذلك ؟

٥ – هل يمكن تحقيق النصر علي ابن إبراهيم ؟

٦ – ما هي طريقة الحصول علي السلاح والذخيرة ؟

٧ – ما سبب انفصال قطعات من جيش ابن ابراهيم في رانية وبيشة وتوجهها إلي قبائل رجال الحجز ، ومحاولة بثّ الفوضي ، والقيام بغارات ؟

٨ – ما موقف شريف مكة وابن حميد الدين ؟

وخرج المجتمعون برأي هو الكتابة لابن إبراهيم يسألونه عن :

أ – سبب الفرق التي أخذت تعيث الفساد في بلاد قبائل عسير الشرقية من غامد وزهران حتي رجال الحجر ، واضطرت قبائل عسير لأن تتصدي لها وتطردها ، وأن تبقي مرابطة علي حدود ديارها حتي لا تعود ثانيةً .

فإن كان علي معرفةٍ بها فمعني ذلك الحرب ، وأنه قد جاء لذلك ، وإن تنكّر لها ، فذاك أمر آخر . =

= ب – هل هو عليّ استعداد للعودة إن طلب منه ذلك كما جاء في خطاب أمير نجد أم لابد له من مواصلة السير ؟

إن أجاب بالامتثال للأمر كما في الرسالة فيطلب منه العودة ، وانتهي الأمر ، وإن أصرّ علي متابعة سيره فهذا يدل علي نية الحرب ، ولا بدّ من اتخاذ الأسباب .

وقد درس مجلس الشوري أيضاً :

١ – توقف الإدريسي عن الغارات علي عسير ، والانصراف إلي قتال ابن حميد الدين .

٢ – شريف مكة الذي لا تزال قواته في (بارق) ويأتيها الدعم بين المدة والأخري .

٣ – توقف ابن حميد الدين عن التوغل علي بلاد همدان ، وانصرافه فجأة إلي تهامة عسير .

كتب مجلس الشوري الكتاب ووجهه لابن إبراهيم ، ورد الجواب بما يأتي :

١ – إن الغارات التي كانت علي بلاد عسير من ناحية الشرق لا علم له بها ، وأن هذه هي طريقة البادية – كما تعلمون – وربما قد أسرتم بعض أفرادها فيمكنكم سؤاله عن سبب فعلته فإن تبيّن لكم أننا علي صلةٍ بهم ، أو علي علم بما قاموا فنحن علي استعداد للعودة مباشرة .

٢ – إن رأيتم العودة فنحن علي استعداد للرجوع ولكن هذا ليس في مصلحتكم ، فضرب ابن حميد الدين هو لصالحكم ، ومنع تعديات الإدريسي عنكم هو في صالحكم أيضاً ، والعودة ليست بالأمر السهل ، ويمكنكم مراقبة قواتنا فيما إذا انحدرنا إلي تهامة .

وفوق ذلك فإن رغبتم أن آتي أنا بنفسي إليكم لأكون رهينةً عندكم حتي تنحدر قواتنا إلي تهامة فلا مانع من ذلك ، فاطلبوني آتي .

وكانت عيون آل عائض التي دخلت في صفوف النجديين أو كانت تراقبهم من بعيد قد جاءت بالأخبار بأن الحالة هادئة داخل صفوف القوات النجدية ، وليس فيها من يخرج من الجيش ليقوم بأعمال السلب والنهب . =

= كما أن العيون قد أكدوا أن شائعات النزول إلي تهامة معروفة عند النجديين وهذا يدل علي حقيقة الرغبة في النزول ، وأن كثيراً من الأفراد يتذمّرون من ذلك النزول خوفاً من الأوبئة المنتشرة هناك ، وأن بعضهم يوصي بعضاً بحمل الماء وعدم الشرب من ماء تهامة الموبوء .

وصل كتاب ابن إبراهيم إلي الأمير حسن فجمع مجلس الشوري لبيان الرأي . رأي المجتمعين :

١ - إن ابن إبراهيم قد يكون صادقاً في عدم معرفته لأولئك الذين أغاروا علي قبائل عسير فإن هذا كثيراً ما يحدث ، وقد ذكروا علي بن معدي ، وهو شيخ قبيلة بني مالك ، وهو من أعضاء مجلس الشوري ، وما أصابه في العام الفائت من غارات سلبت بعض قري بني مالك ، ومنها قرية الشيخ علي نفسه ، وأشاروا إليه ، وذلك بعد احتلال ابن مساعد لأبها بأيام ، ولم يستطع ابن مساعد معرفة شئ عنهم .

وكذلك ذكروا الغارة التي قادها في آخر عام ١٣٣٧هـ محمد بن عبود وجماعته ، وشعوان ومحمد بن بخيتان وجماعته ولفيف من أهل تثليث وهاجمت جماعات من ناهس وكود ، كما نهبوا بلدة بدر ، وقتلوا من قتلوا ومنهم المكرمي ، ولما أرسلتم قوة تلاحقهم لتأديبهم واستعادة ما أخذوه ، اتجهوا نحو نجد ، ودخلوا بواديه .

وكذلك الحال عندما استنجدت ناهس وكود ببني واهب وبني منبه للحاق بالمغيرين عليها ، فأنجدوهما وسار هيف بن ناصر وعبدالله بن شويل بقبائلهما ولحقوا بالمغيرين ، ولكن لم يدركوهم ، فأغاروا علي جماعات من تثليث للانتقام والأخذ بالثأر فاحتموا بالقوة التي أرسلتموها فكف بعضهم عن بعض ، وساروا إلي بيشة وطردوا ابن ثنيان منها .

٢ - ربما كان من المصلحة السماح له بالمرور فنحن غير قادرين عل منعه ، ولكن يجب أن نكون علي حذر وانتباه تام ، وقد يكون نزوله والدخول في صراع مع ابن حميد الدين فائدة لنا إذ تضعف ثلاث قوي أمامنا بقتال بعضها لبعض فابن حميد الدين من جهة والإدريسي وقوات نجد من جهة أخري .

وكان ابن إبراهيم كالإمام عبد العزيز يختم رسائله بالإيمان المغلظه أنه صادق فيما =

= يقول : ولذا فليترك ابن إبراهيم وما جاء له ولكن يجب أن يراقب بحذر ، وكتبوا إليه : دونك وما جئت له .

سار ابن إبراهيم بقواته وتمركز في (حجلي) ، وهناك أخذ يُقسم جيشه إلي أقسام ، وبعث بالقسم الأول بقيادة أخيه سعد بن إبراهيم إلي أبها فعقبة ضلع ، ومنها انحدرت إلي تهامة ، واتبع ذلك بقسمٍ ثانٍ بقيادة ابن عبود فسار علي الطريق نفسها .

ولما رأي آل عائض مسير هذين القسمين لم يشكوا أبداً في صدق ما ادعاه ابن إبراهيم . لذا فقد أمر حسن بن عائض بإخلاء مدينة أبها لتكون قاعدة لابن إبراهيم فإن ذلك أسهل وأقرب للنزول ، وطلب من ابن إبراهيم الانتقال إلي أبها ، وأنه إذا رغب بنجدات أنجدوه .

سرّ ابن إبراهيم بذلك وأيقن أن آل عائض قد أمنوا جانبه ، ومع ذلك فلم يأمن الخديعة ، وبقيت عيونه تنتشر في كل مكان وتنقل كل خير .

انتقل ابن ابراهيم إلي أبها في ٢٠ ذي القعدة ١٣٤١هـ ، وتمركز آل عائض في السقا ولكن أبقوا بعض قواتهم علي المرتفعات المطلة عل أبها خوفاً من أن يكون هناك مكر .

وكتب إلي الأمير حسن يشكره علي عرض المساعدة إليه ويقول له إنه الآن ليس بحاجة إلي نجدات ولكن إن وجد ضرورة لذلك طلبها منه ، والحقيقة أنه كان يخشي أن يكون في عرض النجدات خديعة حيث يكون القصد من الدعم بالقوات ضرب الجيش النجدي بها وتحطيمه من الداخل وعلي حين غرة فتكون الضربة قاتلة فكان كل منهما يحذر الطرف الآخر .

استقر ابن إبراهيم في أبها وأخذ يتباطأ بإخلائها والخروج منها ، ويُفكر بحيلة للقبض علي آل عائض بطريقةٍ مفضوحةٍ ، ويرسل إلي إمامه بالرياض باستمرار يخبره بكل ما يحدث وما يسمع بطريقة يرضي بها سيده إذ تقرأ هذه الرسائل عل الناس فتدب الأمل فيهم ، ويطلب منه التعليمات للقبض علي آل عائض ، مع استمرار صلته ، ولقاءاته ، وزياراته لبعض أفراد من آل عائض .

وكان يأمر بعض جماعات صغيرة من قواته بالسير نحو تهامة والنزول من عقبة ضلع علي أنها تخرج من أبها ثم ترجع من طرف آخر تحت جنح الظلام ، وعلي بُعد عن عيون آل =

= عائض كي يشعرهم أن النزول مستمر ، وهذا يعني أن قواته كلها تقريباً متجمعة في أبها .

وطلب ابن إبراهيم من بعض القوات التي جاءته دعماً أن تبقي بجهات بيشة وأن تشاغل رجال قبائل بالأحمر ، وبالأسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو ، وبلقرن باعتبارها الحاجز بين قبائل عسير في الشمال وبين القبائل التي هي في الجنوب حتي لا تلتف إلي رَجال قبائل السراة .

وأمر ابن إبراهيم كذلك الفرقتين اللتين نزلتا إلي تهامة واستقرتا في أطراف صبيا بقيادة أخيه سعد بن إبراهيم ، وابن عبود أن تخرجا مع جماعات من قوات الإدريسي إلي سمال لمنازلة قوات الشريف في (بارق) و (القنفذه) وليشاغل قبائل رجال ألمع حتي لا تتجه نحو قبائل عسير السراة ، متسترة تحت حماية قوات الإدريسي .

وهكذا حتي يحيط عسير من كل جهة وتنقض قواته عليها فجأة ، ويتمكن من السيطرة عليها .

استمر ابن إبراهيم علي حالته هذه حتي العاشر من صفر عام ١٣٤٢هـ حيث ورده خطاب من أمير نجد يطلب منه العودة ، وترك بعض قواته مع الإدريسي ، وبرفقة ذلك الخطاب خطاب للأمير حسن آل عائض يشكره علي موقفه وطلب ابن إبراهيم من ابن عائض الالتقاء به ليسلمه خطاب الإمام له ، ويطلعه علي ما جاءه منه .

حددّ ابن عائض مكان اللقاء بالسقا في منطقة الخضراء يوم ١٥ صفر ، فسار ابن إبراهيم في الموعد الذي حُدّد له وأخذ معه بعض قادته منهم : محمد العبد الله ، وابن سعيد ، وصالح بن جبر ، وسلمه الخطاب المرسل إليه ، وأطلعه علي خطابه الذي جاء إليه شخصياً ، وكان في خطاب أمير نجد إلي ابن عائض : إن مهمة ابن إبراهيم قد انتهت ونشكركم علي تسهيلها ، ووددت ألا يغادر عسيراً قبل أن ينهي ما بينكم وبين ابن إدريس ، ولكن يبدو أن الرغبة في ذلك غير موجودة لديكم ، وإن الأمر لايزال بيدكم حتي يغادر ابن إبراهيم ، فإن رأيتم تأخير سفره حتي تعيدوا النظر بالموضوع ، فإنه سينهيه بالطريقة التي ترضيكم ونؤكد لكم بأننا سنسعي ألا يكون ما تكرهونه في المستقبل ، وقد أشرنا =

= علي الإدريسي بعدم التعرض لمناطقكم حتي تتوصل إلي حل ، ولكم منا عهد الله وأمانه علي ما نقول .

وكان في كتابه لابن إبراهيم الذي أطلع عليه حسناً : عليكم العودة دون تأخر ، وأرسلوا مع ابن جبر قوة إلي الإدريسي لتبقي مع قوات ابن إبراهيم ، وابن عبود لمواجهة ابن حميد الدين . وإذا احتاجوا إلي زيادة يمكنكم الكتابة لنا لنبعث لهم .

وسلّم خطابنا إلي الأمير حسن بنفسك . ولعلك تتمكن من إقناعه بضرورة الصلح ، وعسي أن توفق .

أرسل ابن إبراهيم قوات إلي تهامة بإمرة ابن جبر حسب تعاليم أمير نجد ، وبقي في ضيافة آل عائض مدة ثلاثة أيام ولحق به أعيان قادة قواته .

وبعد مدة الضيافة أمر ابن إبراهيم القادة الذين معه أن ينتقلوا إلي أبها وأن يأمروا قواتهم بالتحرك من أبها إلي (حجلي) ليتمركزوا فيها في طريقهم إلي الرياض ، ولحقهم هو في اليوم التالي ، وتحركت القوات نحو (حجلي) وتحرك ابن جبر نحو تهامة وفي يوم ٢١ صفر من عام ١٣٤٢ هـ، كانت قوات نجد مع ابن إبراهيم في (حجلي) ، وابن جبر كان في تهامة . وهكذا أخليت أبها من قوات نجد .

نزل ابن عائض إلي أبها مع آله ومجلس الشوري ، وعادت الأمور إل طبيعتها إذ رجع أهلها إليها فوجدوها كما هي ، حيث كان ابن ابراهيم قد أمر قواته بعدم دخول منزل أو حي إلا من أجل التسويق ، وذلك لإبعاد الريبة عنه ، وإعطاء العسيريين الثقة بما وعد .

أخذ قسم من قوات ابن إبراهيم يتحرك وهمياً نحو الخميس ، وقاعدة ناهس ليعتقد العسيريون أن النجديين في طريقهم إلي الرياض ، ولا خديعة في العملية ، وحتي أن جنود ابن إبراهيم وقادتهم لا يعرفون شيئا عن المخطط المبيّت ، وكل ما يعلمونه أنهم جاءوا إلي نجدة الإدريسي ثم العودة إلي الرياض .

أما في أبها فقد ذهب ابن إبراهيم ومعه بعض قواده ، ومنهم ابن سعيد قائد القوات التي تمركزت في (حجلي) ، ذهبوا ليودّعوا الأمير حسن ، وبعثوا أمامهم من يخبره ، =

= إلا أن عيون آل عائض سبقت الرسل ، وأنبأته بقدوم ابن إبراهيم إلي أبها مع بعض رجاله فاستغرب الأمر وساورته الشكوك حتي وصلت الرسل إليه فاستعدّ واستقدم إليه كل من :

عائض بن محمد بن عائض	كبير آل عائض
محمد بن علي بن محمد بن عائض	أخي الأمير حسن
عبدالله بن علي بن محمد بن عائض	أخي الأمير حسن .
عائض بن عبدالله بن محمد بن عائض	ابن عم الأمير حسن
محمد بن عبد الرحمن بن عائض	ابن عم الأمير حسن .
عائض بن عبد الرحمن بن عائض	ابن عم الأمير حسن .
عبدالله بن عبد الرحمن بن عائض	ابن عم الأمير حسن .
محمد بن ناصر بن عبد الرحمن بن عائض	ابن عم الأمير حسن .
أحمد أبو هليل	عضو مجلس الشوري أمين سر مجلس الشوري .
سعيد بن علي بن محمد النعمي	قاضي وعضو مجلس الشوري
عائض أحمد الجهري	قاضي وعضو مجلس الشوري أمين سر مجلس القيادة
محمد بن عبدالله الزميلي	قاضي وعضو مجلس الشوري ومسؤول عن التعليم والأوقاف .
أحمد بن حامد	شيخ قبيلة علكم وعضو مجلس الشوري

= علي بن أحمد بن مشيبة — شيخ قبيلة بني مغيد وعضو مجلس الشوري

عبد العزيز بن عبد الوهاب المتحمي — شيخ قبيلة ربيعة ورفيدة وعضو مجلس الشوري

سعيد بن عبد العزيز بن مشيط — شيخ شهران . وعضو مجلس الشوري

علي بن معدّي — شيخ بني مالك وعضو مجلس الشودي

محمد بن دليم بن شايع — شيخ شريف وعضو مجلس الشوري

حسن بن أحمد بن عبد المتعالي — شيخ مشايخ قبيلة رجال ألمع وعضو مجلس الشوري .

محّمد بن مسلط الوصال — رئيس المجلس البلدي وأمين مجلس الشوري

فلما وصل ابن إبراهيم ورجاله كان هؤلاء في استقباله ، وبقي عندهم ، في ضيافتهم مدة ثلاثة ثم ارتحل مودعاً ، ومشي حسن ومعه آل عائض المذكورون أعلاه وبن دليم وابن مشيط وذلك يوم الجمعة الثامن عشر من شهر صفر من عام ١٣٤٢هـ ومشوا جميعاً حتي (العصان) وأراد الأمير حسن أن يودعهم غير أن ابن سعيد رجاه أن يتناولوا طعام الغداء عنده في (حجلي) فقد هيء وحاول الأمير حسن الاعتذار فالحّ ابن سعيد وزاد من رجائه فم يجد بداً من الموافقة . وانفرد الأمير حسن بعمه عائض بن محمد بن عائض ، وطلب منه العودة والاتصال بالقبائل والقيادات وأن يكون الجميع علي استعداد فما يدري المرء=

= ما يخبأ له . ثم اعتذر من ابن إبراهيم وابن سعيد لعمه بالعودة لسنه وحاجته إلي الراحة ، فوافقوا علي ذلك فرجع ومعه بعض رجال العصان من قبيلة ربيعة .

تناول الجمع طعام الغداء في (حجلي) عند ابن سعيد ولاحظ آل عائض أن القوات النجدية ترتحل من (حجلي) إذ لم يبق إلا قلة لترافق ابن إبراهيم .

وأراد الأمير حسن وداعهم بعد ذلك فأصر سعيد بن عبد العزيز بن مشيط علي تناول طعام العشاء عنده ولم يجد حسن بداً من الموافقه والمسير معه إكراماً له علي أنه خاله.

انطلق الركب بعد صلاة العصر ، ووصلوا إلي الخميس قبيل المغرب حيث أدركوا الصلاة علي مشارف البلدة وبعدها ذهبوا إلي دار ابن مشيط .

كانت دعوة ابن مشيط علي ظاهرها ، وإن كان قد أوحي له بها ، وحسنّها له ابن إبراهيم بطريقة لا تريب ابن مشيط .

طلب ابن إبراهيم من ابن سعيد سراً أن تعود القوات جميعها لاحتلال أبها ، وأن يبلغ القوات في تهامة بذلك ، وأن يبعث ابن باتع علي رأس مائتي مقاتل بكامل أسلحتهم وتطويق دار ابن مشيط وأفشي له سرّ الخطة التي جاء من أجلها بتوجيه من الإمام كطريقة سلمية لإلقاء القبض علي آل عائض ، لعدم رغبته في الحرب ، وخوفه من نتائجها .

بعد تناول العشاء خرج عبدالله بن عبد الرحمن بن عائض لحاجةٍ فوجد نفسه محاطاً بالجند يطلبون منه العودة فأعلمهم عن سبب خروجه فلم يمكّنوه خوفاً من هربه بعد أن أحسّ شيئا ، فرجع إلي الداخل ، وتوجه إلي ابن إبراهيم غضبان وقال له : ما هكذا تكون أعمال الشرفاء !!

فوقف حسن وسأله ما الخير ؟ فوقف الحضور فقال عبدالله : لقد وقعتم في الشرك .

فالتفت حسن إلي ابن إبراهيم وقال : أفعلتها وسيّدك ياابن إبراهيم ؟ هلا جعلتموها جولة تدور عل أحدنا ، فتلك أشرف ، لقد زعمتم أنكم جئتم لنصرة ابن إدريس وقد هلل وبقيت تبعة ما عمل عليه ، ولم يبلغ مراده .

فقال ابن إبراهيم بعد أن طلب جلوسهم : إن الأمر سيكون عل ما تحبون ياحسن . =

= وتابع ابن إبراهيم قائلاً : إن الإمام عبد العزيز – حفظه الله – قال : إن عسيراً جزء من نجد ، ونجد جزء من عسير ، وأبها والرياض أصبحتا قطبي الجزيرة اللذين بهما استقرارهما وأمنها ووحدة قوتها الممثلة في عشائرها . ولا بقاء لنجد دون عسير ، وعسير مفتاح الحرمين واليمن ، ومركز أمنهما وعندما تكون عسير في جانبي تكون قد ماي قد رسختا في الجزيرة ، وقامتا علي قوة ، ولا نخشي بعدها أحداً ، إذ بإمكاني بعدها ضم الجزيرة بأسرها ثم الشام والعراق ، وكنت حريصاً أن أخضع عسيراً لأمري من أول جولة ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان ، وإذا استمرّ القتال فإن الوضع سيطول ولن أستطيع أن أقدر لمن تكون الدائرة ، وكنت أخشي أن يقوم تحالف مع قوة أخري فيصدني عنها ذلك ، فرأيت أن ألجأ إلي الحيلة لعلني أنجح فأكون قد وفرّت الرجال لمشاهد أخري ، وحفظت الدماء من الهدر ، وإني مرسلك لهذا الأمر ولعلني أوفق بالتمهيد له بما يجعلني اقدم عليه ، ولعله يسحب من آل عائض فكرة الطمع في عسير ويرونها مني انصرافاً عنهم. فابن عفيصان ومن معه محاصرون ، وإني مرسل ابن حشر بخطابين وقوة لدعم ابن عفيصان أحدهما لحسن بما قد يراه صارف لنا عن عسير والآخر لابن عفيصان بالعودة بقواته ، وسأجعل تاريخهما قبل حصار عسير لابن عفيصان لإيهامهم بصدق نوايانا .

وسآمر ابن حشر بإرجاء تسليم الخطابين لابن عفيصان إذا وصل ووجد أن ابن عفيصان قد تمكن من إلقاء القبض علي آل عائض حيث لم يعد لهما فائدة ، وأزوده بخطاب ثالث لابن عفيصان في حالة تمكنه من ذلك ، يقضي بإرسالهم تحت الحراسة المشددة ، ويشدّد بعدها وطأته علي عسير .

وإن وصل وانتهي الأمر في صالح آل عائض ، ولقي ابن عفيصان ومن معه مصرعهم ، فيعود ولا يحرك ساكناً ، وسأنظر عندها في وضعي ووضعهم من جديد .

وقد انتهي الأمر بما علمت لسوء تصرّف ابن عفيصان إذ لم يمتثل الأمر مما جعل الأمر يوقع به وبالطارفة . إلا أن هذين الكتابين قد بان أثرهما في آل عائض ، حيث توهموا صدق ما تضمنته الكتب ، فإن الأمر الآن ممهد لك ، فعليك التوجّه وتنفيذ أمري خطوة خطوة وهو ما انتهي بنا إلي هذا المكان وقد وردني بالأمس من الإمام عبد العزيز هذا الكتاب : =

= وقرأه عليهم ، وكان منه : فوضتك لتنهي الخلاف بيننا وبين آل عائض فإن وصلت إلي نتيجة مرضية فهو المطلوب ، وإن رأيت في الأمر صعوبة فشاغلهم بمن معك من قوة وسوف يأتي المدد من نجد بادية وحاضرة ، وأنا علي رأس ذلك المدد . ثم قال ابن إبراهيم : أنا وفرّت عليك ياحسن وعلي الإمام صراعاً يلتهم كل ما جُنّد له ، وتبقيان معاً وحسابكما علي الله ، وقد أعددت لكم الخيل ، وستواصل بكم السير إلي الرياض .

فقال حسن : إن أمراً صنعته يد الكفار ليس غريباً أن يظهر منه مثل هذا ، وإن تاريخ عبد العزيز ليس بخافٍ عنا ياابن إبراهيم .

وإن من يقوم بسيف بالكفر اليوم سوف ينتهي به غداً ، فويل للإسلام والمسلمين من كيده .

ثم دخل جند ابن إبراهيم وطلبوامن آل عائض الخروج من البيت والركوب ، فلم يجدوا بداً من ذلك .

انطلق الركب نحو الرياض ، آل عائض ومن معهم في الوسط ، لا سلاح معهم ، وتحيط بهم قوة مسلحة ، وكان انطلاقهم ليلة التاسع عشر من شهر صفر ١٣٤٢هـ ووصلوا إلي الرياض في الخامس من شهر ربيع الأول ، وكان الإمام عبد العزيز والأعيان قد خرجوا لاستقبالهم ، وأنزلوا في حي الظهيرة ، وكان قد أعدت لهم دار هناك ، وقال عبد العزيز لآل عائض : الحمد لله الذي ا نتهي الأمر بسلام .

فأجاب حسن : وهل يسمي الغدر سلاماً ياعبد العزيز ؟

هلا أرسلت قواتك التي حاربتنا مدة أربع سنوات إلي ساحل الخليج والشام والعراق التي دخلها الكفار أم لا ترضي عن ذلك بريطانيا ؟

وشددت عليهم الحراسة حتي لا يدخل عليهم أحد ولا يختلطون بأحد حتي لا يتم بينهم وبين شريف مكة أي اتصال ، ثم تمكن عبد العزيز من الاستيلاء علي الحجاز وطرد الأشراف منه .

واستغل ابن حميد الدين هذا الحدث فاحتل نجران ، وصعدة ، وظهران وبلاد سنحان ، كما احتل الادريسي شمال تهامة عسير حتي القنفذة ، وشدد ابن إبراهيم قبضته علي =

= القبائل حتي أذعنت بعد صراعات مريرة ، وكان آخرها استسلاما غامد وزهران وبني الحارث وبجيلة التي لم تخضع حتي دخل عبد العزيز الحجاز .

وشاعت أخبار هذه الحادثة في أرجاء كل من الحجاز واليمن ، وانتشرت إلي خارج الجزيرة وتناقلتها الجرائد ، وكان ابن حميد الدين وشريف مكة قد نددا بطريق الغدر التي لجأ إليها ابن سعود ، وطالبا بإعادة آل عائض إلي موطنهم وحكمهم .

أدرك ابن مشيط خطورة ما حدث وخاصة أنه قد تمّ ذلك في داره وأدرك أن ذلك عاراً سيلازمه وأسرته مدي الحياة ، مع أنه ليس يعلم بما بيت ولا يعرف شيئاً عن ذلك فأرسل أحد رجاله إلي أبها يحمل رسالة إلي عائض بن محمد يخبره بما حدث ويتنصل من جريرة ذلك .

في الوقت الذي سار يحمل آل عائض الرياض كان ابن سعيد يعد العدة للهجوم علي أبها حيث كان عائض بن محمد بن عائض قد جهزّ قواته ليتجه بها إلي مواجهة القوات النجدية القادمة من الشرق بقيادة ابن سعيد والتقي الطرفان علي مشارف مدينة أبها قبل منتصف الليل وحدث بينهما قتال استمر إلي زوال شمس يوم التاسع من شهر صفر ، وقد استمات فيه الجانبان ، وانتهي القتال بهزيمة العسيريين وصرع بعض قادتهم ، ومنهم :

عائض بن محمد بن عائض بن مرعي .

وعائض بن ناصر بن عائض .

وسعد بن ناصر بن عائض .

وسعد بن عبدالله بن محمد .

وعبد الرحمن بن ناصر بن عائض .

وعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الرحمن بن عائض .

والتحق بقوات ابن سعيد عبد العزيز بن إبراهيم ومن معه قادمين من بلاد شهران ، ودخل ابن إبراهم أبها بعد عصر ذلك اليوم وأعطي الأمان للسكان ، ثم أخذ يتتبع القبائل الموالية لآل عائض لأخذ ما بقي لديهم من أسلحة وخضد شوكتهم =

= ألقي القبض عليهم بهذه الحيلة ، وحملوا إلي مدينة الرياض تحت حراسة مشددةٍ وسير حثيثٍ لا يتوقفون إلا لتأدية الفريضة وتناول قليل من الطعام وربما أخذوا بعض الوجبات وهم علي رواحلهم ، وإذا اشتدّ النوم بقائد الركب أخذوا هجعة ، مع تناوب الحرس ، حتي إذا ما شارفوا مدينة الرياض أرسل ابن سعيد مبعوثاً يخبر أمير نجد بوصول الركب ، فخرج إليهم مع أعيان المدينة ، كما طلب من الناس أن يخرجوا ، وإذا كان قد أبدي الاحترام لهم بما قال لهم ، وبالطريقة التي استقبلهم بها غير أنه كان يهدف إلي أن يشعر آل عائض بشيءٍ من الذل أمام هذه الجموع ، وهم يدخلون كالأسري .

كان الاستقبال في الجرادية ، وقد نصب الأمير عبد العزيز سرادق هناك وتلقي القادمين إليه بشيءٍ من إظهار الاحترام حيث تناولوا القهوة ، واحتفي بهم حفاوةً بالغةً ، وأقيمت عرضة حملت المعنيين الذين يريدهما عبد العزيز ، فأثناء العرضة ، قال شاعره ابن دحيم :

يامرحبا وأهلين مثنية	ترحيبةٍ من هاجسٍ زفر
علومكم راحت سماوية	من يوم حبلنا ضاعت الفكر

فرد عليه الأمير عائض بن علي بن محمد بن عائض وهو أخو الأمير وكان شاعراً يجيد النظم بالفصحي وبالعامية ، فقال :

لو كان الحذر يمنع من القدر	كان اليزيدي في محلته
غير أن القدر إذا نزل عمي البصر	وضاعت علي الفطين حيلته

ثم دخلوا مدينة الرياض جميعاً ، وكانت مسورة علي ثمانية أبواب بعضها قديم وبعضها حديث ، ولم تكن مساحتها لتبلغ ميلاً مربعاً ، وتشمل أيضاً مساحات من النخيل ، وأكبر أحيائها الظهيرة ، ودخنة ، والحلة ، ويقول أهل الرياض إن هذه الأحياء الثلاثة أقدم ما ضمّ سور الرياض ، ويتناقلون ذلك ببيت من الشعر يقول =

= والظهيرة* بلّها وبل السحابة   يسقي الحلة ودخنة ماعداها

ومن أحيائها أيضاً المريقب ، والمعيقلية . ولا يزيد عدد سكان الرياض علي ثلاثة آلاف . تحيط بها حدائق النخيل من جهاتها الثلاث التي هي الغرب والشمال والجنوب ، وأما الشرق فيوجد وادي البطحاء ، وعلي ضفافه الشرقية تتبعثر أشجار النخيل أيضا ، حتي التقائه بوادي حنيفة .

ولم تكن منفوحة التي تقع جنوب الرياض بأصغر منها ، ويفصلها عنها مساحات من النخيل ، وبعض القري الصغيرة مثل الخضرمة ، ومعكال ، وصياح . أما جنوب منفوحة فكانت منطقة المصانع عند التقاء وادي البطحاء وحنيفة . ومعروف أن الرياض اسم حديث العهد ، وكانت بالقديم تسمي " حجر اليمامة ". كما توجد أحياء صغيرة خارج السور ، حيث توجد في الغرب العطايف ، والداخلة ، والعسيلة ، ومقرن ، وفي الجنوب صباح والجرادية بلدة دامرة كانت في الماضي مقراً لأمراء آل يزيد ولآل جبر .

وداخل السور يوجد جامع لا يتسع لألف من المصلين إذ يجتمع فيه مصلو الرياض وأكثر الأحياء التي حولها ويسمونه جامع " المهيري " وهو جامع قديم .

ويوجد كذلك خمسة مساجد صغيرة لأحياء المدينة .

وكانت بيوت الرياض من الطين ، وكلها متشابهة فيما بينها .

ويوجد داخل السور إحدي عشرة بئراً غزيرة المياه يستقي منها السكان .

سكن آل عائض : اختير للمحمولين إلي الرياض من آل عائض ومن معهم دار في حي الظهيرة ، تعد من أكبر دور ذلك الحي ، كما أخذت الدور التي حولها لتكون للحراسة ، ومنعوا من الاتصال بأحد سواء أكان من أهل البلد أم من غيرها حرصاً علي عدم وجود أي اتصال أو نقل أخبار إلي شريف مكة أو ابن حميد الدين .

واستمر وضع آل عائض علي هذه الصورة حتي استولي عبد العزيز آل سعود علي الحجاز ١٣٤٤هـ ، واصطحب معه إلي موسم الحج في ذلك العام آل عائض ، وبعد أداء الفريضة انخرع من آل عائض عبدالله بن عبد الرحمن بن عائض رغم الحراسة =

= المشددة عليهم وتسلل مع الحجاج إلي الطائف حيث التقي مع عبدالله بن حمزة الفعر ، وأفضي إليه بسره أنه يريد التوجّه إلي عسير ودعوة أهلها إلي ببيعته والانتفاضة ضد قوات نجد المسيطرة هناك ، ودرس معه الوضع من كل جوانبه ، وحاول الفعر أن يثنيه عن عزمه ، فأصر علي المتابعة ، ووعده بإرسال ما يستجد معه إليه ، وطلب منه أن يقوم بإيصال ذلك إلى عبدالله بن الحسين في عمان ، فدعا له بالتوفيق عندما وجده مصراً علي تنفيذ خطته .

ترك الأمير عبدالله بن عائض الطائف واتجه إلي بني الحارث وبجيلة حيث التقي بشيوخها وأعلمهم بما عزم عليه ، وأمرهم أن يكونوا علي أهبة الاستعداد ، فوافقوه علي رأيه . ثم غادره وانتقل إلي رجال غامد ، وزهران ، خثعم ، وشمران ، وبني القرن ، وبني عمرو ، وبني شهر ، وبالأحمر وبالأسمر ، فوجد عند كل من مرّ عليه تأييداً وترحيباً بالفكرة ، وهذا ما شجعه علي متابعة خطواته .

ثم انتقل إلي بني مالك ، وربيعة ورفيدة ، وعلكم ، ففاتح شيوخهم بالموضوع فلم يختلفوا عن سابقيهم ، فاتجه إلي رجال المع ماراً ببني زيد ، واستقرّ بالشرفة فاستدعي إليه شيوخ رجال ألمع السبعة ، بث لهم ما عزم عليه ، وسألهم عن مدي استعدادهم للمشاركة في العمل فوعدوه خيراً وقالوا له إننا معك حيث أردت ، فطلب من شيخ مشايخهم حسن بن أحمد بن عبد المتعالي أن ينتقل معه إلي (القلّه) لحصانتها وسيطرتها علي المنافذ ليجعلها قاعدةً له . وكان قد اصطحب معه من غامد علي جمّاع الكبيري ، وسعيد بن علي الشهري من أهل (الذهيب) وهما من علماء المنطقه المعروفين .

أرسل إلي شيوخ قبائل بيشة ، وقحطان وشهران ، وناهس ، وهمدان ، ويام ، يطلب منهم إرسال ممثلين لهم إليه في (القلة) التي تقع في ذرا جبال (قو) ، وهي بلدة قديمة كانت مقراً لأسلاف ال عبد المتعالي ، فجاءوا إلي فأخبرهم بما ينوي القيام به ، وطلب منهم إبلاغ قبائلهم والانضمام إليه ، وإن لم يروا ذلك فالوقوف علي الحياد علي الأقل لضمان سلامتهم ، ثم أرسل الأمير ناصر بن محمد بن ناصر آل عائض يخبره بوصوله إلي القلة، ويطلب حضوره إليه ، فلما جاءه أطلعه علي ما عزم عليه ، وأمره أن يجمع ما يستطيع جمعه من رجال القبائل والتسلل بهم إلي أبها ، ليكونوا قوة من داخل المدينة تعمل =

= ضدّ المحتلين : علي حين تهاجم المدينه من خارجها بقوات عبدالله التي سيقودها في القتال ، فتمكن ناصر من التسلل مع خمسمائة رجل من عسير إلي أبها .

كان أمير ابن سعود علي عسير عبدالله بن عسكر ، وكانت قد تسربت إليه بعض الأخبار المرابطه في أبها وعدم مغادرتها . وطلبوا من ابن عسكر تسليحهم لقتال ابن عائض غير انه رفض ، وخشي أن تكون مؤامرة للانضمام إلي بقية قبائلهم مع ابن عائض ، فشدّد عليهم المراقبة .

طلب ابن سعود من والية ابن عسكر العمل علي القبض علي ابن عائض مهما كلّف الأمر ومحاولة تخذيل الناس عنه ، وأرسل إليه قوة تساعده في مهمته .وفوجئ سكان أبها باغتيال ناصر بن محمد ، فأعلن ابن عسكر أن الذين اغتالوه هم بعض مواليه ، واقتاد منهم علي بن مسعود ، ومحمد سليم ، وسعيد بن سلامة ، وكان هؤلاء الثلاثة قد اتهموا بالفتك ببعض أفراد من قوات ابن عسكر ، فقام ابن عسكر بقتل ناصر بن محمد ، ثم اتهم هؤلاء بقتله وقتلهم قصاصاً – حسب زعمه .

كان ابن سعود قد شعر بغياب عبدالله بن عبد الرحمن بن عائض عن بقية اسرته ، فشدّد الوطأه عليهم ، واجتمع بهم ، وهدده بأن غياب عبد الله لم يكن إلا مكيدة منهم جميعاً ، وأنهم مسؤولون عن ذلك ، فأخبروه بأنهم لا علم لهم بما قام به ، ولا هو اين الأن ، وكانوا علي صدقٍ فيما قالوا ، إذ كان تصرفه فردياً ، ومن ذاته الشخصية ، وكان مع ابن سعود آنذاك من آل عائض حسن بن علي ، وناصر بن عبد الرحمن ، وعبدالله بن عبد الرحمن ، وعائض بن عبد الرحمن أما الآخرون فقد أبقاهم محتجزين في مدينة الرياض حتي لا يكونوا قوةً معه يخشي جانبها .

لقد هز غياب ابن عائض كيان ابن سعود ، وأخذت الأفكار تراوده فتتجه به يميناً وشمالاً ، تارةً يظن انه في عسير ، وأخري يتصور أنه قد وصل إلي العراق ، وربما اتجه بذهنه إلي أنه سار إلي عمان . إذ وقع في خلده أنه لا بدّ من خطه في رأس ابن عائض ويريد تنفيذها .

فلما وصلت إليه أخبار ابن عسكر من أبها استقر ذهنه علي ما يجب عمله .وتوقّع أن أهل=

= عسير سيلتفون حوله ، وأن اتفاقاً قد تم مع اليمن ، وعُمان ، والأشراف في عمان وبغداد ، فشددت علي من بحوزته من آل عائض ، ووجد أنه لا بد من الاتصال ببريطانيا لتكفيه شر الاشراف ، وعمان ،ا أما اليمن فتوقع أنه لا بد من الصدام معها ، وإن كانت المعارك بينها وبين قوات الأدارسة علي أشدّ ما تكون ، وينظر ابن سعود إلي مدّ نفوذة إلي ما كان تحت ولاية ال عائض ، ويري أن ما يحدث علي هذا الجزء من اقتتال إنما هو علي أجزاء من مملكة آل عائض ، وإن حركة الأمير عبد الله بن عائض إن كتب لها النجاح فإنه سيخفق في السيطرة علي عسير . كما لا بد له من الإعداد للعودة إلي دخول عسير من جديد ، ومحاولة إذلال أهلها كي يخنعوا ، ولا يلتفتوا بعدها لا إلي عائض ولاسواهم .

اتصل ببريطانيا فوعدته بالمساعدة ، وعدم التفكير في موضوع العراق أو الأردن ، وأن عليه تسيير قوات البادية لإظهار قوته وإخافة خصمه .

أخذ ابن عائض يفكر بتأمين السلاح فبعث علي جمّاح الكبيري الغامدي إلي المعتمد البريطاني في عدن ، فاشترط المعتمد باسم دولته السماح لبريطانيا بالتنقيب عن البترول في السواحل العسيرية وفي المناطق الداخليه لمدة تسع وتسعين سنة تنال بموجبها حكومة عسير نسبة مئوية تعادل ٧٥ر٢٣٪ من الأرباح ، وتقتطع بريطانيا من هذه النسبة ثمن السلاح المرسل ، غير أن ابن عائض رفض ذلك ، وألح علي أن يكون ثمن السلاح مؤجلاً ولكن غير مشروط فأبت ، ورفض هو .

وبعث أيضاً سعيد بن علي الشهري إلي عمان ، وإلي بغداد فوجد أن حكومتيهما لا تستطيع التحرك دون الإشارة من بريطانيا لذلك عاد خائباً .

أخذ ابن عائض يتداول الرأي مع علي جمّاح ، والشهري ، وابن عبد المتعالي ، ورأي أنه لا يريد أن يُقدّم عسيراً لقمة إلي الكفار مقابل تحقيق عنّت علي باله ، وهيأتها لها تصرفات ولاة الرياض علي أبها في إذلال السكان ، والضغط خاصةً علي آل عائض وكبار رجال دولتهم الذين كانوا بجانبيهم . لهذا كله رأي ورأي من معه ترك ما عزم عليه والعودة إلي ما كان عليه ، ولو أنه فيه شئ من الإهانة .

ولم تكن أخبار ابن عائض سرية إن تناقلتها الصحف وتحدثت عن حركات مرتقبة ضد ابن سعود . كما أن الشهري وجد هذه الأخبار في كل من عمان وبغداد . =

= كان ابن عائض قد حصل علي شئ من السلاح عن طريق التجار في صبيا الذين كانوا يأتون من السودان وشرقي إفريقية ، كما أن يحيي بن حميد الدين قد أرسل إليه بمائتي بندقية وشجعه علي الثورة ووزع هذا كله علي رجاله ، ورد عدداً من الفرق التي أرادت مداهمة عسير والتي جاءت من الشرق ، وغير أن هذا كله قد ذهب أمام طلب السلاح الكثير .

كان ابن سعود يحث باستمرار ابن عسكر علي إنهاء قضية ابن عائض قبل أن يشتد ساعده وتأتي إليه وفود القبائل كلها ، كما قد أخبره جواسيسه بتقصي الأخبار ومتابعة كل ما يحدث في المنطقة .

وجد ابن عائض أن طريق السلاح مسدود غير ما كان يتوقعه ورأي أن الأشراف في العراق والأردن مرتبطين ببريطانيا وليس لهم من حول ولا قوة . وعرف أن لابن حميد الدين لا يمكن لابن عائض أن يقدمها له لذا قرر العودة إلي الرياض ، وتحمل نتائج كل ما وقع ، مع أن ابن سعود كان يرسل له الكتب ، ويطلب منه تناسي ما كان يحدث منه تجاه آل عائض ، كما يطلب العمل علي عدم إراقة الدماء ، وتعريض أهله في الرياض للأذي .

اجتمع ابن عائض مع كبار أعوانه وعرض عليهم فكرته بالعودة بعد ما شرح لهم الوضع علي ساحة الجزيرة فخطته لم تكن لتنجح إن لم يكن هناك من يزودها بالسلاح وأننا لا نستطيع أن نحصل علي السلاح إن كان بشروط لا يرضاها المسلم لنفسه فرأوا رأيه لكن كانوا يخشون عليه من بطش ابن سعود . غير أنه عزم وقال : إن ابن سعود ليدرك أن محاولتي هذه أمر ليس بالغريب حيث كان بالأمس مثلي اليوم .

اصطحب ابن عائض معه عدداً من رجال ألمع إلي البرك لمقابلة ابن عبده شيخ قبائل البرك وبني هلال ، وعند مقابلته له أمرهم بالعودة إلي أوطانهم علي أن يبقي معه علي جمّاح ، وطلب ابن عائض من ابن عبده إعداد بعض رجاله ليكونوا في صحبته إلي القنفذه ثم إلي مكة ليسلم نفسه إلي واليها ، وتم ذلك .

ولما وصل إلي القنفذة كان عليها ابن زعير من قبل ابن سعود فلما أخبره عن نفسه استغلها فرصة فطوقة رجاله وادعي أنه قبض عليه ، وأرسل إلي ابن سعود يخبره بأنه =

= ألقي القبض علي ابن عائض ، ويطلب منه الأمر فيما يفعل .فجاءه الجواب أن عليك تسليمه إلي نائب الحجاز ولدنا فيصل تحت الحراسة اللازمة ، ومن ناحية أخري أبلغ ابن سعود ابنه فيصلاً في أن يتسلّم ابن عائض ويبقيه تحت الخفارة .

علم ابن عائض بما فعله ابن زعير وما ادعاه كذباً وزوراً .

ولما وصل عبدالله بن عائض إلي مكة طلب مقابلة فيصل ، وأخبره أن مجيئه لم يكن إلا طواعيةً منه ، وما ذكره ابن زعير ليس بصحيح ، وطلب من فيصل أن يخبر والده بذلك .

أمر عبد العزيز بن سعود ابنه فيصلاً أن يرسل ابن عائض إلي الرياض تحت حراسة ويوكل أمرها إلي مرزوق التركي .

وأما علي جماع الكبيري فقد سئل عن صحبته لابن عائض ، فأجاب أنه التقي به عرضاً وهو في طريقه إلي ابن زعير ، فتمسك بي ، وأقرّ ذلك ابن عائض وأضاف أنه لم يعلم من هو رفيقه إلا بعد إلقاء القبض عليه ، لذا فقد أطلق فيصل سراحه بعد أن بقي عنده في النظارة مع ابن عائض عدة أيام .

وصل عبدالله بن عائض إلي الرياض، وأبلغ ابن سعود بوصوله، فاستقبله بعد صلاة الفجر، ودار بينهما حديث لام فيه عبد العزيز أسيره ابن عائض علي ما قام به، وقال له: إنك شوشت بفعلتك هذه علي، وعلي إخوتك ، وعلي المسلمين، ولم أكن مقصراً بشئ يؤمن راحتكم . فأجابه ابن عائض : إنما قمت به قد فعلت مثله عندما كنت أنت في الكويت، ولم يلمك أحد، بل تفخر بذلك حتي وصلت بك الحال إلي ما أنت فيه، لقد خدمتك ظروف لم تخدمني، فنجحت وأخفقت أنا والحمد لله علي ما آل إليه الأمر فقال : صدقت .

انصرف ابن سعود إلي مجلسه العام وترك ابن عائض تحت الرقابة ، ولما اكتظ المجلس بأعيان البلاد ، وصحافيين من مناطق مختلفة كانوا قد كتبوا في صحفهم عن حركة ابن عائض في أبها ، وأعطوها حجماً كبيراً ، وذكروا أن قوات ابن سعود قد تراجعت أمام قوات ابن عائض الناشئة .

كان ابن سعود قد طلب من أحد رجاله أن يأتيه ويخبره بوصول ابن عائض ، وأنه علي =

= الباب ، وذلك بعد بدء اجتماع المجلس ، وكان ابن عائض قد وصل الآن إلي الرياض ، وجاء إلي مجلس ابن سعود مباشرة .

دخل رجل ابن سعود إلي المجلس ، واقترب من سيده ، وهمس في أذنه شيئا ، فابتسم ابن سعود ، وقال بصوت مرتفع : أدخلوه .. أدخلوا بابن عائض ، ثم التفت إلي حسن آل عائض وقال له : هذا ابن عمكم استقبلوه ، وحيوه ، ونهض عبد العزيز بن سعود ، ونهض الحضور ، واستقبل عبد الله بن عائض استقبالاً حاراً ، وقال له : خطاك علي نفسك يابني ، وما أتعبت إلا رجيلك ، وأخذه ووضعه علي يمينه ، والتفت إلي الصحفيين ، وقال لهم : هذا ابن عائض الذي زعمتم أنه ألبّ قبائل عسير من الطائف إلي صعدة ، وأن الصدام بين قواته وقواتنا علي أشدّ ما يكون من الاحتدام . والواقع أنه قد تنقّل بين قبائل عسير ، ومدنها ، وقراها فلم يجد من يعطيه كسرة خبز ، وها قد جاء إلي كما تشاهدون .

التفت ابن عائض إلي الصحفيين ، وقال : صدق عبد العزيز وكررها ثلاث مرات .

انفضّ المجلس ، وبقي عبد العزيز مع آل عائض وحدهم ، فسلّموا علي ابن عمهم ، وهنّؤوه بسلامة العودة ، وبعدها خاطبهم عبد العزيز قائلاً : يا آل عائض – يعلم الله – أنني لا أري لكم إلا ما أراه لنفسي ، وإن حبة التمر التي تردني من الخارج لأجعلها مناصفةً بيني وبينكم ، وإن ما حدث بيننا فقد سبق في علم الله ، ولقد وقفتم موقفاً لن ينساه لكم التاريخ. وإنني أقسم إنني وددت أني معي بضعة شويهات أرعاها في شعب من شعاب نجد ولا أصل إلي ماوصلت إليه ، ولكنني ظهرت فنسأله العون علي ما ابتليت به وأن يجعل مآل الأمور إلي ما يحب . وإنني والله ما أراكم الآن إلا أفراداً من أسرتي لكم ما لها وعليكم ما عليها من الخير والشر ، فاصرفوا انفسكم إليّ واتخذوني أخاً كبيراً لكم .

فقال حسن بن علي آل عائض : ما ندمنا ياعبد العزيز علي أمرٍ حمدنا عقباه إلا فيما صار إليه أمرنا ، فاستوص بعسير خيراً فإنهم مادة قوتك في يومٍ من الأيام .

هذا ما حدثنا به عبدالله بن عبد الرحمن بن عائض ، وأضاف : أن مقابلتي لعبد العزيز وحدي لتختلف عن مقابلتي له في المجلس .

وسألناه عن تصديقه لكلام عبد العزيز فقال: هذا ما يقتضيه الموقف له ولي وذكر لنا ابن=

= عائض أيضاً : أنه قبل أن يغادر (القلة) متجهاً إلي (البرك) وقد أصابه اليأس قد بعث برسائل إلي صنعاء ، وعمان ينعي رجولة حكامهما .

وعندها شعر عبد العزيز أنه لم يعد هناك من خطرٍ يتهدده من قبل آل عائض ، لذلك سمح لهم بالتجوال داخل مدينة الرياض فقط مع حراسة ومراقبة .

ولكنه في الوقت نفسه قد طلب من واليه علي عسير عبد العزيز بن إبراهيم أن يعطيه قائمة بأسماء آل عائض الموجودين في عسير وأعمارهم ، ورأيه بكل واحدٍ منهم . فأجابه أنه لا يوجد خطر منهم في الوقت الحاضر لأن كبارهم كانوا قد قتلوا في المعارك ، أو حملوا إلي الرياض ، ولا يوجد في أبها سوي سبعة من آل عائض الكبير منهم لم يبلغ العاشرة .

بعث عبد العزيز آل سعود والياً جديداً علي أبها هو عبدالله بن عسكر من أهالي المجمعة بدلاً من ابن إبراهيم ، وأوصاه بمراقبة آل عائض الذين عنده وفصلهم عن الناس .

وأثناء الحراسة الشديدة لآل عائض بالرياض كان عبد العزيز آل سعود في أغلب الأحيان يدعوهم للخروج معه خارج السور والجلوس علي ضفة وادى البطحاء ، حيث يؤدون صلاة المغرب هناك ثم يعودون مع وجود مراقبة قوية عن بُعد .

وكذلك فقد كلف أناساً من عنده للقيام بخدمة آل عائض بكل ما يحتاجونه بدارهم التي يقيمون فيها ، ومهمة هؤلاء الناس بتتبع كلمات آل عائض ، وملاحظتهم ونقل كل ذلك إليه مباشرةً خوفاً من أن تكون هناك صلات مع الأشراف أو مع غيرهم .

وكان ابن سعود أحياناً يدعو آل عائض إلي داره لتناول العشاء معه ، ويتحدث معهم بما يقتضيه الحال ، وكان يتكلم مع خاصته فيقول : إن في نفسي شيئاً من آل عائض لست أدري ما هو ولم أعرف له تفسيراً ، غير أني أتوقع أمراً يحدث عاجلاً أم آجلاً ، وما زلت في كربٍ منهم .

وكان آل عائض يتحدثون أحيانا مع ابن سعود بامتعاض وغلظةٍ بما فعله بهم ، وكان عبد العزيز يلين معهم ، ويتغاضي عنهم حتي كأنه لم يدرك ما يرمي إليه كلامهم وذلك لمعرفته بصعوبة ما فعله ، ويريد أن يخفف من حزازة ما في نفوسهم تجاهه ، فهو لا يفتأ يعمل علي سحب بخيمتهم . =

= كان الأشراف في العراق وجنوبي الشام يحملون في قلوبهم حقداً ضد الذين أزالوا ملكهم في الحجاز ، وأرادوا أن يجدوا لهم عوناً ، فلم يروا أمامهم إلا آل عائض الذين زالت دولتهم علي أيدي الذين أدالوا ملك الحجاز ، فأبدوا أسفهم لما حلّ بعسير ، وبعث عبدالله بن الحسين من عمّان بمبعوث خاصٍ يعرفه آل عائض إلي أن آل عائض في الرياض يدعوهم إلي عمان ، ليكونوا ضيوفاً عنده ، وستكون مكانتهم هناك كمكانة إخوانه إذا حلّوا عليه . ولعلهم يعملون معاً ، ويُوحدّون جهودهم لإثارة قضية البلدين الحجاز وعسير في المحافل الدولية ، ويطالبون بإعادة أصحاب الحق إلي حقهم ، وإجلاء البغاة عما بغوا عليه، وكان نص خطابه . إنما حلّ بعسير من هذا الرجل الذي أتخذ شعار الجهاد قوةً يدفع بها أجلاف البوادي ومرتزقتها إلي حربكم ثم إلي حربنا ، والله يعلم إنه لصنيعة أجنبية لا تخفي عليكم . لقد رسّخ في قلوبنا الاعتقاد بأنه أداة مسخرة لتفتيت قوة المسلمين وإعطاء اليد العليا للكفار .

وقد حلّ بالحجاز – كما تعلمون – ما حلّ بعسير ، وكنت ألوم نفسي عندما أتذكر محادثات الأخ محمد مع والدي في بداية ظهور هذا الرجل . فما كان يخشي الأخ محمد وقوعه قد وقع ، ولكن البصيرة لا يجلو لها حقيقة الأمور إلا بعد وقوعها ليتمّ أمر الله . وإني الآن أدعوكم إلي الشخوص إلي بطريقةٍ تدبرونها لنعمل معاً لإجلاء قواته من عسير والحجاز ، ودفع التعويضات عما ارتكبه جيشه من فظائع .

وإن مطالبتكم ستجد لها تأييداً . وإن بقاءكم تحت وطأة أسر لا ترفع عنكم اللوم من أبناء بلدكم الذين يتعرّضون للإذلال والقمع والتشريد – حسبما بلغنا – ولم تكن مطالبتي بالرغبة بشخوصكم إلينا إلا وأنا علي استعداد تام لدعمكم . وعسي أن أتلقي بما يبعث في النفس الأمل .

وكذلك وصل كتاب من فيصل بن الحسن من بغداد إلي آل عائض يحمل المعني وقد جاء فيه :

إن الكارثة التي اجتاحت بلدان عسير لم تكن بأخفّ مما لحق بالحجاز وأهله وإن المسؤولية ستظل مناطة بأعناقكم ، فقد وقعت عسير تحت تسلّط ابن سعود ، كما وقعت الحجاز =

= تحت تسلّطه وهي أمانة بأعناقنا أيضاً ونحن الآن وقد تمكنت أقدامنا علي قاعدة ثابتة لا تسمح لنا بالسكوت عن السعي لاستعادة ما فقدنا فإننا ندعوكم إلينا لنسعي إلي رفع سيطرته عن الحجاز وعسير . وإنا مطالبتكم بإجلاء قواته عن عسير سيجد تجاوباً لدي المسلمين ، ومن بعض الدول الكبري . فإن مع البلوي أجر ، ومع الصبر فرج . وإنا معكم .

وكان استلام هاتين الرسالتين من قبل الأمير حسن عام ١٣٤٦هـ . ولم يكن بينهما إلا أيام .

غير أن حسن أطلع عليهما آل عائض ، وكان محمد بن عبدالرحمن ، وعائض بن عبد الله ، وعائض بن علي ، ومحمد بن ناصر ، ومحمد بن علي قد فكّروا في الانفلات من قبضة ابن سعود والتوجه إلي بغداد ، أو عمان ، أو مصر لعرض قضية عسير من خلال هذه البلدان والمطالبة بالوقوف بجوارها ، والتنديد بغزوها ، إلا أنهم صُرفوا من قبل بقية آل عائض ، وخاصة حسن وعبدالله إذ أقنعوهم أن الذين فكروا بهم لربما لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً ، وهم علي صلةٍ مع بريطانيا ، ويعلمون بتوجيه منها ، وهي صديقة أيضاً لابن سعود .

لم يكن آل عائض ليتوقعوا هذه الرسائل من هؤلاء الذين كانوا بعيدين عن إدراك ما سيحدث رغم أن آل عائض قد حذروهم من آراء يتمسكون بها ، ويريدون فرضها ويراها آل عائض أخطاء قاتلة .

أشار آل عائض الذين هم في الرياض علي الأمير حسن بأن يعرض عن الجواب ويهمل ما وصل إليه . إلا أن حسناً وجد أنه لا بدّ من الجواب والتقريع ، فكتب : إن رسالتك قد جاءت في وقتٍ قد أدبر الأمر منكم وكنا نودّ أن يتمّ وأنتم تملكون شيئاً ، وكنا حريصين أن يحدث ما تودّونه الآن ، كنا نحب أن يكون الاتفاق بيننا وأنتم بالحجاز ، وأرسلنا إليكم المثلين ، حتي أرهق السير مطاياهم ، وأتبعهم تعنتكم حتي يئسنا ، وكنا نبصركم بعواقب ما حدث، وننذركم من شرٍ سيقع علي الأمة الإسلامية في محاولة لمنع والدكم من القيام بحركته التي سماها " الثورة العربية " ضد" الخلافة التي هي عنوان لقاء المسلمين ، ولفتنا نظركم إلي أن الأيدي التي تدفعكم للقيام بحركتكم ليست إلا أعداء للإسلام وتريد منكم =

= تقوموا بدورٍ مهم في تحطيم دولة الخلافة وأن دوركم لا يزال في بدايته مع أن ما نفّذتم منه قد كان سهماً مسموماً وقع في صدر الأمة ، والله أعلم عما سيأتي به الغد منكم ، ولستم بأحسن من صاحبكم الذي تدعوننا للقيام عليه ، واللحاق بكم ، وأنتم وهو تسيرون في خطٍ واحدٍ .

كنا نطلب منكم السلاح لحماية بلادنا وحمايتكم فرفضتم ذلك وزعمتم أنكم لا تريدون أن تدخلوا الحرب معه ، وأن بقاءكم محايدين أمر تتطلبه مصلحتكم ، ولو نعلم أن من دفعه لحربنا قد دفعكم للوقوف علي الحياد – علي زعمكم – ، وقد ضربكم به ، وضربه بكم ليختبركما ، أيدكم أصلح له ، فوجد ضالته في صاحبكم فتحرّك علينا به . ولما وجدتم أن هناك ثغرات في دفاعنا ولجتم فيها بقوة ظاهرها النصرة وواقعها الغنم .

لم تساعدونا بشيءٍ حتي وقعت بلادنا بأيدي غزاته ، وكنا نطمع أن نكون قوةً واحدةً لنقضي عليه بها في عقر داره ؛ فاستهجنتم طلبنا ، وذلك بعد أن اقتحم بقواته أطراف عسير وأطراف الحجاز ، ثم اصطلينا بناره علي قلة من الذخيرة ، فدافعنا بما نملك خمس سنوات والحرب بيننا وبينه سجال ، وقد علمتهم ذلك ، ووقفتم منا موقف المتفرج الذي لا يهمه إلا التصفيق للمنتصر . ،قد انذرناكم بأن ما حلّ بنا اليوم سيحلّ بكم في الغد ، ولا تملكون من الرجال ما نملك ، وتملكون من السلاح ما لا نملك. وكنتم تظنون أن من حسّن لكم الصورة ضدّ الخلافة سيحمونكم منه ويردونه عنكم ، حتي إذا انكفا عليكم كانوا بجانبه عليكم ، وانتزعوكم من أرضكم وألقوا بكم خارجها ليهيئوكم لدورٍ اخر أنتم في بدايته .

أغري أسيادكم أباكم بدولةٍ كبري فخرج منها كفقاعةٍ وستخرجون كأبيكم . وكنا نحذركم من الإدريسي ، وكم حاولنا أن تصمدوا أمام قواته وسندعمكم بقبائلنا التي طلبنا منكم تسليحها فرفضتم ذلك وأبيتم إلا التصلّب في رأيكم ، وكان لا يزال في صفّ إيطاليا التي تريد منه امتلاك عدوتي البحر الأحمر لمصلحتها . وكنا نخشي أن نقترب بواسطته من الحرمين وتساوم بهما دولة الخلافة علي القدس .

ثم انتقل رلي صف بريطانيا عندما ظهر نفوذها فاحتضنتكم جميعاً ضدنا وأشعلت =

= بكم النار ، واستطاعت بعبو؛ يتكم لها أن تمزّق شمل الأمة ، وجعلت كل عبد لها علي رقعة من الأرض أسمتها وطناً وأحاطتها بسور ، أطلقت عليها حدوداً رسمتها هي ، وألزمت كل صنيعة لها أن يحمي سوره من جراره ، وهي المهيمنة علي الجميع ، وما من رقعة إلا وهي سجن لأهلها ، فلا يخرج منها ولا يدخلها أحد إلا بعلمها حتي تضع أنوف أهلها في التراب .

إن مسيرتها بكم لطويلة حتي تدمر ما تريد تدميره . لقد غزانا صاحبكم وغزاكم باسم الجهاد ، وسرتم لتدمير دولة الخلافة باسم الجهاد ، فأي جهاد منكم ومنه سوي ضرب الإسلام . ولقد صرتم عبيداً لأعداء الأمة ، فنلتم العبودية جزاء فعلتكم في الدنيا ، ولكم في الآخرة ما تستحقون ، وانكشفت الحقيقة التي طالما أخفيتموها . وعملنا علي الدفاع ، والسير في ركب الخلافة مع طلب الإصلاح وتولية الصلحاء ، ولا نريد الأجر إلا من الله ، ونرجو منه حسن الختام في الدنيا والفوز بالآخرة .

وحبذا لو أطلعتم والدكم علي رسالتي ليعرف ما اقترفت يداه قبل أن يواري في التراب .

وإنا لنرضي بما اختاره الله لنا .

وجعل ابن عائض هذه الرسالة نسختين بعث بإحداهما إلي عمان مع الذي جاء برسالة عبدالله وهو عداس بن خنيفر وبعث بالأخري إلي بغداد مع عائض بن الحاج .

ومن يستقرئ تاريخ هؤلاء الأشراف لا يجد فيه خيراً ، إذ لا يعملون علي تطبيق الشريعة الإسلامية ، وإن يعتزون بانتسابهم للبيت الهاشمي ، ويفخرون بما يدعو به المسلم في صلاته لآل النبي ، فيظنون أنهم هم المعنيون ، وينالهم الأجر ، وإن ارتكبوا ما يرتكبون .

وإن آل النبي ، صلي الله عليه وسلم ، هم الذين يسيرون علي هديه سواء أكانوا من أهل بيته أم من غيرهم .

يقول الله تعالي : ﴿ **إن أولي الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ، والله ولي المؤمنين** ﴾

ويقول تعالي : ﴿ **ونادي نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل** =

= غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾

وكنا نتذاكر فيما بيننا كلما جدّ حادث نقول : إن هذا ما كنا نخشاه ، وها هو يقع أمام أعيننا . فأمراء اليوم ليسوا سوى أجراء للكفار ينفذون أوامرهم ، وإن استمروا في سلطانهم فستكون العاقبة وخيمة جداً على ديار الإسلام ، ولن يكون أحفادهم إلا تتمة لعهدهم إذ يبقون مرتبطين بارتباط آبائهم .

وطويت صفحة آل عائض في عسير بما تحمل من تاريخ استمر عدة قرون من ١٣٢ - ١٣٤٢هـ . والمستقبل بيد الله ، يؤتي ملكه من يشاء .

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسن بن علي آل عايض إلي يحيي بن محمد حميد الدين إمام صنعاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

فإن المذاكرة والمناصحة واجبة بين المسلمين وخاصة بين ولاة الأمر فيهم ، ونعلمكم أنه قد أساءنا تلك الحشود التي سقتموها إلي احتلال صعدة ، ونجران ، وظهران ، وقد تمّ فعلاً احتلال صعدة ، وأن قسماً من قواتك يتجه الآن إلي نجران والآخر إلي ظهران لما علمتم أن الحرب بيننا وبين الإدريسي قائمة ، وقد جعلتم أنفسكم طرفاً فيها إذ أمددتم جنده بثلاثة عشر ألف مقاتل ، وذلك لتتخذون من هذا التصرّف سبباً مباشراً لحربنا ، ولتتخذوا لأنفسكم صفة المدافع عن اليمن وإن لليمن قادة شرفاء لا يرضون تسلّط أحد عليهم .

وإن مناصرتكم له والحال هذه لتؤكد تأثركم بمراسلته لكم في حربنا ، وتهوينه لكم باقتطاع هذه المناطق وضمها إلي سلطانكم . إذ تضعفنا الحرب في حالة ارتباك حيث نقاتل علي عدة جبهات - علي حد زعمه .

وعلم الإدريسي أن الحال لن تستقيم له علي ما أقتطعه من سواحلنا ، ونحن علي قوة ، فلا بد له من أن يسعي في زعزعة أمرنا ما استطاع إلي ذلك سبيلاً ، وقد راسل نجداً والحجاز

بمثل ما راسلكم به ، واستفزهم كما .استفزّكم به وإن أطماعه لن تخبوا جذوتها ما دام النصاري في عدن يحرّكونه ويمدّونه، وابن سعود في نجد يمنيه ويعده ، وبغية أن يضربنا جميعاً ، ويدفعه الانكليز إلي ذلك . وتعلمون ما لأسلافنا من مواقف مع أسلافكم من مساندتهم ضدّ الإمارات التي قامت علي البلاد اليمنية لاقتلاعكم من مواقعكم .

وينبغي عليكم ألا تنسوا موقفنا معكم حينما كففنا عنكم الشريف " أبو نيبه " عندما ذكرتمونا بحسن الجوار وموقفنا من الأسلاف . وكان عمي عبدالله قد جمع إلي قبائل بكيل وحاشد وهمدان مع وادعة ويام لإزاحتكم عن صنعاء ، واتخذ من صعدة مقراً له . وقد ذكرتمونا فتذكرنا ، وكفدنا ، وقمنا بما يمليه علينا حق الجوار وأخوة الإسلام ، ونذكركم اليوم لتقفوا الموقف نفسه ، وترتحلوا عن صعدة ، وتتبصّروا في أمركم ، فلا يخدعنكم ما تحمله كتب الإدريسي لكم ، فإنكم تعلمون كيف نشأ ، واستقدام إيطاليا له من مصر لتحقيق بعض أغراضها في ديار المسلمين من تفرقةٍ وتجزئة والتشويش به علي العثمانيين الذين أرادوا طردهم من ليبيا بعد أن دخلتها إيطاليا مستعمرةً لها ، وهذه أمور لا يخفي عليكم منها شئ كما لا يخفي عليكم ما حدث في الوقت القريب من طلبه من الطليان النصاري ضرب موانيء عسير من المخا إلي القنفذة لفرض وجوده ، وهذا لدليل علي موالاته لهم وتنفيذه لأوامرهم ، ثم التحق بانكلترا التي قامت بالدور نفسه الذي قامت به إيطاليا .

ونأمل ألا تكون الأماني الكاذبة مشجعةً للحرب بيننا ، ولا استغلال الظروف الصعبة التي نواجهها في عسير ، فهاهو قد جرّ الآن ابن سعود لحربنا .

والله نسأل أن يلهمنا وإياكم الرشاد ، وما فيه خير العباد .

١٠ جمادي الأولي ١٣٣٧هـ .

أمير عسير

الحسن بن علي آل عائض

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسن بن علي آل عايض إلي محمد بن علي بن إدريس .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإن المغرور من غرّته أمانيه فصرفته عن واقعه ، وركب رأسه ، وامتطي صهوة فانطلقت به إلي سوء المصرع .

لقد اتخذت المكر وسيلةً ، والخداع حيلةٍ ، والإسلام ذريعةً لتصل إلي غايةٍ قبيحةٍ كُشف أمرها فظهرت علي حقيقتك . بالأمس كنت تدعو الناس إلي الفضيلة واليوم تسير بهم إلي الرذيلة ، زعمت فيما مضي أن العثمانيين غير مسلمين وأخذت تدعو العامة إلي محاربتهم ، وترميهم بالكفر والضلال ولكن لم تلبث أن وضعت يدك في يد النصاري بدءاً من الطليان إلي الإنكليز وهم الذي عرفوا بحربهم للإسلام ، وقتالهم لأبنائه ، والعمل علي تمزيق الخلافة وتفريق صفوف المسلمين كي توجد بينهم الضغائن والأحقاد ليتمكّن الأعداء من تسخيرهم لمصالحهم ، ولضرب بعضهم ببعض لتبقي لهم الهيمنة عليهم .

إنك لتعلم الفرق بين الذين تقاتلهم وبين الذين تقاتل معهم ولأجلهم ، وعدّ الله من يوالي الكفار أنه منهم بقوله :﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود**

والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ٥١ من المائدة وأن الولاء والبراء للمسلمين شرط من شروط الإيمان **﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلي الله المصير ﴾** ٢٨ آل عمران ويقول تعالي : **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾** سورة المجادلة ٥٨

وإنك لتعلم أن بعض الصحابة قد طلبوا من رسول الله ﷺ وهو في طريقه إلي أحد أن يستنصروا بحلفائهم من يهود لما كان بينهم من ميثاق التناصر ، وهو ﷺ يقاتل كفاراً ومشركين ، فأجاب : ﷺ " إنا لا نستعين بكافر علي مشرك " فالإسلام إذن لا يبيح لنا أن نستعين بكافر علي مشرك فكيف نستعين بكافر علي مسلم نظن أنه عاصٍ ، وإن عصيانه لا يخرجه من دائرة الإسلام ، وإنك لتحمل علي العثمانيين فسق كبارهم ، وتريد حربهم بإدخال النصاري إلي أرض المسلمين وجعلهم أحراراً فيها لا يستطيع أحد أن يقف في وجههم أو يردعهم ، وإنهم ليريدون أن يفسدوا المجتمع الإسلامي ويغيروا من طبيعته ، وقد أمرنا بحربهم وإذلالهم ،

وحماية بلاد المسلمين من شرهم ، ونُهينا عن موالاتهم والركون إليهم ، والاستنصار بهم .

والعجب أنك نفيت علاقتك مع الطليان في جوابك للحفظي ولعلماء عسير حينما كتب لك ناصحاً ومُحذراً من مباطنتك للكفار بشئ يضرّ بالمسلمين ، وكان جوابك أنك لم تفعل ذلك ، وأن ضرب الطليان للموانئ كان إقداماً منها للتحرّش بالمسلمين ، وزعمت أنهم قد دحروا بقواتك ، ثم لذت في جوابك إلي باب الضرورة فادعيت أن وجود فئةٍ من المسلمين ضعيفةٍ داهمتها قوة من المسلمين الآخرين ، وتريد أن تجتاح بلادهم وتضمها إليها ، وأن الفئة الضعيفة ليس لديها القوة لردع المهاجمين فيمكنها عندئذ الاستنجاد بالنصاري لتحتمي بهم ، ودللت علي ذلك بفعل رسول الله ﷺ باستئجار عبدالله بن أريقط وهو مشرك ليكون دليلاً له في طريق الهجرة ، واستعارته ﷺ دروعاً من صفوان بن أمية وهو لا يزال علي شركه .

والغريب أنك تستند علي حادثتين فرديتين ، وكل منهما محصورة بفردٍ ضعيفٍ لا حول له ولا قوة ، ولا يستطيع فعل أذي يصيب المسلمين ، والفرق كبير بين هذا وبين الاستعانة بدولةٍ قويةٍ تستطيع التأثير علي المسلمين ، والتغلب عليهم .

واستعارة الدروع يمكن الاستشهاد بها بأنه يجوز شراء الأسلحة من الأعداء علي أن ننقلها بوسائلنا الخاصة كي لا يطلع الأعداء علي عوْرات المسلمين .

واستئجار ابن أريقط يعطينا دليلاً علي إمكانية استخدام

أفراد من غير المسلمين في قضايا خاصة بالمسلمين ، دون أن يطلعوا علي أهداف المسلمين ومخططاتهم .

وإنه لا يصح المقارنة بين هذه الحوادث الفردية والتعامل مع دولة كافرة كإيطاليا وغيرها ، وإن ذكرك لهجرة المسلمين إلي الحبشة بأمر من رسول الله ﷺ ، فذلك لأنه لم تكن لهم دولة تحميهم .

وإن الطلب من دولة كافرة القدوم إلي بلاد المسلمين كقوة لتردع فئة من المسلمين لا يصح بحالة من الأحوال . وقد وقع في الأندلس ما تحاول تطبيقه فأخذهم الله نكالاً بما فعلوا ؛ فسلّط عليهم من رأوا فيهم النصرة ، فأزالوا دولتهم ، وانمحت دولة الإسلام من هناك .

ولا تجهل مبدأ أمرك في هذه البلاد ، وقد خبرتك عن قرب، وظهر من سيرتك ما تخفيه سريرتك ، وقد جلّي الواقع ما عتّم علي رؤيتك الحقيقة ، وما كان يُرواد نفسك من أحلام بأنك في يوم من الأيام بسترقي السراة حاكما قد انهار أمام هزيمة جيشك في بلاد قحطان وفي بلاد ربيعة .

ولما كانت هذه آخر سهام ترشقنا بها ، صوّبت وجهك نحو ابن سعود مستنجداً ، ولعل جرّك له نحونا اليوم سوف ينتهي بك غداً ، وإني لأخالك وُجدت في تهامة عسير أداةً تمكنه من عسير وسواحلها .

وقد اصطنعتك إيطاليا لتضرب بك العثمانيين في اليمن وعسير والحجاز ، وسارت بك شوطاً ، ثم جاءت بريطانيا لتكمل المهمة غير أنها وجدت في نصيرك اليوم بغيتها ، فركلتك واحتضنته .

وإنكما لتعملان معاً لحربنا ، وينتظر هو المبرر للهجوم علينا ، وإن الرسائل بينكما لتدور كلها حول عسير وغزوها ، وإنك في هذه الرسائل لتشمخ بأنفك فتزعم له بأني عامل لك علي السراة ، وأنك قد خصصّت لنا رواتب من بيت المال وأنت في أمس الحاجة إلي المجيدي وتصل بك الحالة إلي الاستفاثة بنصيرتك بريطانيا في عدن لسدّ حاجتك ، ولم تقف بك الحال علي ذلك حتي بثثتها مع دعاتك لإيهام القبائل المنخدعة بك . ومع ذلك الادعاء تزعم أني قد خرجت عليك ، وتتخذ من ذلك وسيلة تقوي بها موقفك وتوهمه أننا أصبحنا من رعاياك ، وأن عسيراً أضحت جزءاً من سلطانك . وأنت بالواقع تريد الاستيلاء علي عسير به ، وتبني من دعمه دولة مستقبلك .

وكما راسلت هذا فقد راسلت الشريف حسين والإمام يحيي تحثهما علي حربنا وتخوّفهما من قوتنا ، ولم تخف علينا هذه المراسلات .

وإنك لتهتبل مجاراة ابن سعود لك في هذه المراسلة ، فتزعم له أنه ينبغي لكما أن تقوما بإحياء معالم الدين ونشر الملة الحنيفية بين المسلمين علي ما كان عليه السلف الصالح ، وهو يعلم أنك مبتدع ضال صاحب طريقة تسعي جاهداً لنشرها ، وأنت تعلم أنه رجل أمي ، وأن وراءه حليفتك بالأمس بكل قواها لتوطيد ملكه في الجزيرة مع أنه يخادع العثمانيين بالولاء ومنحهم والطاعة ، وهي تريد منه اليوم ما يريده منك في الغد ، فكيف يكون الإسلام قوة وهو بين مبتدع وجاهل كافر لكنه يسعي لأمر دنيوي. كما قال الشاعر :

صاح هي الدنيا تشابه جيفةً ونحن حواليها الكلاب النوابح

فمن ظلّ منها آكلاً فهو خاسر ومن عاد عنها ساغباً فهو رابح

وصاحبك رجل ذكاء فطري قد يتربّع به على الجزيرة .

وبلغنا أنه قد جهّز قوةً ، وسيّرها لأطراف عسير ، وأمركم أن تتحركوا من تهامة لتشغلونا عنه ، ليتمكّن جيشه من التوغل في عسير ، كما شجّعكم على أن تقوموا بتحريض الإمام يحيي ليتحرّك بقوةٍ على صعدة ، ونجران ، وظهران .

إن كل ما يحدث من تحركات ضدنا من أي جهة سوف لا تخصّنا بشرها بل ستجعل الأطراف كلها في صراع إذا ما سقطت عسير ، نعدكم أنتم المسؤولون عن ذلك ، وسنحملكم التبعة ، وستلقون عقوبة ذلك . ما لم تلتزم بما عاهدت عليه عمي عبد الله برسالتك له بأنك عامل له على تهامة تتلقى الأوامر من أبها ، وستجدّ منا ما تحبّ . فإن أبيت إلا المشي خلف ابن سعود فإن مَصيرك في تهامة سيكون على يديه إن انتصر علينا .

والسلام على من اتبع الهدى

١٠ جمادى الأولى ١٣٣٧

حاكم عسير

الحسن بن علي آل عائض

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسن بن علي آل عايض إلي الحسين بن علي شريف مكة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

وصلت إلينا رسالتكم بيد الشريف محسن ، وسنكون - إن شاء الله - علي يقظةٍ تامةٍ وإن غائلته لن تؤمن ، فهاهو الآن قد دفع إلينا ابن سعود ، ومالأه علينا ، فداهمت قواته الأفلاج ، والوادي ، وبيشة ، ولم تستطع قبائل بيشة المقاومة للتواطؤ من بعض مشايخها معه ، وقمنا بدعم أعواننا بثلاثة آلاف من زهران وغامد والبقوم بقيادة راشد بن جمعان، واتبعنا الدعم بقوةٍ من تثليث ، فتمكنوا مع القوات المحاصرة في بلدة الحيفة من القضاء علي رجال ابن سعود وأسر قائدهم ابن ثنيان ، وهو الآن لدينا في أبها مع بعض رجاله ، وسنعيده إلي ابن سعود ونبعث معه رسالة نحمله فيها تبعة ما حدث ، ونلحي عليه باللوم إذ انقاد لابن إدريس وأقحمه معنا في حرب ، وإن أمر ابن سعود ليس كما وهمت في رسالتك أنه أعرابي يقود أجلافاً طعامهم الجراد ، من ضئضئي ذي الخويصرة ، وأن دياره ديار فتن ، وعلماءه غلاة يكفرون من لم يدخل في طاعته ويستبيحون ماله ودمه ، وينظرون إلي ما سواهم نظرة الازدراء ، وأنه من ولد مسيلمة الكذاب ... وأن حوله بني حنيفة وبني تميم ، إلي آخر ما ذكرت ، ولكن

الأمر خلاف ذلك ، فأكثر من حوله من قحطان ، وهي قبائل ذات بأسٍ ومنعةٍ ، ولها أخلاقٍ ، ودين تدافع في سبيله ، وأما بنو حنيفة وبنو تميم فقد تفرّقت في الأفاق ، ولم يعد لها في نجد رابطة القبيلة ، ولم يكن ابن سعود من بني حنيفة ، وإنما هو من قحطان دخلت عشيرته في عداد عنز بن وائل التي اندمجت في عنزة بن أسد ، وأما علماء نجد فإن لنا بهم صلة إذ كانوا يأتون عسيراً ويتصلون بأبي وعمي ، وكنا نصغي دروسهم ونحن صغار ، فنعم الرجال هم ، فإنهم شديدون في ذات الله ، وليس لديهم مواربة ، فلو علموا أن عبد العزيز قد وضع يده مع الانكليز في معاهدة ضد العثمانيين لوقفوا في وجهه وكفّروه ، غير أن ذكاءه ويقظته قد جعلته بعيداً عن الشبهة أمامهم ، بيد أنه قد وضع ألسنتهم بين حدّي المقراض ، وكان يقرب إليه أصحاب الدنيا منهم حجة يتكيء عليها في تأييده ، وكانت له طريقة مكر في ذلك ، فإذا همّ بأمر استدعى أدناهم إليه ، وتحدث معه في ذلك ، وزعم له أن فلاناً أيده ، وهو يكذب ،. وهكذا يفعل مع الآخرين ، حتى إذا انتهى منهم كلهم ، جمعهم واستشارهم وكان قد حصل على الموافقة مسبقاً بما يرضي هواه . فعندما قام عمه سعود بن فيصل بالاستعانة بالعثمانيين ضدّ أخيه عبدالله حاربوه ، وأفتوا بتكفيره ، فلما تغلب سعود أيدوه وعدوها جائزة كبيعة المتغلب ، وكذلك هي الحال مع أخيه عبدالله عندما استعان بهم ضد أخيه مع أن العثمانيين مسلمون ، ويمثلون الخلافة .

أما أن الديار هي قرن الشيطان فإن الأرض بأهلها ، ولا نعرف عنهم إلا خيراً ، ويجب ألا نسيئ الظن بالمسلمين ، بل

علينا أن نتغاضي عن سيئاتهم وخاصة العماء منهم ، وهم بعد لم تبسط لهم الدنيا فتختبرهم فإنهم - علي ما يبدو - سريعو التحول ، فربما صرعتهم ، ونالوا منها ، وهم علي غيرهم أشرة ، وعرف عبد العزيز طباعهم فاستخدمهم وسيلة لتحقيق مصالحه .

وإن الرجل ذو نزعات ، وإن الحال التي نشأ بها ساعدته علي تمكين نفسه في سلطة ، فهناك حروب الانكليز مع الأتراك ، ويحتاجون إلي أيدٍ عربيةٍ يبطشون بها بخصومهم ، وهناك حرب بين ابن الرشيد وآل الصباح وكل منهما يحتاج إلي قوةٍ ليدحر بها خصمه ، فعندما رفض ابن ثاني بقاء عبد الرحمن بن فيصل في قطر ألزم الإنكليز ابن الصباح أن يستضيفه ومن معه ، وكانوا قد عقدوا معه معاهدة ، فحلّ عنده في الكويت علي كره منه هارباً من ابن رشيد بعد أن سئم البقاء في العراق والبصرة ، وأدرك ابن الصباح أن وجود ابن فيصل لديه خطر يهدد ابن رشيد فاستفاد منه لكسب أهل نجد إلي صفه ، ومكّن له في الكويت حتي غدت سوقاً لأهل نجد يرتادونها كلما ضاقت بهم الحالة في بلدهم .

إن إقامة عبد العزيز في الكويت جعلته أحد رجال ابن صباح ، ووثقت صلته بالإنكليز ، إذ أن ابن الصباح من أعوان الانكليز فلا يقطع أمراً دونهم ، وقد أغروه بقتل أخويه بعد أن ذهب إلي الهند مغاضباً لهما ، وكانا قد وقفا أمام مطامع الإنكليز إلي جانب العثمانيين ، وسلّم الإنكليز مبارك بن الصباح السلطة وحموة من والي البصرة العثماني ، ومبارك

رجل يجيد الخداع ، ويعرف كيفية رمي الخصم ، وتمكّن ابن صباح من إضعاف قوة ابن رشيد بإرسال عبد العزيز علي رأس قوة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل من خيار رجاله فداهم بها الرياض عن طريق حفر أبي موسي الأشعري فاحتلّ بها الرياض ، ولولا هزيمة ابن صباح أمام ابن رشيد في الصريف لبقيت نجد إلي الآن في حوزة ابن الصباح ، ولكن عندما وصل خبر الهزيمة إلي عبد العزيز اضطرّ إلي التخلي عن الرياض والعودة إلي الكويت خوفاً من ابن رشيد ، وأفاد عبد العزيز قربه من ابن الصباح فتحرّك نحو الرياض ، ثم بدأ نجمه في البزوغ .

وإنك لتعلم أن رجلاً مثل هذا تاريخه ليجب علينا أن نعطيه اهتمامنا وأن نحسب له ألف حساب ، فقد دفع إليك خالد بن لؤي ليجسّ النبض ، ويعرف مدي قوتك ، وما دفعه ابن ثنيان لنا إلا من هذا الباب ، وهو في كلتا الحالتين يتبرأ ويتجاهل ذلك ، مع أنهما تنذران بشر علي عسير والحجاز . ولم يكن بدؤه لنا من باب الصدقة ، وإنما لخطورة منطقتنا ، ووجود من يدعمه من جوارنا فعسير برأيه بوابة اليمن والحجاز ، فأسلافه لم تطرق جحافلهم الحرمين إلا بعد أن دخلوا عسيراً .

ويبدو أن ابن سعود قد ضمن الإنكليز إلي جانب فأخذ يصبّ اهتمامه علينا بعد أن مدّوه بالمال والسلاح ليكون معهم ضد الأتراك ، علي حين أنه يتظاهر للأتراك أنه موال لهم . واستغل ما حصل عليه فهجرّ البادية وسلّحهم ، وسيكونون

غداً القوة التي يضرب بها ، وربما تعود فتضربه . وعنده اثنان من الإنكليز لا يقطع أمراً دونهما ، ويدّعي لمن حوله أنهما من المسلمين ، وهما اللذان شجعاه عل تهجير البادية ، وما امتدت يد مسلم إلي كافر إلا أذلها الله ، وخصّص له الإنكليز شهرياً مبلغاً من المال عن طريق هذين النصرانيين .

وأبلغتنا العيون من الرياض أن هزيمة جيشه بقيادة ابن ثنيان وهزيمة خالد بن لؤي لجيشكم قد أثارت حفيظته لحربنا، وبلغنا أنه يعدّ جيشاً قوياً أحد أفراد أسرته لم يبلّغ عن اسمه حتي الآن ولا عن أحواله ، وحثّ الإدريسي وإمام صنعاء لغزونا معه ، ونعلم أن القوات التي تعتمدون عليها من أبناء الحجاز ليسوا قادرين علي مواجهته لأن الفئتين تختلفان ، فمن معه قد شُحنوا عداوةً علي من خرج عن طاعته، وهم يقاتلون معه ويظنّون أنهم سيكونون شهداء إن قتلوا إذ يرون قتال من خالفهم جهاداً ، ونحن مخالفون لهم - حسب زعمهم - أما من معك فيقاتلون ، ولا يدرون لماذا يقاتلون ، فليست عندهم الحماسة ، وليس هناك من تفاؤل للانتصار عليهم ، والحال ما ذُكر .

يجب علينا وعليكم ألا نتساهل في أمره وندعه حتي تتعاظم قوته ، فيصعب عندها الإجهاز عليه . ونري أن نوحّد جهودنا ، ونؤلف قوةً من الحجاز وعسير ونداهمه في عقر داره ، ويمكننا أن نحرّك ابن رشيد من جانب آخر ، ونشغله له ،ويمكننا أيضاً تحريك ابن صباح فهو ذو أطماع توسعية ، فلعل ذلك يخفف من حدّته فينتهي معنا بصلح يبقي علي بلدة

الرياض وما جاورها من قري اليمامة حتي تصل قواتنا إلي بلدة الرياض .

وإن رسالتي هذه بمثابة إنذاركم لخطورة الموقف . وتذكركم بما سبق لكم منا في هذا الشأن . ولعلّ رأيكم يتفق مع رأينا ، فإذا ما كان ذلك لنري إبلاغنا لإرسال وفدنا ، وعمل ما ينبغي .

نسأل الله أن يجمع بين قلوب المسلمين ويُوحد صفّهم ، ويخمد الفتن بينهم ، ويجعل فيهم أئمة خير وصلاح . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ

الملحق رقم (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسن بن علي آل عايض إلي عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

نحمد الله الذي لا إله إلا هو ، ونصلي ونسلم علي عبده ورسوله محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

ترامت إلينا الأخبار أنكم قد بعثتم جيشاً من قبلكم لضمّ الأفلاج ، والوادي ، ونجران إلي سلطانكم ، وأن هذا الجيش سينتهي به السير إلي بيشة لاتخاذها مركزاً لسراياكم ، وأن جيشاً آخر سيأتي عن طريق رنيه وسينتهي إلي بيشة أيضاً ، ولغزو عسير بعدها . وأن المحرض لكم هو الإدريسي الذي حسّن لكم اجتياح ما كان تحت سلطاتنا ما قرب منه وما بعد . وأنه التزم لكم بدفع نفقات الجيش وديات قتلاكم ، وقد خوّفكم منا بأننا سنمدّ سلطاننا إلي ما تحت أيديكم من نجد مما كان لأسلافنا من قبل ، وأنه قد استحثّكم لحربنا متخذا ما رآه منا من رفض الاستعانة بالطليان والإنجليز حينما عرضوا علينا مساعدتهم لتنضم إليهم ضدّ العثمانيين وكان ذلك ذريعةً يدعوكم بها للمبادرة على حربنا وغزو بلادنا ، وخاصةً عندما فشلت محاولته من احتلال عسير في مطلع هذه السنة ، وعزمنا لبعث قوة تطرده من تهامة .

تعلمون أن هناك روابط بين أسلافنا وأسلافكم بنيت علي النقاء ، ولا يصحّ أن نجعل آذاننا صاغية لوسوسة كل مفسد فنضع بلدينا في حرب تضعف فيها قوة المسلمين ويشغل بعضهم ببعض ، وتصرفهم عن حماية أرضهم من النصاري الذين ظهرت مطامعهم ضدنا لفصم عرا بلاد المسلمين ، وعدم اجتماعهم في ظّل دولة واحدة . وأن ما حدث بيننا وبينكم من حرب في رمضان لا ينبغي أن يتكرر ، فلنا حدودنا ولكم حدودكم ، وعندما دخلتم مدينة الرياض ، عرض أبي عليكم مساعدته، وأرسل إليكم جلّ قبائل قحطان من الوادي ومن تثليث بقيادة عشق بن زايد وسعد بن بخيتان بن حسون ، وفيحان بن محمد بن قويد ، ثم أتبعهم بأهل الأفلاج بقيادة محمد بن عمر العجلان ، في الوقت الذي هو بأشد الحاجة إلي هذه القوة إذ كان يخوض معركةً حاميةً ضدّ الأتراك لإجلائهم عن البلاد .

وإن تحريض الإدريسي لكم ليهدف من ورائه إلي إيقاع الخلاف بين أنصار الدعوة السلفية ، والبقاء علي انتشار طريقته الصوفية في تهامة عسير ، ولتظلّ الضلالة والجهالة قائمتين وهما مما يدعو إليه ليبقي له كيان ويستمر نفوذه . وهذه الطريقة المليئة بالشركيات كانت كلما أوقدت لها جذوة أخمدت من أسلافنا ، وإنما يفرض الحرب علي أهل الأهواء والزيغ ، والمضلّلين لمن تحت أيديهم من المسلمين ، وعلي الذين يريدون أن يستبدوا بالمسلمين ويذلّونهم تحت سلطانهم .

وقد كتبنا لكم مع مراسلينا ابن بخيتان وابن شري عن

ويهدف عبد العزيز إلي أن يُحدث فجوة بين الشريف وآل عائض ، حتي لا يكون بينهما تعاون عندما يريد الاستيلاء علي عسير .

وقد أطلعني الشريف حسين علي هذه الرسالة عندما قمت بمهمة بينه وبين آل عائض في حجّ هذه السنة ، وكأنه يريد التعليق مني علي ما جاء فيها من عبارة أراد أن يستغلها عبد العزيز ، فبادرته بقولي : إن الحسن يريد أن ينفي مزاعم الإدريسي التي يدعيها في مراسلاته لعبد العزيز من أن هناك تعاوناً بين الأشراف وآل عائض علي توحيد الجزيرة العربية تحت سيطرتهم .

حاله في بث طريقته الأحمدية ، وتعاونه مع الطليان والإنكليز فيما بعد ، وتعلمون أن التعاون مع النصاري ضد المسلمين ولو كانوا فسقة لا يجوز ، وهذا قد ارتمي في أحضانهم ليحموه ، وهو يتكتم عن هذا خوفاً من الرعية ، فلا ينبغي لكم أن تتأثروا بدعوته . وأعدنا إليكم ابن ثنيان مكرماً معززاً . ولا نؤاخذكم في هذه المرة . والإدريسي الآن يعدّ العدة لحربنا مرة أخري ، ويبحث عمن يشغلنا عنه ، وقد اتجه إليكم ليحقق عن طريقكم احتلال عسير ثم يقلب لكم ظهر المجن ، ويري أن ما قمتم به كان عوناً له ، ودارت بينه وبين إمام صنعاء مخابرات وكذلك مع الشريف يحرضهما كما يحرضكم . وظهرت مطامع الطرفين ، وبعث الإمام يحيى قوة إلي صعدة ونجران ، والحرب قائمة بينه وبين جندنا ، وبقي الشريف يتربص بنا الدوائر ، فلا تكونوا عونا لهؤلاء علينا . والله ولي المسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٠ رمضان ١٣٣٧

أمير عسير

الحسن بن علي آل عائض

وقد أرسل عبد العزيز آل سعود هذه الرسالة إلي الشريف حسين بمكة وأرفقها برسالة منه يظهر فيها موالاته للشريف ، وأنه شبه عاملٍ له علي نجد ، ويُبيّن له أن ما حدث في تربة لم يكن منه ، وإنما من خالد بن لؤي وكان يدفعه إلي ذلك محاولة استقلاله ب (تربة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسن بن علي آل عايض إلي الحسين بن علي شريف مكة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد وصل إلينا الشريف محسن برسالتكم ، وكنت قد شككت أن رسالتي إليكم من الرياض لم تصلكم ، وخشيت أن تكون قد وقعت في يده ، حتي جاءني محسن ، وما ذكرته لكم في رسالة أخري قد حدث فكان من أسباب تمكيننا من العودة، وقد أزعجه ما حوته حسبما ظهر من الارتباك الذي بدا عليه ، ورأي من الفائدة كتمانها عنا ، وأثناء وجودنا في الرياض ذاكرت عبد العزيز فيما ينهي الحرب بيننا وبينه ، وبينه وبينكم ، فما بينكم زعم أنه لا يُفكّر بالحجاز ، فهو هاشمي ، ويبدو أن الرسالة التي سقطت في يده قد صرفته عن التفكير بالحجاز كما ادعي أنه الذي يهمه إنما هو نجد فقط ، وسيُدافع عنها ، وأن الحجاز لا تري منه إلا ما يسرّ أهلها ، وسأدفع للشريف ما كان يدفعه عمي عبدالله لسلفه . وذكر أنه كتب لكم كتباً أظهر فيها موالاته لكم .

وأما ما بيننا وبينه فقد تمّ الاتفاق علي إنهاء مادة الحرب ، وكتبنا وثيقة ضمّنا فيها ما يخصنّا وما يخصّه من أرض ، فحددّ له جنوباً الأفلاج ، وصبحاء ، وعفيف ، وللقبائل

التي ترتاد هذه المناطق الحرية في الانضمام لأحد الطرفين ، ولايمنع تطبيق الشريعة علي أصحاب الجرايم سواء أكانوا عنده أم عندنا ، واتفقنا علي ان نكون ظهراً له فيما إذا دعت الحاجة ، وكذلك يكون الحال منه لنا ، ولا يمنع رعايا طرف من دخول بلاد الطرف الثاني للبيع والشراء . وشرط أن يكون في أبها طارفة له يرجع إليها أهل نجد إذا جاءوا إلي أبها ، وقيّدنا الطارفة بامتثال أوامرنا والرجوع إلينا ، وأن عليه إبدالهم بغيرهم في حالة عدم ارتياحنا لهم ، واشترطنا مثل ما اشترط إذا دعت الحاجة لذلك ، ولم يمض علي الوثيقة أكثر من أسبوع حتي سمعنا أن رسالة قد وصلت إليه من الإدريسي يحثه علي الاحتفاظ بنا ، ويزعم له أن ابن مساعد قد دخل عسيراً ، وهدأ الأحوال ، فاستقرت الأوضاع ، وأن عودة آل عايض إليها ، وحكمهم لها سيجعلهم يكيدون لك ، ويعملون علي الثأر لقبائلهم منك ومن أهل نجد ، لأن جيشك قد فتك بالأهالي عند دخول كل بلدة من عسير ، وهم قبائل لا تنام علي ضيم ، وأحمد الله الذي مكّنك منهم ، وإني لما علمت بدخول جيشك بلادهم ، وما أصابهم من هزيمة ، ونزول حسن ومحمد إلي ابن مساعد ، وطلبهم الاجتماع بك لإنهاء الحرب – علي زعمهم – خررت لله ساجداً ، وله شاكراً ، وقلت لمن حولي : إن هذا النصر للمسلمين ، ولنا نحن آل البيت ، إذ سلّط الله علي الخونة عذابهم علي أيديكم إلي آخر ما سمعنا من مضمون رسالته المطولة . وعلمنا أن هذه الرسالة ستؤثر علي ما بيننا من اتفاق ، وسيُغير موقفه نحونا ، وعندها خشينا أن يطلب منا صورة الاتفاق ، لذا أرسلنا أحد

مرافقينا بها إلي السقا ليُسلمها إلي عمي عايض بن محمد حيث تمركزت هناك قواتنا بقيادة آل عايض ، وأمرته ألا يطلع عليها أحداً حتي تصل ، وأثارت هذه الرسالة حفيظة عمي فرأي أن يحاصر ابن مساعد بقواته المرابطة في قري (العثربان) و (الشرقي) و (غسان) رداً علي احتجازنا ، ونهض بقبائل عسير وطوّق بهم مدينة أبها ، وكانت قد أخليت من أهلها قبل تنفيذ الحصار ، وتفرّقت فيها قوات ابن مساعد بعد مقاومة الأهالي للغزاة وفتك جيش ابن مساعد بهم، واشتدّ الحصار علي ابن مساعد ، ولم يبق عليه إلا الاستسلام أو الاستنجاد فكتب إلي عبد العزيز يعلمه ما تم ، ويطلب منه النجدة السريعة ، فأرسل عبد العزيز رسالة يأمره فيها بتسليم عسير إلي آل عايض ، وإعلامهم بسير الحسن إليهم ، ثم يرتحل مسرعاً في طريقه إلي الرياض ، وكانت هذه الرسالة الثانية كما بلغنا ، وتحمل تاريخ ٨ صفر ١٣٣٩هـ . فلما تسلّم الرسالة طلب اللقاء مع آل عايض ، فانتدبوا له خالي محمد بن ناصر بن عايض ، وأحمد بن حامد، وعلي بن مشيبة فأطلعهم علي كتاب عبد العزيز إليه ، فوافقوا علي خروجه ، فطلب منهم أن يُبقوا عندهم ، وتحت أمرهم كوكبةً من الجند ريثما يصل إليهم حسن فينظر في أمرهم فيبقيهم أو يُرحلهم ، وتمّ الوفاق ، وسبق له أن تلقّي أمراً من عبد العزيز بعد احتلال عسير بأيام يأمره فيه بأن يبحث له بجميع ما وضع يده عليه بعد دخول أبها من مدافع وذخائر وأدوية وغير ذلك بعد أن قتلوا أطباء (الاستخانة) وعددهم ثمانية عشر طبيباً ، وهم من إخواننا الشاميين

بحجة أنهم من الكفار الروم ، ولما وصلت الأدوية إلي الرياض لم يحسنوا استعمالها لعدم وجود أي طبيب في الرياض آنذاك، وتعرض من استعملها إلي انحراف في صحته مما جعلهم يحرقونها بإشارة من معتمد الإنكليز "فيلبي" . وقد أفاد من الذخيرة في حربه مع ابن رشيد . ونعاني الآن من قلة الذخيرة إذ أن ذخيرتنا التي كانت لدينا قد نفذ أكثرها في هذه الحرب ، وما بقي لدينا لا يمكننا به الحرب أكثر من يومين ، وحبذا لو أرسلتم لنا ذخيرة عن طريق القنفذة ، وسبق أن عرفناكم عن نوعية السلاح الذي تحمله قبائلنا . وترك ابن مساعد طارفة بإمرة أحد رجاله ، ويسمي "العقيلي" حسبما ذكر عبد العزيز .

أما موضوع الوثيقة فقد أمرت أحد رجالي بإحراق البيت الذي خُصّص لإقامتنا عند ذهابنا مع عبد العزيز إلي خارج بلدة الرياض حيث كان يتنزّه في مكان آخر النهار لنقول : إن الوثيقة قد احترقت ، ونُطالبه بنسخةٍ عنها ، لنعرف مدي محافظته على ما تمّ بيننا من اتفاقات .

وبلّغ عبد العزيز أن البيت قد احترق ، فأراد أن يطمئن فقال : عسي ألا يكون في البيت أشياء ثمينة ، فقلنا : لا يوجد سوي الوثيقة ، وأمر بتهيئة بيتٍ لنا غيره . وعلمنا أنه قد أمر أحد رجاله سراً بالتفتيش بين الركام عن وجود أوراقٍ محروقةٍ . وقد كانت لدينا أوراق عديدة التهمها الحريق مع بعض الكُتب كنا خصّصنا وقتاً للقراءة فيها . وكأنه قد سُر بذلك ، وعلمنا هذا من تبرمه بنا عندما طالبناه بنسخةٍ من

الوثيقة . وعلمنا من بعض بطانته أنه قرّر إبقاءنا تحت رقابته ، وشدّد الحراسة علينا ، وقطع الصلة مع من كنا نودّ الاجتماع به من أهل العلم . ولم نجد بداً من المداهنة كي نتمكن من العودة ، ولم نول الموضوع اكتراثاً منا ، ولكن جنحنا إلي ما جنح إليه عمرو " أحسنت الدخول فأحسنت الخروج " فقلت في نفسي : نتخذ ابن مساعد وسيلة نتخلص بها من المأزق الذي نحن فيه ، فكتبت له رسالتين ، لاطفته فيهما ، فأجابني عن الثانية بأنه يسعي الآن في الوفاق بيننا وبين عبد العزيز ، وأن عبد العزيز لا يضمر لنا سوءاً ، ولم يتبيّن شئ ، وفجأة بلغنا بالاجتماع بعبد العزيز من أحد رجاله . فوجدت أن مجابهته بالواقع أمر لا بدّ منه فبادرته بقولي : لم أضرب إليك بحوافر خيلي لأكون صيداً رميت عليه شراكك ، ولكن أتيت لأمر فيه صلاح المسلمين بحقن دمائهم التي أهدر منها ما أهدر بغياً ، وأنت يغزوك بلادنا إما عددتنا أهل حرابة فنحن لسنا تحت ولايتك لتبعث إلينا من يقاتلنا ، وإنما نحن مستقلون في بلادنا ولم يكن علينا سلطان من أحد ، وإما عددتنا كفاراً ، ولسنا كذلك ، فإذا نُقيم الصلاة، ونُؤدّي الزكاة ، ونأمر بالمعروف ، وننهي عن المنكر ، ولما لم نكن إحدي هاتين الفئتين فقتالك لنا حرام ، ولكنه حب التسلّط هو الذي حسّن إليك غزونا ، وستتحملّ إثم الدماء التي أريقت من أهل نجد وعسير لتُقيم علي أشلائها ملكاً عضوضاً ، وأنت تعلم أنه ما علت دولة بظلم إلا هوت به ولو بعد حين . فاتق الله بالمسلمين ولا يغرّك من صرفك إلينا ، واحفظ لهم أعراضهم ، وأموالهم ، ودماءهم ، ولا تُروعهم ، ولا

تسلط عليهم الأعراب ،. وأنا لم أنطلق إليك إلا وقد وضعت قبائلنا علي أهبة الاستعداد للفاصلة ، وأعطيتهم نهاية شهر صفر ، فعليك أن تطلب عودة ابن مساعد إن كنت تبغي رأب الصدع ، ولك علينا أن نكون ظهراً لك ، فما كان منه إلا أن قال : هوّن عليك ياحسن فالأمر ما ذكرت ، وسأطلب عودة ابن مساعد ، ولك العودة متي شئت ، وسأبقي بجوارك من يثق بهم كلانا ، وسيكونون تحت أمرك ، ولم أكن ممن تخدعه الأكاذيب ، فهاك كتاب موقّع من بعض أعيان قومك يناشدوننا الله أن لا نمكنكم من العودة بعد أن جاء الله بكم إلينا ، وإنهم يرون الصلاح في إبقائكم ، وإذا ببعض الموقعين من مشايخ قبائلنا ، ولما أخذت الكتاب منه وجدت فيه اللهجة نجديةً ، فعلمت أنه عرض عليهم ، وأجبروا علي التوقيع عليه . فقلت لعبد العزيز : لقد أرهقتهم بيد ابن مساعد ليقولوا ما شئت ، إذ رأوا ما اتخذه حاطب بن أبي بلتعة ، رضي الله عنه ، متخذاً لهم ، وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن هذا شئ لا يضرنّا ولا ينفعك ، ولا يضيرهم بشئ . فما بيننا أمر واضح ، وإن العربي ليقف عند كلمته ، ولا يهدر كرامته ، فما بالك بقول أحد المسلمين يدّعي الالتزام بالإسلام ثم ينقض ما عاهد عليه .

واتجهنا إلي عسير بعد أن أهدي كل واحدٍ منا عشرين جنيهاً إنكليزياً ، وأعطي عبدالله خمسين ، وأمّا أنا ومحمد فقد أعطي كل واحدٍ منا مائة جنيه ، وأعطاني إضافة إلي ذلك ساعةً ذهبيةً مع سلسلتها تصل بين العنق والجيب . فقلت له : هذه ذهبية لا يصحّ استعمالها ، فقال : لا بأس بها ، يعرف

بها الوقت ، وهي كحلية السيف ، فقبلتها وأنا أعلم أنه لا يجوز . ولم نستعمل الجنيهات لأنها لم تصرف في عسير ، وهذا يدلّ علي أنَّ الإنكليز كانوا يمدونه . وبعثت إليه برسالةٍ بعدما كنا إلي أبها اقرب منها إلي الرياض وهذا نصها : " من الحسن إلي عبد العزيز وبعد : إن المتبايعين علي الخيار ما لم يتفرقا والسلام " . فأدرك المعني وأجاب مبعوثي مشافهةً ، وقد أدرك أنَّ الوثيقة لم تحترق : " إن المباع فيه عيب ، والمحرّج في أبها ، والمشتري في الرياض ".

وعاد ابن مساعد إلي الرياض لينضم إلي قوة عبد العزيز بمن معه لإزالة ابن رشيد عن حكمه وللحدّ من أطماع ابن صباح . وخلّف في أبها مجموعةً تحت إمرة بعض أتباعه - كما ذكرت - وربطهم بنا ، لكن المسؤول عنهم لم يكن علي جانب من التعقل ، فرأينا من المصلحة إعادته إلي نجد ، غير أنه ركب رأسه بمن معه ، فأمرت القبائل بإبعاده ، فقذفوا به خارج عسير بعدمقاومةٍ أبداها ، وتحصن بقري ذهبان وما جاورها ، ووزع رجاله علي بيوتها ، وكتب إلي عبد العزيز والإدريسي يستنجد بهما ولما علمنا بذلك أمرت بإخراجه بالقوه وإحراق البيوت التي أوته إن لم يخرج ، فحاول المقاومة ولكنه قهر ، وأُجبر علي الانسحاب ، ثم قتل مع كثيرٍ ممن قاوم معه .

وأمرت كذلك بإزاحة قوات الإدريسي عن الشقيق ، والقحمة ، والبرك ، وقواتنا الآن تستعد لطردهم وسيدهم من تهامة . وأثناء وجودنا في الرياض حرّك علينا الإدريسي

ابن حميد الدين فاحتلّ صعده ، ونجران ، وظهران ، وطرد عمالنا منها ، وقد جهّزنا له قوةً لردعه وإعادة ما احتلّ . وقد وزّعنا الذخيرة التي عندنا في (الحرملة) علي هذه القوات ، وما بقي لدينا لا يمكننا أن نقاوم به أكثر من بضعة أيام .

وقبل مغادرتنا الرياض بأيام علمنا أن هناك قوة له قد هُزمت أمام ابن رشيد ، فحرّكت نفس ابن صباح للتوسع ، ودعم ابن رشيد وكان اعتماده علي هذه القوة ، وأنه قد جنّد كل ما يستطيع تجنيده لإنهاء الوضع مع ابن رشيد غالباً أو مغلوباً إذ أنه المنافس الوحيد له علي الساحة النجدية ،وكل منهما يستعد للإطاحة بالآخر . وكان هذا من أسباب التراخي معنا ، وطلب ابن مساعد من أبها ، ليُوحّد قوته ، وودعنا قائلاً : المسلمون عند شروطهم .

ولربما تغلّب علي ابن رشيد لكثرة استعداداته فإذا انتهي منه مال علينا ، فيجب أن لا نتهاون في شأن هذا الرجل . وعلينا دعم ابن رشيد ، وقد طلب منا ذلك ، وربما طلب منكم أيضاً ، وأن الأمر يحتم المبادرة بتجهيز قوة من عسير والحجاز لا تقلّ عن مائة ألف ، خمسون ألفا من كل منطقة ، ودفعها إلي حائل عن طريق الرياض بعد مغادرة عبد العزيز لها نحو ابن رشيد ، مع إخبار ابن رشيد وابن صباح بذلك .

وإذا ما تمّ الاتفاق بيننا حسبما ذكرت فإني سأقوم مُباشرة بإرسال قوّةٍ من قبائلنا عن طريق الأفلاج للتمركز في الإحساء ، وإخبار ابن صباح بذلك ليقوم بدوره باحتلال المناطق القريبة منه وهذا ما رآه في خطابه إلينا والمرسل إليكم برفقه .

وقد دخلت جيوش نجد بلادنا بعددٍ يزيد علي خمسين ألفاً ، وأخبرنا كم بذلك ، وطلبنا منكم التحرك نحو نجد لانشغال جيوشه بحربنا ، وكان هناك متسع من الوقت لكم لتقوموا بدوركم ، وتدعموا ابن رشيد كما طلب ، ولكن تراخيتم حتي تم ما حدث ، ولانزال نحن وأنتم نتداول رأيين مختلفين قد يُوديان بنا معاً إلي هزيمة : الواحد بعد الأخر ، إلا أن يشاء الله غير ذلك . وأثناء إقامتي بالرياض بثثت بعض رجالي ليتعرفوا علي أحوالهم ، ما يدور في مجالسهم ، فوجدت أنه ليس لديهم من التحفظ ما يجعلهم يكتمون شيئا .

كما ذكرت رجالي أنهم شاهدوا أناسا يُعزّرون بالضرب المبرح لتعاطيهم شرب الدخان ، تلك الشجرة الممقوت استعمالها بهذه الحال : علي حين أن بعض أقاربه وكثيراً ممن حوله يشربونه خفية ، وهو يعلم ذلك ، كما يعلم الذين من واجبهم إقامة الحدّ .

كما ذكروا أن الوشاية عند رجال عبد العزيز تثيرهم للانتقام دون تثبّت ، وهو يأخذ بكلامهم . وعيّن فئةً من الناس وظيفتهم إزالة المنكرات ، وذكر رجالي أنهم قد شاهدوا بعض هؤلاء يجوبون الأسواق بالعصي والمقصّات لقصّ ما زاد من الملابس عن الكعبين ، ويتفقّدون الناس في صلاة الفجر ، علي حين أن ما حوله يجرّون ثيابهم بطراً وخيلاء .

ويهجرون من يفد من خارج المناطق التابعة لهم ثلاثة أيام، ولما سألنا عند ذلك قالوا : إنهم أنجاس إذ جاءوا من بلاد الشرك ، ونسوا أنهم كانوا يرتادون تلك المناطق من قبل .

وهذا يدلّ علي مدي تأثر سكان القري والبوادي في نجد بأية دعوةٍ تحمل اسم الدين ، ولو لم تكن كذلك ، فذكر رجالي أن أهل نجد يتحدثون عن عبد العزيز بأنه أخبرهم أنه لما كان بالكويت هتف به هاتف في عدة ليالٍ متتابعةٍ " قم ياعبد العزيز قام الله معك " عدة مرات في الليلة الواحدة ، فكان إذا همّ ببلدٍ سهّل الله فتحها . وصدقّ هؤلاء ذلك ، وقاموا بنشرها ، وروّج عبد العزيز ذلك لكسب الناس حوله ، ولتوهين عزيمة خصومه ، لعلمه أن فطرتهم تتقبّل مثل هذه الادّعاءات .

وقد نصحتك في رسالتي التي قبل هذه ، والمرسلة من الرياض أن تسلك مسلكه في تحضير البادية ، وتهجيرهم ، وتضع بينهم من يعلمهم أمر دينهم ، وتحذو حذوه في كل شيء لتستقيم لك بوادي الحجاز وتأمن انحيازهم إليه ، وتغيرهم عليك لما يتأثرون به .

وقد جعل حول كل ولدٍ من أولاده مجموعةً من أراذل الناس لا يترفعون عن الدنايا ، يطلق عليهم الأخوياء ، ويرافقونهم أينما ساروا ، وهؤلاء الأبناء هم الذين سيرثون سلطنة نجد بعده حسبما تكفّلت بذلك انكلترا ، فأي بشرٍ يمكنهم أن يكونوا رعية لهؤلاء ، وأي خير يرتجي منهم ، وقد تخلّقوا بأخلاق من حولهم ، وأبوهم قد عاش في الكويت في وضعٍ كهذا الوضع لذا فهو لا يتورع عن استخدام أي وسيلة للوصول إلي تنفيذ كل ما يخامر نفسه ، وقد جعل الإنكليز ظهراً له . وفي وقعة جراب بينه وبين ابن رشيد كان بين

رجاله نصراني يدعي شكسبير يعمل كمستشار عنده ويزعم لمن حوله أنه مسلم ، وقد وضعه الإنكليز عيناً لهم ، وليسيره وفق إرادتهم ، وقد هلك برصاص ابن رشيد ، وقد كان بجانب عبد العزيز يحمل السلاح ، وهو ضابط علي دراية في استخدام السلاح ، فكم من مسلم صُرع برصاصة ورصاص زملائه من النصاري الذين كانوا معه في تلك الموقعة وبغيرها ؟ وباء عبد العزيز بإثم صرعاهم . ومن استعاذ بكافرٍ في قتال المسلمين سيستعين بدولةٍ كافرةٍ علي إخوانه ، ولا يُبالي ما دامت تعزّز موقفه وتمكّنه من البقاء في السلطة .

إن رجلاً يقدم علي مثل هذه الأمور ليخشي علي الإسلام والمسلمين منه ، ومن أبنائه فإنهم سيتبعون سننه ، وذلك إن مُكّنوا ، والأمر بيد الله ، يؤتي ملكه من يشاء .

وعسي أن يكون كتابي هذا منذراً لكم لتفادي الخطر ، وحافزاً لكم للتشمير والجد لتلافي الأمر . وقواتنا الآن تنازل الإدريسي وابن حميد الدين ، ويطلب الإدريسي في هذا الوقت النجدة من ابن سعود ومراسليهما في أوبة وذهاب .

ويري عبد العزيز أن عسيراً هي مفتاح الحرمين ، فإذا دخلها انتهي أمر الحجاز .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٠ ربيع الأول ١٣٣٩هـ

أمير عسير

الحسن بن علي آل عائض

خاتمة لا بد منها

كانت الجزيرة بحاجةإلي توحيد مناطقها تحت قيادةٍ واحدةٍ باعتبارها منطقة جغرافية واحده لتكون قوة للإسلام وأهله ، وهي بحاجةٍ إلي قائدٍ صالحٍ يجمع حوله بطانةً تساعده علي الخير ، ليقيم شرع الله في أرضه ،

ولما كانت هذه الجزيرة تضمّ الحرمين الشريفين اللذين هما مهوي أفئدة المسلمين في بقاع الأرض ومحطّ أنظارهم لذا كان من واجب من يتولي أمرها أن يتقيد بشرع الله لا يحيد عنه قيد أنملةٍ ، لتقتدي به شعوب المسلمين ودولهم الموزعة في بقاع الأرض وليكون الحكم فيها صورة حقيقية عن الإسلام يشجع الآخرين من غير المسلمين علي الأخذ به واتباع منهجة وبالتالي اعتناقه والديانة به .

وينبغي علي علمائها أن يكونوا أيضاً قدوة صالحة لبقية العلماء في أرجاء الأرض كلها من حيث التقوي والصلاح ، وإعلاء كلمة الحق ، والنصح للأمراء ، وعدم الخشية في الله ، وعلي درجة كبيرةٍ من العلم والمعرفة والوعي والاطلاع علي كل ما يجري حولهم ، وكل ما يحدث في العالم ، وحتي لا يفوتهم أمر ، ولا يقعوا في حبائل المضللين ، ولا يخدعهم صاحب غرضٍ أو يكيد لهم صاحب مكر .

وعلي أبنائها أن يعطوا إخوانهم المسلمين أينما كانوا صورة عن الأخوة الإسلامية ، فيعدونهم إخوةً لهم عندما يأتون إليهم حجاجاً أو عماراً ، أو يمرون من أرضهم تجاراً ، أو

يمرون من أرضهم تجاراً ، أو يفدون إليهم زواراً ، ليشعر المسلمون جميعاً بالروح الإسلامية الحقيقية نتيجة التطبيق في هذه الأرض . ويجب أن يحس المسلمون جميعاً أن الجزيرة وأهلها سند لهم إن احتاجوا الدعم ، وظهراً إن دعتهم الأحداث إلي النزال ، وقوة أساسية إن دعا داعي الجهاد ومواجهة الأعداء .

وكانت الجيوش تنطلق من الجزيرة للفتوحات العظيمة مدة أيام الخلفاء الراشدين ، وكان أبناؤها ينخرطون في صفوف المجاهدين ، ويكونون العمود الفقري للمقاتلين مدة عهد الأمويين وشطراً من العهد العباسي ، ويجب أن يكونوا الآن كما كانوا بالأمس أيام السلف الصالح ، الذين هم القدوة لنا .

وإذا كانت قد انتابت الجزيرة مراحل من الضعف لما أحدث بعض أهلها من بدعٍ استحدثوها ، وإهمال في الدين نشأ عند بعضهم ، فولي أمرها ظلاّم حكموا ظلاماً حتي فقدت الجزيرة مع الأسف مكانتها القيادية بين المسلمين فتجزأت إلي وحدات وأقاليم تربّع علي مراكز السلطة فيها رجال ليسوا أهلاً للحكم ، وليسوا علي المستوي المطلوب للأخذ بيد أبنائها نحو الرفعة ، ولتطبيق شرع الله للعودة بالأمة إلي طريق الحق ، والرجوع بها إلي ما فقدته خلال مراحل الضعف .

استمر حكام هذه الوحدات يتنازعون أمر هذه الجزيرة فتضعف مكانتها من وضع إلي وضع أقل من سابقه حتي جاءت الدولة العثمانية فاتجهوا نحوها إذ رفعت راية الجهاد

ضدّ طلائع الصليبيين من البرتغاليين الذين رغبوا بإحاطة الجزيرة من كل مكانٍ سعياً وراء دخول الحرمين الشريفين وأخذ رفات رسول الله ﷺ وعدم تسليمه للمسلمين إلا إذا تخلوا عن القدس وسلموها لهم .

فهبّ أبناء الجزيرة للانضمام إلي العثمانيين لدعمهم في قتال البرتغاليين الصليبيين ، واتجهوا نحو الشواطئ العربية التي دنسها البرتغاليون ، ورأوا في هذه الدولة الناشئة أملاً لهم بانتشال المسلمين مما يعانون ، والنهضة بهم لعلهم يسيرون علي طريقة السلف الصالح ، ويعودون إلي رفع راية الجهاد لإخراج الناس من الظلمات إلي النور .

غير أن الدولة العثمانية قد اتجهت إلي أوربا لنشر الإسلام هناك ، غير أن هذا قد حرك النصاري في أوربا ووحدّ جموعهم وقاموا جميعاً يقاتلون العثمانيين الأمر الذي أضعف شأنهم ، كما أن حركة الدولة نحو أوربا قد أهمل وضع الجزيرة فعاد أهلها إلي الصراع ليتمكن الأقوي من السيطرة حتي ظهر محمد بن عبد الوهاب في نجد وكانت قد وصلت إلي حياة بئيسة حيث استقلت كل بلدة بأهلها وظلت الحروب بين بلدة وأخري حتي كاد يجلو أكثر أهلها من قراهم وكان منهم محمد بن عبد الوهاب الذي استقر إلي المدينة فترة لطلب العلم ، ومنها انتقل إلي البصرة للغرض نفسه ثم رجع إلي بلده حريملاء داعيةً وكان يتنازع أمر البلاد عامة الهاشميون في مكة والأمويون في عسير .

ورأي محمد بن عبد الوهاب تفشي الجهل في نجد نتيجة

هجر العلماء لمدنهم وقراهم فحاول أن يصلح أهل بلدته فلم يفلح فانتقل إلي العيينة التي لا تقل شأناً عن بلده ، ولكن لم يظفر ببغيته إذ وجد من أهلها جفوة لا يستقيم أمره فيها فتحول إلي الدرعية .

وكان تدريسه في حريملاء قد أفاده سمعةً انتشرت في قري نجد حيث وقف بجرأة في وجه علمائه إذ فند مفاهيمهم للإسلام وقواعده وندد بسكوتهم وتراخيهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ كانت تفشت أمور الجاهلية فيه ، ولم يأبه لمقاومتهم له ، ووجد أنه بحاجة إلي ظهير يقف بجانبه فكانت الدرعية التي رحبت به كضيف واحتضنته كمعلم ، ثم ما لبثت أن انتشرت قوة الدرعية بجهوده وجهود محمد بن سعود وجهود أهلها ومن انضم إليهم من القري المجاورة ثم انتشرت رسائله إلي دعوة أمراء الجزيرة ومشايخها وتذكيرهم بما أوجب الله عليهم ، فكانت تلك الرسائل تمهيداً لبروز قوة في نجد تستطيع أن توقف مطامع الهاشميين والأمويين ثم انتقلت إلي الصراع حينما أرادت تلك الإمارتان ربطه وانتهت بانتصار الدرعية علي مكة وأبها . ثم كادت الجزيرة أن تتوحد إلا أن العثمانيين أوجسوا منها خيفة علي الخلافة فانبروا لمنازلتهم وبعد جولات أخمدت تلك الجذوة . التي كادت تشعل في قلوب أبناء الجزيرة فكرة الجهاد ، ورجعت الجزيرة إلي نفوذ العثمانيين وإن كان قد وقف في وجهها الأمويون في عسير كامتداد للحركة السلفية حتي كبت بعد انتصار العثمانيين ، ورجع الضعف إلي الجزيرة حتي مطلع القرن الرابع عشر الهجري وكانت دول أوربا قد قويت

وتريد أن تحطم دولة الخلافة بمد نفوذها فكان لا بد لها من عملاء لتستطيع أن تقوم بدورها . فوقع في شراكها ابن الإدريسي ، والحسين بن علي ، وابن سعود ، فضربت دولة الخلافه بالحسين بن علي ، وجعلت من ابن إدريس وابن سعود منافسين له لتكمل مخططها في الشام والعراق .

وفي هذه الأثناء التي تحاول فيها إيطاليا وبريطانيا مد نفوذهما في البلدان الإسلامية وتهديم الخلافة لتمزيق الروابط بينها كي يسهل عليهما الهيمنة وأخذ الخيرات ، وضرب الإسلام ، وخاصة قلب بلاد المسلمين في جزيرة العرب وسواحلها ذات الموقع المهم . وكان لابد لهاتين الدولتين النصرانيتين وغيرهما من دول أوربا من أن تحتضن رجالاً من هذه البلاد ، وتجعلهم جداراً لها تلعب من خلفهم وتنفّذ مخططات دول الصليب التي تُمثلها ، لتوسعة منطقة تسلّطها فكانت قد اختارت رجالاً ، وجعلت حولهم هالةً بالدعاية لهم ، فكانوا يرقصون علي النغمات التي تضعها لهم ، وهي تعمل من وراء ذلك لتنفث سمومها حتي تأتي علي الإسلام ودار الخلافة .

بدأت هذه الدول النصرانيه تُلوّح لآل عائض بمغرياتها لتلفّهم في فلكها ، فوصل إلي أبها في مطلع عام ١٣٣٠ هـ وفد من ثلاث ضباط بريطانيين برئاسة ضابط يُدعي " هارولد يعقوب " وطلبوا مقابلة الأمير حسين بن علي آل عائض فالتقوا به وأطلعوه علي مهمتهم ، وعرضوا عليه مساعدة بريطانيا العظمي مادياً وعسكرياً لإجلاء العثمانيين عن عسير

وتحريرها وتكفل لهم إبقاء آل عائض علي حكم عسير جيلاً بعد جيل ، وأن تكون لهم سفارة تمثلهم في كل ما يجري لمصلحة الطرفين . وأبدوا استعدادهم بإنذار الباب العالي بإخلاء عسير وتسليمها لآل عائض ، ومنع الجوار من التعدي علي إمارتهم ، وتكون موانئهم مراكز تجارية مهمة سواء أكانت علي البحر الأحمر أم علي الخليج ، كما تقوم بريطانيا العظمي بتقديم مساعدة سنوية لآل عائض . فلما أدرك الأمير حسن مهمتهم استدعي أربعة من علماء المنطقة هم : الجهري ، والزميلي ، وابن جعيلان ، والحفظي ، وعرفهم علي غرض هؤلاء القادمين ، وطلب منهم وضع كتاب لدعوة بريطانيا إلي الإسلام حرصاً علي أهلها كما يزعمون الحرص علينا .

كنت حاضراً ذلك المجلس فاستغرب الإنكليز كلام الأمير حسن فكان ينظر بعضهم إلي بعض ، ولا يعرفون أني أجيد لغتهم فكانوا يتساءلون فيما بينهم هل بين هؤلاء العرب الأذلاء اليوم رجولة أسلافهم ، ومن لا يزال يعتزّ بماضي أجدادهم ؟ وماذا سيحملنا هذا البدوي إلي أمتنا العظيمة ؟ وهل يريد أن يصرفنا عن الذي جئنا من أجله وبما يحبط مهمتنا ؟ أو سيقابل عروضنا بهجوم علينا ؟ فإذا بهم يفاجئون بالكتاب التالي : من حسن بن علي آل عائض وعلماء عسير إلي عظماء وقادة بريطانيا .

السلام علي من اتبع الهدي ... وبعد :

إن وفدكم قد عرض علينا الدنيا وإنا نعرض عليكم الدنيا والآخرة.

فإنا ندعوكم بدعوة الإسلام .

أسلموا تسلموا من عذاب الله .

وارفعوا الظلم عن عباد الله يرفعه الله عنكم .

ولا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله يؤتكم الله أجركم مرتين ، ويمددكم بأموال أكثر مما تأملون من استعماركم . فإن رجعتم إلي عقولكم علمتم أن ما أنزل الله علي رسوليه موسي وعيسي هو ما جاء به محمد ﷺ، وهو الحق من ربكم وقد ختم الله به الرسالات .

وان عدتم إلى فكركم عرفتم أن هذا ما شهدت به كتبكم .

وإن أبيتم إلا الهوي والضلالة فعليكم ما علي أهله ولا رابط بيننا وبينكم ولتذهب وفودكم إلي أمثالكم .

ولما سُلم لهم الكتاب قرأه " هارولد يعقوب " علي زميليه وملامح الذهول تعلو وجهه ، فلما انتهي منه علّق أحدهما قائلاً : لو كان قادة العرب مثل هذا لما ظفرت بريطانيا ودول أوربا بقطعة أرض من بلادهم .

ثم ارتحل الوفد بعد إكرام دون الوصول إلي أي شئ مما جاءوا إليه .

وسألتهم عن طريقهم خوفاً عليهم فأجابوا إلي صبيا ومنها إلي عدن . وكان وفد لإيطاليا قد سبق هذا الوفد البريطاني حيث جاء عام ١٣٢٤هـ للغاية نفسها ، ولقي الجواب نفسه .

وزال أثر الإدريسي فبقي ابن سعود ، وابن علي فجعلت

الرحمن من عسير في شهر جمادي الأولي ١٣٤٥ فيقول : كان أبي في الكويت ويأوي إلينا بقية آل سعود ولا يزيد عددنا عن ١٥ نفراً صغيراً وكبيراً ، وقد يئسنا من العودة إلي نجد لمنعنا من قبل ابن رشيد ، وكان والدي يتنقل إلي بغداد حيث يتسلم راتبه من متصرفها ثم صار يأخذ راتبه من مأمور إصلاحات القصيم ، وكان والدي كثيراً ما يود في صراع يحدث بين ابن صباح وبين ابن رشيد ، وكان ابن صباح يطمع في نجد وهذا ما جعل لنا عنده منزلة لا بأس بها ليدفع بنا قادة له لضرب ابن رشيد وكان والدي لا يرغب أن تكون لابن صباح سلطة علي نجد لشئ في نفسه ويقول : أنا لو خيرت بين حكم ابن صباح وابن رشيد علي نجد لاخترت حكم ابن رشيد لأنه إلي نجد أقرب من ابن صباح . وكنت أكبر إخوتي وأحدث نفسي بأن لا يكون لهذا ولا لذاك سيطرة على نجد ، وكنت في قرارة نفسي اتمني الاستيلاء علي مدينة الرياض فقط حيث كانت ولادتي وكنت أتمني أن اعيش في ذلك البيت الذي ولدت فيه ، وهو بيت جدي فيصل بن تركي ، ويسمي الديوانية حيث كانت ولادتي يوم الجمعة السابع من رمضان عام ١٢٨٩هـ ، والإمام يخطب علي المنبر حسبما تروي أمي رحمها الله .

وكنت شغوفاً بأخبار أجدادي ، وكان والدي يحدثنا بتلك الحروب التي وقعت بين أعمامي عبدالله وسعود والتي استفاد منها آل رشيد فتارة يدعمون عبدالله وأخري يدعمون سعوداً ، حتي آل الأمر لسيطرة آل رشيد بعد وفاة عمي علي نجد سيطرة بدوية أذلت أهل نجد حتي سئموا البقاء في

منهما متنافسين لتصطفي لنفسها من تراه أصلح لما تعمل له فكان أولهما . فاتخذ لنفسه مساراً وافقت عليه إذ اتخذ من الإسلام وسيلة لضرب الإسلام فدفع راية السلفية وجعل له جماعه أطلق عليهم اسم الإخوان عرفوا بالجلافة وعدم الوعي . وكفّر الجوار بل كان كل من لم يسر في ركابه كافراً فكان ذلك بداية انشقاق المسلمين ، وسلط الإخوان علي كل منطقة دخلها فارتكبوا الفظائع ، ثم أخذوا يطالبونه بالاتجاه نحو العراق والخليج .ولكنه لم يوافقهم لأن ذلك لا يمكن أن يرضي به من وضعه في السلطة فوقع الخلاف بينه وبينهم ، ولكنه أخذ يشغلهم ببعض الجماعات المناوئة له في الجزيرة ليبعدهم عن تفكيرهم بالتوجه نحو مطلبهم ، وها هي الجزيرة تكاد تكون في قبضته ، وهو رجل لا يجيد القراءة ولا يحسن الكتابة ، ومن حوله ممن يوليهم الأمور لا يشذون عنه ، وهم علي درجة من السوء ، سواء أكانوا من افراد أسرته أو كانوا قريبين منه ، إذ لا يخشون الله ، ولكنهم يثورون لأنفسهم ولمصلحتهم، ويتخبطون في تصرفاتهم نتيجة الجهل والزهو بما آلوا إليه .

وبما أن بريطانيا هي المسيطرة عليه ووضعت بجواره أبناء الحسين في الأردن والعراق كمنافسة له وإخافة له منهم حتي لا يخرج عن دائرتها - والله أعلم بما في مستقبل الأيام .

وهكذا تردّت أوضاع الجزيرة إلي أسوأ حالة عرفتها .

كان ابن سعود يتحدث مع آل عائض في الرياض بعد ظفره بالحجاز مباشرة وبعد عودة الأمير عبدالله بن عبد

قراهم ، وانتشروا في العراق والكويت والإحساء والبحرين وراء معيشتهم . وكانوا كلما سمعت أن ابن صباح يجهز غزية يريد أطراف نجد أفرح لعلي أشترك في الحرب ، أو علي الأقل أمتّع نفسي برؤية الحرب ، ورؤية بلدي ، وعندما يرجعون مهزومين أو منتصرين أتلقي أخبارهم بشغف ، وكان ابن صباح يبعث والدي بسرية إلي أطراف نجد التي هي قريبة من حوزة ابن رشيد للمناوشة تمهيداً لضرب ابن رشيد وقهره للاستيلاء علي ما تحت يده ، ويري بن صباح أن تحرشه بابن رشيد بقوة علي رأسها عبد الرحمن بن فيصل أنها تكسب ابن صباح قوة تساعده علي الاستيلاء علي نجد .

وكان والدي يحدثنا أنه سعيد بمجابهة ابن رشيد ليستعيد لآل سعود مكانتهم في قلوب الناس حيث أن ابن رشيد الذي كان جده عبدالله بن علي والياً علي حائل لجدي فيصل بن تركي فكان يري والدي مجابهته لآل رشيد مجابهة من يؤدب عماله الناكرين للجميل .

وكانت هذه الأحداث تجعل في نفسي حب خوض المعارك مع آل رشيد الذين حالتهم ما ذكرت . وسهل الله الأمور فأخذت من ذكاء ودهاء ابن صباح ما احتجت إليه ، وأخذت من شجاعة عبد العزيز بن رشيد وجلده وقوة بأسه ما احتجت إليه . وأخذت من نزاع أعمامي عبرة جعلتني ألتمس أسباب النصر بأى طريقة كانت لأهزم خصمي ، وأخذت من الشريف المكر فخادعته به ، وأخذت من رؤساء العشائر مباطنتهم وهي تنطوي علي تقلب وخبث فظاهرتهم به ، وأخذت ما عانته نجد من حكم الأتراك وما جري لأجدادي علي أيديهم

دافعاً لأستعين بخصمهم عليهم مهما كان هذا الخصم ، وقد وصلت بذلك إلي ما وصلت إليه ، والملك بيد الله يؤتيه من يشاء ، ثم نظر إلي حسن فقال حسن : لعلك أخذت منا شيئا محموداً ياعبد العزيز ؟ فقال : نعم ، أخذت الأنفة والمصابرة ، فقال حسن : لماذا ؟ فقال : إني قاتلتكم بقوات ذات عدد وعدة علي ضعف منكم وتكالب الجوار عليكم ، فوقفتم في وجهها أربع سنوات وآل الأمر إلي ما علمتم .

فهذه أسباب توفرت لدي بلا حول مني ولا قوة فتخلصت من الأتراك وابن رشيد بأعدائهم .

١٦ ربيع الأول ١٣٥٨هـ

وأخيرا كانت هناك تقارير ترسل من داخل عسير إلي الباب العالي ، ومما جاء في تلك التقارير ما خلاصته :

كان علي بن مجثّل وخلفه عائض بن مرعي ، ومن بعده محمد بن عائض يسيرون حسب خطٍ واحدٍ قد رسمه لهم قبلهم سعيد بن مسلّط الذي استقلّ بعسيرٍ عن الدولة العثمانية ، وحاول فرض هيمنته علي الأجزاء المجاورة كي يتقوي ويمتدّ نفوذه فيما بعد علي جزيرةالعرب كلها ، ويطرد القوي الصليبية التي ثبتت أقدامها علي بعض أطراف أرض العرب .

وكأنه ينوي جعل المسلمين قوةً واحدةً تستطيع أن تقف في وجه أوروبا التي ظهرت نواياها التوسعية الاستعمارية . والتي لم تتخلّ عن صليبيتها في يوم واحدٍ حسبما كان يري هذا الزعيم العسيري .

ولم تطل أيام سعيد بن مسلط إذ توفي عام ١٢٤٢هـ ، فقام خلفه علي مجثّل يحمل هذه الأفكار ويعمل علي رفع راية الجهاد ليسير المسلمون تحتها سواء أكانت تحت اسم الخلافة أم تحت قيادته ، ويدعو من يقف في وجهه من المسلمين إلي العودة إلي الله والسير في ركاب المسلمين ، لينطلقوا لنشر الإسلام في أوروبا فيدعوها إلي الإسلام أو دفع الجزية صاغرةً والسماح للمسلمين بالدعوة بين أبنائها أحراراً ، وللجيوش الإسلامية بالتحرك فوق أرضها تتجه إلي أي مكانٍ يقف في وجه الدعوة .

وجاء عائض بن مرعي خلفاً لعلي بن مجثّل الذي توفي عام ١٢٤٩هـ ، ونهض بالأمر حسب هذا المخطط ، وبدأ يتحرّك لتنفيذه مبتدئا بعسير ، حيث سار بالناس سيرةً حميدة ، ويحملهم علي الإسلام ، ليكونوا عنواناً للرجال الذين سيكونون المجتمع الجديد الذي يتخليه من المجتمع الإسلامي الأول ، وتمكّن من النجاح في عمله في تربية الناس ، وهذاما جعل دولة الخلافة تشعر بالخطر فجنّدت الجيوش له ، وشجّعها علي ذلك الأمراء الذين من حوله في الأقاليم المجاورة لعسير والذين يرغبون أن يرتعوا في إمارتهم كما تحلو له نفوسهم فكانت رعيتهم تتحامل عليهم ، وتطالبهم بالسير علي النهج الذي يسير عليه العسيريون ، وهذا ما جعل أوقات ابن مرعي تُغطي بأعمال القتال ، والاستعدادات الدائمة لملاقاة الجيوش القادمة .

ومات ابن مرعي عندما جاء أجله المحتوم ، وبايع السكان

ابنه محمداً ، فلم ينحرف عن الطريق ، بل تابعها ، وأحس جواره بالخطر يقترب منهم إن لم يكن من أمير عسير فمن رعاياهم الذين يزورون عسير ، ويشغفون بما يرون من بساطةٍ في الإدارة ، وعدلٍ من الإمارة ، وسعادة تغمر السكان ، فأخذوا يحرضون الدولة علي غزو عسير والقضاء علي هذه الأسرة التي أقضّت مضاجعهم لأنهم يريدون حياة الأمراء لا حياة الرشاد وكانت الدولة العثمانية من جهتها قد شعرت هي أيضاً بالخطر لأن هذا المسلك العسيري سيثير الرعية عليها في كل مكان أولاً ، ثم إن هذه القوة الناشئة سيصعب التغلّب عليها إن تركت أكثر من هذا إذ يرتبط السكان بأمرائهم ارتباطاً وثيقاً ، ويقاتلون من أجلهم حماية لهم ، ودفاعاً عن منطقتهم ، إضافة إلي فكرة الجهاد التي أخذت تترسّخ في النفوس ويمكنها إذا انطلقت أن ينضم إليها أكثر المسلمين ، وعندها ستعصف بالدولة بل بكل قوةٍ تقف في وجهها ، وتحركت أطماع أصحاب المصالح والشهوات بالدولة فهبوا يثيرون الخلافة لقتال هذه الإمارة تحت شعار خروجها عن سلطان الخلافة .

وقد ذكر بعضهم ، وأبلغ مقر الخلافة أن أسرة آل يزيد في عسير ليست سوي حركةٍ وهابيةٍ انطلقت من تلك المنطقة بعد أن تمكّنت الخلافة العثمانية من اقتلاع جذور هذه الحركة الوهابية في نجد ، وحمل قادتها إلي استانبول ، فتحركت إثر ذلك رجالات هذه الحركة في عسير ، وهم الحكام هناك لمتابعة مسير الدعوة الوهابية ، وقد نجحوا ، ويعدّون أنفسهم امتداداً للدعوةفي الدرعية ، وعلي الخلافة الآن القضاء علي

هذه الحركة في أبها ، كما قضت عليها في الدرعية . وربما كان القضاء عليها في أبها أشد صعوبةً لمناعة بلاد عسير ، وشدة بأس أهلها ، وحبّ عشائرها لأمرائهم من آل يزيد ، لذا يجب أخذ الاستعدادات الكافية وتسيير الجيوش الجرارة ، كي لا يصاب الجنود بخيبة أملٍ هناك .

وكان القتال مريراً بين القوات العثمانية التي سيقت إلي عسير ، وجاءت من مناطق متعددة من الأقاليم التي تخضع للدولة العثمانية ، منهم من سار من بلاد الترك ، ومنهم من انطلق من الشام ، ومنهم من جاء من العراق وكثير منهم من مصر والحجاز وبقية أجزاء البلاد العربية . واحتدم الصراع وذهبت الضحايا ، ووقع الأسر من كلا الطرفين . كان أسري عسير يجدون الذل والهوان ، ويلقون الضرب والسؤال ، حتي ليحسوا أحياناً أنهم بأيد غير مسلمة، وهذا ما كان يزيدهم كرها للقوات الغازية لديارهم وللحكومات التي ترسلهم ، ولحكام الأقاليم التي خرجوا منها أما الأسري الذين كانوا يقعون بأيدي العسيريين فكانوا ينقلون قبل كل شئ إلي أماكن للنظر في جراحهم إن كانوا جرحي ، وفي أجسامهم إن كانت قد أصيبت بصدمات ، وفي كلتا الحالتين يعالجون ، يُقدم لهم ما يساعدهم علي الشفاء بإذن الله حسب الإمكانات المتاحة لإمارة عسير ، فإذا ما تماثلوا للشفاء نقلوا إلي أماكن خاصة يتمكنون فيها من أداء واجباتهم الدينية وتهيأ لهم كل الظروف التي تُساعدهم علي ذلك ، حيث يُعين لهم إمام للصلاة يؤمهم ويوجّههم ، ويعلّمهم أمور دينهم ، ويُسمح للفرد بساعتين أسبوعياً للانتقال إلي

المدن والقري بصورة لا تزيد نسبة الخارجين من أماكن الأسر علي ١٠٪ ، وألا يسيروا علي شكل مجموعات خوفاً من حدوث شئ ، ويعطون مبلغاً زهيداً من المال كي يتمكّن الفرد من شراء ما قد يشتهيه ، وكان الواحد منهم إذا عُرف أنه أسير أعطي تسيهلات في شرائه للحاجات ، وسمع كلمات الدعاء له بالعودة إلي أهله بالسلامة ، والدعاء للحكومة بالصلاح لعلّها تترك ما تسير عليه من إرسال أبناء المسلمين لقتال إخوانهم ، وحبذا لو كان الاستعداد والقتال موجّهاً لأعداء الدين فقط ، فكان هذا ما يستدعي إلي شعور أولئك الأسري أنهم قد ارتكبوا جريمة بسيرهم لقتال أمثال أبناء هذا الشعب المسلم المسالم ، ويُحدّثون أنفسهم أنهم لن يعودوا لمثل هذا الفعل بعد أن يرجعوا إلي أقاليمهم ، ولو قطعتهم حكومتهم .

هذا الشعور قد أوجد محبةً لأبناء عسير من سكان بقية الأقاليم مما كانوا يسمعونه من أبنائهم الذين وقعوا في أسر عسير .

بينما ذكرت التقارير التي ترتفع للصدر الأعظم عن أوضاع عسير في عهد سعيد بن مسلط ومن جاء بعده حتي محمد بن عائض كانت تشير إلي أن هذه الإمارة ذات نوايا توسعية ، وذكروا أن هذه النوايا لم تكن إلا امتداداً لما كان ينويه أسلافهم لمدّ نفوذهم علي الجزيرة العربية والشام ومصر والعراق وجزر البحر الأحمر ، وكانوا قد بيّنوا ذلك علي مخططات قاموا بعملها لتكون تلك التقارير مرتكزة علي

واقع زعموا أنه يخطط لتنفيذه من قبل حكام عسير ، واستدلّوا علي أقوالهم بما فعله محمد بن عائض عام ١٢٨٠هـ وبعدها إذ استدعي العلماء من اليمن وعقد معهم مؤتمراً للتشاور معهم في أمر المسلمين ، وما يعانونه من تسلّط الولاة العثمانيين علي مناطقهم ، وعدم تحكيمهم لكتاب الله وسنة نبيهم ، وما تغشيَ علي أيديهم من المنكرات التي ستودي بالمسلمين إذا ترك هؤلاء الولاة وما يريدون ، وأنه يجب التشاور بين المسلمين علماء وأمراء للحفاظ علي الإسلام وتعاليمه بينهم ، والعمل علي تحقيق ما أمر الله به ثم اجتماعه بعلماء الحجاز وعلماء نجد وما يبعثه من رسائل إلي علماء العراق والشام ومصر وإفريقية ويهيب بهم إلي اللقاء وتبادل الرأي في تشكيل مجلس إسلامي يمثل مختلف أمصار المسلمين ليعمل ضدّ أطماع الدول النصرانية الأوروبية بدولة الخلافة والعمل علي تجزئتها وتقسيمها فيما بينهم لزيادة ضعفها ، ثم النظر في الأمور المستحدثه التي دخلت علي بلدان المسلمين وغيرت مجري حياتهم ، وأشارت التقارير إلي محاولة جمال الدين الأفغاني حيث طرحت عنده من الصدر الأعظم قضية عسير وما تعانيه الدول من فشل في حملاتها المتكررة للإطاحة بابن عائض وحكومته إذ أصبحت منطقته القوة التي تنازل جيوش العثمانيين ، وقد طلب جمال الدين الأفغاني من الصدر الأعظم ترك المجال له للتفاوض مع محمد بن عائض ، وإعطاءه تفويضاً بذلك يخوله حسم الموضوع ، وزعموا أن جمال الدين التزم للصدر الأعظم أن باستطاعته إزالة الحاجز القائم بين الدولة العلية وابن

عائض ، وجعل ابن عائض ينقاد إلي حظيرة الخلافة . كما ذكرت التقارير أن الأفغاني استغل هذه المهمة لصالح محمد بن عائض علي أنه ضليع معه في تلك الأفكار ، وأنهما يسعيان معاً لإقامة دولةٍ قرشيةٍ ، وبرهنوا علي ذلك بمكوثه في العراق واجتماعه بالعلماء هناك ورجال الفكر ، ثم الشام وتجواله في مدنها الرئيسية . وإنه يسعي بإقناع أهل العلم في هاتين المنطقتين بإقامة خلافةٍ عربيةٍ ترتكز علي مجلس شوري يضم العلماء للعودة بالمسلمين إلي ما كانت عليه الخلافة الراشدة ، وأدرك الصدر الأعظم من عيونه هذه النوايا من جمال الدين والخط الذي يسير عليها ، وهذا ما جعله يطلب عودة جمال الدين إلي دار الخلافة ، وإعفاءه من المهمة التي سبق أن أوكلها له ، وطرده من دار الخلافة . وأشارت التقارير إلي أن فكرة التوسّع التي يعمل لها محمد بن عائض ليست وليدة فكرة ، وإنما كان أسلافه من قبله يعلمون لها إذ كانوا يعملون علي ربط القبائل بعضها مع بعض عن طريق إقامة أحلاف ليزيد من ترابطها ، ومن هذه القبائل المنتشرة في نجد والشام والعراق ، وربطها بهم ، وبدأت هذه الأحلاف من القرن الخامس الهجري حتي أيام محمد بن عائض . وكان آل يزيد يدعمون هذه الأحلاف بما يقوي مركزها علي أنها قبائل خرجت أكثرها من منطقة عسير وما يتبعها لأسباب سياسية، وهم يشعرون بمسؤولية الترابط بين أمصار المسلمين ، ويتحسسون أخبارهم في مواسم الحج حيث يلتقون بالحجاج من مختلف الأقاليم فيأخذون منهم الأخبار ، ويعملون علي إكرامهم حسب استطاعتهم ، ويرون الرابطة الإسلامية فوق

رابطة الدم . وفكرة الجهاد عندهم متقدة لا يقف أمامها شئ . ويعملون علي تحقيق العدل بين الجميع ، ولا تمييز بين الرعية .

ويشيد التاريخ بمواقف أمرائهم تجاه القضايا الإسلامية إذ أرسلوا رجال قبائلهم لدعم ابن باديس في بلاد المغرب ضدّ العبيديين الذي حكموا مصر (الفاطميون) ووقفوا في وجه البويهيين الشيعة عندما تسلّطوا علي الخلافة في بغداد ، ودعموا صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين ، وبعثوا بقوةٍ إلي بغداد لتدافع عنها ضد المغول ، وسيّروا جماعات إلي المغرب لتساعد أهل الأندلس ضدّ النصاري من البرتغاليين والإسبان ، وحموا سواحل البحر الأحمر من طلائع البرتغاليين ، ودافعوا عن عدن عندما هاجمها البرتغاليون ، وبقايا قبائلهم لاتزال تعيش في كل جهةٍ ساروا إليها ، وكذلك بعثوا بقوةٍ إلي مصر لتقاتل الفرنسيين الذين جاءوا مع نابليون بونابرت ، وأقام العسيريون قرب الأزهر ، وكانوا دعامة حركة الأزهر ضدّ الفرنسيين ، وعندما فشلت انتقلوا سراً إلي الشرقية ، وقطنوا هناك

وذكرت التقارير أن في عسير نظاماً عليه مدار الحكم فيما بينهم ، ويقوم علي مجلس الشوري الذي يمثل القبائل كلها ، ومدة العضو فيه ثلاث سنوات يتخلّي بعدها تلقائياً لتختار من يمثلها غيره ، ويرتبط مجلس الشوري هذا بمجلس المداولة ويضمّ أمير البلاد وسبعة أعضاء من العلماء ، وهذا المجلس هو المرجع الأساسي في شؤون البلاد وتنظيمها .

وللقبيلة مجلسها الخاص الذي يرعي أمورها ويطلقون عليه مجلس النيابة .

ويقترح أصحاب التقارير :

١ - ضرورة البحث عن أصحاب أطماع لمنافسة آل عائض ومحاولة إغرائهم ومدّهم بالمال ، وطلب دعمهم من أعوان الدولة .

٢ - حصار ابن عائض من الجهات كلها .

٣ - محاولة استدارجه للقتال خارج أبها وإلي جهات بعيدة يزيد بعدها عن بعد قوات الدولة العلية عن أبها بحيث تستطيع الوصول إلي أبها قبل عودته عن ميدان القتال الذي يخوض فيه حرباً ضدّ خصومه .

وقد أُخذ بهذه الاقتراحات ، واستدرج إلي الحرب في الجنوب ... وجاءت جيوش جرارة من استانبول ومن الحجاز ، وأمكن في النهاية القضاء عليه .

وقد ذكر لي إسماعيل الكمالي فيما بعد عندما التقيت به في جدة بعد أن زالت دولة العثمانيين ، وعاش ضيفاً علي حكومة ابن سعود ، وتذاكرنا فيما جري من أحداث أنه قد أعدّ تاريخاً عن المنطقة وضمّنه ما جاء في تلك التقارير ، والخرائط المرفقة بها وأنه سيعمل علي طباعته .

وكلّف بعض عيون الدولة أفراداً من عسير لاستنساخ بعض المخطوطات في تاريخ عسير ، وكان لهؤلاء النساخ سوق في أبها قرب شدا قريباً من المكتبة العامة ، ويعرف

ذلك السوق بسوق النساخ (الوراقين) ليؤيّدوا به ما أشارت تقاريرها عن الأحلاف ومهمتها ، وعن فكرة التوسّع التي يعمل لها آل يزيد لإعادة الدولة الأموية .

وقد حمل سليمان الكمالي نسخةً من هذه التقارير ، ورسمت المصورات من قبل نظارة البحرية علي ضوء تلك التقارير عندما أوكلت إليه مهمة متصرفية عسير وبقيت تلك التقارير في أبها بعد ذهابه ، وعندما ارتحل خلفه محي الدين باشا كآخر متصرفٍ لعسير سلّم تلك التقارير إلي الأمير حسن آل عائض ، وبعد أن اطلع عليها سلمها إلي عائض بن أحمد الجهري عضو مجلس الشوري للتعليم لضمها إلي تاريخه الذي كان قد قطع منه مراحل في الكتابة ، واسمه " التبصير بأحداث عسير " .

١٦ ربيع الأول ١٣٥٨هـ

المصادر

أولا : المخطوطات :

أ - الكتب :

(١) الحلل السنية في اخبار نجد وأئمة الدرعية — سالم الدوسري

(٢) نفح العود فى سيرة الشريف حمود — عاكش الضمدي

(٣) المروج الحسان . — للمقداوي

(٤) النجوم اللوامع — للحرجي

(٥) امتاع السامر بتكملة متعة الناظر — ج٣، ٤ شعيب الدوسري

(٦) تاريخ اليمن وعسير — حسن عبد الرحمن الحفظي

(٧) اخبار عسير — للعجيلي

(٨) زاد المسير فى تاريخ عسير — زين العابدين الحفظي

(٩) طبقات العلماء — موسي بن جعفر الحفظي

(١٠) الروض المستطاب — للإمام أحمد الحفظي

(١١) تكملة الروض المستطاب — محمد أحمد الحفظي

ب - الوثائق :

(١) مجموعة من الوثائق والمراسلات فيما بين حكام الدولة السعودية الأولى ، والثانية ، والثالثة ، وحكام عسير .

(٢) مجموعة من الوثائق والمراسلات بين حكام آل يزيزد فى

عسير والخلافة العباسية ، والدولة العثمانية ، واشراف مكة ، وبريطانيا ، وإيطاليا ، والبرتغال ، دول اليمن .

ثانياً : الكتب المطبوعة :

أ - بلوغ المرام فيمن تولى اليمن من ملك وإمام	للعرشي
ب - تاريخ اليمن	عمارة الحكمي
جـ - متعة الناظر ، ومسرح الخاطر	عبد الحميد الدوسري
ء - امتاع السامر بتكملة متعة الناظر	ج١، ٢ شعيب الدوسري
هـ - من تاريخ الدولة السعودية :	
(١) جزيرة العرب	حافظ وهبة
(٢) شبه جزيرة العرب	للزركلي
(٣) جزيرة العرب	فؤاد حمزة
و - أخبار عسير	لابن مسفر
ز - السراج المنير	للحفظي
ح - عسير فى رسالة الحفظي	جعفر الحفظي
ط - الرحلة اليمنية	للبركاتي